خالد عبد الهادي

علامات على طريق طويل:



لمحات إنسانية





خالد عبد الهادي

علامات على طريق طويل :

محمد حسنين هيكل - لمحات إنسانية

حبي محمد حسنين هيكل في صعوده جبل الحقيقة كما لو أنه كان يصعد جبلاً من النّار"

أدونيس

مراجعة تحريرية

حازم خليل البشتاوى

تصميم الغلاف:

سامح الكاشف

إصدار مركز الأهرام للترجمة والنشر

مركز الأهرام للترجمة والنشر

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة

تليفون: ٢٧٧٠٣٤٤٥ - ٢٧٧٠٥٠٦٣

الطبعة الأولى

٢٠١٧



رقم الإيداع ٢٠١٧/١٧٢٢٩

ISBN 978-977-320-283-5

منذ إنشائه فى عام ١٩٧٦ تحت اسم مركز الأهرام للترجمة العلمية وخلال مسيرته بعد أن أصبح مركز الأهرام للترجمة والنشر وصولا إلى وضعه الراهن، أصدر مئات العناوين التى حملت خلاصة عقول وأفكار وإبداع نخبة من المفكرين والكتاب فى مصر والعالم العربى. ويرحب المركز باقتراحاتكم وأفكاركم.

الأستاذ محمد عبد العزيز
[illegible] جيا وآملاً أن تجد فيه
شيئاً مختلفاً... وإنسانياً
وأرجو أن [illegible]
[illegible]
مع كل مودة وتقدير
خالد [illegible]
عمان [illegible]

أعتقد بأن كل إنسان لديه كتاب نائم في موضع ما من ذاكرته، ولو أنه فكر وراجع بطريقة جدية لعثر على موضوعه. ولو أنه عرف كيف يقترب منه لوجد عنده بالفعل شيئًا يستحق أن ينشر، ويستحق أن يُقبل الناس على قراءته. لأن كل تجربة إنسانية، قصة كاملة تستطيع أن تقدم نفسها في شكل كتاب.

محمد حسنين هيكل

المقدمة

كلّ جزءٍ في جسدي ينبوع*

صاحب الفكرة في هذا الكتاب هو الأستاذ الأديب يوسف القعيد!

فخلف هذا الكتاب حكاية جرت وقائعها في العام ١٩٩٧.

ففي شهر نوفمبر من تلك السنة، كنت في زيارة للقاهرة، وقد قابلت الأستاذ هيكل، ومجموعة من المحيطين به، وبعضًا من معارفه من المثقفين المصريين، وكان من بينهم الأستاذ يوسف القعيد.

وبينما كان الأستاذ القعيد يودعني على باب فندق إنتركونتيننتال سميراميس، فإذا به يباغتني بطرحه سؤالًا «هل نرى قريبًا كتابًا تتناول به الأستاذ هيكل ورؤيتك عنه؟»، لكنني ارتبكت، فأنا اعتدت على مجالسة المثقفين، وقراءة كتبهم ونتاجاتهم، بيد أن محيط الكتابة بالنسبة لي يظل بحرًا غامضًا ومجهولًا!

ثم كرر محاولته معي في سبتمبر ٢٠٠٣، في ظروف عملنا ضمن فريق شبكة تلفزيون دريم، بمناسبة برنامج أعدته القناة لبلوغ الأستاذ هيكل عامه الثمانين!

لكنني تمسكت بموقفي، إن الكتاب التزام، يستلزم تأهبًا خاصًا لست مطمئنًا أنني قادر عليه.

وظلت فكرة الكتاب تقبل وتدبر، فتارة أجدني منكبًا على الكتابة، ثم تجدني بعيدًا عن الموضوع في مشاغلي الخاصة... حتى جاء يوم الأربعاء ١٧ فبراير ٢٠١٦، يوم غياب الأستاذ هيكل عن المشهد ، فجر يوم الخميس ١٨ فبراير كنت في القاهرة، في محاولة لحضور الجنازة

* أدونيس: ديوان «المسرح والمرايا» - قصيدة «تيمور ومهيار».

والمشاركة في واجب العزاء (لم أستطع اللحاق بالجنازة، فقد تمت بعد ساعات من الوفاة). وكنت في منزل الأستاذ هيكل عشية يوم الجمعة مشاركا أسرته أحزانهم.

وفي يوم الخميس ١٨ فبراير، وجدت نفسي أمام عدسات قناة CBC مجاوبا على استفسارات توجهها الإعلامية المتألقة الأستاذة لميس الحديدي عبر برنامجها "هنا العاصمة". وقد نوهت للمشاهدين «بأنني أملك كنز هيكل!»

مساء يوم الاثنين ٢٢ فبراير عدت إلى عمان، متفاجأ من شريكة حياتي باقتراح القيام بإجازة لعدة أيام على شاطئ العقبة عن اعتقاد بأن حركة الأمواج المرتدة على صخور الشط، وحركتها الأبدية بين امتداد وانحسار، قادرة على غسل القلوب من جهة وإعطاء فسحة أمل وفرصة لإعادة التفكير من جهة أخرى!

فإثر مغادرة الأستاذ هيكل لعالمنا، كنت معرضًا لملاحقة يومية كي أدون تجربتي معه ورؤيتي له، من أصدقاء مشتركين، ومن عشرات المتابعين للصفحة التي تحمل اسمه على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك Facebook، وأقوم أنا وصديقي الأستاذ معتمر أمين بإدارتها، وقد كان بعضهم يلح بأن الكتاب ضرورة لا مفر أمامي في الإحجام عنها أو التباطؤ فيها!

ومن حسن الطالع، أنني قبل مغادرة الأستاذ هيكل، كانت أوراقي جاهزة.

بمعنى أن المعلومات لدي حاضرة، والمستندات متأهبة.

ولاح لي بأن الكتابة ممكنة... ولكن كيف ومن أين أبدأ؟

وكان الأسهل بالنسبة لي استبعاد ما لا أريد التطرق إليه، فأنا لا أريد كتابة قصة حياته، ولا سيرة عنه، ولا عن أدواره السياسية الظاهرة أو الخفية، ولا عن مهنته كصحفي.

وهكذا نشأت الفكرة وتحددت النظرة.

أملت في كتاب عن هيكل الإنسان، عبر إبراز النواحي الإنسانية في شخصيته كما أحسست بها وأدركتها.

ويوم الأربعاء ١٧ أغسطس أتممت مسودة كاملة للكتاب، ساردًا الوجه الإنساني للأستاذ ومكتفيًا به، متكئًا على تجربتي الشخصية المباشرة معه من ذكريات أحملها، ولقاءات

حظيت بها، دون إغفال محاولات الآخرين في الاقتراب منه ودرسه، مستفيدًا من شهاداتهم ومساهماتهم، ولكنني لم أنوه إليهم بالاسم، مبتعدًا عن أي اشتباه قد يسببه وجودهم بشكل واضح بكتاب لم يكن لهم علاقة به. ملتزمًا وحدي ما ذكرت من أحوال وأحداث وما بينته من مشاهد وصور.

وقد جاءت الأخبار والتحقيقات في الكتاب طاغية على الآراء، والأحوال والأحداث فيه أغزر من التبريرات والتفسيرات.

ففي إحدى المرات تحدثت مع الأستاذ هيكل عن عناصر المقال (الكتاب) الناجح وهي نفسها عناصر التحليل السياسي الإخباري الناجح، وقد عدها الأستاذ ثلاثًا:

- Information معلومات
- Education تعليم
- Entertainment تسلية

المعلومة أولًا، فهي إن توارت ارتدّت الكتابة - كائنًا من كان صاحبها - في واقع الحال إلى نوع من الإنشاء بجمل مرصوصة، أو نوع من الإنشاد، مستعيرة فنًّا من فنون الشعر القديم في مدح القبيلة والإمام والخليفة وغيرهم. ومن ثم الاستنتاج (الذي ينهي الاشتباه). والتسلية تكون بلغة صحفية رشيقة مع قصص ومعلومات قادرة على شد القارئ وإمتاعه دون إسفاف.

وإني لأتطلع، أن تنشر دراسات أخرى، أشد اعتناءً، وأغزر إحاطة بتلك الشخصية الخطيرة، عبر سبر أغوارها ورسم أبعادها.

وأعتقد بأن هذا الكتاب قد يهيئ الطريق لعديدين سيرجعون إلى سبر أغوار شخصيته بالعلم والتفسير، لتخرج دراسات تتناوله سياسيًا وصحفيًا وثقافيًا واقتصاديًا، بل وحتى نفسيًا!

وحتى تكتمل فصول القصة في يوم من الأيام، آمل أن تهيئ لي الأحوال وتأذن لي الظروف التعاون مع آخرين في سردها وتدوينها.

ولا أعرف كيف أسدد ديوني لكثرين، إلا بالإشادة بهم والثناء عليهم..

والأستاذ هيكل أولهم وربما أكثر من أي شخص آخر، فقد هيأ لي فرصة أن أكون شاهدًا على بعض الوقائع الممتعة، مرحبًا بي في مكتبه وبيته الريفي ببرقاش مرارًا، برحابة صدر ووقت، كما أتاح لي فرصة التعرف على مجموعة ضخمة من المثقفين المصريين والعرب والأجانب!

وظل حتى آخر لقاء جمعني به يذكرني بأنه يحتفي بي كصديق، ومنبهًا بأن ما يقوله ليس للنشر (اكتشفت بأن تلك الجملة حذر بها الجميع، ورغم ذلك هم نشروا، وها أنا أحتذي بفعلتهم، فلم يعد هناك مبرر يحول دون النشر)!!

وقد عرفت الأستاذ على أولادي الثلاثة (أروى وعبيدة ونور) ذات يوم من فبراير ٢٠٠٧، ولم أره سعيدًا كذلك اليوم، وخاصة مع ابنتي الصغرى نور (ربما لمصادفة أن تاريخ ميلادهما واحد، مع فارق ٧٤ عامًا!)، وهي بالمناسبة تكمل دراستها في الإعلام بإحدى الجامعات الأردنية!

وقد قضيت معه (برفقة قرينتي) يومًا في يناير ٢٠٠٩، في منزله الريفي ببرقاش، حيث كان متوقدًا، ربما بفعل النقاش والسيجار والذكريات، وبعد أن تجول بنا، بأرضه الزراعية، أطلعنا على نفائس ما يحتويه المكان من لوحات فنية ورسائل تاريخية وكتب نادرة (وحتى غرفة الجيم المصغرة Gym، وكلبه المفضل: فارس!).

وللأستاذ منير عساف - مدير مكتبه (١٩٧٤ - ٢٠٠١) الذي هيأ لي الظروف وأتاح لي فرصة التعرف على الأستاذ هيكل.

وللسيد علي المنصوري صاحب مكتبة العجيري بالكويت، الذي سمح لي لمدة ١٨ سنة (١٩٩١ منذ أن تعرفت عليه، وحتى ٢٠٠٨ سنة مغادرتي للكويت)، أن أطلع يوميًا على مجموعة ضخمة من المجلات والصحف العربية والأجنبية التي تفد إلى مكتبته، مما هيأ لي رافدًا مهمًا من المعلومات والحكايات عن الأستاذ - قبل عصر الشبكة العنكبوتية!

وإلى والدي - عبد اللطيف - الذي دعمني في كل مراحل حياتي معنويًا وماديًا.

وإلى رفيقة الدرب - فريال - التي تحملت وجود شخصية تقاسمها فؤادي!

وإلى كثيرين استقبلوني وأطلعوني على تجربتهم مع الأستاذ هيكل، (مع حفظ الألقاب): أحمد حروش، وتوفيق أبو بكر، وجمال الغيطاني، وجميل عارف، ورمسيس زخاري، وسامي هاشم، والسيد ياسين، وصلاح الدين حافظ، وعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، وعبد

العظيم أنيس، وعبد الله إمام، وعبد الوهاب المسيري، وعبد الوهاب مطاوع، وفاروق شوشة، ومحمود أمين العالم، ومحمود السعدني، ونجيب محفوظ، ويوسف شاهين، وغيرهم.

وإلى الأستاذ محمد شُعير - الصحفي بجريدة أخبار الأدب - والذي كان أول من طالع مخطوطة الكتاب وتحمس لها، وساعدني على نشرها.

وجميلي بغير حدود للشاعر الموهوب إبراهيم داود - مدير مركز الأهرام للترجمة والنشر - الذي تبنى مخطوطة الكتاب من اللحظة الأولى وتولى مراجعتها.

وعلى الجانب الفني فإن الأستاذ حازم البشتاوي بذل جهدا وهمة لعملية ترتيب الكتاب وإخراجه.

وإلى الصديق إبراهيم سعد الدين الذي تولى رسم غلاف الكتاب بكفاءة فنية.

وإلى الأساتذة محمد شُعير وعاصم الشيدي ومحمد القزاز، فقد نشر كل واحدا منهم فصلا من الكتاب في صحف: أخبار الأدب، وعُمان، والأهرام.

وحادثت هاتفيًا البروفيسور إدوارد سعيد في نيويورك، والأستاذة روزماري سعيد زحلان في لندن (شقيقة إدوارد).

وإلى كثيرين استقبلوني وأطلعوني على تجربتهم مع الأستاذ هيكل، (مع حفظ الألقاب): أحمد حروش، وتوفيق أبو بكر، وجمال الغيطاني، وجميل عارف، ورمسيس زخاري، وسامي هاشم، والسيد ياسين، وصلاح الدين حافظ، وعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، وعبد العظيم أنيس، وعبد الله إمام، وعبد الوهاب المسيري، وعبد الوهاب مطاوع، وفاروق شوشة، ومحمود أمين العالم، ومحمود السعدني، ونجيب محفوظ، ويوسف شاهين، وغيرهم.

وراسلت كثيرين عبر البريد الإلكتروني كتشارلز ريتشاردز Charles Richards (الصحفي البريطاني)، وإدوارد شيهان Edward Sheehan (الكاتب الأمريكي الذي عمل مراسلًا في منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا وأمريكا الوسطى لعدة صحف ومجلات)، ونعوم تشومسكي Noam Chomsky (اللغوي والفيلسوف والناشط السياسي الأمريكي)، وكاريل ميرفي Caryle Murphy (المراسلة لفترة طويلة لصحيفة واشنطن بوست)، وكاي بيرد Kai Bird (المؤلف الأمريكي المتخصص بالسير الشخصية).

وهناك كثر.. من المحال أن أوردهم جميعًا في هذه المقدمة، ولكنني بالطبع لا أستطيع أن أغفل معروفهم.

ولعل آلهة الحظ - إذا جاز التعبير - كانت ترافقني فيما سعيت إليه وقصدت، فهناك من أعانني بسهولة، ومن استرجع مشاهد وحكايات وقصص (وطرائف) من حافظة ذاكرته وذكرياته، في تنقيح صور وإضفاء لمسة لمشاهد ووقائع مما استقر عندي من سمع أو ورق!

ولقد قيدت جميع لقاءاتي واتصالاتي معهم، وترجمت ما أرسله لي بعضهم.. على مدى ثلث قرن كامل كنت أصغي وأطالع وأستفسر وأدون وقائع وآراء، ولم أخط شيئًا للنشر، حتى جاء موعد هذا الكتاب، راجيًا أن يكون مجديًا لغيري كما كان بالنسبة لي.

ولقد استعنت بمجموعة من الكتب:

- مؤلفات الأستاذ محمد حسنين هيكل (هي بالتفصيل في فصل: باقات الكتب)
- كتب أسهم بها الأستاذ هيكل (هي بالتفصيل في فصل: غابات الحروف)
- كتب حوارية مع الأستاذ هيكل (هي بالتفصيل في فصل: فناجين الكلام)
- مقدمات الكتب التي كتبها الأستاذ هيكل (هي بالتفصيل في فصل: كلام البدايات)
- مجموعة كتب تناولت حياة وفكر الأستاذ هيكل (هي بالتفصيل في فصل: ما أعمق الفرق بين الخطوط التي رسمتني والتي رسمت صورتي)
- وكذلك بمجموعة من الصحف العربية:

صحف مصرية: أخبار اليوم، العربي، الأهرام، Al-Ahram Weekly، الشعب، الأهالي، العالم اليوم، مصر الفتاة، الأخبار، الجمهورية، الوفد، الأسبوع، الشروق، آخر لحظة، أخبار الأدب، صوت الأمة، القاهرة، الدستور، المصري اليوم، الكرامة، اليوم السابع، الفجر، أخبار الحوادث، الوطن، التحرير، البوابة.

صحف لبنانية: الأنوار، السفير، النهار، الزمان، لسان الحال، الحرية، الدنيا، اللواء، الشرق، العهد، المستقبل، الأخبار.

صحف كويتية: الرأي العام (هي الآن الراي)، الوطن، الأنباء، القبس، الطليعة.

صحف عربية خارج الوطن العربي: العرب، الحياة، الشرق الأوسط، القدس العربي.

صحف سعودية: الجزيرة.

صحف عراقية: الثورة.

صحف إماراتية: الاتحاد، الخليج، البيان.

صحف أردنية: الدستور، الرأي.

صحف سورية: البعث، الثورة.

صحف قطرية: الراية.

صحف فلسطينية: صوت الحق والحرية.

صحف يمنية: المؤتمر.

صحف جزائرية: الشروق.

- وأيضًا بمجموعة من المجلات العربية:

مجلات مصرية: الشباب، آخر ساعة، نصف الدنيا، روز اليوسف، صباح الخير، أكتوبر، المصور، الهلال، الأهرام الاقتصادي، سيداتي سادتي، اليسار، الأهرام العربي، الكتب وجهات نظر، الغد العربي، كل الناس، الدراسات الإعلامية، آدم اليوم، البيت، ألف، عالم الكتاب، السياسة الدولية.

مجلات عربية خارج الوطن العربي: هنا لندن، الوطن العربي، التضامن، المستقبل، كل العرب.

مجلات لبنانية: الحوادث، الأسبوع العربي، الصياد، المستقبل العربي، الشراع، الأفكار.

مجلات كويتية: العربي، النهضة، الفنون.

مجلات إماراتية: الشروق، فوربس العربية، أريبيان بزنس.

مجلات سورية: معلومات دولية.

مجلات فلسطينية: الكرمل.

- وبمجموعة من الصحف والمجلات الأجنبية:

مجلة الشئون الخارجية (Foreign Affairs)، جريدة نيويورك تايمز (The New York Times)، جريدة واشنطن بوست (The Washington Post)، جريدة لوس أنجلوس تايمز (Los Angeles Times)، جريدة التايمز والصنداي تايمز (The Times & The Sunday Times)، جريدة الإندبندنت (The Independent)، جريدة تلغراف وصنداي تلغراف (the Daily Telegraph and Sunday Telegraph)، جريدة الجارديان (the Guardian)، جريدة الأوبزرفر (The Observer)، مجلة دير شبيجل (Der Spiegel)، مجلة إكسبرس (L'Express)، مجلة جون أفريك (Jeune Afrique)، جريدة اللوموند (Le Monde)، جريدة يوميوري شيمبون (The Yomiuri Shimbun - النسخة الإنجليزية).

- وكذلك ببعض الإذاعات والتلفزيونات والفضائيات:

مقابلات الأستاذ هيكل مع كل من: إذاعة تونس (صالح جغام)، إذاعة البي بي سي (BBC: هاني العربي، وعفاف جلال، ومديحة المدفعي، وحسن أبو العلا)، وإذاعة مونت كارلو (مصطفى بكري، وفريدة الشوباشي، ومنى سالم، وسليم بدوي)، وإذاعة دمشق، وإذاعة الشرق (منى السعيد)، وقناة سي بي إس الأمريكية (CBS News - إدوين نيومان Edwin Newman)، والفضائية المصرية (رمسيس، ومحمود سعد)، وتلفزيون لبنان (عادل مالك)، فيلم ناصر (وثائقي وفيه يحاور الأستاذ هيكل الصحفي البريطاني باتريك سيل Patrick Seale)، المؤسسة اللبنانية للإرسال (LBC - جيزال خوري)، قناة الجزيرة (محمد كريشان، وفيروز زياني، وخديجة بن قنة، وجمانة نمور، وحسين عبد الغني، وفهمي هويدي)، شبكة تلفزيون دريم (منى الشاذلي)، قناة أون تي في (ON TV - عمرو واكد)، قناة أوربت (عماد الدين أديب)، تلفزيون المستقبل (نبيل خوري وآخرون)، قناة المنار (مصطفى ناصر)، الجزيرة الإنجليزية Al Jazeera English (حاوره الدبلوماسي الأمريكي رتشارد هاس Richard Haass)، شبكة تليفزيون الحياة (شريف عامر)، شبكة قنوات سي بي سي (CBC - لميس الحديدي)، قناة التحرير الفضائية (عبد الله السناوي وآخرون).

هذا بالإضافة لعشرات الحلقات التي تحدث فيها الأستاذ هيكل (دون محاور) عبر قناة دريم (٣ حلقات، وحلقة رابعة منعت، ولكن الشريط وجد طريقه إليّ!)، والجزيرة (١٠ حلقات عن الحاضر السياسي ورؤية استراتيجية لمستقبل الصراعات في المنطقة)، (٢١ حلقة بعنوان: علامات)، (٢٠ حلقة بعنوان: أيام يوليو)، (٢٥ حلقة بعنوان: ولادة عسيرة)، (٣٠ حلقة بعنوان: زمن الخطة ألفًا)، (٣٠ حلقة بعنوان: زمان الحرب)، (٣٧ حلقة بعنوان: طلاسم ٦٧، هم في الأصل ٣٩ حلقة، ولكن تم التحفظ على حلقتين، تعرض فيهما الأستاذ هيكل لدور الملك فيصل في حرب ٦٧، ورغم جهود مضنية لم أتمكن من العثور عليهما!)، (٤٠ حلقة بعنوان: طريق أكتوبر). كما قام الأستاذ هيكل بتسجيل ١٢ حلقة عن بدايات تسلم الرئيس السادات مقاليد الحكم، ولم تتم إذاعتها حتى لحظة نشر هذا الكتاب!

وهناك شكر خاص للشاعر والفيلسوف الذائع الصيت أدونيس، فقد استعرت كل عناوين الفصول من أشعاره، وقد كان البروفيسور إدوارد سعيد هو أول من نبهني بضرورة قراءته، واصفًا إياه بـ«الضوء المشرقي»!

ولابد من التأكيد على أنني لست مؤرخًا لحياة وسيرة الأستاذ هيكل، لسبب بسيط هو أن من شروط المؤرخ الحياد، وأظن أنني لست كذلك، بل أنا منحاز ومتيم ببطلي من مهده إلى لحده، مؤيد له، مندفع معه، وإنما ما قدمته هو شهادة لما شاهدته ورأيته وسمعته، وليس بحثًا تاريخيًا، بل هو أشبه ما يكون بـ«معلقة إخلاص واعتزاز»!

وربما أكون قد تعثرت في تحليل أو كبوت في تبرير، فأرجو أن تكون وسيلتي صفاء سريرتي، فليس لدي عداوات وثارات مع أحد، وإذا بدا تهجمي على أحد فمعياري كان مجموعة القيم التي أؤمن بها، وليس قدحًا في شخصه، بل في تصرفاته ومجمل مواقفه!

ختامًا، لم يتبق إلا شيء واحد راجيًا من القارئ أن يسمح لي به، وهو إهداء الكتاب لروح جدي لأمي - الدكتور مدحت البيطار - وهو أحد المؤسسين الثلاث لحزب البعث العربي (مع رفيقيه ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار).

فقد كنت في دمشق ذات يوم من شهر سبتمبر ١٩٨٤، وبالرغم من تقدم السنين إلا أن الدكتور البيطار لم يفقد حماسه للعمل القومي، مع ما أصاب العمل القومي من وهن (خروج مصر من الدائرة العربية بعد توقيع كامب ديفيد، وإخراج القوة المسلحة للثورة الفلسطينية

من لبنان وتوزيع مقاتليها على المنافي العربية، انشغال العراق بحرب عبثية مع إيران، عزلة سوريا)، وتبدى بصيص أمل مع تولي أندروبوف القيادة السوفيتية، لكنه توفي سريعًا، وعادت القيادة السوفيتية لعجزها مع تشيرنينكو لتكمل عصر الركود الذي بدأ مع بريجنيف!

وبعد أن قام الدكتور البيطار باستعراض الأحوال والظروف، بادرني بسؤال عن قراءاتي، وأجبته، فاقترح عليّ أن أطالع كتب الأستاذ هيكل وخاصة سفره المثير للجدل: خريف الغضب!

وفي اليوم التالي كنت في مكتبة النوري (أحد أقدم مكتبات دمشق، تأسست عام ١٩٣٢)، مقتنيًا الكتاب الذي رشحه لي! ومع الجملة الأولى للكتاب كان الأستاذ هيكل يقتحم حياتي كالإعصار المدوي، ومن ساعتها إلى أن غاب عن دنيانا، وأنا أنهل من وحي كلماته، فما من مقال كتبه، ولا كتاب خرج من مراعف قلمه، أو حديث أدلى به، إلا ومر على عينيَّ وسمعته أذناي، متغلغلًا في أعماق وجداني..

وهذا نبه رغبتي وأثار فضولي لفهم ما يجري وراء كواليس الصحفي البارع والذائع الصيت، فقد تطور فضولي إلى درجة الاقتراب منه. وكلما زاد توغلي في نواحي أموره كلما استشرى فضولي لألج في أمور أخرى!

وسأبقى مخلصًا له - كما عهدني - حتى من وراء القبر وإلى آخر الزمان!

وأعود كما بدأت في هذه المقدمة، مرة أخرى للأديب يوسف القعيد، الذي دون يومًا فيما يسرده:

«خالد جاء إلى هذا العالم ليتابع كل ما يخص الأستاذ»!

وأظن بأنني كذلك، بل وسعيد به ومستمتع..

الفصل الأول:
وجه الزمن*

> الرجل الذي يتجاسر على إهدار ساعة واحدة من الحياة لم يكتشف قيمة الحياة.
> تشارلز داروين Charles Darwin

- سبتمبر ١٩٢٣: السيدة هانم سلاّم تضع مولدها محمد حسنين هيكل في حي الحسين
- فبراير ١٩٤٢: يخطو نحو عالم الصحافة عند التحاقه بجريدة الإجيبشيان جازيت
- يناير ١٩٤٥: ينتقل لمجلة آخر ساعة كمحرر صحفي
- مارس ١٩٤٦: ينتقل إلى جريدة أخبار اليوم كسكرتير تحرير
- مايو ١٩٥١: صدور كتابه الأول: إيران فوق بركان
- نوفمبر ١٩٥١: يعين رئيسا لتحرير مجلة آخر ساعة
- يونيو ١٩٥٢: يضاف إلى عهدته مهمة إدارة تحرير جريدة أخبار اليوم، ويعلن رسميا رئاسته لتحرير مجلة آخر ساعة
- يناير ١٩٥٥: يقترن بكريمة السيد علوي تيمور: هدايت
- نوفمبر ١٩٥٥: مولد أبنه البكر: علي
- أبريل ١٩٥٦: يعين رئيسا لتحرير جريدة الأخبار
- يوليو ١٩٥٧: ينتقل إلى جريدة الأهرام كرئيس تحرير
- سبتمبر ١٩٦٠: يحضر دورة دراسية بجامعة كولومبيا عن التطورات الجديدة في عالم

* أدونيس: ديوان «كتاب الحصار» - قصيدة «الوقت».

الصحافة: الخبر الصحفي وعناصره

- يونيو ١٩٦١: مولد أبنه الأوسط: أحمد
- ديسمبر ١٩٦٦: مولد أبنه الأصغر: حسن
- يونيو ١٩٦٧: يكلفه الرئيس عبد الناصر بكتابة خطاب التنحي في أعقاب نتيجة الحرب
- أبريل ١٩٧٠: يعين وزيرا للإرشاد القومي (الإعلام)، ووزيرا للخارجية بالوكالة
- أكتوبر ١٩٧٠: يقدم استقالته من الوزارة للرئيس السادات وينشرها مع رد الرئيس عليها
- ديسمبر ١٩٧١: صدور أول كتاب له باللغة الإنجليزية: The Cairo documents وثائق القاهرة
- أكتوبر ١٩٧٣: يكلفه الرئيس السادات بكتابة التوجيه السياسي والاستراتيجي الصادر إلى وزير الدفاع بتحديد هدف الحرب
- فبراير ١٩٧٤: يعين مستشارا صحفيا لرئيس الجمهورية (رفض تسلم المنصب)، ويتم إعفائه من جريدة الأهرام
- يونيو ١٩٧٥: يتم إحالته للتقاعد بقرار من الرئيس السادات
- يونيو ١٩٧٨: يتم إحالته للمدعي الاشتراكي للتحقيق معه بتهمة الإساءة لمصر
- سبتمبر ١٩٨١: يتم اعتقاله أثناء تواجده في شقته بالإسكندرية ضمن حملة الاعتقالات التي طالت جميع القوى السياسية
- نوفمبر ١٩٨١: خروجه (مع آخرين) من معتقل سجن طرة بقرار من الرئيس مبارك
- يناير ١٩٩٦: صدور آخر كتاب له باللغة الإنجليزية: Secret channels القنوات السرية
- يوليو ١٩٩٩: يتسلم جائزة ناصر للفكر القومي من مركز دارسات الوحدة العربية (طلب إعفائه من قبول التقدير المادي)
- نوفمبر ١٩٩٩: يتوجه إلى مدينة كليفلاند بولاية أوهايو لإجراء جراحة استئصال ورم خبيث

- مايو ٢٠٠١: تجري عفاف جلال آخر حوار إذاعي معه عبر محطة BBC العربية
- سبتمبر ٢٠٠٣: يستأذن بالانصراف عن المشهد العام (وليس الاختفاء)
- يوليو ٢٠٠٤: يطل الأستاذ عبر قناة الجزيرة ضمن برنامج «مع هيكل»
- فبراير ٢٠٠٧: يفتتح مؤسسة هيكل للصحافة العربية
- أبريل ٢٠١٢: صدور كتابه الأخير: مبارك وزمانه من المنصة إلى الميدان
- يوليو ٢٠١٢: مارغريت دريسكول تجري معه آخر حوار صحفي باللغة الإنجليزية وتنشره بالصنداي تايمز
- أغسطس ٢٠١٣: يتعرض منزله الريفي ببرقاش لحريق على أيدي «شياطين» مما أدى لضياع أوراق ووثائق نادرة
- أكتوبر ٢٠١٤: جريدة الأهرام تنشر آخر كلمة له: «بيان .. واعتذار .. ورجاء !!»
- مايو ٢٠١٥: يتعرض لحادثة سقوط في بيته بمنتجع الغردقة
- يوليو ٢٠١٥: طلال سلمان يجري آخر حوار صحفي معه، وينشره بجريدة السفير
- ديسمبر ٢٠١٥: لميس الحديدي تجري آخر حوار مرئي معه عبر قناة CBC
- يناير ٢٠١٦: يعود من إسبانيا (مدينة إشبيلية)، حيث كانت آخر مدينة تدوسها قدماه
- فبراير ٢٠١٦: تنتقل روحه إلى الرفيق الأعلى إثر تعرضه لفشل كلوي

الفصل الثانى:

هذا هو اسمي*

> إذا لم اتكلم انا – فمن؟ – وإذا لم اتكلم الآن – فمتى؟
> هيليل الأكبر Hillel the Elder

من هو الأستاذ هيكل؟

شحصية آسرة، ووجه ممتلئ بالحياء، تبدى في وجهه ورقبته تجاعيد وغضون جديدة عن آحر مرة التقيته، والتي تومئ إلى عقود من سنوات الجد والجهد، وكان الشعر الأبيض منتشرًا في كل رأسه، وبالرغم من تقدم عمره إلا أنه يجهر بالشباب والأناة والعقل.

أثر على قطاع كبير من الجماهير، فبإمكانه استمالة أي إنسان، وبات من العادة وحسن التصرف أن يطالع المرء مقالات وكتب وأحاديث الأستاذ هيكل!

مولع بالموسيقى والفن، مثقف، يتقن الإنجليزية ويتكلم الفرنسية، يقلب الصحف ويطالع المجلات الفرنسية والإنجليزية والأمريكية، ذلق اللسان، مارس التمارين السويدية والسباحة والتنس، قبل أن يجذبه الغولف لعالمه!

عيناه العسيلتان قريبتان من بعضهما ويطل منهما الأمان والأناة، ويرسلان إشارات الفطنة وعلامات الدهاء. كون عائلة ممتلئة بالإخلاص والإعزاز على أبدع ما يكون. يعرف من تاريخ إنجلترا خاصة وأوروبا عامة أكثر مما يعرفه معظم مثقفي القارة العجوز!

متوقد مترع بالقوة، تجري عاصفة من الكلمات وهو يوشك على فغر فاهه، يتدفق بالكلمات والصيغ كالنبع الذي لا يجف. يرد «بصراحة» عن جزء من استفساراتك ذات المضمون السياسي، والباقي يتركه للزمان والمكان المناسبين له وفق أجندته. وبما أنه مشهور

* أدونيس ديوان «هذا هو اسمي»

بحديثه الصريح فقد استحضر لنفسه جزءًا من الأصدقاء يقابله جزء من الأعداء. ومن المؤكد أنه أريب وأخاذ، راسم سياسات لامع مدرك لأحوال العالم، بديع الصورة بوجهه المستدير الزاخر، وأليق الناس بمنصب وزير الخارجية لإدراكه القوانين السياسية والغريزة الإنسانية!

وكثيرًا ما أغرتني عوالم الأستاذ هيكل، فهو متنوع القدرات: الصحفي اللامع والكاتب المميز والمثقف المرموق والسياسي الملتزم والعالم الاستراتيجي المبدع. اجتهد هو وأبناء جيله لدواعي الاستقلال المصري والعربي في مواجهة جموح القوى الغربية وعنادها، تجشموا الأسى، ولم يدهمهم القنوط، على الرغم من المخاطر الكثيرة التي تصدوا لها - فإن قصدهم لم يتباطأ وإقدامهم لم يعتريه الوهن.

ظاهر الرشاقة رياضي الهيئة، رغم أنه أطل على التسعين، يستيقظ ما بين الخامسة والسادسة صباحًا، متسللًا إلى مكتبه لمعرفة آخر الأخبار على أجهزة التيكرز، مطالعًا الصحف المصرية على ضوء السيارة التي تقله إلى نادي القطامية ليمارس رياضته المفضلة: الغولف. متواجدًا في مكتبه في تمام الساعة الثامنة والنصف، متناولًا قدحًا من الشاي (إيرل جراي Earl Grey)، مستعرضًا جدول مواعيده..

أسهم بجد في أحداث المنطقة خلال حقبة معينة من التاريخ. واستمر يكلمني ببشاشة مستعرضًا شتى القضايا برؤية مدهشة، ذكرته بالكلمة المأثورة عن جورج كليمنصو Georges Clémenceau رئيس وزراء فرنسا في الحرب العالمية الأولى حين قال بأسلوبه اللاذع: «إن الحرب مسألة أخطر من أن نتركها للجنرالات»!

ولم أفرغ، حتى بادرني بقوله: «وأخطر من أن نتركها في أيدي الساسة، هل طالعت الكتاب الأخير عن مجريات ووقائع ما جرى في كامب ديفيد (ثلاثة عشر يومًا في سبتمبر) وهو للورانس رايت Lawrence Wright، كانت في يد الرئيس السادات ١٢ ورقة رابحة، لكنه آثر المشي نحو السراب؟!

(عد الأستاذ هيكل على أصابعه الأوراق الرابحة التي كانت بحوزة السادات:

١ - التعزيزات العسكرية القادمة من الاتحاد السوفيتي بعد وقف إطلاق النار يوم الإثنين ٢٢ أكتوبر.

٢ - طول الخطوط الإسرائيلية من سعسع (الجبهة السورية) إلى السخنة (الجبهة المصرية).

٣ - الاقتصاد الإسرائيلي معطل مع استمرار التعبئة العامة.

٤ - الخلافات الداخلية في إسرائيل متفجرة بين العسكريين والمدنيين، وبين العسكر فيما بينهم، والمدنيين وبعضهم.

٥ - العالم العربي مستنفر خلف سوريا ومصر.

٦ - سلاح البترول دخل مساندًا.

٧ - تنبه الاتحاد السوفيتي لتغير موازين القوى في الشرق الأوسط، مع عدم حرصه على سياسة الوفاق.

٨ - الأسرى الإسرائيليين ومن ضمنهم ٣٦ طيار.

٩ - حصار باب المندب.

١٠ - شرعية دولية مؤيدة للقرار رقم ٣٣٨ (الرجوع إلى خطوط يوم ٢٢ أكتوبر)، مع إرادة أوروبية نشطة للعب دور.

١١ - فتح قناة السويس.

١٢ - عودة العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة).

وأعرب الأستاذ هيكل عن امتعاضه العام من طريقة العرب في لعبة السياسة (وكافة شئون حياتهم):

«نحن نلعب الطاولة - النرد - والإسرائيليون يلعبون الشطرنج.

لعبة الطاولة تحتاج إلى براعة، ولكنها في الأساس تعتمد على ضربة حظ يتمناها اللاعب وقد تقع له أو لا تقع.

ولعبة الشطرنج مسألة أخرى تمامًا، أساسها قانون للعبة، وحساب، ثم حركة.

في تصرفاتنا باستمرار، انتظار واعتماد على ذلك المجهول الغامض، ضربة الحظ التي تقع أو لا تقع، وبعدها نسعد أو نحزن ... يتوقف الأمر على مهارة اللاعب أو خيبته ... على يمن طالعه أو نحس ذلك الطالع.

وفي تصرفات الإسرائيليين باستمرار لا يوجد شيء من ذلك ..

الشيء الوحيد الموجود هو قانون اللعبة، والحساب، والحركة.

لن نهزمهم إذا استمرت لعبتنا السياسية أمامهم: طاولة.

وقد نهزمهم إذا تحولت لعبتنا السياسية أمامهم إلى: شطرنج.

ولعلنا لا ننسى أنه برغم كل التطورات في علوم الحرب، فإن الشطرنج هو السلف الصالح للاستراتيجية العصرية».

حكيم، نصف وزنه ثقة بالنفس، يتكلم بطلاقة وبصراحة، متمتعًا بروح فكاهية باهرة، محذرًا طول الوقت بأن ما يقوله ليس للنشر، هو للعلم!

يشمئز من المناصب الرسمية، ويألف النفوذ. يفزع من العنف وينقبض من التجسس.

ناصري لم يرض عنه غلاة الناصريين، عروبي جذب انتباه القوميين العرب. علاقته بالغرب رغم إيمانه بالمبادئ الاشتراكية في أحسن حال.

لم يكن هيكل رجلًا قدريًّا، متعجب مما جرى لبعض المفكرين المصريين والعرب الذين بدئوا بمناهج الشك (ديكارت وغيره) بحثًا عن الطبيعة والإنسان والتطور ثم وصلوا دون مقدمات واضحة إلى غير ما بدئوا به، فإذا هو الغيب والوحي والقدر!

ومن المعروف عن الأستاذ هيكل أنه في الجانب المتشبث (لم أقل المتشدد) فيما يخص إسرائيل والصراع معها، وقد وصفه الدكتور بطرس غالي في يومياته: «وعلى العشاء قابلت محمد حسنين هيكل الذي كان موضع ثقة عبد الناصر ومستشاره. وكنت بتشجيع منه قد أصدرت مجلة ربع سنوية متخصصة للدبلوماسية تحت اسم مجلة «السياسة الدولية»، وهي لا تزال أهم دورية في هذا الموضوع في العالم العربي. ولم أكن قد رأيت هيكل منذ أن توليت منصبي الوزاري. وكان – كعادته – عصبيًّا وطموحًا وذكيًّا وذا دهاء صحفي عظيم. وقال لي بقلق كبير : «رويدًا رويدًا ! لابد أن تفرمل السادات. فليس هناك ضرورة على الإطلاق لإجراء التطبيع مع إسرائيل بمثل هذه الخطوات السريعة». وهيكل أحد المفكرين المصريين الراديكاليين الذين لا يستطيعون فكريًّا قبول فكرة الحوار مع إسرائيل».

كان دائم الترديد: «الدي تفاؤل تاريخي وتشاؤم سياسي»، وهي دلالة على التفاؤل الثوري

عبر الإرادة، واستعادتها لا تتم إلا بوسائل العقل، كما أن الوعي لا يستعاد إلا بوسائط المعرفة.

قابلته في مقر عمله بالجيزة (مرتين في المساء، والباقي في جلسات صباحية)، وعندما ولجت لمكتبه قام مقتربًا مني ببسمة جميلة وتشابكت أكفنا، مما أشاع دفءًا من اللحظة الأولى، كان مكتسيًا بدلة كحلية جميلة، وقد بدت بشرته أسمر قليلًا من الصور، وغاية في الحنو. جلست على كرسي الاعتراف المقابل له، يفصل بيننا المكتب، أو في الشرفة الملحقة بالمكتب، متناولًا القهوة التركية أو عصير البرتقال، بينما يباشر هو بتدخين سيجاره. كانت الخرائط الجغرافية لمصر والمنطقة تغطي الواجهة الخلفية للمكتب، بينما تمثال ضخم للكاتب المصري الفرعوني بجانبه. فيما البهو المؤدي للمكتب تملؤه صور كثيرة له مع عمالقة عصره: ناصر، خروشوف، همرشولد، كينيدي، تيتو، نهرو، تشو إن لاي، وغيرهم.

سألته عن أعظم من قابل في حياته من رجال؟

دون تردد قال: «جواهر لال نهرو (رئيس وزراء الهند)، شارل ديغول (الرئيس الفرنسي)، تشو إن لاي (رئيس وزراء الصين)»!

وأسوئهم؟

أجاب: «موبوتو سيسي سيكو – رئيس الكونغو»!

كان الأستاذ هيكل لا يخفي إعجابه بالرئيس حافظ الأسد، فهو لديه عدة سمات:

- ضابط مكترث بأن يعلم بأكثر مما هو ضروري لمهنته – الاهتمام بالشأن العام والاقتراب من السياسة.

- ضابط التقى بحزب عقائدي قومي منتظمًا في صفوف الحزب ليصل إلى منصب رئيس اللجنة العسكرية بحزب البعث.

- مدرك لموقع سوريا في حوض البحر الأبيض المتوسط، ودورها في العمل القومي، وقد أصبحت مسرحًا (جائزة) لصراع القوى الإمبراطورية وهدفًا لصراعات القوى الإقليمية في زيادة نفوذ كل منها .

- قارئ شغف للتاريخ العربي، ومهتم بسيرة صلاح الدين الأيوبي (تزين مكتبه لوحة ملحمية للجيوش العربية تحت قيادة الناصر صلاح الدين)، ومن هنا أدرك أهمية العمل

القومي مع مصر، خاصة مع تجربته العملية في مصر ما قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ (امتدت فترة إقامة الأسد في القاهرة لثلاث سنوات : ١٩٥٩ - ١٩٦١).

- مع كل هذه المزايا السابقة، كان مفضيًا إلى فهم concept استراتيجي جعلته يمد خطوطه بكفاءة من بيروت إلى طهران، في محاولته كلاعب تكتيكي بارع أن يجمع في يديه مجموعة من الأوراق الرابحة.

لكن الخروج المصري من الدائرة العربية، والحرب الأهلية في لبنان مع بعديها الإقليمي والدولي، ومأساة الحرب العراقية الإيرانية، والسقوط السوفيتي المزعج، وخطأ اجتياح الكويت (ما يعني تدمير الجبهة الشرقية تمامًا)، وصدمة أوسلو، جعلته يعتمد سياسة الصبر والانتظار!

وقد تذكر الأستاذ هيكل موقف الرئيس الأسد يوم وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، كان يومها متقلدًا منصب وزير الدفاع وما أن سرى خبر الوفاة يوم الإثنين ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، حتى أجهش حافظ الأسد بالبكاء، وهو يقول: «كنا نتصرف كالأطفال، وكنا نخطئ ... وكنا نعرف أنه هناك من يصحح ما نفعل ويرد هو آثاره».

واستحضر الأستاذ هيكل، زيارة الرئيس الأسد لموسكو يوم الخميس ٦ يوليو ١٩٧٢ ولقاءه مع الرئيس السوفيتي نيكولاي بودجورني Nikolai Podgorny بالكرملين، وقد أتيا على ذكر مقالات الأستاذ هيكل عن «حالة اللاسلم واللاحرب - يونيو ١٩٧٢»، وكان تعليق الرئيس بودجورني للرئيس الأسد: «إن الذين يقولون إن الاتحاد السوفيتي مستفيد من حالة اللاسلم واللاحرب يرددون دعاية استعمارية ضدنا»!

(بعدها بيومين قام الرئيس السادات بسحب الخبراء السوفييت، مما أضطر الرئيس الأسد إلى أن يزور القاهرة للاطلاع على سبب القرار المتسرع، ولإزالة الخلاف. وقد حثه الرئيس السادات أن يطرد الخبراء السوفييت، لكنه مانع قائلًا : «إنهم هنا من أجل مصلحتنا نحن». ومن المتناقضات أن الرئيس السادات كان قد وقع معاهدة صداقة مع موسكو في مايو ١٩٧١، بينما الرئيس الأسد كان يهوى ترديد «إن الصداقة لا تحتاج إلى معاهدة»)!

وعرج الأستاذ هيكل، على لقاء الرئيسين السادات والأسد في مطار الكويت يوم الخميس ١ نوفمبر ١٩٧٣ لسبع ساعات (بعد ١٠ أيام من وقف إطلاق النار). روح التقاعس هيمنت

على الاجتماع، وبدا عليهما الإنهاك بعد شهر حافل، ومن اتهامات متبادلة بينهما عن إخفاق خطتهما المتفق عليها للقتال على جبهتين.

وروى الأستاذ هيكل، عن اجتماع وزير الحربية المصري الفريق أحمد إسماعيل عليّ، بمنزل الرئيس الأسد يوم الثلاثاء ٢ أكتوبر ١٩٧٣ ونقاشهما حول ساعة بدء العمليات وبعد دراسة تفصيلية صدق عليها الرئيس الأسد تحددت الساعة الثانية والدقيقة الخامسة بعد ظهر السادس من أكتوبر موعدًا «الساعة س - ساعة انطلاق العمليات».

تحدث الأستاذ هيكل، عن هنري كيسنجر وأنه معجب إلى حد بعيد - كأستاذ تاريخ - بالرئيس حافظ الأسد. كان حكمه بعد أول لقاء له مع الأسد يوم السبت ١٥ ديسمبر ١٩٧٣ : «أن الرئيس السوري متشنج convulsive». لكنه بالتجربة غير رأيه في الرئيس السوري وأصبح يعتقد أنه أمام رجل متزن يعرف ما يريد ويحاول الوصول إليه .

وقد أخبرني الأستاذ هيكل، عن آخر لقاء جمعه بالرئيس الأسد في فبراير ١٩٧٥ في دمشق (التقى به بعد ذلك مرتين : يوم السبت ٧ يناير ١٩٩٥، ويوم الإثنين ٢٩ يونيو ١٩٩٨). كانت إسرائيل وقتها قد عرضت على سوريا بضعة كليو مترات في القطاع الجنوبي من الجولان في اتفاقية جديدة. بينما الأهمية كلها مركزة في القطاع الشمالي منها، وكان تعليق الرئيس الأسد: «ماذا أفعل بستة أو سبعة كيلو مترات في القطاع الجنوبي من الجولان ... هل أزرعها حنطة؟!».

وعلق الأستاذ هيكل، عن ذهاب الرئيس حافظ الأسد إلى جنيف يوم الإثنين ٩ مايو ١٩٧٧ ليقابل جيمي كارتر لسبع ساعات في فندق الإنترناشونال : «ذهب كمقاتل عربي لا يملك إلا عبارة واحدة يقولها إنني أبحث عن السلام العادل لشعبي وأمتي، فإذا لم أحصل عليه فليس أمامي غير استمرار القتال، وليس عندي خيار آخر. لقد ذهب مطلوبًا لا طالبًا»!

وأعرب الأستاذ هيكل عن تفهمه، لرفض الرئيس حافظ الأسد للاقتراح الذي نقله له سايروس فانس يوم الأربعاء ٣ أغسطس ١٩٧٧ باسم الرئيس السادات (اجتمع فانس مع السادات في مدينة الإسكندرية يوم الإثنين ١ أغسطس)، والقاضي بإنشاء مجموعة عمل يرأسها فانس نفسه وتتولى وضع جدول أعمال لمؤتمر جنيف، وكان مقتضى اقتراح مجموعة العمل أن تتشكل لجنة ينضم إليها وزراء خارجية مصر وسوريا والأردن وإسرائيل وأن تجتمع هذه اللجنة تحت رئاسة وزير الخارجية الأمريكي. وكان الاقتراح على هذا النحو

نوعًا من المفاوضات المباشرة بين أطراف خمسة، ثم يكون على الطرفين الباقيين وهما الاتحاد السوفيتي ومنظمة التحرير الفلسطينية أن ينتظرا دورهما حتى ينعقد مؤتمر جنيف، وبعد أن يتم التمهيد له في نيويورك التي كان الكل في الطريق إليها مع بدء دورة الانعقاد العادي للجمعية العامة للأمم المتحدة.

ويوم الثلاثاء ٢٧ يناير ٢٠٠٩ (ذكرى زواجه الـ ٥٤)، كان في استقبالي مع قرينتي في بيته الريفي ببرقاش. وقد جلسنا تحت الشجر. وكان الجو يلقي علينا أريج الأزهار وشذى أشجار المانغا وعبير الورود!

(تملك الأستاذ هيكل مزرعته في برقاش على مرحلتين:

القطعة الأولى ابتاعها من المحامي الأستاذ ريمون شميل عضو مجلس إدارة جريدة الأهرام - وكان الأستاذ شميل هو من قام بعرضها على الأستاذ.

فبعد استقالة الأستاذ من جريدة أخبار اليوم وحصوله على مكافأة نهاية الخدمة، مضى الأستاذ لشراء أسهما في الشركة الشرقية ايسترن كومباني للدخان، وكان الأستاذ شميل قد بادر الأستاذ بسؤال : «لماذا الأسهم وليس قطعة أرض؟، قطعة الأرض اقتنيتها بدل أتعاب في قضية، أبيعها لك».

كان الأستاذ شميل قد تكاسل في الاهتمام بتلك الأرض في أعقاب وفاة قرينته. وأندفع الأستاذ لاقتنائها بعد أن عاينها في سنة ١٩٥٦.

وقد ابتاعها الأستاذ بثمن أعلى من المعروض، كون الأستاذ شميل أجاز للأستاذ شراءها بالتقسيط، وقد كان الثمن هو عشرة آلاف جنيه، على مدى ثلاث سنوات (سعرها كان ثمانية آلاف جنيه). مكافأة الأستاذ هيكل من جريدة أخبار اليوم كانت بمبلغ سبعة آلاف جنيه، وقد طلب يومها الأستاذ استلام المبلغ على دفعتين: شيك بمبلغ خمسة آلاف جنيه، وقد جيره إلى مالك الأرض (ريمون شميل)، ثم باع مجموعة أسهم له في شركة الخزف الصيني، كانت حصيلتها ألفان جنيه، ثم باع مجموعة أخرى من مساهمته في شركة شاهر (شركة مملوكة لأولاد خاله عبد القادر) وكانت حصيلتها أيضًا ألفان جنيه، والباقي كان ألف جنيه استطاع تدبيره.

القطعة الثانية اشتراها الأستاذ من ورثة عزمي باشا، وهو جار للأستاذ هيكل وقطعة أرضه ببرقاش ملاصقة للقطعة الأولى.

وقد ابتاعها الأستاذ هيكل بسعر ٢٣ ألف جنيه، بعد صدور كتابه «وثائق القاهرة - عبد الناصر والعالم» سنة ١٩٧٢)

وكان لابد من أن أستوضحه وهو قد تجاوز الـ ٨٥ عن إدراكه للموت، تكلم هو - كعادته - بجمل مأثورة:

«من ضمن منح الله لي ولآخرين عدم الرهبة من دنو الأجل، بل شجاعة التفكير وإمعان النظر فيه، هو ضمن السياق، واستمرار للحياة ضمن طور جديد، لا أظن أن الموت نهاية، بل تجديد للحياة !»

كان الود يشع في المكان، مثيرًا للسكينة. وكان الأستاذ سمحًا ملاطفًا طول الوقت، مؤمنًا من أن العقل سيهيمن في النهاية على مجمل التصرفات!

دمث الأخلاق، وجدانه متماسك، متنقلًا بسلالة من موضوع لآخر، مثيرًا للدهشة في الاحتفاظ بتجاربه السابقة واستعادتها بصياغة ملفتة ومحكمة، مما أبان عن طاقة هائلة كراو لا مثيل له، ورواياته تنفذ منها النكات اللطيفة والمناظر الآسرة والمشاهد المبهجة، مما يشي عن منتهى الرقة في الانتباه والمهارة في الدقة.

تناولنا فناجين القهوة، وعرض عليّ سيجارًا وظهرت عليه الحيرة عندما اعتذرت عن تدخينه، فقال الأستاذ إن هذا ذنب خطير. فيما تبدى نشاطه عندما هم بالتدخين، منطلقًا، بقدرة مدهشة، مداهمًا موضوعات متفرقة بين نفثات السيجار.

وفي نهاية اللقاء رافقنا للتجوال في مزرعته. ثم شيعنا، مسلمًا بيده، ولبث قائمًا بالباب حتى ابتعدت السيارة التي قدمنا بها عن عينيه.

(ملاحظة لابد منها: ينطلق الأستاذ هيكل في تحليله السياسي لأي رجل تاريخي من مربع، ضلعه الأول: أحكام الجغرافيا، والثاني: حقائق التاريخ، والثالث: مناخ العصر، والرابع: التجربة الإنسانية.

وفي إطلالته على إي مشهد أو حدث سياسي، تكون شرفة: الصراع العالمي والإقليمي هي الحكم.

باحثا في التضاريس محللا، ومتقصيا في التخوم مقارنا، ومنقبا في الدروب مستخلصا.

مبتعدا قدر الإمكان عن إي رؤية أيديولوجية، كونها تأسره في مفرداتها الجافة والعقيمة.

نافرا من التفسير والتحليل العقائدي، كونه يحاصره في ثنائية قاتلة.

معرضا عن المثالية وآراء أهل المدينة الفاضلة كونها تشده إلى عالم متخيل من الملائكة لا وجود له في دنيانا).

الفصل الثالث:

تكويـــن*

التعليم هو السلاح الأقوى الذي يمكنك من تغيير العالم.
نيلسون مانديلا Nelson Mandela

خلفية الصورة!

بعد توقف هدير مدافع الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨. كانت مصر المنسلخة عمليًا عن الخلافة العثمانية بعد الحملة الفرنسية، والمتأثرة بتيارات الفكر الأوروبي، وظهور طبقة متوسطة وطنية تعتمد على ملكية الأرض الزراعية، أقرب إلى مطلب الاستقلال، وكان متعلموها ومثقفوها وشعراؤها وفنانوها من أبناء الطبقة المتوسطة وما حولها، قد استطاعوا خلق طليعة متقدمة قادرة على تحمل مسئولية الخطى الأولى نحو المطالبة بالاستقلال والعمل من أجله.

وهكذا بدأت في مصر سنة ١٩١٩ حركة الوفد بزعامة سعد زغلول. الذي دعا إلى الإضرابات والمظاهرات ضد الإنكليز. فتم نفيه على أثرها سنة ١٩٢١.

لكنه عاد إلى مصر رئيسًا للوزراء، بعد إعلان الدستور سنة ١٩٢٣.

حي الحسين!

وسط هذه العوامل السياسية والاجتماعية ولد الأستاذ محمد حسنين هيكل يوم الأحد ٢٣ سبتمبر ١٩٢٣، في قاهرة المعز، بحي الحسين (مصر الفاطمية بجامعيها: الحسين والأزهر)، في البيت رقم ٨ شارع جوهر الصقلي، وهو بيت يملكه جده لأمه: بيومي سلّام، وهو مجاور لبيت الرافعي وبيت الرزاز.

* أدونيس: ديوان «مفرد بصيغة الجمع» - قصيدة «تكوين».

وقد أمضى نحو سبع سنوات في جامع الحسين في صحبة جده، حيث حضر مجالس علماء وقراء قرآن. وكان جده قد تجاوز الثمانين من عمره، فاعتزل التجارة وتفرغ للعبادة. فكان جده يصحبه معه إلى مسجد الحسين ليجلس بجواره في المقصورة، مستمعًا إلى «ألحان السماء» بصوت الشيوخ: محمد رفعت (قيثارة السماء)، علي محمود (إمام المنشدين)، علي حزين (صوت الإذاعة)، وعبد الفتاح الشعشاعي (مقرئ الحرمين). وهكذا استقدم جده، الشيخ قاسم ليجلس مع حفيده محمد في المندرة، ليكون مسئولًا عن تحفيظه القرآن. وعندما انتهى الشيخ قاسم من تحفيظه القرآن واطمأن إلى حفظه، ذهب إلى جده زافًّا إليه الخبر ليتلقى منه جائزة وهي: جنيه ذهب.

هكذا تعلم لغته: العربية من لدن محكم التنزيل.

فهو ينهل من نبع جمال اللغة العربية المشرق، غازلًا مفرداته بخيوط من نور.. وناسجًا جمله من المرمر!

عالم الكتب!

بحكم وجوده في البيت الكبير لأسرة سلّام (ثلاثة طوابق)، ووجود خاله بطبيعة الأمر - كان مساعدًا لوالده في التجارة - وكان قارئًا نهمًا في أوقات فراغه، وكان صديقًا لأصحاب مكتبة صبيح (قرب الأزهر)، فتحولت مندرة الضيوف في البيت لمكتبة تتكدس بالكتب.

هكذا وجد الطفل محمد نفسه أمام كنز، وهو يتصفح ويقرأ أمهات الكتب وكلاسيكيات الثقافة العربية والتراث وترجمات الأدب العالمي والأساطير الشعبية، وكان كتاب «أدب الدنيا والدين» لأبي الحسن الماوردي، أول ما طالعه.

هكذا نهل من بحر الثقافة، وتعلم بأن الكتب هي: مستودع الرؤى ومخزون التجارب.

مع بدايات عام ١٩٨٧ بلغ عدد الكتب التي تحتويها مكتبة الأستاذ هيكل ٤٠ ألف كتاب في العلوم السياسية (وهو ما يشكل ٧٥٪ من مكتبته بما فيها السير والتاريخ، بينما الـ ٢٥٪ المتبقية جزء منها عن الفنون والآثار الإسلامية) أغلبهم بالإنجليزية والفرنسية وهو ما يعرفه من لغات!

ترى، كم كانت أعداد الكتب سنة ٢٠١٣، قبل أن يقوم شيطان ما، بحرق منزله الريفي ببرقاش؟

دور الفرد والعلم!

والدة الأستاذ هيكل السيدة هانم، التي عرفت بشخصيتها الوقورة، وقوة إبائها، واتزانها وحنانها. فهي ما قست عليه يومًا، ولا وجهت إليه كلمة منفرة أو عبارة توجع، بل كانت - طيب الله ثراها - حنونة حكيمة في تربية أبنائها، تعنى بالأسوة الحسنة، وحسن التوجيه والإرشاد. وقد حصلت على قسط من التعليم، وتعتبر من أوائل المتعلمات في زمانها.

كان والده يخطط للطفل محمد دراسة دينية في رحاب الجامع الأزهر (حامي دار الإسلام العتيد)، ولكن والدته ألحقته - بمعاونة أخيها - بمدرسة خليل آغا (مدرسة أميرية بمنطقة باب الشعرية) واصطحبته إلى محل: بلاتشي (في الموسكي - عمل به يومًا الموسيقار الفنان السوري: فريد الأطرش)، لشراء ملابس تناسب الوضع الجديد.

ولشدة حبها لصغيرها محمد، انتقلت العائلة إلى سكن جديد بشارع فاروق بباب الشعرية، لتكون بقرب المدرسة.

وفيما بعد، حاز محمد على دبلوم التجارة المتوسطة ودبلوم في القانون والإعلان من أحد المعاهد الأجنبية بالمراسلة. ثم درس سنتين بقسم الدراسات الاقتصادية بمدارس الليسيه الفرنسية.

هكذا تعلم أهمية دور الفرد في التاريخ والحياة، فوالدته أحدثت انقلابًا جذريًّا في حياته.

وهكذا تعلم أهمية العلم ودوره في تغيير أوضاع اجتماعية سواء على المستوى الفردي أو المجتمعي.

إن النظر إلى الأستاذ هيكل كصحفي لا يعطيه حقه... ذلك أنه خلافًا لمعظم الصحفيين فهو لم ينقطع يومًا عن بؤرة الأحداث (بل والتأثير في مجرياتها) دؤوبًا فيما يسعى إليه (لا يهادن حتى نفسه) متألقًا تحت الضغط ومتوهجًا أمام الخطر، وهو قضى حياته وعمره باحثًا عن جديد الخبر وخلفية الحدث!

(يستطيع خيال أديب وقلم روائي أن يصور الأستاذ هيكل بعد غيابه عن الدنيا!

سيبغت في البداية من دوي رعد ووميض برق، ثم ينبهر من شدة التأثر وهول الحدث، ثم سيتحول إلى الحيرة والارتباك من الخطوة القادمة خاصة بعد انقشاع ضياء الملاك المرافق له، وبعدها سيبدأ فضوله وتطفله في معرفة ما حدث وما هو قادم... وبعد فترة صمت وجيزة

لاستيعاب ما جرى، سيكون سؤاله عن آخر الأخبار، وما استجد، وكيف تلقت الدنيا خبر رحيله، وغيرها من الاستطرادات التي اشتهر بها!

وظني - وليس كل الظن إثم - أن الملاك سيباغت من مداهمة الأستاذ هيكل، وما اشتهر عنه من أدبه التاريخي وصوته الهامس وضحكته الحلوة وابتسامته الآسرة!

فقد كان شغوفًا بآخر المستجدات، مولعًا بالأخبار، مفتونًا بالتحليل السياسي العقلي بعيدًا عن الأماني الخادعة ولغة الإطناب الزائفة نافرًا من صبغ التحليل بلغة أيدلوجية!)

الواقعية السحرية!

والطفل محمد تصله نبرات صوت أمه - وهو في هدهدة النوم - هبوطًا وعلوًا بانفعال مواقف دراما السطور وهي تقرأ لوالده:

سيرة الظاهر بيبرس (رابع سلاطين المماليك) والأميرة ذات الهمة (أميرة عربية من بني كلاب).

والطفل محمد في ذهابه وإيابه من مدرسة خليل آغا، برفقة عم حامد - حارس يعمل في بيت جده، وكان جنديًا في جيش الخديوي عباس حلمي وحارب في القرم - يستمع لذكرياته عن الحرب والرجال والسلاح، والتعبئة والانتظار وشرف خدمة الوالي، والحزن على فراق الأحباب، والفرح بالعودة إلى الأهل، وصور من سقط في ساحة المعارك، وانتظار الوطن لهم - سواء منتصرين أو منهزمين -!

هكذا تعلم بأن عنصر التشويق والإثارة لا يقتصر على الكتابة فقط، وإنما بروايتها أمام الآخرين بصوت يستطيع اجتذابهم.

ما إن تستمع للأستاذ هيكل عبر برنامجه على قناة الجزيرة وقناة سي بي سي CBC حتى تضطرم النيران من: رأس الحد في سلطنة عُمان شرقًا إلى الكويرة في موريتانيا غربًا، ومن الجسر الروماني في سوريا شمالًا إلى رأس كمبوني في الصومال جنوبًا..

الحريق الذي يطفئ أي حريق!

اللغة لمتابعة الفكر من منبته!

والطفل محمد أينما أدار بصره، طالعه رجال وضباط وجنود الإمبراطورية البريطانية، ومحاولتهم الدؤوبة لتهيمن اللغة الإنجليزية على المشهد الثقافي والاجتماعي والاقتصادي

والسياسي في القاهرة، في مواجهة الطبقة الأرستقراطية المصرية التي كانت مرتبطة معنويًا بفرنسا، وبالحنين إلى «أم رؤوم»!

فقرر أن يتعلم اللغتين، فذلك أنجع الطرق لفهم ما يدور في الداخل: أروقة القاهرة، وما يجري في الخارج: كواليس الغرب والعالم، فكان مدرسه جيريمي براون Jeremy Brown هو أول من علمه الإنجليزية. ثم قادته قدماه إلى مكتبة هاشيت (وسط البلد - شارع شامبليون) ومكتبة الأنجلو (وسط البلد - شارع محمد فريد، مؤسسها صبحي جريس). وهناك كان يطالع الصحف والمجلات والكتب، فينهل علمًا وثقافة وخبرًا.

الأستاذ هيكل حصد النصيب الأكبر من الشهرة بين كل الصحافيين العرب، وكانت شهرته عربية وعالمية، خصوصًا في إنجلترا، حيث أصبح ضمن أكثر الكتاب مبيعًا!

مذكرات.. وذاكرة!

وفي مدرسة خليل آغا يتلقى علوم اللغة العربية على يد الشاعر الأستاذ علي الجندي، فيدعوه إلى حفظ آلاف الأبيات، بعد أن يكتشف موهبة الطفل في القدرة على الحفظ واستعادة ما حفظ.

وعندما التحق بصحيفة الإيجيبشيان جازيت the Egyptian Gazette، والتي كان يرأس تحريرها هارولد إيرل Harold Earl فطلب منه ألا يعتمد في روايته للوقائع والأحداث على الذاكرة لوحدها.. وإنما على ما يسجله ويدونه في مفكرته وأوراقه، ليكون وراء كل كلمة سند، وكل حكاية وثيقة، وكل خبر مصدر.

هكذا تعلم أهمية الذاكرة، وطريقة تمرينها وشحذها لتبقى حاضرة طول الوقت.. وأن الشعر العربي ليس للتذوق فقط، أو استخدام بعض أبياته في مناسبات معينه، وإنما لتقوية الذاكرة.

وتعلم أهمية أوراقه والاحتفاظ بها، فهي المادة الخام للمؤرخين والباحثين، فهي تنقل تفاصيل لا ينقل أي تلفاز تفاصيل في مثل عمقها، ولا باقي الكتاب العرب ولا المراسلون المستعجلون فهو دقيق الملاحظة.

هذه هي عناصر تكوين أستاذ الصحافة العربية: محمد حسنين هيكل.

■ ■ ■

الفصل الرابع:

عائلةٌ من وَرق الأشجار *

> الأسرة هي أهم شيء في العالم.
> الأميرة ديانا Princess Diana

- الجذور:

تعود أصول عائلة الأستاذ هيكل إلى محافظة أسيوط، المنتمية لإحدى القبائل العربية (البحاروة) المقيمة في قرية ديروط الشريف التابعة لمركز ديروط، وقد رحل جزء منهم إلى الوجه البحري خلال القرن التاسع عشر، وأقاموا في بلدة باسوس التابعة لمركز القناطر الخيرية في محافظة القليوبية.

وبعدها قدم والده إلى مدينة القاهرة مزاولًا تجارة القطن والقمح، وكان لديه شونة (مخزن غلة) في حي أثر النبي (جنوب القاهرة) لمحاصيل الوجه القبلي، وشونة في حي روض الفرج (شمال القاهرة) لمحاصيل الوجه البحري، ووابوران طحين في حي أبو السعود (مصر القديمة)، ومحلج قطن قرب مدينة بنها.

أسرة الأستاذ وجده لأمه (بيومي سلاّم) مارسا كلاهما التجارة، وكان والده مشاركًا لجده في تجارة الغلال السودانية، متنقلًا بين القاهرة والريف.

كان جده لأمه من كبار التجار، فكان لديه عدة وكالات في السكة الجديدة والحمزاوي (منطقة الجامع الأزهر).

وقد ولد الأستاذ في حي الحسين (التابع لحي الجمالية) أحد أحياء القاهرة الفاطمية، في بيت جده لأمه (رقم ٨ شارع جوهر القائد)، المجاور لبيت الرافعي وبيت الرزاز.

* أدونيس: ديوان «كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل» قصيده «شجرة الدر»

وقد ترعرع الأستاذ مع أبناء خاله (الوحيد) عبد القادر: عبد المنعم، عبد الله، عبد العزيز، عبد الغني، عبد الفتاح، وزينب وسعاد وكريمان. (وهم أسسوا عدة شركات ناجحة مثل: سلسلة متاجر شاهر، وشركة أولمبيك جروب، وبارادايس كابيتال القابضة للاستثمارات المالية وغيرها من الشركات الناجحة).

- والدة الأستاذ هي السيدة: هانم بيومي سلام.

- شقيق الأستاذ (الوحيد) هو الدكتور المهندس: فوزي حسنين هيكل (ولد سنة ١٩٣٥، وتوفي سنة ٢٠٠٢)، خريج كلية الهندسة (جامعة القاهرة)، وعين معيدًا ومساعدًا للأستاذ الدكتور حامد البدري (أستاذ قسم المناجم).

غادر للولايات المتحدة سنة ١٩٦٢ في بعثة علمية لدراسة اقتصاديات التعدين، وهناك استهواه علم الاقتصاد، فحصل على منحة دراسية من جامعة كانساس University of Kansas.

عمل بعد انتهاء دراسته، في جامعة مقاطعة كولومبيا University of the District of Columbia بمدينة واشنطن العاصمة، حتى العام ٢٠٠٠، ليتفرغ بعدها لدراساته وشئونه الخاصة.

وكان مشاركًا في أغلب الفاعليات الثقافية والتجمعات العربية والمصرية، ومحاضرًا في مركز الحوار العربي بواشنطن.

اقترن سنة ١٩٧٢ بالسيدة كلارين إيلين Clareen، وهي تقوم بتدريس مادة المعالجة الفيزيائية Physical Therapist بجامعة مينيسوتا University of Minnesota.
ولم ينجب (للأسف الشديد)، توفي في واشنطن يوم الإثنين ١١ فبراير ٢٠٠٢، بعد إصابته بالمرض الخبيث.

- شقيقات الأستاذ:

- السيدة خديجة، مقترنة بالأستاذ عبد العظيم حرب، نجليها هما: المهندس أحمد، والمهندس طارق.

- السيدة تهاني، وهي مقترنة بالشهيد المقدم مدحت حسين مسعود، ونجليها هما الدكتور عمرو (طبيب كلى ومسالك بولية، كان ضمن الفريق الطبي المشرف على صحة الأستاذ خاصة بعد إصابته في سبتمبر ١٩٩٩ بالخلايا السرطانية)، والمهندس مدحت.

- السيدة آمال، وهي مقترنة بالسفير شوقي مسعود، ونجلها هو الأستاذ شريف (شركة سيكم القابضة للاستثمار).

- السيدة ليلى، مقترنة بالأستاذ علي العلمي، ونجلها هو المستشار الدكتور ياسر.

- السيدة نادية مقترنة بالأستاذ عصمت عفيفي.

- السيدة مها، رئيسة مجلس إدارة النور والأمل للكفيفات، وهي مقترنة بالمهندس وصفي مسعود، ونجلها هو المهندس عمر، والدكتورة ندى.

- قرينة الأستاذ:

السيدة هدايت كريمة السيد علوي محمد أمين تيمور (توفي يوم الأحد ٨ فبراير ١٩٧٦)، ووالدتها هي السيدة: أمينة بسيم

(توفيت سنة ١٩٦٥)، من مواليد مدينة القاهرة يوم السبت ١٣ يناير ١٩٣٤.

شقيقة كل من: قسمت (قرينة المهندس أحمد جميل شنب)، الدكتور محمد (رئيس الجمعية المصرية للأوراق المالية، ورئيس مجلس إدارة شركة فاروس القابضة للاستثمارات المالية، وقرين الأستاذة منى سراج (كاتبة وصحفية) - وقد اقترن بها بعد وفاة زوجته السابقة السيدة مايسة محمد نور سنة ٢٠١١، وهي شقيقة رجل الأعمال السيد طارق نور)، عماد الدين (رئيس مجلس إدارة شركة امنت للتوكيلات التجارية، وقرين السيدة فاطمة لطفي وهي شخصية مصرفية فذة)، عفت (قرينة الأستاذ فهمي علام)، ونادية (حصلت على ماجستير في الهندسة الكيماوية، وقرينة الدكتور نبيل العربي أمين عام الجامعة العربية السابق).

أتمت تعليمها في الليسيه الفرنسية (١٩٥٢)، وعادت لصفوف الدراسة «الثانوية» لأن الجامعات المصرية لا تعترف بالثانوية الفرنسية، وأكملت دراستها الجامعية بجامعة القاهرة، أعدت الماجستير عن جامع الملكة صفية (تم بناءه فيما يعرف بالحقبة العثمانية، ويقع في منطقة

الفيداوية بالقاهرة) سنة ١٩٧٧ (رسالة ماجستير غير منشورة، وهي دراسة أثرية معمارية)، وقامت بالتدريس في الجامعة، وكانت تعد نفسها لرسالة الدكتوراه عن منطقة بولاق، عندما قام الرئيس السادات بالقبض على الأستاذ هيكل فيما عرف بصواعق سبتمبر ١٩٨١.

وقد رافقت الأستاذ هيكل في رحلاته إلى الهند، وهناك شاهدت آثار أباطرة المغول في فاتحبور سيكري Fatehpur Sikri (مدينة شمال الهند، غرب مدينة أغرا، أسسها الإمبراطور المغولي أكبر في القرن الـ ١٦)، ورحلة إلى الأندلس، فاندهشت بحضارتها.

ومع مضي الوقت بدأ يتضح عليها تأثير العشق المستتر في فروع عائلة تيمور وهو: عشق دراسة العمارة والفن الإسلامي. وكان صديق العائلة الصحفي السير دنيس هاملتون Sir Denis Hamilton بالإضافة لمهنته كرئيس تحرير مجموعة صحف التايمز، رئيسا للمتحف البريطاني the British Museum، مما ساعدها على الاطلاع على جميع الوثائق والمكتبات التابعة للمتحف، كما حدث لها في متحف اللوفر The Louvre بباريس.

اقترنت بالأستاذ يوم الخميس ٢٧ يناير ١٩٥٥، وأنجبت له ثلاث أولادهم: علي، أحمد وحسن.

وقد كتب الأستاذ يوسف السباعي في الذكرى الثالثة لزواجها (يناير ١٩٥٨) مقالًا عنها، بعنوان «عيون الآخرين»، جاء فيه:

«زرت مؤسسة جمعية النور والأمل.

- أبناء الأستاذ:

الدكتور علي: ولد يوم السبت ١٢ نوفمبر ١٩٥٥، تلقى تعليمه في مدرسة الجزويت، وأكمل دراسته في جامعة القاهرة - كلية الطب، وتخصص بالقسم الباطني (كان الرابع على دفعته، والأستاذ هيكل اعتبره الأول، كون الثلاثة الأوائل كانوا من أبناء أطباء - كانت أمنية الأستاذ أن يكون طبيبًا!). اقترن بالدكتورة إيناس رأفت (خريجة جامعة القاهرة - كلية الطب، وكان شهر العسل في أسوان). ولهما توأمان:

- محمد: التحق بجامعة القاهرة وتخرج من كلية الاقتصاد، ثم أكمل دراسته في مدرسة هارفارد للأعمالHarvard Business School (ماجستير في إدارة الأعمال)، وهو يقطن الآن في دبي بدولة الإمارات.

- هدايت: تخرجت من الجامعة الأمريكية بالقاهرة (بكالوريوس في العلوم - هندسة الإلكترونيات)، وأكملت دراستها بجامعة هارفارد للحقوق. وحصلت على درجة الدكتوراه في العلوم القضائية. وهي الآن باحثة في القانون وزميلة في القانون الإسلامي والحضارة الإسلامية في كلية الحقوق بجامعة ييل Yale Law School.

الدكتور المهندس أحمد: ولد يوم الأربعاء ٢٨ يونيو ١٩٦١، تلقى تعليمه في مدرسة

- نادية: التحقت بمدرسة داخلية في سويسرا (ألبين بو سولي Collège Alpin Beau Soleil)، وتكمل تعليمها الجامعي في جامعة نيويورك.

الأستاذ حسن: ولد يوم الجمعة ٩ ديسمبر ١٩٦٦، أتم تعليمه في مدرسة الجزويت سنة ١٩٨٤، التحق بجامعة القاهرة (كلية الاقتصاد - قسم الاقتصاد والعلوم السياسية)، وتخرج منها عام ١٩٨٨ وكان الأول على دفعته، وعين معيدًا بها. عمل في البنك التجاري الدولي (دائرة الائتمان). ثم التحق بجامعة ستانفورد ليكمل دراسة الماجستير. عمل لعدة سنوات في أكبر بنك استثماري في العالم وهو جولدمان ساكس Goldman Sachs. ثم التحق بشركة خاله (محمد تيمور) المجموعة المالية المصرية (أسست عام ١٩٨٤)، مع شقيقه أحمد، وبجهودهما أصبحت المجموعة المالية - هيرميس ثاني أكبر بنك استثماري في العالم الثالث!

اقترن بالسيدة رانيا الشريف، وله منها ولدان:

- رشيد: ولد يوم ١٤ إبريل

- علي:

ولم يتدخل الأستاذ هيكل في توجيه مستقبلهم، إلا في شيء واحد فقط هو محاولته إبعادهم عن مجال الصحافة، لأنهم سيوضعون دائمًا في مجال المقارنة بينه وبينهم!

وقد اكتسبوا منه شيئا واحدا هو حب العمل والإيمان بأنه مصدر القيمة في الحياة.

الفصل الخامس:

عطرٌ يتسلسلُ *

> من أنت؟
> كالضوء مرئيٌ، كخفق العطر، كهزج أغانٍ شعبية
> أنور سلمان

عطر الأستاذ هيكل الأثير هو كارون Caron..

كان من أبلغني عن عطره هو مدير مكتبه السابق الأستاذ منير عساف، بعد أن استفسرت منه إن كان له عطر خاص، أم يستخدم كل العطور شريطة جمال أريجها..

وبالفعل ذهبت إلى متجر متخصص في العطور طالبًا عطر كارون، والموظفة المختصة استغربت، فلا أحد تقريبًا يطلبه، خاصة من كان في عمري، لكنني أبلغتها بأنه ليس لي، فهو هدية لشخص يفوقني عمرًا ومقامًا..

وقدمته له في أحد الزيارات، وكان مندهشًا، «كيف عرفت أنه عطري المفضل؟»، لم أخبره.. وهو - كعادته - لابد أن يتوغل في خبايا التاريخ، حائمًا بجانحيه حول موضوع بدا لي أنه يستهويه، ويشده إلى رائحته الفواحة..

«عطور كارون انشئت من قبل بيت العطور الفرنسي الأسطوري إرنست دالتروف Ernest Daltroff سنة ١٩٠٤، وهي تتمتع بخبرة في صناعة العطور ولا تزال تعتبر منزل العطر الحقيقي في العالم.

وقد غرست والدة إرنست حبه للعطور فضلًا عن أنفه الموهوبة جدًا، مما جعله يؤسس أحد بيوت العطور الأكثر ديمومة والمحببة في تاريخ صناعة العطور.

وكارون هي ثاني أقدم بيت العطور الباريسية في التاريخ (بعد غيرلان Guerlain)..

* أدونيس ديوان «كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل» - قصيدة: «فصل الحجر».

هو يهودي وقد اضطر مع اندلاع الحرب العالمية الثانية وتقدم النازي للهجرة إلى الولايات المتحدة خوفًا من الاضطهاد، ولم يعد بعدها لأوروبا حيث توفي سنة ١٩٤٧.

هي تنتج عدة عطور رجالية ونسائية، ولكن عطر «Eau De Toilette Pour Un Homme» هو الذي جذبني، عطر كلاسيكي تم تصنيعه سنة ١٩٣٤، ورائحة اللافندر المتوائمة مع الفانيليا والعنبر يعطيك إحساسًا بالانتعاش..»

■ ■ ■

الفصل السادس:

وأنت ابتهخ تهلَلْ *

> الشعراءُ حقاً هم اشخاص عرفوا ان الحزن لا يفيدهم شيئاً فابتسموا
>
> **جبران خليل جبران**

سألته عن أوقات البهجة والسرور ؟

أجا ب الأستاذ هيكل مستخدمًا يديه في التعبير، عادًا على أصابعه المميزة الطويلة التي تشي بقوة التفكير وعمق الرؤية!

- هناك ثلاثة مستويات من الفرح، عام، ومهني، وشخصي..

أولًا على المستوى العام:

- يوم الخميس ٢٦ يوليو ١٩٥٦، عندما اتخذ جمال عبد الناصر قرار تأميم قناة السويس، تصحيحًا لجريمة تاريخية وسعيًا وراء ربح مصري مشروع... وإذ الدنيا تقوم كلها على أطراف أصابعها، تحبس أنفاسها المبهورة وهو لم يفرغ بعد من قراءة باقي مواد القـانون.

- يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣، في الساعة الثانية ظهرًا، عندما اتخذ أنور السادات وحافظ الأسد قرارًا مصيريًّا بقبول التحدي، والقرار كان يعني وقتها امتلاك الإرادة، وقيام الجيشين المصري والسوري باجتياز حائط الخوف، عبر عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف، بينما القوات السورية تتخطى جميع تحصينات العدو في الجولان وتتقدم بسرعة نحو مدينة القنيطرة..

كانت عاصفة برق ورعد، وكانت ملحمة شجاعة وتضحية، وكان الجندي العربي قد

* أدونيس: ديوان «تنبأ أيها الأعمى» - قصيدة: «كونشيرتو ١١ أيلول ٢٠٠١ قبل الميلاد»

حقق بالعبور ما يشبه المعجزة، ودون تجاوز فقد تغيرت خرائط، واهتزت عواصم، وتلاشت صور، وصحح خلل الموازين، وتبدى تماسك الأمة العربية وتناسقها، بغض النظر عن الصور النهائية المتباينة مع البدايات!

ففي الساعات الثلاث من بعد ظهر السادس من أكتوبر ١٩٧٣، كانت مصر وسوريا، والأمة العربية كلها، قد اجتازت حائط الخوف، كاسرة في كل ساعة أسطورة!

في الساعة الأولى انكسرت أسطورة العجز العربي عن اتخاذ قرار الحرب، وفي الساعة الثانية انكسرت أسطورة الخوف من العدو، وفي الساعة الثالثة انكسرت أسطورة قوة الردع الإسرائيلية التي لا تقهر!

ثانيًا على المستوى المهني:

- أول مرة طالعت اسمي مطبوعًا في مطبوعة (آخر ساعة)!
- عندما انطلقت مع المقادير والتاريخ لتغطية الحروب والأحداث (١٩٤٧ - ١٩٥٢)!
- عندما عينت رئيس تحرير، كنت أصغر رئيس تحرير (٢٩ سنة) في مصر (يوم السبت ١٤ يونيو ١٩٥٢ رئيسًا لتحرير مجلة آخر ساعة)!

ثالثًا على المستوى الشخصي:

وجودي مع أبنائي الثلاث، بالرغم من أن أحدهم يناقشني، والثاني يحاسبني، والثالث يجادلني، لكنني أشعر بفرح غامر معهم ومع أحفادي!

■ ■ ■

الفصل السابع:

للطّفوله، تشرق الشمس خجولة *

> جميع الأطفال فنانين. المشكلة هي في إبقائهم فنانون حالما يكبرون.
> Pablo Picasso بابلو بيكاسو

يتدفق الأستاذ هيكل في حديثه عن الطفولة:

«هي عالم هائل.. الحيوية والبراءة والخبث الإنساني كله.. الصورة الحية للإنسانية جمعاء بتنوعاتها وتنويعاتها المتناقضة أو المتناغمة داخل كيان إنساني قريب منك تستطيع قراءته ومشاهدته وتأمله.

أنا ضعيف جدًا مع أولادي (عليّ وأحمد وحسن) وضعيف جدًا مع أحفادي (محمد وهدايت ومنصور وتيمور ونادية وراشد وعليّ).. ضعيف أمام أي طفل، وبيني وبين الطفولة علاقة دافئة.

ليس أجمل في الدنيا من الجلوس برفقة طفل، ملامسة الإنسانية في براءتها الأولى، خطوات البداية في رحلة الاستكشاف..

عندما قمت برحلة إلى أمريكا اصطحبت فيها أولادي لأكتشفها معهم من جديد، ربما كان هدفي وقتها سياسيًّا إلى حد ما، فقد كنت أشعر بقوة الانبهار بكل ما هو أمريكي في منتصف السبعينيات، ولهذا رافقني أولادي لمشاهدة أمريكا على أرض الواقع ليتعرفوا أنها ليست بالصورة التي تسكن خيالهم، وليست بلاد المعجزات!

الإنسان يستطيع أن يكتشف العالم للمرة الأولى بتجربته الخاصة، وإذا كانت المقادير كريمة معه يكتشفها للمرة الثانية بتجربة أبنائه، وإذا فاضت المقادير في كرمها وعطائها يكتشفها للمرة الثالثة بتجربة أحفاده!

* أدونيس ديوان «قصائد أولى» - قصيدة: «أغنية إلى الطفولة».

فطبيعة كل جيل مختلفة تمامًا، فمن خلال رؤية عيني طفل نضع يدنا على فارق التفكير بين الأجيال..»

(كان الأديب توفيق الحكيم مجالسًا الأستاذ هيكل، عندما دخل عليهما الابن الأكبر للأستاذ (عليّ)، وأحب الحكيم أن يختبر ذكاء الطفل بطرح بعض الفوازير والأحجيات!

فبادره بالفزورة الأولى: «مين يعدي البحر ولا يبتل»؟

وكانت إجابة الطفل الفورية: كل من يركب الطائرة!

وهز الحكيم رأسه نافيًا: بل العجل في بطن أمه!

لم يشأ الحكيم إكمال فوازيره، ولفترة كان صامتًا متأملًا، ثم تنبه إلى صواب جواب الطفل، فقبل الطفل مهنئه على الجواب العصري، ملتفتًا إلى الأستاذ قائلًا: الدنيا تغيرت!)

يشكك الأستاذ هيكل بالمثل الشعبي القائل «ما أعز من الولد إلا ولد الولد»!

يسترسل في حديثه:

«أولادي متعة ومسئولية، فأنا مضطر لتحمل همّ تربيتهم وتعليمهم ومتابعة تقدمهم. بينما الأحفاد متعة دون مسئولية، وهنا تكمن الميزة!»

عن الطفولة في مصر والعالم العربي؟

يراها الأستاذ هيكل، طفولة معذبة ومهدرة..!

ففي رحلته الأسبوعية لمنزله الريفي ببرقاش، تستوقفه دائمًا وجوه الأطفال في القرى، ويلمح ظلال وجوه عليّ مبارك ورفاعة رافع الطهطاوي ومحمد عبده وطه حسين وجمال عبد الناصر.. بينهم نبتة رجل يستطيع صنع تاريخ كامل، لكنهم للأسف في ضياع.. الطفولة أكبر استثمار لبلد يحترم تاريخه ويعنيه مستقبله، الشباب العظيم لن يوجد مالم تسبقه طفولة عظيمة، والخطوة من نصف الطريق للنهوض بالشباب ما هي سوى قفزة تتعدى البداية الحقيقية عند الطفولة..

■ ■ ■

الفصل الثامن:

طار في وجهي نسرٌ *

> النسور لا تطارد الذباب.
> مثل يهودي

في نوفمبر ١٩٩٧ وجهت له سؤالًا عن: «أي من الحيوانات أو الطيور أو حتى الحشرات معجبًا بها؟»

وأجاب دون تردد: «النسر»!

وطالبته بتوضيح، فأجاب: «أن النسر له سبع مزايا، وهي:

- رؤية ثاقبة ومركزة، قادر على قيادة الآخرين!

- لا يعترف بالخوف، بل يواجه الخطر وجهًا لوجه!

- يمتاز بالعناد الإيجابي لا السلبي، فهو على سبيل المثال لا يحني رأسه للعاصفة، بل يرتفع ويرتقي فوقها!

- مغامر، فعلى سبيل التقريب له طموح الملوك، لا دسائس القصر، كما الحمام على سبيل المثال!

- بعكس ما هو شائع فهو لا يأكل اللحوم الميتة (جثث خامدة جامدة) بل النيئة والطازجة (متعة الخروج للبحث عنها ورصدها)، بمعنى قضاء وقت مع المتحررين فكريًا والمالكين لحيوية الحياة (لا الموت)!

- رغم حيويته، ولكنه في سن الثلاثين تقريبًا يعيد صياغة نفسه (ليجدد ويعيد إنتاج نفسه)، بمعنى تقييم الماضي وعلى أي أرضية يقف (وقفة مع النفس إذا جاز التعبير)!

* أدونيس ديوان «هذا هو اسمي» - قصيدة «هذا هو اسمي»

ثم توقف لبرهة، وأمسك علبة كبريت ضخمة، وأشعل عود ثقاب بسيجاره الكوبي الفاخر، وشد نفسًا عميقًا، واستطرد قائلًا:

- المشهور عنه شراسته، لكن ليس مع صغار النسور وشبابها، بل رعايتهم وتوجيههم»!

وقد عاش الأستاذ هيكل حياته شامخًا في السماء كالنسور، حيث الانعتاق من القيود، والمجازفة مع الخطر!

وفي شهر يناير ١٩٩٩ أتصل بي الأستاذ مصطفى بكري (رئيس تحرير جريدة الأسبوع)، مذكرًا إلي بأن الأول من فبراير القادم تحل مناسبة مرور ربع قرن على خروج الأستاذ هيكل من الأهرام، وطلب مني أن أكتب مقالًا لهذه المناسبة.

والرجل - مشكورًا - نشر لي في صدر الصفحة ١٤ (ملف خاص) ما كتبته، وقد كان بعنوان «النسر يفضل البقاء مع الخطر»، وهو المقال الذي استدعى مكالمة من القاهرة (مكتب الأستاذ) للكويت (حيث كنت أقيم) شاكرًا ومثنيًا!

ثم كان أن أفضى الأستاذ هيكل عن سر إعجابه بالنسر في كتابه «استئذان في الانصراف - ٢٠٠٣»، عبر سرده لنصيحة وجهها الزعيم البريطاني ونستون تشرشل لصديقه أنتوني ناتنج Anthony Nutting، فقد روى له ناتنج تلك النصيحة، وهي عاودته كثيرًا من حافظته إلى ذاكرته في مواجهة حملات الحقد والكراهية!

ونصيحة تشرشل هي: «استغل كل طاقتك وإرادتك حتى تقوي جناحك ليحملك إلى الفضاء العالي، حيث تحلق النسور ـ هناك الحرية وهناك الخطر ـ إذا لم تستطع فلا تسمح لنفسك تحت أي ظرف بطلب الأمان في قفص ببغاء تنطق برطانة يدربونك عليها (في الحزب)، ثم يكون دورك أن تكررها وتعيدها كلما مروا عليك، وطلبوا منك أن ترقص وتغني حتى يراك السيد (زعيم الحزب) ورفاقه، وربما أبناؤه أيضًا ـ وقد يصفقون لك، ويضحكون، ثم يتركونك حيث أنت ويذهبون ومعهم بسمة من تسل وتله.

ثم نظر تشرشل إليه في عينه بعد أن أنهى درسه، ثم صاح فيه «نسر إذا استطعت ـ ببغاء أبدًا مهما تحملت!»

الفصل التاسع:

ها هو السَهرُ المُرُ يأتي ويُشعِلُ قنديلَه *

كيف يأتي النوم؟
ومن أين يأتي والأسئلة تتكاثر علي وتطن
في رأسي وتعذب كأنها رياك العقاب؟
رضوى عاشور

ثلاثة كتب حرمتني النوم!

المانيفستو الشيوعي (إعلان ماركس وأنجلز)!

كان الكتاب الأول هو البيان الشيوعي The Communist Manifesto الذي كتبه كارل ماركس وفريدريك أنجلز!

أول مرة قرأت فيها المانيفستو (البيان الشيوعي) لم أذق طعم النوم طوال الليل، قلت: «يا سلام، هذا هو الحل». بعد شهر كنت أقول: «هذا ليس صحيحًا»!

وهو كتيب سياسي صدر عام ١٨٤٨ من قبل الفلاسفة الألمان كارل ماركس وفريدريك أنجلز. بتكليف من عصبة الشيوعيين، ونشر أصلًا في لندن فقط عندما بدأت تندلع الثورات عام ١٨٤٨، وبات يعرف البيان في وقت لاحق بأنه واحد من المخطوطات السياسية الأكثر تأثيرًا في العالم. وهو يقدم نهجًا تحليليًا للصراع الطبقي ومشاكل الرأسمالية ونمط الإنتاج الرأسمالي، وبالأحرى التنبؤ عن الأشكال المحتملة لمستقبل الشيوعية.

يلخص البيان الشيوعي النظريات حول طبيعة المجتمع والسياسة، وذلك في قول مأثور عنهما، «إن تاريخ أي مجتمع حتى الآن، ليس سوى تاريخ صراعات طبقية». كما احتوت أفكارهم - لفترة وجيزة - عن كيفية تبديل المجتمع الرأسمالي بمرور الوقت بالاشتراكية (بما يسمى الحتمية التاريخية).

---

* أدونيس ديوان «أول الجسد آخر البحر» قصيدة «موسيقى II»

جندي أمريكي!

والكتاب الثاني هو جندي أمريكي American Soldier للجنرال تومي فرانكس General Tommy Franks قائد غزو العراق عام ٢٠٠٣ والإطاحة بالرئيس صدام حسين!

ليلة الأربعاء ١٥ يوليو ٢٠٠٤ لم يعرف النوم طريقه لعيني، حاولت النوم في العاشرة مساءً، لكني صحوت في الثانية، ولم أتمكن من النوم، ففي جفوني أرق وفي عروقي قهر، والسبب مذكرات تومي فرانكس، والتي صدرت قبل فترة وجيزة، هي التي طيرت النوم من عيني، وكانت مدعاة لسهر متعب وشاق، ما كتبه فرانكس عن تاريخه الشخصي (القسم الأول: الجذور العميقة، القسم الثاني: الجندي المحترف) يمكن أن تمر عليه سريعًا، وحتى ما كتبه عن أفغانستان (القسم الثالث: القائد العام)، لكن الفاجعة تبدأ عندما أخبره دونالد رامسفيلد وزير الدفاع بالاستعداد لغزو العراق (القسم الرابع: ثورة في الحرب)، وما قام به القادة العرب وأخبروه لفرانكس شيء أكثر من شائن، وأكبر من مؤلم (فصل بعنوان: الخطة، وعملية حرية العراق، وحملة لا كغيرها من الحملات)!؟

الطاو الكتاب الصيني المقدس!

والكتاب الثالث هو الطاو Tao للحكيم الصيني لاو تزو Lao Tzu!

قام الدكتور محسن فرجاني (أستاذ مصري في قسم اللغة الصينية بكلية الألسن بجامعة عين شمس) بترجمة الكتاب الصيني المقدس الطاو، وقامت جريدة «أخبار الأدب» بنشره كاملًا، طالعته - خاصة بأن الترجمة جميلة ومباشرة من الصينية للعربية، وليس كما يحدث غالبًا فتكون عبر لغة ثالثة كالإنجليزية أو الفرنسية كما فعل الدكتور سامي الدروبي في ترجمته لجميع مؤلفات فيودور دوستويفسكي، فقد ترجمها من الفرنسية إلى العربية وليس من الروسية للعربية - لكن السهد كان رفيقي تلك الليلة!

واستفاض الأستاذ هيكل في حديثه عن مصادر عديدة للإحاطة بالفلسفة الآسيوية (خاصة في الصين واليابان)، فثقافته بها عميقة، فقد سبر أغوارها، واطلع على مكنوناتها!

الفصل العاشر:

من المصادفة يخرج الحتم*

> لو استطعت، لكنت دائرة معارف صممت عن كلمتي خطء و مصادفة فبهاتين الكلمتين تكتب لغة العالم
>
> **Paulo Coelho باولو كويلهو**

عب الأستاذ هيكل - صحفي القرن - في احتفال تلاميذه بذكرى ولوجه بهو صاحبة الجلالة. الصحافة.

ففي الذكرى الـ ٧٢ لدخوله عالم الصحافة، والتي أردفها مناقب كثيرة، مما جعل الغرب ينظر إليه على أنه أحد أعظم صحفيي القرن العشرين..

ففي الساعة الحادية عشر من صباح يوم الأربعاء ١٧ فبراير ٢٠١٦، كان ملاك الموت يثب متسللًا بتحفز على الصحفي المتوثب دائمًا، وينقله إلى عوالمه المجهولة!

كنت شديد التشاؤم منذ سنين من شهر فبراير من أي عام!

فما أن يحل قادمًا حتى يبدأ، إحساسي بالتوتر، ولا اتنفس الصعداء إلا بعد رحيله منصرفًا، حامدًا الله أن الأستاذ هيكل بيننا!

فقد كان يراودني شعور غامض - ما زلت أجهل كنهه - بأن الأستاذ سيغادرنا في يوم من أيام فبراير في سنة ما!

فبراير، لطالما تساءلت لماذا هو (أقصر) أشهر السنة فلا هو ٣٠ يومًا، ولا هو ٣١ كباقي الأشهر؟، وكل أربع سنوات يحل يوم ٢٩ (لا أعرف ما هي حقيقة مشاعر من ولد في هذا اليوم ؟)، و(آخر) شهر في فصل الشتاء!

* أدونيس ديوان «مفرد بصيغة الجمع» - قصيدة «جسد»

- المهم هو الشهر الذي رحل فيه الأستاذ عن عالمنا في رحلته نحو الأبدية ..

- وهو الشهر الذي دخل به عالم الصحافة: الأحد ٨ فبراير ١٩٤٢، حيث عمل متدربًا صحفيًا في جريدة الإجيبشيان جازيت!

- وهو الشهر الذي خرج به من جريدة الأهرام: السبت ٢ فبراير ١٩٧٤ . حيث صدر قرار من الرئيس السادات نشر في صحف ذلك اليوم بتعيين الأستاذ هيكل مستشارًا صحفيًا للرئيس (وظيفة فارغة)، وكان رد الأستاذ هيكل كما نشر في صحيفة التايمز «إنني استعملت حقي في التعبير عن آرائي بصراحة، والرئيس السادات استعمل سلطته في إخراجي من الأهرام، وهذا هو كل شيء، وفي كل الأحوال فلقد تركت منصبًا ولم أترك مهنة»!

- وهو الشهر الذي عاد به إلى الصحافة المصرية مرة ثانية: السبت ١٥ فبراير ١٩٨٦ . بعد أن زاره الأستاذ إبراهيم سعدة في مكتبه أواخر العام ١٩٨٥، عارضًا عليه كتابة مقال «بصراحة» على صفحات جريدة أخبار اليوم، وبالفعل كتب مقالين عن «صنع القرار السياسي في مصر»، ولم يظهر الثالث حتى الآن!

- وهو الشهر الذي عاد به مرة ثالثة للصحافة المصرية: الإثنين ١ فبراير ١٩٩٩ . فعبر بوابة مجلة الكتب: وجهات نظر، نشر الأستاذ هيكل في أول عدد صدر من المجلة، مقالًا بعنوان «كلينتون وستار: السياسة والقانون والحب والحرب في عصور مختلفة»!

- وهو الشهر الذي ظهر فيه لثاني مرة – بعد انقطاع دام ٢٤ سنة – في التلفزيون المصري: الجمعة ٢٥ فبراير ١٩٩٤، بعد بث حلقة مسجلة معه، في حوار أجراه معه فنان الكاريكاتير رمسيس زخاري «يا تلفزيون يا» – لم يتم بث إلا نصف ساعة من اللقاء، بينما اللقاء امتد لساعة ونصف!

- وهو الشهر الذي فقد به شقيقه الوحيد الدكتور المهندس فوزي هيكل، الإثنين ١١ فبراير ٢٠٠٢ الذي توفي في العاصمة الأمريكية واشنطن حيث كان يقيم، بعد معاناة مع مرض عضال، وقد احتضنه تراب مصر!

- وهو الشهر الذي افتتح به الأستاذ مؤسسته للصحافة العربية، الأحد ٢٥ فبراير ٢٠٠٧ . ففي ذلك اليوم تم افتتاح مؤسسة هيكل للصحافة العربية، وتم استضافة أشهر صحفي استقصائي سيمور هيرش Seymour Hersh!

- وهو الشهر الذي عاد به لثاني مرة عبر شبكة تلفزيون دريم: الجمعة ١١ فبراير ٢٠١١. كان الأستاذ هيكل قد ظهر على تلفزيون دريم بثلاث حلقات بعنوان «من قلب الأزمة إلى قلب الأمة»، ثم عرضت القناة محاضرته «المستقبل .. الآن!»، والتي كسر بها مؤامرة الصمت عن توريث السيد جمال مبارك في أكتوبر ٢٠٠٢، وتم تسجيل حلقة رابعة لتبث في الذكرى الثمانين لعيد ميلاده في سبتمبر ٢٠٠٣، وصدرت الأوامر بمنع بث الحلقة!

ثم كان أن خطب الرئيس مبارك يوم الجمعة ١١ فبراير ٢٠١١ معلنًا تخليه عن السلطة، وهرعت المذيعة الفذة منى الشاذلي إلى مكتب الأستاذ هيكل لتجري معه لقاءً مباشرًا عن قراءته للحظة الراهنة (في نفس الوقت جاء خبر وفاة شقيقته السيدة خديجة هيكل، وآثر إجراء اللقاء لدقة الظرف وخطورة الموقف. وكان يوم الإثنين ٧ فبراير تلقى أيضًا خبر رحيل صديقة له ولأسرته، السيدة لورا إميل البستاني، والذي كتب لها مقدمة لمذكراتها التي لم تترجم حتى هذه اللحظة!)

- وهو الشهر الذي عاد به مرة ثالثة للتلفزيون المصري: السبت ١٩ فبراير ٢٠١١، بعد انقطاع دام هذه المرة ١٧ سنة، فقد استضافه المذيع اللامع محمود سعد!

وكنت أرسل له دائمًا في ذكرى عيد ميلاده شطرة من بيت شعر منسوب للشاعر الهندي والأديب العالمي رابندرانات طاغور Rabindranath Tagore «أبلغ المائة يا حبيبي»..

لكن شهر فبراير ليس كباقي أشهر السنة، ناقص .. لا يكتمل!

وآخر أيامه نهاية فصل، واستعدادًا لفصل جديد

■ ■ ■

الفصل الحادي عشر:

يحملنا سرًا على سرِّه *

إذا ما رام المرء أن يخفي سرا فعليه أن يخفيه حتى عن نفسه التي بين جنبيه وإلا يدعه يطفو أبدا على سطح الوعي في أي شكل من الأشكال أو تحت أي مسمى من المسميات إلا في اللحظة التي يحتاج إليه فيها.
George Orwell جورج أورويل

نعم، هو من أختار عنوان الكتاب! كيف؟ ومتى؟ وباقي الأسئلة ..

كنت في زيارته لأول مرة في يونيو ١٩٩٤، لم أكن مصدقا ما يجري لي، أخيرا أنا أمام «بطلي»، لساني لم يكن عليه سوى أغنية عبد الحليم حافظ: «هي دي هي فرحة الدنيا، دق يا قلبي غني يا عنيه» (كلمات: مرسي جميل عزيز، وألحان: كمال الطويل) ..

في الساعة السابعة مساء، أمام الأستاذ هيكل، في مكتبه، قادني إلى الشرفة الملحقة في المكتب، بعد بعض الأسئلة – وأنا أريد أن أعرف كل تفاصيل حياته وخارطة أيامه وغيرها من الأمور – سألته عن موعد كتابة مذكراته؟

نظر إليّ في دهشة والابتسامة ترافقه وقال لي: «أنت مستعجل على موتي؟»

تلعثمت، وهو استمر رقيقا في كلامه: «آخر ما سوف أكتبه هو مذكراتي».

تساءلت: «لكن الجميع يعرف أنك لا تخلد للنوم قبل أن تدون ما جرى في نهارك، وعليه فالمادة الأصلية للعمل موجودة، ولا تحتاج إلا لبعض الصياغة، وتوضيح من هنا، وتنويه من هناك».

هو أكد ما قلته، وتابعت متسائلا: «لا شك أنك أخترت عنوانا لما تدونه من تفاصيل حياتك اليومية؟»

* أدونيس ديوان «قصائد أولى» قصيدة «مع الموت»

لمعت عيناه، وشد نفسا من سيجاره الكوبي الفاخر، وقال: «نعم الأوراق موجودة، لكن ليس بالتبسيط الذي طرحته، فهناك جهد وعمل وفكرة، ومن ثم تصورات لما سوف ينشر منها» ..

توقف لحظة، وأشعل من علبة كبريت كبيرة عودا من الثقاب، بعد أن انطفأ سيجاره: «نعم، لقد وقع اختياري على عدة عناوين لتلك المذكرات - قاطع نفسه - وفي اللحظة الأخيرة قد ألجأ لعنوان آخر، من بين هذه العناوين: «في الخريف تتساقط أوراق الشجر» .. أليس زمان كتابة اليوميات والمذكرات هو خريف العمر ؟!»

أردف قائلا: "لكني وجدته عنوانا أدبيا، فأنا صحفيا وreporter (مخبر صحفي) وكاتب مقال سياسي، وقد استبعدته، واخترت عنوانا آخر : «كتابات على الماء»... أليس ذلك ما يقع لغالبية من جرب كتابة تجربته، كتابات على الماء تتسع مع الموج والريح أو تغرقها العاصفة والفيضان"!

وآثر وقتها الأستاذ الإبحار لموضوع آخر ..

وهي بالمناسبة أربع مرات: ذات يوم بعد عاصفة ٥ يونيو ١٩٦٧، وذات يوم سنة ١٩٦٨ ومبنى الأهرام الجديد على وشك الاكتمال، وذات يوم من شهر أكتوبر ١٩٧٠ بعد رحيل جمال عبد الناصر ..

والمرة الرابعة كانت في الذكرى الثلاثون لدخوله عالم الصحافة وسؤاله لنفسه: «ألا يكفي؟»!

ثم كان أن التقيته في مكتبه صباح يوم خريفي من شهر نوفمبر ٢٠٠١، وكنت برفقة الأديب يوسف القعيد، وقلت له بأن السنة المقبلة ستكون الذكرى الستين لدخوله شارع الصحافة، ولابد من احتفالية لتلك المناسبة، وهو قال: «بأنها ستكون مناسبة ليعلن اعتزاله، وأن ستون عاما هي حياة إنسان ولد وتعلم وعمل وتزوج وأنجب ثم تقاعد، بينما أنا أعمل منذ ستين عاما، أفلا يحق لي أن أتوارى مبتعدا ..» !

وهنا قلت له إذا فقد اقترب موعد نشر مذكراتك، وتدخل الأستاذ يوسف القعيد قائلا: «بأن المذكرات ستكون تكملة لكتاب «بين الصحافة والسياسة»، وهي المرة الأولى التي يستعرض فيها الأستاذ هيكل بعضا من سيرته في كتاب»!

... مقاله الذي كتبه يوم ١١ فبراير ١٩٧٢، بعنوان «علامات على طريق

الفصل الثاني عشر:

قالت الأرض*

> المصلحة الوطنية هي قدر محتوم بواسطة الجغرافية السياسية geopolitics او تاريخ البلد. الزعماء السياسيون الملهمون لا يتبعوا فقط مصالحهم - ولكنهم يكونوا قلقين بشأن مصلحة شعوبهم.
>
> جوزيف ناي Joseph Nye

كان الأستاذ هيكل دائم الترديد لعبارة أثيرة للقائد والزعيم الفرنسي شارل ديغول، سمعها مباشرة منه عندما التقى به في باريس صباح يوم من شهر سبتمبر ١٩٦٧.

والعبارة التي يرددها الأستاذ هيكل والمنسوبة لديغول هي:

«إن الذي يريد الكلام في السياسة عليه أن يضع أمامه خريطة ينظر إليها ويدرس ألوانها وخطوطها، وحينئذ فقط يحق له أن يتكلم برأي أو يجتهد بحكم».

وسوف أقدم فيما يلي نموذجًا (واحدًا فقط) من قراءة الأستاذ هيكل للخرائط وما يحيط بكل كيد سياسي من عناصر وموازين قوة على الحدود والتخوم وما وراءها من طموحات ونوبات!

- إيران

نظرة واحدة على الخريطة تبدو إيران بقعة محاصرة بين كتلتين من الأرض وكتلتين من البشر وكتلتين من الحضارة:

(أ) الأرض كتلتان: شبه القارة الهندية من الشرق وشبه الجزيرة العربية من الغرب.

* دوبيس ديون «قالت الأرض»

(ب) البشر كتلتان: البحر الإنساني للهند وباكستان، والبحر الإنساني للعرب من الخليج إلى المحيط.

(جـ) الحضارة كتلتان: الحضارة الهندية والحضارة العربية.

بين الكتل المتزاحمة جميعًا إيران مساحة محصورة.

إن هذا الحصار زادت وطأته بواقع أن إيران اختارت مذهب الاثنا عشرية مذهبًا رسميا للدولة اعتنقه كل الناس، والمذهب الشيعي في الإسلام مذهب أقلية. وهى أقلية شعرت - بصرف النظر عن رأي الآخرين - بالاضطهاد طوال تاريخها، واضطرت في فترات طويلة منه إلى التخفي والكتمان حتى لقد أصبحت التقية - أي إظهار الناس غير ما يبطنون اتقاءً للشر - تقليدًا مرعيًا ومتبعًا يرتفع به الإيمان إلى أعلى مراتبه!

ربما أن هناك نقطة أخرى لم يتنبه لها البعض بما فيه الكفاية، تلك أن المذهب الشيعي الذي اعتمدته الدولة الصفوية في إيران - خلال القرن السادس عشر - كان فيضًا وصل إليها عن طريق بقايا الدولة الفاطمية في مصر، وكانت حلقة الوصل هي المهاجرين إلى جبل «عامل» في لبنان من تلامذة الأزهر الشيعي وقت الفاطميين. وربما من هنا تفسير ما سمعته بنفسي أكثر من مرة من «آية الله الخميني» بقوله: «إن مصر سنية المذهب ولكنها شيعية الهوى على الأقل بهذا التعلق الذي يبديه شعبها نحو آل البيت».

وفي نهاية العام ١٩٩٣ سألت رئيس الجمهورية الإيرانية «رفسنجاني» عن أمنية يتمنى تحقيقها، وكان رده الفوري: «أن أمشي في صحن الأزهر»!

كانت الأغلبية في تاريخ الإسلام دائمًا للسنة، فمنها خلافة الأمويين وخلافة العباسيين وحتى خلافة العثمانيين، في الوقت الذي كانت الشيعة فيه عنصر المراجعة والتمرد والثورة. ولقد أثرت في الإسلام بغير شك وأضافت إلى تراثه على مر العصور، ولكنها فعلت ذلك من موقع المعارضة، والمعارضة السرية.

هكذا تداخل وطن محاصر على الأرض مع عقيدة دينية محاصرة في الضمائر، وأصبح المزيج بين الاثنين مادة قابلة للالتهاب بسرعة، معرضة للاشتعال في طرفة عين!

لا يمكن فهم إيران بغير موقعها، ولا يمكن فهم إيران بغير مذهبها.

إيران تعد أول إقليم في الشرق لم يدخله الإسلام والعروبة معًا في القرن السابع الميلادي. الأمة الإيرانية قبلت الإسلام وليس العروبة.

فقد تقبل الناس الإسلام أو على الأقل تصور الأقلية الشيعية له. أما العروبة فقد رفضت وظلت منطقة الحدود بين إيران وبلاد ما بين النهرين في حالة عدم استقرار دائم عبر القرون. ولم يحدث أبدًا أن تشكلت حدودها على نحو مستقر.

لماذا يجب على العرب التعامل مع إيران؟

أولًا - إيران بلد من بلدان الجوار لنا ومتداخل جغرافيًّا وتاريخيًّا معنا، وهو إن لم يكن بلدًا عربيًّا فهو بلد إسلامي شارك في المزيج الحضاري الفريد وعملية التفاعل الخصب الذي سبك وصاغ الحضارة الإسلامية. وهناك بيننا وبين شعبه روابط ساهمت في صنع منطقة الشرق الأوسط كما هي اليوم. ولقد وقعت بيننا وبين هذا الشعب في الماضي البعيد والقريب تناقضات وصلت أحيانًا إلى درجة العنف، كما حدث في حرب الخليج التي استمرت ثماني سنوات (١٩٨٠ - ١٩٨٨).

ثانيًا - إيران الموقع الجغرافي - بلد فائق الأهمية في منطقة الشرق الأوسط، فهو بطن روسيا مباشرة وأقرب نقطة منه إلى المياه الدافئة في الخليج والمحيط الهندي، التي كان الوصول إليها حلم روسيا ابتداء من «بطرس الأكبر» حتى «بوتين» في أغلب الظن. ولهذا السبب فإن الولايات المتحدة تعتبرها موقعًا لا يمكن التفريط فيه. فإذا أضيفت إلى ذلك حقائق الجوار المباشر بين إيران وروسيا، وقد أدت هذه الحقائق - ضمن ما أدت - إلى سلخ أجزاء من إيران (ولاية «أذربيجان» مثلا) وضمها إلى روسيا في القرن التاسع عشر - إذن فإن إيران مهيأة بالطبيعة والضرورة لاتخاذ موقف في الصراع الدولي، يحتفظ بمسافة بينه وبين روسيا، وبالتالي يجد نفسه - أدرك أو لم يدرك - أقرب إلى غيرها.

بالجغرافيا فإن إيران بحدودها الطويلة مع روسيا تشعر باستمرار بضغط قوة عظمى على رأسها.. تشعر بالأنفاس الساخنة للجار الروسي حارة على ظهر رقبتها، ومن ثم فإن إيران تحتاج إلى أن توازن جوارها الجغرافي مع روسيا بعلاقة وثيقة مع المنافس الآخر للجار في واشنطن.

وبالتاريخ فإن روسيا القيصرية توسعت على حساب إيران حينما قضمت نصف

«أذربيجان» وضمته إلى أراضيها، ومهما قلنا فإن أي نظام روسي على الأرض هو الوريث الشرعي للنظام القيصري الأسبق والشيوعي الذي خلفه.

ثم إن الذاكرة الإيرانية لا تستطيع أن تنسى أن السوفييت على عهد «ستالين» أقاموا بالفعل جمهورية تابعة لهم تحت رئاسة «جعفر بشفاري» في شمال إيران بعد الحرب العالمية الثانية، ولو لم يقف الغرب مع إيران في تلك الأزمة لذهبت بقية «أذربيجان» لتلحق بما سبقها من أرض جرى ضمها إلى روسيا. وتتراجع الشيوعية الدولية في إيران فتنهار جمهورية جعفر بشفاري في أذربيجان سنة ١٩٤٧ - أمام تدخل أمريكي ملح ومركز.

وعلى ذلك فإن تناقضًا روسيًا - إيرانيًا يبقى دائمًا من طبائع الأمور ثم يكون من صالح إيران أن لا تدفع هذا التناقض إلى نقطة الخطر أو التحدي.

والصراعات الدولية لا تتوقف وإن اختلفت أساليب ممارستها مع اختلاف الأجواء - ساخنة أو باردة أو معتدلة - والسلام نفسه لا ينهي الصراعات، وإنما قصاراه أن يغير أساليب ممارستها، إلا إذا تحولت الدول إلى ملائكة وهو ما لم يحدث حتى الآن وحدوثه ليس منتظرًا على وجه الأرض إلا في أوهام الحالمين، ولعلنا لا نكون منهم.

ثالثًا - إيران بهذا الوضع مطلب أساسي للقوى العظمى في المنطقة، وربما نتجاوز إذا قلنا إن إيران ومصر مطلوبان رئيسيان في الشرق الأوسط؛ فكلاهما وزن سكاني ضخم، ودور حضاري راسخ، ومن أكبر القوى المؤثرة على التركيب السياسي والاقتصادي والثقافي في علاقات المنطقة وتفاعلاتها، وموقع على الأرض لا يمكن تجاهله:

مصر على ملتقى القارات في وسط البحار (ومتواجدة باستمرار على شاطئ الشام)، وإيران في قلب الجسر من وسط أوروبا وشرقها مباشرة إلى المحيط الهندي (مطلة على الهلال الخصيب في العراق).

ولذلك فإن الشرق والغرب كليهما يعتبران إيران إحدى الجوائز الكبرى في المنطقة، ومن يفز بها في النهاية يستطيع أن يحقق لنفسه نفوذًا لا شك فيه ضمن حركة الصراع على النفوذ في العالم.

لا تزال إيران بسبب موقعها الاستراتيجي الجغرافي وثروتها الطبيعية مغنمًا تتطلع إليه القوى العظمى. وبغض النظر عمن يحكمها، أو يفشل في حكمها فستظل إيران منطقة للصراع بين القوى الأعظم.

الفصل الثالث عشر:

لا يزال صوتُه يجتاحني*

> الموسيقى يجب أن تشعل النار في قلب رجل، وتجذب الدموع من عيون المرأة.
> لودفيغ فان بيتهوفن
> **Ludwig van Beethoven**

يستمع الأستاذ هيكل ويستمتع بسماع موسيقى تنتمي لعصر الباروك Baroque Music (بجميع مراحلها الثلاثة حتى الكلاسيكية)، وكنت قد سألته عن الموسيقى التي تشده؟

وهو أجاب بأنها: «موسيقى القرن الثامن عشر والتاسع عشر.. وأنا مدين في تعلقي بالموسيقى العالمية لعقيلة الدكتور محمود عزمي (وهي من روسيا البيضاء)، وكنا نلتئم في بيته كل يوم خميس نتحدث ونتحاور، ثم نصغي إلى قطعة موسيقية، مما هيئ لي إمكانية تذوق تلك الموسيقى..»

وطلبت منه نماذج لمن يستمع لهم؟

فقال بتدفق:

«إن باخ (سواء الأب يوهان سيباستيان باخ، وأولاده: فيلهلم فريدمان، كارل فيليب، يوهن كريستوف)، وخاصة ألحانهم الكنسية.

فولفغانغ موزارت، عملاق الأوبرا، مثل «خطف في السراي The Abduction from the Seraglio»، و«عرس فيجارو The Marriage of Figaro» و«دون جيوفاني

* أدونيس ديوان «أوراق في الريح» - قصيدة «سمعته وفمه حجارة»

Don Giovanni» و«الناي السحري The Magic Flute»، وكذلك أغنية «المجد للعذراء Ave Maria»، فموسيقاه تجمع ما بين البساطة والرشاقة، وتساعدني على التركيز!

أنا زائر دائم (تقريبًا) لمهرجان موزارت الذي يقام في مسقط رأس موزارت في مدينة سالزبورغ بالنمسا، وظني بأن فون كارايان Herbert von Karajan هو أفضل قائد أوركسترا لموسيقى موزارت (بعد كارايان – توفي يوم الأحد ١٦ يوليو ١٩٨٩ – تلاشى جزء من مذاقه، في عام ١٩٨٥ كان في قمة توقده، وقد باغتني اثنان – ابني الأصغر حسن، ورئيسة وزراء بريطانيا مارغريت تاتشر – لم يتمكنان من كتم مشاعرهما فإذا الدموع تسيل من شدة التأثر وتتحول لبكاء مكبوت)!

لودفيج بيتهوفن سيمفونياته التسعة أهم أعماله، لكني أفضل الثالثة والسادسة والتاسعة و«نشيد الفرح Ode to Joy».

سيرجي رحمانينوف في معزوفاته على البيانو مثل «الكونشرتو رقم Piano Concerto No. 2» وهو الأكثر رومانسية.

فرانز شوبرت وسيمفونيته الثامنة عمله الشامخ والتي اشتهرت «بالسيمفونية التي لم تكتمل Unfinished symphony»، لكن أنا لا أستمع كثيرًا لموسيقاه، فهي تبدو كئيبة وفائضة بالأحزان!

كلاوديو أبادو من أهم قادة الأوركسترا بعد كريان، وشاهدته في أوركسترا لندن السيمفوني Symphony Orchestra .

ديفيد أويستراخ بظني أهم عازف للكمان في القرن العشرين.

ديمتري شوستاكوفيتش سيمفونياته الـ ١٥ ومعزوفاته على البيانو ومقطوعات خفيفة، كلها تلمس بها حس التحدي لحكم ستالين!

بيوتر تشايكوفسكي «بحيرة البجع Swan Lake» و«كسارة البندق The Nutcracker» أهم أعماله.

نيكولاي ريمسكي – كورساكوف أوبرا «الديك الذهبي The Golden Cockerel» و«شهرزاد Scheherazade».

سيرجي بروكوفييف، أبدع في المزج بين التراث القديم والتجديد الغربي بقوة إيقاعاته، مثل أوبرا «روميو وجوليت Romeo and Juliet» و«ملاك النار The Fiery Angel».

جوزيف هايدن وضع قوانين السيمفونية الكلاسيكية عبر «الخليقة The Creation» و«الفصول The Seasons» .

فريدريك شوبان مجدد موسيقى البيانو ومن أهمها «البولونية Polonaise»، وقد نزع إلى الرومنطيقية، ولكن موسيقاه تصلح لجميع الأجيال!

روبرت شومان أفضل عازف بيانو، بالإضافة لسيمفونياته الأربعة.

يوهانس برامز سيمفونياته الغنائية الأربعة رائعة، ومعزوفاته على الكمان، فضلًا عن عمله الخالد «صلاة الموتى الألمانية A German Requiem».

ميشا إلمان عازف الكمان اليهودي السوفيتي والمهاجر للولايات المتحدة، وهو أفضل من عزف موسيقى لباخ.

جون فيلد عازف البيانو الأيرلندي، كان من لفت نظري إليه أحد بارونات الصحافة الإنجليزية أندرو نايت Andrew Knight وزوجته ماريتا فيليبس Marita Phillips وهي بالمناسبة شاعرة غنائية ولها أوبرا عن ألكسندر بوشكين بعنوان «الشاعر والقيصر Poet and Tsar».

أنطونيو فيفالدي «الفصول الأربعة The Four Seasons» هي أهم معزوفاته على الكمان.

جوزيبي فيردي من أشهر من لحن أوبرا، مثل «ريجوليتو Rigoletto» و«لا ترافياتا La traviata» و«عايدة Aida»، متميزًا بالدراما وبنفحة غنائية قوية.

ريتشارد شتراوس ميزته أنه انتقل من الرومنطيقية إلى الكلاسيكية، وأوبر «فارس الوردة The Knight of the Rose»، وسيمفونية «دون جوان Don Juan» أبرز أعماله.

ريتشارد فاغنر له أوبرا «تريستان وإيزولده Tristan and Isolde» التي وفق فيها بين اللحن والألفاظ والرقص، وكذلك وفق في أوبرا «بارسيفال Parsifal»

خواكين رودريغو عازف البيانو المبدع، وخاصة «كونشيرتو دي آرانخويث Concierto de Aranjuez» فهو يأتي في ذروة الموسيقى الإسبانية.

استفسرت منه عن الموسيقى العربية؟

أجاب بسؤال ومجيبًا عليه: «ماذا تبقى من النغم الشرقي الأصيل؟ سوى التواشيح الدينية، والموشحات الأندلسية، والمدائح (دينية ونبوية وصوفية)، والمواويل؟!

أنا مولع بالتواشيح (النقشبندي مثلًا) ومفتون بالموشحات (فيروز مثلًا)، المدائح تحرك مشاعري (التوني مثلًا)، المواويل (وديع الصافي بظني آخر نجوم فن الموال)»!

توقف لبرهة قبل أن يكمل تدفقه: «أنغام محمد عبد الوهاب وكمال الطويل والسنباطي والقصبجي والأخوين الرحباني استطاعت أن تجدد في الموسيقى العربية وتواكب العصر»

استدرك الأستاذ هيكل قائلًا: «البعض ينسى بأن فن تلاوة القرآن (تجويد ومقامات وغيرها من فنون التلاوة) كان جزء منه موسيقى، وصديقنا محمود السعدني له كتاب عن نجوم فن تلاوة القرآن بعنوان جذاب: ألحان السماء»!

أسهب الأستاذ في شرح وجهة نظره: «لكل عصر موسيقاه وأدواته في التعبير عن روحه، فالتعبير الفني ما هو إلا تعبير عن حقائق اقتصادية واجتماعية وسياسية، فصوت الموسيقى الأظهر في صياغة ضمير أي عصر أو أي مجتمع، كونها الانعكاس الحقيقي لحالته النفسية والفكرية ومزاجه العام، فهي إقراره بنفسه لنفسه ناشرًا وجدانه دون وعي أو توقي فالموسيقى بطبيعة الأشياء لا ترضخ لكبت ولا تخنع لحراسة، ولابد لأية قيمة فنية جيدة من أن تستند إلى قاعدة ثقافية حقيقية (صوت الموسيقى في عصر الستينات ما زال هو النغم المستعاد والمرغوب)، كما أن ثقافة كل عصر لها علاقة بوسائل المواصلات والاتصالات، ولن يكون هناك عصر يفرز موسيقى بمعزل عن الأصوات السائدة فيه.

فموسيقى القرن التاسع عشر وما قبله كانت تعبيرًا عن الحصان والمركبة التي تتمايل وسط المروج والوديان، وأبرز نجومه باخ.

وأنا أحاول أن أفهم موسيقى العصر، من موسيقى الجاز وهي خفيفة راقصة بإيقاعات متنوعة تعبيرًا عن الحياة السلسة في تناولها والرشيقة في إيقاعها، إلى موسيقى الروك وهي تعبيرًا عن سرعة القرن العشرين ووسائل مواصلاته من السيارة والطائرة حتى المكوك والصاروخ مستوحية إيقاعاتها من صيحات الغرائز الأولى للإنسان وأنفاسها المتتابعة وعرقها المتدفق تعبيرًا عن عصر الريبة والهذيان والتخبط، وأبرز نجومه إلفيس بريسلي، إلى موسيقى

الراي وهي صيحة الفن في المغرب العربي والمدوية في العالم في تسعينيات القرن العشرين وأبرز نجومها مجموعة من الشباب كخالد ومامي، لكني لم أستوعب أيًا من الثلاث، لكني أفضل أغاني فرانك سيناترا بصوته العميق، وخوليو إغليسياس، صوته ليس سر تفوقه ولكن طريقته الإبداعية عن غيره، لكني بطبيعتي أنحاز للموسيقى على الغناء»!

وعن نجوم الغناء العربي الآن استفسرت؟

فقال جازمًا: «لا أعرف أحد منهم، وآخر عهدي بالغناء هو عبد الوهاب وأم كلثوم وعبد الحليم وفيروز ومن واكب عصرهم من نجوم المغنى والطرب..

توقف برهة، ثم قال بأسى: «في العهد الملكي غنى وادي النيل لوديان المشرق «يا شراعًا وراء دجلة يجري» و«سلام من صبا بردى أرق».. وفي عهد ناصر بكل ما يمثله من عنفوان ثوري وامتلاك الإرادة غنى حليم «لا حسلم بالمكتوب ولا حرضى أبات مغلوب».. والآن طبل وزمر وهز خصور على ايقاعات بدائية وأنغام صحراوية بجلجلة صاخبة وحائرة ومترددة أخفقت في ابتكار لحن وعجزت عن استيحاء نغم»!

■ ■ ■

الفصل الرابع عشر:

نارٌ وتبغٌ وغيمُ دخانٍ*

> ألا ترى أن الإنسان منذ نشأته إلى الآن يأكل ويشرب، ويلبس، على خلاف في الصورة في العصور المتغيرة، ولكن الجوهر واحد .. فما الذي جد عليه حتى علا نفسه في القرنين الأخيرين، فاستكشف البخار والكهرباء .. إلخ .. لا أظن أنه جد عليه شيء إلا شرب الدخان ... دخن يا ولدي دخن ..!
>
> **جمال الدين الأفغاني**

طبيعة خيارات الأستاذ هيكل المهنية كمراسل سياسي متجول لعدد من السنين في الشرق الأوسط، لفتت نظر بعض من ساسة تلك الأيام إلى ما يكتب.

وكان نجيب الهلالي (باشا) قد تفضل ودعاه مبكرًا إلى الغداء معه عقب تغطية قام بها لأحداث البلقان (ومن ضمنها الحرب الأهلية في اليونان - وتحديدًا في مدينة سالونيك Thessaloniki بشمال اليونان سنة ١٩٤٧)، وكانت الأسباب أيضًا مهيأة بسبب صداقة سبقت بين الدكتور محمود محفوظ (وزير الصحة لاحقًا (١٩٧٢ - ١٩٧٤) وقرين كريمة نجيب الهلالي: السيدة ناهد) وبين الأستاذ هيكل، وبذلك أصبح صديقًا للأسرة.

وكان نجيب الهلالي يدعو عددًا من المقربين إليه مساء كل يوم جمعة على العشاء في مطعم «سان جيمس» (وهو من أفضل مطاعم القاهرة وقتها) ـ لكنه بعد حريق القاهرة (يناير ١٩٥٢) ـ جرى على ذلك المطعم ما جرى على غيره في وسط العاصمة، وهكذا فإن دعوة العشاء تقدم موعدها لتصبح على الغداء، كما تغير مكانها لتصبح في بيته على الشارع الرئيسي لضاحية المعادي (كان نجيب الهلالي قد اشترى تلك الفيلا من مدير المصرف العقاري المستر توماس ستيفنس سنة ١٩٣٥ - والفيلا قد شيدها سنة ١٩٠٩ المستر دونالد اندروس)!

* أدونيس ديوان «قصائد أولى» - قصيدة «اليقين»

وكان نجيب الهلالي في أغلب الأحيان يعرض لكل المدعوين على مأدبته سيجارًا من النوع الجيد الذي يدخنه (ارتورو فونت Arturo Fuente)، وهكذا أدرك الأستاذ هيكل سبيله إلى تدخين السيجار، وبات نجيب الهلالي يغدق عليه بعد كل لقاء بعدد سبعة من سيجاره الخاص ليدخنه خلال الأسبوع!

وكذلك فؤاد سراج الدين (باشا) كان يقدم للأستاذ هيكل - ولغيره من الضيوف - سيجارًا، وكان الأستاذ هيكل يقبل الدعوة للتدخين من باب التجربة، إلى أن وقع في فخ العادة!

ولابد أن يقدم لك الأستاذ هيكل، جولة عاصفة عن قصة السيجار الكوبي الذي يفضله «كوهيبا Cohiba»!

فهو يصنع يدويا، وقد بدأ الخبراء بتصنيعه في عام ١٩٦٦ تحية لزعيم الثورة الكوبية فيدل كاسترو، وقد أطلقوا عليه اسم «الزعيم líder máximo»، ولكن كاسترو فضل عليه اسم كوهيبا وهو مشتق من اسم كوبا!

الرئيس الكوبي كاسترو كان يرسل للرئيس جمال عبد الناصر صناديق السيجار، وبدوره كان يحولها لي، فهو لم يدخن في حياته إلا السجائر.

كوهيبا يزرع في مزرعة خاصة «فولتا أراباخو Vuelta Abajo»، ويتم بها زرع أشجار التبغ والقطف والجمع والتجفيف وكله يدوي دون أي استخدام للآلات، وبعدها تتم عملية التخمير، سيجار «هافانا Havana» يتم تخمير أوراقه مرتين، بينما كوهيبا ثلاث مرات وهذا أحد أسباب تميزه!

الأستاذ هيكل يدخن من السيجار ثلاث أنواع: «كوهيبا وهافانا ودافيدوف Davidoff»، وإن كان يفضل كوهيبا..

وتجد عنده كل ما يلزم ويتبع عملية شراء السيجار، من إكسسوار: «الصندوق الحافظ للرطوبة Humidor»، و«قاطعة خاصة للسيجار سواء مقص أو مقطع Cutter»، و«الولاعات أو الكبريت Lighter - الأستاذ هيكل يفضل علب الكبريت الكبيرة لما تضفي من أجواء ساحرة»، و«منفضة السيجار Ashtray - كنت في آخر لقاء أهديته منفضة من إنتاج كوهيبا»، و«حافظة للسيجار Cigar Case وهي مصنوعة من الجلد الذي يتيح للسيجار أن يتنفس وقادر على أن يحافظ على نضارته لعشرة أيام متتالية»..

سيجار رأسمالي.. شيوعي!

في شهر نوفمبر ١٩٥٧، كان الأستاذ هيكل على موعد مع زعيم الاتحاد السوفيتي نيكيتا خروشوف، ليجري معه حوارًا (تم نشره في كتاب).

وقبل بداية اللقاء كان الأستاذ هيكل قد طلب الإذن بالتدخين، وسمح له بذلك. فأخرج سيجارًا وبدأ التدخين. وفجأة استدار خروشوف نحوه وسأله «هل أنت رأسمالي؟ لماذا تدخن سيجارًا؟»

قال الأستاذ «لأنني أحب السيجار». لكن خروشوف أخذ سيجاره وسحقه في المطفأة. حاول الأستاذ الاحتجاج فقال خروشوف «أن السيجار سلعة رأسمالية. وأنت لست رأسمالي لأنك صديق ناصر. حسنًا، لنكمل حديثنا الآن»!

في المرة التالية التي أجرى الأستاذ هيكل لقاء مع خروشوف خلال عام ١٩٥٨ (يوليو)، ترك علبة سيجاره في الخارج. ولاحظ ذلك خروشوف، فسأل «أين سيجارك. أريد أن أسحقه ثانية». لكن خروشوف في عام ١٩٦٤ (مايو) عندما كان الأستاذ هيكل في موسكو مرة أخرى، أهداه ذات يوم علبة السيجار الممتاز فقال له الأستاذ «سيادة الرئيس لقد أصبت بصدمة. ألا تذكر ما فعلته لسيجاري؟ لماذا تغيرت؟»

أجاب خروشوف قائلًا: «أنا لم أتغير لكن السيجار هو الذي تغير. فمنذ ثورة كوبا أصبح هذا السيجار ماركسيا لينينا»!

أجرة العمل.. ستة صناديق سيجار!

فور صدور كتاب «خريف الغضب»، بدأت عمليات الترجمة إلى عشرات اللغات الأخرى ومن ضمنها بطبيعة الأحوال اللغة العربية (صدر الكتاب باللغة الإنجليزية).

وأوكلت دار النشر في بيروت (شركة المطبوعات للنشر وصاحبها هو الأستاذ تحسين خياط) إلى أستاذ جامعي بترجمة الكتاب، وقد اطلعت على الترجمة للفصول الأولى والتي بذل فيها مجهودًا يستحق التقدير، ولكن لحساسية الكتاب آثرت القيام بنفسي بترجمة الكتاب،

متفرغًا لمدة شهرين من العمل، ولم اتقاضى جزاء عملي هذا وحرصي وتدقيقي قرشًا واحدًا، ولكن الأستاذ تحسين خياط أهداني ستة صناديق من السيجار، قابلًا لها مع الشكر، ومعتبرًا أن الأمر قد انتهى!

سيجار روميو وجولييت Romeo y Julieta!

لا يتجاوز عدد من يعرف أن الرئيس حسني مبارك يدخن السيجار عدد أصابع اليدين، وفي لقائي معه في ديسمبر ١٩٨١، بعد خروجي من السجن، قدم لي سيجارًا من نوع «روميو وجولييت»، وهو يقول: «سيجار كويس»، ولم أشاركه الرأي قائلًا له باحترام: «الحقيقة أنه مقبول».. وهو استنكر قائلا: «إيه؟ دا روميو وجولييت»!؟

واسترسل الأستاذ هيكل بإسهاب: «الشركة التي تنتج هذا النوع من السيجار، نعم أسست في نهايات القرن التاسع عشر في كوبا، واستمرت بعملها حتى قيام الثورة الكوبية بقيادة كاسترو والتي قامت بتأميمها، مما جعلها تنتقل إلى دولة مجاورة لكوبا، وهي جمهورية الدومينكان، واستمرت في إنتاجها من السيجار لصالح السوق الأمريكي، لكنه ليس تبغ كوبي، وهي اكتسبت شهرتها كون رئيس وزراء بريطانيا العتيد ونستون تشرشل كان من مدخنيها!

رائحة سيجار في البيت الأبيض!

كنت في يوم من الأيام في مكتب ماك جورج بندي McGeorge Bundy مستشار الرئيس جون كينيدي لشئون الأمن القومي، وكان من المتفق عليه أن يأتي بعد قليل الرئيس كينيدي، قدم لي سيجارًا فلبينيًّا (الحقيقة فالصو تاباكاليرا Tabacalera)، وبدوري قدمت له سيجارًا كوبيًّا كان معي (لا غلوريا كوبانا La Gloria Cubana)، وهو استهول أن يدخنه في أروقة البيت الأبيض - لا أحد معتاد على رائحته وبالتالي سينكشف - وعليه سيقوم مجلس الكونجرس بعزلي!

وهنا علق مستشار الرئيس بندي مازحًا: «سيدي الرئيس، لابد أن تحقق معه كيف أدخل سيجارًا كوبيًّا إلى الولايات المتحدة ومن ثم إلى البيت الأبيض!!

كانت الولايات المتحدة في حالة حصار لكل ما هو كوبي فضلًا عن إجرائها سلسلة من العقوبات الاقتصادية.

سيجار.. بلا مواعيد!

كل من دق باب الأستاذ هيكل يومًا - سواء أثناء عمله في الأهرام، أو بعد خروجه منه - كان يعرف استحالة مقابلته دون موعد سابق وترتيب مع مدير مكتبه (مكتبي لاستقبال الزوار (كائنًا من كان) من أجل العمل: مقابلات، حوارات، استشارات، وليس دوار عمدة لمضيعة الوقت وتمضية النهار في النميمة والدسائس!)

وبطبيعة الأحوال فهناك دائمًا.. استثناء!

فالزائر الوحيد الذي يحق له مقابلة الأستاذ ولقائه في أي وقت هو: السفير الكوبي!

السفير - كان نقيب صيادي الأسماك - قبل أن تسند له مهمة دبلوماسية، ويتم ترفيعه لمنصب سفير كوبا في القاهرة!

ولقاؤه مع الأستاذ كان من أقصر المقابلات - خلافًا لباقي السفراء من عرب وأجانب، حيث تزيد في بعض الأحيان عن ساعة لشرح وجهة نظر، أو استعراض موقف، أو الاطلاع على تحليل الأستاذ!

كان السفير الكوبي يبادر الأستاذ هيكل بسؤالين: عن حالة الأستاذ؟ وحال الأوضاع في مصر؟

ويكون رد الأستاذ أيضًا مختصرًا: نحن الاثنان بخير!

فيقوم السفير بتسليم الأستاذ علبة من السيجار الكوبي، ويستأذن منصرفًا..!

■ ■ ■

الفصل الخامس عشر:

أن تقرأ هو أن تكتب المستقبل*

> لقد اكتشفت، بعد تجربة طويلة هنا في البيت الأبيض، أن كل ما كنا نتصوره عن كهنوت إصدار القرارات، خرافة لا أساس لها
> إن كل ما أصدرت من قرارات كان مستندا على معلومات متاحة لكل من يقرأ ويتابع ما يجرى من حوله، واستطيع أن أحدد النسبة التالية عن المعلومات التي أدت فيما أصدرت من قرارات:
> كان ٩٣٪ من هذه المعلومات ... معلومات متاحة ومفتوحة وعلنية تحت تصرف كل الناس.
> وكان ٧٪ فقط من هذه المعلومات يجيئني من مصادر سرية.
> أن القرار السياسي في عصرنا الحديث لم يعد طلسما مغلقا إلا أمام القلة الحاكمة التي يتاح لها ما لا يتاح لغيرها.
> ربما كان ذلك صحيحا في عصر مضى قبل عصرنا الحديث بكل ما فيه من أجهزة جمع وبث المعلومات، ولكنه في عصرنا الحديث ليس صحيحا.
> الآن، في استطاعة أي مواطن مستنير أن يخمن من اليوم ما سوف يكون عليه قراري من هنا - البيت الأبيض - في الغد وبعد الغد، وفي أمر أي مشكلة من المشاكل، وفي أكثر من تسعين في المائة من الحالات سوف يكون تخمينه صحيحا.
>
> جون كينيدي **John Kennedy**

كتب الصحفي الفرنسي جان لاكوتير **Jean Lacouture** في مجلة: مغرب - مشرق (مايو ١٩٧٤) عن الأستاذ هيكل ما ترجمته:

«هو إنجيلي يكتب إنجيل الآلام قبل أن يرتفع الصليب، ويروي القيامة قبل نزول المسيح إلى القبر، وتسبق مقالاته التاريخ كما سبقت نبوءة يوحنا قصة المسيح»!

وكتب الأستاذ هيكل يوم الثلاثاء ١١ مايو ١٩٧٦ مقالًا بعنوان «إلى أين من هنا؟»، وجاء فيه: «أننا نستطيع أن نستقرئ المحتمل سياسيًّا بنفس الطريقة التي نستطيع بها أن نستقرئ المحتمل طقسيًّا - إذا جاز التعبير.

وفي السياسة - كما في الطقس - فإن العوامل المؤثرة في أحداث الغد يمكن رصدها من اليوم، ومتابعة حركتها المتجهة إلينا دون أن يكون في ذلك تطاول على الغيب.

---

* أدونيس، ديوان «تنبأ أيها الأعمى»، قصيدة «كوبشيرتو ١١ أيلول ٢٠٠١ قبل الميلاد»

وفي حسابات الأرصاد الجوية فإن الخبراء، بعد إجراء حساباتهم، يتحفظون دائمًا عندما يتنبأون بأحوال الطقس لمفاجأة تقع في اللحظة الأخيرة، ولكن المفاجآت لا تقع كل يوم.

وفي حسابات الأرصاد السياسية، فإن الذين يتعرضون لها عليهم - أيضًا - أن يتحفظوا لمفاجأة تقع في اللحظة الأخيرة، ولكن المفاجآت - في السياسة أيضًا - ليست قانون كل يوم!»

وكان الأستاذ هيكل ينشر على الناس ما تجمع له من معلومات، متصورًا أنه من المفيد جدًا أن تعرف الجماهير أكبر قدر ممكن من الحقيقة، لأن ذلك حقها، وهو أيضًا مفيد لها.

وسأضرب عدة أمثلة من المحتملات السياسية التي استقرأها الأستاذ هيكل - وللأسف تحققت (على المستوى الشخصي نستطيع أن نتفاخر ونتباهى لقدرة متميزة على استشراف المستقبل، وعلى مستوى الهم العام - كان قبل ذلك الشأن العام - كان الحزن والألم يعصرنا لتحققها!)

كأنه يقرأ الغيب!

- كتب الأستاذ هيكل يوم الجمعة ٢٦ إبريل ١٩٦٣ مقالًا بعنوان «فكرت إسرائيل في القيام بغارة على قاعدة الصواريخ المصرية!». جاء فيه بالنص: «إن خطة إسرائيل المحتملة هي أن يقوم كل سلاح الطيران الإسرائيلي مرة واحدة بغارة مفاجئة وشاملة على القواعد الجوية المصرية، ولا يترك السماء فوق هذه القواعد إلا وكل شيء على الأرض تحته قد استحال إلى حطام ورماد».

(تحقق - للأسف - ما كتبه الأستاذ بالحرف بعد أربع سنوات، ففي صباح يوم الإثنين ٥ يونيو ١٩٦٧، قام سلاح الطيران الإسرائيلي بموجة أولى (١٧٤ طائرة) بمجموعة من الغارات المتزامنة على كل قواعد العمق المصري، ثم موجة ثانية (١٦١ طائرة) مركزة على المطارات المتقدمة في سيناء، ثم جاءت موجة ثالثة (١٥٧ طائرة) تكتسح ما بقى من حطام على المطارات والقواعد المصرية!)

الحقيقة كانت واضحة أمامه - وكتبها للآخرين - بزمان طويل!

زرقاء اليمامة!

- كتب الأستاذ هيكل يوم الجمعة ١٩ ديسمبر ١٩٦٩ مقالا بعنوان «آفاق السبعينيات».

جاء فيه بالنص: «هكذا، وعلى اختلاف في كل شيء، فإن الأمة العربية وإسرائيل تدخلان إلى حقبة السبعينيات من باب واحد: باب الحرب. الحرب هي التحدي الذي يفرض نفسه عليهما في السبعينيات، بل وفي البداية منها. وعلى نتيجة هذه الحرب فإن السبعينيات بالنسبة لهما معًا، الأمة العربية وإسرائيل، سوف تتقرر في كل شيء.

إمكانية البقاء، وإمكانية التقدم...

كل شيء من المزاج النفسي إلى الازدهـار الثقافي، إلى الانطلاق العلمي، إلى البناء الاقتصادي، إلى الحرية السياسية.

كل شيء سوف يتقرر في الحرب وبالحرب، ما دام ذلك هو الخيار الذي لم يبق غيره في أزمة الشرق الأوسط».

(تحقق بالحرف، فقد خاضت الأمة العربية في بداية عقد السبعينيات حرب أكتوبر ١٩٧٣، عبر فتح جبهتين لقتال إسرائيل: الجبهة المصرية والجبهة السورية، تساندهما وحدات وقطاعات من الجيوش العربية، ودخول سلاح البترول إلى المعركة) ما حدث بعد ذلك في أكتوبر ١٩٧٣ لا يخرج عما كتب!

نبوءة دلفي Delphi!

- مما جاء في كتاب الأستاذ هيكل «حكاية العرب والسوفييت - الصادر في يونيو ١٩٧٨»:

«إن الحكومات العربية تتجه إلى اليمين، وتبدو كما لو كانت تدعم نفسها. لكن تحت السطح تتراكم كل أنواع التوترات، ويلعب التعليم والتصنيع والتكنولوجيا والاتصال بالعالم كله أدوارها في هذه العملية. وتتزايد الحاجة إلى التغيير في كل مكان، وتتضاءل قدرة الأنظمة على التكيف مع التغيير. ومن المحتم أن يحدث انفجار يومًا ما».

ثم..

جاءت محاضرة الأستاذ هيكل في باريس بمتحف غيميه Guimet Museum يوم الخميس ٧ ديسمبر ١٩٩٥، وقال فيها بالحرف:

«التصورات القادمة ستكون سنوات ساخنة تعيش فيها المنطقة حالة فوران يرتد العالم العربي فيها إلى الداخل، مع زيادة الاحتكاك بين المجتمعات العربية والسلطات الحاكمة فيها،

وبين الفقراء والأغنياء، مما يترتب عليه صعود في قوة التيارات المتمردة، سواء بالأصولية الدينية أو المستحقات الاجتماعية أو غيرها من مولدات الرفض».

(تحقق بحذافيره، فقد كانت الحكومات العربية بداية من العام ١٩٧٩ تتجه في أغلبها نحو اليمين بجميع أطيافه. ومع حلول العام ١٩٩٥ كانت الحكومات العربية في أغلبها أنظمة استبدادية Totalitarian (نظام سياسي ذو حزب واحد لا يقبل أية معارضة منظمة). ومع حلول العام ٢٠١١ كانت تلك الحكومات في معظمها تحولت لأنظمة أوليغاركي Oligarchy (تحالف عناصر مال وسلطة سلاحها القمع الأمني)، مع دخول جيل من الشباب وبأدوات عصره، مع عجز الأنظمة القائمة على السلطة عن الفهم والاستجابة واستقوائهم بغرور السلطة المطلقة وقصور فكري راح يرتب لتوريث فعلي، وفراغ تسبب فيه قهر استولى على كل وسائل التعبير والتنوير.. وعليه فقد كان محتمًا وقوع الانفجار. كما شهدت تلك الفترة صعود للتيار الإسلامي المتشدد!)

مرور السنوات أكد مقولته، واتجاه الحوادث اتفق مع ما رصده!

رباعيات نوسترادامus Nostradamus!

وجه الأستاذ هيكل للرئيس حسني مبارك ست رسائل في نوفمبر ١٩٨٢ (بعد سنة من خروج الأستاذ من سجن طرة)، وطلب الرئيس مبارك عبر مستشاره السياسي أسامة الباز، أن يرجئ الأستاذ هيكل نشرها (كان مقررًا نشرها في مجلة المصور، وقد استجاب الأستاذ للطلب).

وجرت مياه كثيرة في مجرى نهر النيل، وقرر الأستاذ هيكل نشرها كاملة في يناير ٢٠٠٨، في جريدة المصري اليوم!

وقد جاء في الرسالة الثانية بالحرف:

«إنني - يا سيادة الرئيس - واحد من الذين يخشون أن انتقال السلطة إليكم ربما يكون آخر انتقال هادئ للسلطة يمكن أن تشهده مصر - إذا لم نفهم - وإذا لم نبدأ».

(حدث، فقد انتفضت الجماهير المصرية في يناير ٢٠١١، بعدما كسروا كل الحواجز،

وكسروا كل القيود، وخرجوا إلى ثورة حقيقية تطالب بتغيير عند الجذور والأصول، فيما كانت رئاسة النظام تترنح، بعدما فقدت الصلة بالزمن وتجاوزها الواقع!)

كانت الشواهد هناك من زمن طويل، وقد لمحها الأستاذ ونبه، لكن..!

هواتف سطيح.. والمستقبل!

في حوار مع الأستاذ هيكل أجراه الأستاذ فيليب جلاب، ونشره في جريدة الأهالي المصرية يوم الثلاثاء ٢٨ يناير ١٩٩٢، قال فيه الأستاذ بالحرف: «الولايات المتحدة تريد تسوية العالم العربي كله على هواها. تريده أرضًا مفتوحة أمامها بلا عوائق وحتى بلا تضاريس.

جاءتها فرصة أزمة عربية طاحنة، واعتبرتها فرصة متاحة للخلاص مرة واحدة وإلى الأبد.

فعلت ما فعلته في العراق لكي تسوي الأرض في منطقة الخليج، وهي منطقة حيوية بالنسبة لها بسبب موارد البترول. وليس بسبب غرام مفاجئ بالشعوب الصغيرة والدول المغلوبة على أمرها.

والآن هناك محاولة من نوع آخر مع ليبيا. وغدا محاولة من نوع مختلف مع سوريا.

وطوال الوقت، أمس واليوم وغدًا، محاولات لا تنقطع مع الشعب الفلسطيني».

خلق الشرارة، لكن البارود لم يكن جاهزًا للتفجير!

(حدث، من احتلال العراق (٢٠٠٣) إلى ملاحقة ليبيا من أول أزمة لوكربي (١٩٩١ - ٢٠٠٣)، إلى افتعال ثورة يدعمها الناتو مع بدايات العام ٢٠١١ (الرجاء مراجعة كتاب: الحرب دون أن نحبها يوميات كاتب في قلب الربيع الليبي، لبرنار هنري ليفي Bernard-Henri Levy)، وما تعرضت له سوريا من حرب دولية وإقليمية جرت أحداثها على أرضها، مع رحلة تيه للشعب الفلسطيني ما زالت مستمرة.. حتى اللحظة!

وسواء في العراق وليبيا وباقي العالم العربي، كانت الجماهير متشوقة لنسائم الحرية وراغبة في ديمقراطية تشرق مع الربيع، بعد عهود من الدكتاتورية خنقت الشعوب وحان وقت كسر قبضتها عن رقبتها، كان العالم العربي في مرحلة «حالة ثورة»، لكنها لم تكتمل ولم تنضج، حيث لم تكن هناك قواعد ثورية!

وجرت عمليات تمويل وتحريض وشحن مقاتلين وتضليل إعلامي، وجرت محاولات لسرقة تلك الثورات، وجرت عمليات لتوظيف تلك الثورات لصالح قوى إقليمية ودولية!

وحتى لحظة صدور هذا الكتاب، كان العالم العربي يستعيد صورًا كئيبة، وأطر حالكة، وأجواء مؤصدة، كما في روايات الكاتب فرانز كافكا. فالمشهد العربي كان ساحة حرب أشبه بلوحة ضخمة بشعة من أجيج المعارك وبحور من سفك الدماء، وغابات شاسعة من أطلال دول وبقايا عواصم ودمار مدن!

الفصل السادس عشر:

الخوف يعصف والخائفون ورق*!

> لا ينبغي أن يكون هناك ما نخافه .. إلا الخوف ذاته.
>
> فرانكلين روزافيلت
>
> **Franklin Roosevelt**

سألت الأستاذ: إن كان تعرض لساعة خوف؟

وكان رده كالتالي: ومن لا يعرف الخوف؟ بداية هناك أشياء أنا على المستوى الشخصي أخاف منها جدًا، على سبيل المثال أخاف من الهزات الأرضية، فحيال الظواهر الطبيعية لا يمكنك أن تقوم بشيء، وهذا ما يثير خوفي!

الخوف الذي أدركته في تجربة الحرب.

(بدأ الأستاذ هيكل حياته كمراسل حربي أو سياسي متجول في جريدة الإجيبشيان غازيت The Egyptian Gazette تحت رئاسة الصحفي البريطاني هارولد إيرل Harold Earl، مغطيًا معركة العلمين، كشاهد مصري على الحرب العظمى، وقد استهوته التجربة، خاصة مع تعليمات إيرل بأن مجال تكوين الصحفي الأصلح والأمثل: الحرب والجريمة!

وبعدها انتقل إلى مجلة «آخر ساعة» تحت رئاسة الأستاذ محمد التابعي وكان حذرًا مع هذا النوع من النشاط الصحفي حيث إن الجرائد المصرية ليست مهيأة بعد، وأن المسرح والبرلمان هما المجالات الأنسب والأوفق لتكوين الصحفي!

وبعدها انتقلت ملكية مجلة «آخر ساعة» للأخوين أمين، وكان الأستاذ علي أمين متحمسًا رغم مخاطر المغامرة، وتكاليفها المحتملة، وضمن أية حدود؟

* أدونيس: ديوان «المطابقات والأوائل» - قصيدة «أول الاجتياح».

وهكذا وجد الأستاذ هيكل نفسه «باحثًا عن المتاعب» - التعبير للصحفية الأمريكية فرجينيا كولز Virginia Cowles - في كل مكان مغطيًا الحوادث الساخنة في الشرق الأوسط وحوله، من الحرب الأهلية في اليونان وقد شملت كل البلقان، إلى حرب فلسطين من أولها لآخرها، إلى سلسلة الانقلابات العسكرية في سوريا، إلى عمليات الاغتيال الكبرى في المنطقة من اغتيال الملك الأردني عبد الله في القدس إلى اغتيال رئيس وزراء لبنان رياض الصلح في عمان إلى قتل الرئيس حسني الزعيم في دمشق، ثم إلى ثورة محمد مصدق في إيران. والمشاكل الملتهبة في قلب أفريقيا، ثم حرب كوريا وحرب الهند الصينية الأولى ١٩٤٦ - ١٩٥٤).

لا تصدق من يتباهى بأنه لا يخاف، فعندما تواجه أول دفعة من الانفجارات في أرض القتال، فمن الأكيد أنه سيخاف!

توقف برهة، ثم استدرك كعادته: لكن هناك فرق بين الخوف والهلع، أسوأ ما يمكن أن ينال من الإنسان هو الهلع، الهلع معناه أن تتصرف بمسلك أحمق، قد تجعلك تُضيع روحك.

من الفطرة أن تخاف، ولكن من المهم أن تبقى هادئًا!

أخذ نفسًا من سيجاره وقال بشكل مباشر بعد أن نفث غيومًا من الدخان الأزرق: «هناك نوع من الخوف لا آلفه، بل أظنه ترف بالنسبة لصاحب رأي، وهو الخوف الأخلاقي، أي أن تخاف معنويًا، وأن تخاف من هيلمان، إذا خفته فابتعد عنه، لا يليق أن تخاف من التزام طالما اقتنعت به، أو أن تخاف من سلطان طالما قبلت بمعارضته، الخوف الأدبي أعده عارًا مهما كانت الأسباب، بل شاهدًا على الخلل العقلي، لأن صاحبه لم يتيقن من قياس شجاعته وصرامة الآخرين، الخوف ترف وحيد ليس ممكنًا أن أتجرأ به على نفسي، كما لا يقدر على ذلك أي صاحب رأي وإلا كان الأجدر به أن يغلق فمه ويصمت!

Even (حتى) لو كنت أعزل وحتك جراة مبادئك، إلى أن تقول رأيًا، فهذه مسئولية يجب أن تلتزم بمضاعفاتها، أما الخوف من الالتزام بهذه التداعيات فلا أعتبره خوفًا، بل على العكس يكون جبنًا!

مهمة المثقف هي حريته وجسارته عندما يمارس حقه في الاختيار.

والحرية لا تكون حرية إلا في زمانها وفي أوانها.

والشجاعة لا تكون بأثر رجعي أمام القبور وليس أمام القصور.

ولكني أؤكد لك على سبيل المثال أنه لم أشعر بخوف في أية لحظة، يوم أن أتوا ليحجزوني، طلبت منهم بأدب فسحة من الوقت لتجهيز حقيبتي، ثم استوضحتهم عن المكان الذي سنقصده، لعل ما كان يؤرقني عندها، ما إذا كانوا سيبقون معي كتبًا أم لا؟!

استعاد الأستاذ ذكريات ما جرى معه ليلة يوم الخميس ٣ سبتمبر ١٩٨١ قائلًا:

كنت في شقتي بمدينة الإسكندرية (حي ستانلي) بعد زيارة للعاصمة الفرنسية، ومعي اثنان من أبنائي - أحمد وحسن (وقتها كان الأول قد بلغ العشرين والثاني لم يتم الخامسة عشر) - سمع أحمد في حدود الثانية بعد منتصف الليل (لا أعرف من يقلد الآخر فاللصوص وعتاة المجرمين لا يتحركون إلا في ظلام الليل!)، ناشدهم العودة في الصباح، ولكن كان الرد الحازم «افتح وإلا»!

صحوت من النوم، ودعوتهما إلى الدخول - اثنان من مباحث أمن الدولة - وقد أنبأني بأنني مطلوب، استحضرت مقولة لي في عصر ناصر «الشمولي» عن «زوار الفجر»، فكيف يحدث هذا في عصر السادات «الديمقراطي»!

عند الخروج من باب الشقة - هي في الدور السابع من العمارة - كان أمامي أربع جنود مسلحين بمدافع رشاشة ومعهم ضابط مزود بجهاز لاسلكي، المفاجأة (وما أكثر المفاجآت في تلك الليلة) كانت بوجود ضابط في المصعد مسلح ببندقية آلية من نوع أم ٦٠ الأمريكية الصنع، وأثناء نزولنا كان في كل دور من أدوار العمارة خمسة جنود في كل دور، وكانت قمة المفاجأة عند وصولنا للطابق الأرضي بأن قوة من ثلاثين جنديًا تحتل مدخل العمارة، وضابط يتمم عبر جهازه «العملية ٩ تمت»!

استأذنته سؤال: ما الذي لاح - لحظتها - على بالك، بعيدًا عما ألقيته في وجه الضابط الذي كان يرافقك «كأنكم في مشهد من فيلم «زد Z» [1]، ولم يبدو أن تلميحك له قد ترك أثرًا عليه!

لمعت عيناه، وأخذ نفسًا عميقًا من سيجاره، وعاد إلى سرده المشوق:

---

(١) فيلم فرنسي جزائري يمثل مرحلة الرعب السياسي والعصف من الدكتاتورية العسكرية التي حكمت اليونان في مرحلة ستينات القرن من إخراج كوستا غافراس Costa-Gavras، وتم عرضه سنة ١٩٦٩. بطولة: جان لوي ترنتينان Jean Louis Trintignant، وإيرين باباس Irene Papas بلغت إيراداته ١٤,٣ مليون دولار

قول منسوب لمكرم عبيد باشا «العنيف ضعيف، حتى لو غطى ضعفه بالتخويف»!

فالمشهد كان يدعو للحزن لا للذعر، فعندما يزيد حجم العنف عن الغرض منه لتحقيقه، فهو يشي بركاكة التوازنات بين الوسائل والغايات ليكشف شعور القوة بانكسارها!

استأذنته بنقطة نظام: كما أعلم بأن مكتبك قد احتفظ بكل الصحف والإصدارات المصرية خلال الشهور الثلاث (فجر يوم الخميس ٣ سبتمبر – ظهر يوم الأربعاء ٢٥ نوفمبر ١٩٨١) من الحجز التعسفي، وأنت بدورك طالعتها عقب خروجك من المعتقل، هل كان هناك رأي «شجاع» مدافعًا عنك وأنت خلف القضبان؟

ابتسم قائلًا: بل جرى النقيض، غارات من التأليب ضدي متواصلة – رغم وجودي داخل زنزانة – خاصة وأن الكبت احتوى كل ألوان الطيف السياسي في مصر، فلم تخرج كلمة واحدة مدافعة عن الحرية!

قاطعته: أنت في كتابك «أحاديث في العاصفة» لك كلمة أعتبرها من مأثورات القول، تختصر كل هذه الإطالة!

قال بود وحنان أب: ما هي؟

أجبت: «إن إيثار السلامة في الأوقات الصعبة مرادف للهرب»!

قال مستفسرًا: أنت بتحفظ كلماتي؟

قلت: لا، لكني قرأت مؤخرًا بحثًا عن جوامع الكلم (اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار، بل اجتماع العلوم الوافية في بضع كلمات، وقد يبسطها الشارحون في مجلدات). وقد حاولت تطبيق ذلك على ما طالعته في كتاباتك!

استوضح الأستاذ.

قلت: هناك جملة لك في كتاب «ملفات السويس»، جمعت الفترة الممتدة من القرن السادس عشر إلى بدايات القرن العشرين، من حكم العائلة العثمانية للعالم العربي وإدارة أمورها بعد أن تقبل العرب دولتهم راضيا وأعطاهم الخلافة، الجملة تقول بالحرف «اكتشف العالم العربي أنه نام على وهم ليصحو على كابوس»!

عاد الأستاذ هيكل لسياق الحديث قائلًا: رغم كل ما تعرضت له من مشاكل هنا زمن الرئيس السادات، إلا أنني اتخذت خيارًا بكامل حريتي وإرادتي، بأن أبقى بها مهما كانت المشاق، مبديًا رأيي مهما كانت المخاطر، مخالفًا قول الكاتب الفرنسي فولتير Voltaire «أن كل كاتب يجب أن يكون حرًا في اختيار وطنه... وطنه حيث توجد الحرية»..

فوطني هو وطني، فتحديد نقطة البداية وهي الوطن وما عليه من بشر وقضايا، قبل التوجه إلى الوجه الإنساني الأرحب، وبعدها وليس قبلها يتحقق اللقاء بالعالم الأوسع..

وكما تعلم، فعندما صدر قرار التحقيق معي أمام المدعي الاشتراكي (يونيو ١٩٧٨) جرى إعلاني في مكتبي (هنا)، وحين أرادوا مصادرة جواز سفري جرى تسليمه لهم من يدي مباشرة (هنا)، وعندما صدر قرار الاعتقال في سبتمبر ١٩٨١ لم يزد الأمر عن قرع باب شقتي (هنا)!

فبقائي (هنا) وتحت سلطة النظام يعطي مصداقية لما أقول كتابة وكلامًا، كون الكلام لابد أن يكون مسئولًا ليس لأنه في ظل القانون وإنما في مطال السلطة..

لم أرغب بدور اللاجئ السياسي، قد يصلح لشخص احترف السياسة، وليس لصحفي له رأي، فاللجوء السياسي خارج الأوطان يخلع جذر الشجرة من أرضها، ويرهن اللاجئ لسلطة جديدة يحتاجها بأكثر مما تحتاجه، وينتهي به المطاف من مقابلة الحاكم في اليوم الأول إلى التعامل مع ضابط مخابرات في اليوم الأخير رهينًا لسياسات ومقاصد!

■ ■ ■

الفصل السابع عشر:

لم تكن أمامنا نجمة تتلألأ*

> أي فنان كبير لا يرى الأشياء كما هي في الواقع.
> إذا فعل، فإنه سوف يتوقف عن أن يكون فنانًا.
> أوسكار وايلد Oscar Wilde

كتب المؤرخ الإنجليزي بول جونسون Paul Johnson [1] في كتابه: «العصر الحديث Modern Times»، أن النصف الثاني من القرن العشرين شهد ظهور رموز في حقول متباينة ومضامين حادة الاختلاف، وكل واحد منهم اختزل فكرة قادرة على تحفيز خيال الأكثرية وإلهاب حماسها!

فمثلًا: تشي غيفارا [2] رمزًا للثورة والعصيان، أرسطو أوناسيس [3] رمزًا للثراء والثروة، بابلو بيكاسو [4] رمزًا للإبداع الفني، ومارلين مونرو [5] رمزًا للجاذبية الجنسية وغواياتها!

---

* أدونيس، ديوان «أوراق في الريح»، قصيدة «مرثية القرن الأول».

(1) مؤرخ بريطاني من مواليد عام ١٩٢٨. له عدة مؤلفات منها: المؤامرة الثلاثية ضد العرب، جورج واشنطن الأب المؤسس، العصر الحديث: تاريخ العالم من ١٩٢٠ - ١٩٨٠.

(2) الثوري العالمي. ولد سنة ١٩٢٨، وتوفي سنة ١٩٦٧. سياسي كوبي من أصل أرجنتيني. صديق فيدل كاسترو (زعيم الكوبي) عمل على نشر الثورة في أمريكا اللاتينية. قُتل في حرب العصابات ببوليفيا.

(3) قطب الأعمال اليوناني. ولد سنة ١٩٠٦، وتوفي سنة ١٩٧٥. من أغنى وأشهر رجال الأعمال في العالم. كون ثروة كبيرة وأسطول بحري ضخم. وتزوج من السيدة أثينا ابنة عملاق الشحن ستفروس ينيوس، ومن مغنية الأوبرا ماريا كالاس، ومن السيدة جاكلين كينيدي أرملة الرئيس الأمريكي جون كينيدي.

(4) ولد سنة ١٨٨١، وتوفي سنة ١٩٧٣. من أشهر مصوري العالم المعاصرين. ولد في ملقة بإسبانيا وعاش في فرنسا. اعتمد في فنه عدة اتجاهات حديثة أهمها التكعيب. من أشهر لوحاته «آنسات أفينيون»، و«غرنيكا». أحدث تأثيرًا بالغًا في تطور الفن الحديث.

(5) ولدت سنة ١٩٢٦، وتوفيت سنة ١٩٦٢. ممثلة أمريكية، ولدت في لوس أنجلوس. من نجوم السينما الكبيرات. من أفلامها «نياغرا Niagara»، «نهر بلا عودة River of No Return»، «البعض يفضلونها ساخنة Some Like It Hot».

خصر مارلين مونرو ولمسات الفتنة والإغراء!

سألت الأستاذ: هل ترى مارلين مونرو رمزًا للإغراء الأنثوي؟

أجاب الأستاذ: لا شك بأنها تمتلك مسحة من سحر ولمسة من جاذبية، خاصة بأنها ومضت بغتة كشعلة في هوليوود وكذلك خبت فجأة، وقد رحلت وهي في حدود السادسة والثلاثين، بمعنى أن جمالها أدرك غايته، ورغم أن الإعلام أطلق عليها في البداية «الشقراء الغبية dumb blonde»، إلا أن زواجها من المسرحي آرثر ميلر، ثم دخولها بعلاقات مع الأخوين كينيدي (جون وروبرت)، وعملها كعارضة أزياء، ثم ممثلة في هوليوود، أعطاها تجربة بطريقة أو بأخرى!

ترددت كثيرًا قبل طرح سؤالي، وهو بفطنته لاحظ ذلك، واستفسر: هناك «لغم» يلوح في خاطرك؟

تلعثمت: نعم، الحقيقة، هي ظهرت كموديل جنسي، وصورها ملأت الميديا، ترى ما أكثر ما جذبك إليها؟

ضحك الأستاذ: أنا لم أنجذب إليها، ولكن لا شك، بأنها كانت تكوين أنثوي مثير!

استطرد كما يحلو لو دائمًا: نهايتها مأساوية، اقرأ كتاب سيمور هيرش Seymour Hersh[1] «الجانب المظلم من كاميلوت The Dark Side of Camelot»، كذلك كتب ديفيد هيمان David Heymann عن جون كينيدي وزوجته جاكي، وبهما اتهام صريح بأن الشقيقان كينيدي أسهما بقتلها بطريقة تبدو وكأنها انتحرت (جون أصدر أمرًا بالخلاص منها، وروبرت حضر جلسة حقنها بالسم)!

الدفء اللذيذ الذي يسري في شفتي آفا غاردنر، والسحر النعسان بين جفني غريس كيلي!

(١) ولد سنة ١٩٣٧. محقق صحفي وكاتب سياسي أمريكي مقيم في العاصمة واشنطن. مساهم في مجلة نيويوركر عن المسائل العسكرية والأمنية. فاز بجائزتين من جوائز المجلة الوطنية، كما فاز لخمس مرات بجائزة بولك، وحاز على جائزة جورج أورويل عام ٢٠٠٤. حصل على أول اعتراف في عام ١٩٦٩ لفضحه مذبحة ماي لاي والتستر عليها أثناء حرب فيتنام، وعليه فقد حصل على جائزة بوليتزر ١٩٧٠ للإبلاغ الدولية. في عام ٢٠٠٤ قدم تقريرًا عن سوء معاملة الجيش الأمريكي للمحتجزين في سجن أبو غريب بالعراق.

استأذنت إن كان بإمكاني الاستمرار بنفس نوعية الأسئلة؟

وهو قال بالحرف: shoot سددا!

استفسرت: نجمات هوليوود كثر، هل هناك من قابلتهم أو أعجبت بهم، لا كفن وأداء، ولكن كجمال؟

أجاب: تاني، المهم، أيام الشباب، زمان، هناك آفا غاردنر Ava Gardner[1]، وغريس كيلي Grace Kelly[2]، وهي أصبحت فيما بعد أميرة موناكو، وهي بدورها أيضًا كانت نهايتها مأساوية (حادث سيارة)، لم أقابلها، لكني قابلت لانا تيرنر Lana Turner[3]، في مدينة لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا، ذهبت للولايات المتحدة سنة ١٩٥١ لإجراء ثلاثة تحقيقات، عن: الرأسمالية الكبيرة التي تحكم أمريكا، وعن التمييز العنصري ضد السود، والجريمة المنظمة ودور عصابات المافيا في الحياة الأمريكية!

كانت الملكة الأم «نازلي» تسكن في مدينة لوس أنجلوس (شارع تاور رود Tower Rd)، والبيت كان مزودًا بحمام سباحة Swimming pool، وهناك تعرفت هي على كثيرين من نجوم هوليوود (المسافة بين المدينتين لا تتجاوز ١٠ كلم)، وقد تحولوا ضيوفًا لبيتها ومتواجدين في حفلاتها!

كانت قصة غرام الأميرة فتحية مع موظف السلك الدبلوماسي (قنصلية مصر في سان فرانسيسكو) رياض غالي، قد بدأت بالتصاعد، وهكذا كان موضوعي الرابع الذي أغطيه!

وذهبت لمقابلة الملكة نازلي، وكان ضمن ما سألتني فيه: عن مكان إقامتي؟

قلت لها: في فندق هوليوود بلازا Hollywood Plaza Hotel (تم افتتاحه يوم الخميس ١٥ أكتوبر ١٩٢٥، حاليا أضحى يؤوي العجزة وكبار السن!).

(١) ممثلة أمريكية ولدت سنة ١٩٢٢، وتوفيت سنة ١٩٩٠. بدأت العمل في التمثيل سنة ١٩٤١، ورشحت للأوسكار سنة ١٩٥٣ عن أفضل ممثلة لدور في فيلم «الموكامبو Mogambo». توفيت في لندن.

(٢) ممثلة أمريكية ولدت سنة ١٩٢٩، وتوفيت سنة ١٩٨٢. أميرة موناكو بعد اقترانها بالأمير رينيه الثالث. بدأت التمثيل سنة ١٩٥٠، واكتسبت شهرتها في دورها بفيلم الموكامبو حصلت على جائزة الأوسكار عن دورها في فيلم «ست نند The Country Girl». اقترنت سنة ١٩٥٦ واعتزلت التمثيل. توفيت أثناء قيادتها للسيارة بجلطة دماغية مما أدى لوقوع حادث

(٣) ممثلة أمريكية. ولدت سنة ١٩٢١، وتوفيت سنة ١٩٩٥. بدأت التمثيل سنة ١٩٣٧. واشتهرت بفيلم «لن ينسوه They Won't Forget» سنة ١٩٣٧. وترشحت لجائزة الأوسكار سنة ١٩٥٧ عن أفضل ممثلة لدور في فيلم «مكان بيتن Peyton Place».

قالت: تعال الليلة وأسهر معنا، سيكون معنا على العشاء الفنانة ماريون ديفيز Marion Davies[٤]!

قلت لها: ياه، دي من زمن السينما الصامتة!

قالت الملكة: أذن من يعجبك من نجمات هوليوود وترغب بمقابلتها؟

فقلت لها: لانا تيرنر!

قالت الملكة: إذا موعدنا في السادسة مساء، انتظر في ردهة الفندق Lobby، سأرسل لك سيارة (كاديلاك Cadillac Coupe de Ville) تأتي بك.

المهم في الساعة السادسة تقريبًا، كنت جالسًا في الردهة، وأصداء جلبة وصخب في الخارج، ثم ناس مجتمعون حول نجمة سينمائية شهيرة، والمفاجأة كانت لانا تيرنر بنفسها!

وقد اتجهت لموظف الاستقبال تطلبني بالاسم، وعلمت أن الملكة نازلي التمست منها أن تمر عليّ لتأخذني معها، وهكذا رافقت نجمتي المفضلة، وأنا في شدة الحياء وفي مأزق مؤلم!

استرسل الأستاذ في ذكرياته: لم أنظر إليها على طول الطريق، فقد أغاظني منظر الناس، وهم يرونني بجوارها، ونحن نهبط سلم الفندق، وروت لانا تيرنر للملكة نازلي كل ما حدث وقالت لها إنني لم ألتفت إليها على طول الطريق!

قاطعته مستفسرا؟

كان تبريره: الملكة نازلي عقبت بعد أن وصفت لها لانا تيرنر ما جرى لي، «بأني فلاح مصري، والفلاحون لا يمكنهم رفع أعينهم في النساء»!

استفسرت منه إن كان هناك غير لانا تيرنر من نجمات هوليوود قد قابلها أو اجتمع بهم؟

كان رد الأستاذ: نعم هناك مارلين ديتريش Marlene Dietrich[١]، رافقتنا - بالمصادفة البحتة - أنا والأستاذ مصطفى أمين لمدة خمس ساعات بين نيويورك وباريس، في طريقنا للقاهرة، بعد رحلة إلى نيويورك للاتصال بالصحافة الأمريكية والعالمية المهتمة بأزمة تأميم قناة السويس، في بداية أكتوبر ١٩٥٦.

(٤) ممثلة أمريكية. ولدت سنة ١٨٩٧، وتوفيت سنة ١٩٦١. من أفلامها: «المواطن كين Citizen Kane»

(١) ممثلة أمريكية من أصل ألماني. ولدت سنة ١٩٠١، وتوفيت سنة ١٩٩٢. اشتهرت بفيلمها «الملاك الأزرق The Blue Angel» سنة ١٩٣٠. حصلت على الجنسية الأمريكية سنة ١٩٣٩

وكان الأستاذ مصطفى أمين فرحًا جدًا بعد أن علم بمرافقتها لنا على نفس الطائرة وقرب مقاعدنا، فهي من نجماته المفضلات، وعندما ذهبت للحمام وعادت مرتدية قميص نوم لونه أزرق، علق قائلا: نحن تحت زرقة السماء، وفوق زرقة المياه (المحيط الأطلسي) وأمامنا نجمة بقميص نوم أزرق، وهي بطلة فيلم الملاك الأزرق The Blue Angel!

وهناك لويز رينر Luise Rainer[١]، وقد تحولت لصديقة، فقد كانت مقترنة من روبرت كنيتل Robert Knittel (مدير نشر في أكبر دار نشر بريطانية ويليام كولينز William Collins والتي تملك حقوق نشر كتب الأستاذ)، وهو بالمناسبة زوجها الثاني، وهو للمفارقة مولود في مصر (أسرته كانت تعمل في تجارة القطن في مدينة الإسكندرية)، وهكذا جمعتنا عدة أمور مشتركة!

استوضحت منه بأن كل من ذكرهم ينتمون لزمن مضى، فماذا عن نجمات اليوم؟

هو أجاب: بأن ما يلفت نظره الآن هو دقة الأداء، أكثر من لمسة جمال، فمثلا الفنانة البريطانية هيلين ميرين Helen Mirren[٢]، أحاول متابعتها قدر الإمكان..

ثم قادنا الحوار لمواضيع أخرى، وحكايات متشعبة..

وعند مغادرتي رافقني الأستاذ (كما يفعل مع أغلب ضيوفه) حتى باب المصعد، وتوقفنا بانتظار قدومه، وقلت له متخابثًا: لكنك أستاذ استلهمت من عنوان أحد أفلام مارلين مونرو، عنوان لإحدى مقالاتك؟

بدا الأستاذ حائرًا!

قلت له: أحد عناوين أفلامها «البعض يفضلونها ساخنة Some Like It Hot»[٣]،

(١) ممثلة أمريكية من أصل ألماني. ولدت سنة ١٩١٠، وتوفيت سنة ٢٠١٤. بدأت التمثيل في سن السادسة عشر وأول عمل لها في السينما الأمريكية سنة ١٩٣٥ بفيلم «الطيش Escapade» وفازت بجائزة الأوسكار عن دورها فيه وكررت الفوز بنفس الجائزة عن دورها في فيلم «الأرض الطيبة The Good Earth» سنة ١٩٣٧ وهو للكاتبة الأمريكية بيرل بك Pearl Buck

(٢) ممثلة بريطانية. ولدت سنة ١٩٤٥، بدأت التمثيل في فرقة شكسبير الملكية سنة ١٩٦٧. حصلت على جائزة الأوسكار سنة ٢٠٠٧ عن دورها في فيلم «ملكة The Queen»

(٣) فيلم كوميدي رومانسي من إنتاج عام ١٩٥٩، من إخراج وإنتاج بيلي وايلدر Billy Wilder، بلغت ميزانيته ٢.٩ مليون دولار، بلغت إيراداته ٤٠ مليون دولار

ولك مقال في الأهرام بعنوان «البعض يحاربونها باردة» [1]!

واستمر الأستاذ في الضحك، قائلًا: أنت مش معقول، أمشي بقى!

ونزل بي المصعد، على وقع ضحكته وابتسامته القادمة للتو من الجنة!

وبعد وصولي للفندق، وتفريغ ما جاء بيني وبينه على ورق، تذكرت أنني لم أساله عن أي من الفنانات العرب، سواء أعجب بأدائهن كفن، أو بجمالهن كأنثى!!

■ ■ ■

(١) مقال يوم الجمعة ١٦ إبريل ١٩٧١.

الفصل الثامن عشر:

وديعًا كحبة قمح *

> كلمة رقيقة، نظرة طيبة، ابتسامة لطيفة،
> يمكن ان تصنع عجائب وتنجز معجزات.
> وليلم هزليت William Hazlitt

حوض الزهور!

بيتي الريفي الصغير في «برقاش» حينما وصلنا إليه عصر يوم ٣ سبتمبر ١٩٨١، للقيام بعملية تفتيش بحثًا عن الأوراق السياسية الخاصة بي، كان تحت احتلال عسكري كبير، فقد سبقتنا لواري من محافظة الجيزة التي تتبعها الناحية التي يقع فيها، وكان أكثر ما أسفت له حين وصلنا ساحة البيت أن لواري البوليس داست بعض أحواض الزهور المحيطة به، وبدا اهتمامي بالزهور في تلك الظروف مدعاة للاستغراب.

وشغل أحد الضباط المرافقين نفسه بإصدار الأوامر إلى جنوده الذين انتشروا تحت أشجار المانجو يأكلون ثمارها بأن يكفوا عما يفعلون. ورجوته بأن يتركهم كما يشاؤوا شريطة أن يبتعدوا عن أحواض الزهور.

وتطلع الضابط إليه مندهشًا ولسانه يقول: «إحنا في إيه وأنت إيه؟!»

شيك.. أنقذ الموقف!

أنجب الأستاذ توفيق الحكيم ولدين: إسماعيل وزينب. وبسبب تعقيدات العلاقات بين جيلين ساءت العلاقة بين الأب والأبن. فإسماعيل كان راغبًا بتأسيس فرقة موسيقية، ولجأ لوالده، الذي رفض مساعدته!

فلجأ إسماعيل لحيلة، مقدمًا لوالده على مدى ١١ يوما مبلغ ٢٠ جنيها، زاعمًا له أن المبلغ

* أدونيس: ديوان «قصائد أولى» - قصيدة «حجر الضوء».

قد يصل إلى ١٥٠ جنيها لو كانت له فرقة. وهنا سأل لعاب الحكيم مستفسرًا عن تكاليف تأسيس الفرقة؟

وكانت الإجابة ١١ ألف جنيه. وبالفعل قدم الحكيم لولده هذا المبلغ شريطة تسديد مبلغ ١٠٠ جنيه يوميا.

وأسس إسماعيل الفرقة، وكان يتخذ من فندق مينا هاوس (الجيزة) مكانًا لتقديم ورقته، والتي نجحت بجدارة!

لكنه لم يدفع لوالده سوى مبلغ ٤٠٠ جنيه، مما ادى لطرده من البيت، لإخلاله بشرط التسديد!

وهنا اتصلت قرينة الحكيم بالأستاذ هيكل مناشدته التدخل لحل الأزمة الناشبة بينهما وبالفعل طلب الأستاذ هيكل من مدير عام الأهرام الدكتور فؤاد إبراهيم، أن يجهز شيكا بمبلغ ٥٠٠٠ آلاف جنيه، ومستدعيًا الحكيم لمكتبه.

وشرح له الأستاذ هيكل بأن المطلوب أن تغطي خبر نشوء فرقة جديدة تعزف موسيقى الروك في فندق مينا هاوس، وهنا اهتاج الحكيم رافضًا!

فقال له الأستاذ هيكل بأنه مضطر لإعادة الشيك للخزينة وإلغائه!

طلب الحكيم من الأستاذ التروي، مشككًا بقيمة الفرقة التي يقودها ابنه إسماعيل. فجزم له الأستاذ هيكل بأن كلماتك هي القيمة الحقيقية.

وبالفعل أخذ الحكيم الشيك، ورافق الأستاذ هيكل في المساء إلى فندق مينا هاوس.

وكتب المقالة رابطًا فيها حكايات العوالم والرقص القديم وهوايته الفنية القديمة بالفرقة الجديدة التي أسسها نجله.

وبعد أن انفض السامر، عاد إسماعيل برفقه والده للبيت!

رماد هيروشيما.. غالي!

لقد كان من سوء حظي أو حسن حظي - لا أدرى - أنني زرت في يوم من أيام يناير سنة ١٩٥٣ مدينة هيروشيما التي كان من نصيبها أن تكون أول بقعة على الأرض تلتقي وجهًا لوجه بالقنبلة الذرية.

وكانت القنبلة الذرية في بداية عمرها ولم تكن قد وصلت إلى الذي وصلت إليه الآن والذي يقدره العلماء بأنه أقوى - أي أشد تدميرًا - مما كانت عليه القنبلة أيام هيروشيما بألف مرة على الأقل!!

ولقد قُتل في هيروشيما ١٦٨٠٠٠ شخص من تأثير هذه القنبلة التي كانت يومها في بداية عمرها وأصبحت الآن أقوى مما كانت ألف مرة على الأقل!

ولقد تقدم إليّ، وأنا واقف أتفرج على بؤرة الانفجار في هيروشيما، شاب ياباني يحمل مجموعة من تذكارات انفجار القنبلة الذرية يبيعها للزوار.

وعرض عليّ الياباني أنواعًا من التذكارات رأى أنها لم تثر حماستي، فإذا هو يقدم لي زجاجة صغيرة فيها حفنة رماد.. ثم يقول لي:

هذه بقايا طفلة صغيرة لم يبق منها إلا هذا الرماد.. هل تحب أن تشتريها وتحتفظ بها في بيتك وتقول أن لديك رمادًا ذريًا لطفلة من هيروشيما.. إن الثمن رخيص.. ألف ين فقط!

وتأملت الرماد الحزين، ثم هززت رأسي وقلت:

شكرًا.. إن ثمنه غال بالنسبة لي.

ولم يفهم بائع التذكارات الياباني في هيروشيما فعاد يقول:

خذه بخمسمائة ين فقط.. ها هي.

ومرة ثانية هززت رأسي وقلت:

شكرًا.. مازال الثمن غاليًا.. لست أقصد الثمن بالين الياباني.. حتى لو أعطيتني الرماد من غير ين واحد.. سأظل أرى أن الثمن غال.. هل فهمتني؟

ولم يبد عليه أنه فهم.. ولكنه مضى إلى حال سبيله على أي حال؟

ادفع بالتي هي أحسن..!

في أحد أيام سنة ١٩٦٨ رن الهاتف في مكتب المقدم إلهامي فايد مأمور قسم الجيزة، وإذا بالمتحدث على الجهة الأخرى يعاجله بقوله: «سيادة المأمور، أنا أحد رعاياك في هذه المنطقة،

أي إنني جارك أيضًا، ولعلك تعفيني من ذكر اسمي فالأسماء هنا لا تهم، لأن المشكلة التي أود أن أستأذنك في عرضها عليك قضية عامة».

وعلى الرغم من أن المتحدث المجهول لم يقدم نفسه، إلا أن المأمور احتفى به، لصوته المقنع، ولكنته الدمثة.

واستطرد صاحب الصوت الآسر: «إنك ولا شك تسمع صوت مكبس الأساسات تنقض كالمطارق في هذه الساعة على أعماق الأرض في إنشاء أساسات مبنى فندق الشيراتون (فندق شيراتون القاهرة وهو بجانب منزل ومكتب الأستاذ هيكل، وقد افتتح سنة ١٩٧٠)، وأنا أعلم طبعًا أن دق خوازيق الأساس أمر لابد منه. ولكن، ألا ترى معي يا سيادة المأمور أن من حق الناس أن يهنئوا بقيلولة مقدارها ساعتان فقط بعد الظهر؟ أنا أدع هذه الشكوى أمانة بين يديك، وأرجو أن تتدخل بأناة، وبأسلوب الآية الكريمة «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»..

والمأمور تعهد للمتحدث المجهول خيرًا ووضع السماعة. ورأى أن وجهة النظر لا تخلو من صحة، فقام واتصل بالمهندس المشرف على الإنشاء، وتمكن أن يتوافق معه بسلاسة على تغيير ساعات العمل بحيث يأخذ المكبس إجازة ما بين الساعة الثالثة والسادسة.

وفي اليوم التالي رن الهاتف مرة أخرى في مكتب المأمور فإذا نفس صاحب الصوت المجهول يقول: «سيادة المأمور، أنا الساكن المجهول الذي استعان بك البارحة ولم يخيب ظنه، فاسمح لي أن أشكرك باسمي وباسم جيرانك، وأسمح لي أن أقدم لك نفسي.. محمد حسنين هيكل، رئيس تحرير الأهرام»!

نوال المحلاوي.. وجناح ٢٠٠٧!

في أغسطس سنة ١٩٩٩ كان الأستاذ هيكل يقضي إجازته في منزله بالساحل الشمالي (قرية الرواد - وهي عادة سنوية)، كان مرتديًا ملابسه المتسقة مع ألوان البحر والمكان!

الشاطئ برماله الناعمة، ولون البحر مزيج من الأزرق والأخضر والتركواز لتشكل ما يعرف باللون اللازوردي!

كان السيجار الكوبي على المنضدة وبجواره علبة كبريت ضخمة، وكتاب بين يدي الأستاذ هيكل يقلب أوراقه..

كان قد بدأ صباحه بالمشي فوق الرمل الناعم لنصف ساعة، ثم أغراه الموج ولونه بأن يسبح وسط زرقته (لونه الأثير) ومياه الدافئة، وبعد دوش سريع، كان يجلس لمطالعة كتاب: «Endgame: Solving The Iraq Crisis - نهاية اللعبة: حل أزمة العراق» وهو لسكوت ريتر Scott Ritter (مفتش الأمم المتحدة على الأسلحة في العراق ١٩٩١ - ١٩٩٨) بعد قليل رن الهاتف (الواحدة ظهرًا تقريبًا)، وحولت إليه المكالمة (لم تستغرق بضع دقائق)، تحمل له خبر وفاة سكرتيرته السابقة السيدة نوال المحلاوي (الثلاثاء ١٧ أغسطس) - كان الخبر مزلزلًا (كما قال، المفارقة أنني منذ الصباح كنت أتابع أخبار الزلزال المدمر في شمال تركيا والذي أسفر عن مقتل ما يفوق ١٧ ألف شخص، والمفارقة الثانية كانت عنوان الكتاب نهاية اللعبة أو الشوط، وبرحيلها كانت نهاية لشوط معاناتها مع المرض الخبيث الذي استمر سنة كاملة!)

قرر الأستاذ قطع إجازته فورًا، والعودة إلى القاهرة للمشاركة في جنازة الراحلة (هي خريجة الجامعة الأمريكية، وباتت شخصية ذائعة الصيت في مصر والعالم العربي كونها سكرتيرة الأستاذ هيكل ومديرة مكتبه في جريدة الأهرام).

وسط دوامة الأحداث المتلاحقة، والهموم والأحزان، تذكر بأن منزله يخضع لعمليات تجديد وأعمال ديكور، فتوجه إلى فندق شيراتون الجزيرة (هو اليوم سوفيتيل) لينزل فيه ريثما تنتهي عمليات التجديد، وقريبًا من أسرة الراحلة (ابنتها الوحيدة أمينة)..

ومشى الأستاذ في جنازة الراحلة، وهناك شاهد أحد العاملين في مكتبه (الحاج حسين دوس الذي عمل في مكتبه من ١٩٦١ حتى مغادرته مبنى الأهرام) فاحتضنه بقوة محاولًا التخفيف عنه!

المشروع القومي للترجمة!

في شهر فبراير ١٩٩٨ كان الأستاذ هيكل يتبرع بمبلغ ٢٠ ألف جنيه للمشروع القومي للترجمة الذي يصدره المجلس الأعلى للثقافة. وقد تابع الأستاذ ما صدر من أعمال مترجمة عن المركز متوقفًا أمام بعض عناوينها.

وعندما علم أن المشروع يتعرض لحالة تعثر مالي قرر أن يدعمه..

وفي شهر مايو ٢٠٠٦، عاد وتبرع مرة ثانية بمبلغ ٣٠ ألف جنيه عندما تعرض المركز لظروف صعبة، فكان بمثابة طوق النجاة للمركز!

عيد ميلاد نجيب محفوظ الـ ٥٠!

الأديب نجيب محفوظ الذي فاجأه الأستاذ هيكل يوم الإثنين ١١ ديسمبر ١٩٦١ (سبوعه الخمسين) بترتيب حفل خاص في جريدة الأهرام، حضره لفيف من كبار الشخصيات الفنية والثقافية، كما حرص الأستاذ هيكل على دعوة كوكب الشرق السيدة أم كلثوم، لعلمه بأن نجيب محفوظ يعشقها، حتى إنه أطلق اسمها على كبرى كريماته لكنه لم يكن قد التقى بها، وكانت تلك أيضًا المرة الأخيرة التي يقابلها!

نموذج في العطاء!

في صبيحة أحد أيام شهر سبتمبر ١٩٨١، وبينما الأستاذ هيكل في سجن طرة، ورفيقه الدكتور عبد العظيم المغربي، وقد فاتحه بأن كل المعتقلين قد فوجئوا بإجراءات اعتقالهم دون فرصة لترتيب ظروفهم، والعام الدراسي على وشك أن يبدأ، وهناك بالطبع أسر بحاجة للمساعدة.

ولذلك فقد طلب منه الأستاذ هيكل أن يعد له قائمة بأسماء ومبالغ لمن يحتاج للمساعدة، حتى يستطيع أن يتصرف ويمد لهم يد العون.

وبالفعل وضع الدكتور المغربي قائمة، مُفاتحا كل اسم بإجراءات المساعدة، حتى لا يساء الظن.

وبالفعل أخذ الأستاذ هيكل القائمة، وسربها لأحد أفراد أسرته، أثناء التحقيق معه أمام المدعي الاشتراكي.

وكانت السيدة التي تطرق أبواب أسر المعتقلين بعد صلاة العشاء سواء في القاهرة أو خارجها (وجه بحري أو قبلي)، كي توصل لهم الأمانة هي السيدة قرينة الأستاذ هيكل، السيدة هدايت تيمور، وذلك بناء على طلبه شخصيًا!

حكايات هيلتون النيل!

في العام ١٩٥٩ افتتح الرئيس جمال عبد الناصر فندق هيلتون النيل (بحضور نجمة هوليوود جين راسل Jane Russell)، وكان حديث البلد كلها.. وكان صحفيو جريدة الأهرام يجمعون القرش على القرش لكي يأكلوا في مطعم الهيلتون.. وأيامها كانت الوجبة (الدجاج بثلاثين قرشًا) وزجاجة (الكوكا كولا بسبعة قروش) وهكذا..

واكتشفت مجموعة من صحفيي الأهرام بزعامة الأستاذ محمود كامل القائد الكبير commandant كما كان يناديه أصدقاؤه، أن للأستاذ هيكل طاولة مخصوصة باسمه، يسهر عليها مع مدعويه إذا ذهب إلى الهيلتون، وأشار لهم كبير العاملين المترودوتيل (Maître d'hôtel) إلى طاولة الأستاذ، فجلسوا عليها (الأساتذة محمود كامل، عزت السعدني، علي حمدي الجمال وغيرهم)، وقال الأستاذ محمود كامل له: «الأستاذ هيكل قال لنا اسقوني وأنا أحصلكم!»

وتعشوا وشربوا كل أنواع الشراب، وفي آخر الليل قال محمود كامل للمترودوتيل: «الحساب عند الأستاذ»!

وقد بذلوا جهدًا خلال أسبوع كامل، ألا يصادفوا الأستاذ، لا في اجتماع ولا حتى في ممرات الأهرام أو حتى على السلالم! إلى أن اصطادهم الأستاذ على سلم مبنى الأهرام القديم (شارع مظلوم بوسط البلد)، وقال لهم باسمًا: «بقى تتعشوا في الهيلتون بـ ٤٠٠ جنيه يا مفتريين»!

ثم انصرف على الفور بشوشًا، ولم يفعل شيئًا، بينما تجمدوا في مكانهم على السلم، دون أن تصدر منهم كلمة واحدة!

■ ■ ■

الفصل التاسع عشر:

الورقُ النائم تحت الريح *

> البداية هي النهاية والنهاية تتكرر في البداية وهكذا دواليك.
> صموئيل بيكيت Samuel Beckett

كتب الأستاذ هيكل عدة كتب لم تنشر، أو راودته مشاريع كتب بدأ بها ولكن لم يكملها!

١ - حكاية العرب والأمريكان!

ذكر الأستاذ هيكل وهو يحلل العلاقات العربية - الأمريكية:

«قصة العلاقات العربية - الأمريكية تستحق أن تكتب كاملة ذات يوم، **فهي فصل مهم** من التاريخ العربي القريب، ثم هي صراع إنساني حافل غني بالأفكار والشخصيات، ثم هي أخيرًا دراسة ممتعة في سياسة الدول النامية الصغيرة وديبلوماسيتها ومحاولتها المستميتة لإثبات وجود إيجابي مؤثر في عالم تحكمه القوى المتقدمة الكبرى في خلافها معًا أو في اتفاقها معًا على حد سواء!»

(تناول الأستاذ هيكل تلك العلاقة بشكل عاصف في عدة كتب، ولكن لم يصدر كتاب متخصص في سبر أغوار تلك العلاقة، خاصة بأنه هو من سبر أغوار العلاقات العربية مع القوى العظمى المرادفة للأمريكان في كتابه: حكاية العرب والسوفييت!)

٢ - خروشوف وأسراره!

قال الأستدد هيكل في معرض استعراضه للزعيم السوفيتي نيكيتا خروشوف قيصر الكرميين الأحمر:

* [illegible] «أغاني مهيار الدمشقي» قصيدة «[illegible]»

«إن خروشوف كان شخصية نادرة، لم يكن في نظري زعيمًا خارق المواهب ولكنه كان ولا يزال في تقديري إنسانًا يستحق دراسة عميقة وأظنه ظاهرة من الظواهر غير العادية التي لمعت على القمة الدولية في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات... وفي وقت من الأوقات راودتني فكرة وضع كتاب عنه لأن الظروف أتاحت لي أن أعرفه أكثر مما عرفه أي صحفي آخر ربما في العالم. ولست أعتقد أنه كان شريرًا ولكني أعتقد حقيقة أن حيويته كانت متدفقة بأكثر مما تسمح به الأوضاع الرسمية لعمله ودوره».

(تناول الأستاذ هيكل شخصية خروشوف في مجموعة من كتبه، ولكن لم يصدر كتابًا متخصصًا عنه ؟)

٣ – عبد الناصر: مصر والعرب والعالم!

تحدث الأستاذ هيكل في معرض حديثه عن آخر عمالقة العرب جمال عبد الناصر رمز حركات التحرر الوطني في العالم الثالث المتطلع لغد جديد: «القصة الكاملة لجمال عبد الناصر سوف تكتب في يوم من الأيام راجيًا أن تتيح لي الظروف فرصة المشاركة في كتابتها كاملة (كتب الأستاذ عدة كتب تناولت حياة عبد الناصر، سواء علاقاته الدولية (وثائق القاهرة)، تفنيد بعض التهم الموجهة لعهده (لمصر لا لعبد الناصر)، معركة السويس (آخر المعارك في عصر العمالقة)، وكذلك علاقاته مع الأقطاب الدولية في الصراع على وفي الشرق الأوسط (رباعية حرب الثلاثين سنة)، وغيرها من الكتب!

كنت قد سألته في أول لقاء جمعني به (يونيو ١٩٩٤)، وكان بالكاد قد فرغ من رباعيته (حرب الثلاثين سنة)، عن مشاريعه القادمة؟

وهو أجاب: «توثيق ومراجعة حياة جمال عبد الناصر، عن ظن بأني الأقدر بحكم أنني كنت أحد أقرب الناس إليه، ولن يكون الكتاب عن تاريخ ناصر ولكن سيرة له، وهو مشروعي الثابت والأصيل».

أردف قائلًا: «نعم الرباعية تناولت جزءًا من سيرته في ٥٦ و٦٧ و٧٣، لكن الكتاب الذي أنوي كتابته عنه سيتناول سياسته العربية، وسياساته الداخلية، والتكوين النفسي والثقافي له، ورؤيته الاجتماعية وغيرها من المواضيع المتعلقة به»!

توقف قليلًا ثم أكمل: «لقد كتبت أجزاء مهمة من الكتاب، ولم يتبق إلا بعض الرتوش والإضافات، وبالطبع الكتاب به ملحق وثائقي ليدعم ويساند»!

٤ – العالم العربي اليوم!

روى الأستاذ هيكل في معرض تناوله لكتاب عن العالم العربي إثر غياب ناصر ونتائج حرب أكتوبر وبدايات حقبة البترول:

«هو كتاب أخذت في إعداده منذ ١٩٧٥ (بعد تفرغه من كتاب: الطريق إلى رمضان). وفي الإعداد له فإني قمت برحلة واسعة إلى مغرب العالم العربي ومشرقه (باستثناء ليبيا لعدم استفزاز الرئيس السادات) أحاول تجديد معرفتي به، وألتقي وجها لوجه بالتيارات المؤثرة فيه وبالرجال الذين يوجهون مصائره.

وفرغت من إعداد مسودة كاملة لهذا الكتاب في منتصف ١٩٧٦، وكان مفروضًا أن يبدأ طبعه ونشره في بداية ١٩٧٧، لكن تطورات الحوادث في لبنان (مذبحة الكرنتينا ومجزرة الدامور، وانتخاب الرئيس إلياس سركيس، ودخول قوات الردع العربي بقيادة الجيش السوري وبمشاركة قوات سعودية وإماراتية وسودانية ويمنية، ومجزرة تل الزعتر، واغتيال كمال جنبلاط) دعتني إلى إعادة النظر في بعض فصوله، وقمت بذلك فعلًا، وفرغت من إعداد نص معدل ونهائي قرب نهاية ١٩٧٧، ليكون الكتاب معدًا للطبع والنشر في ربيع ١٩٧٨.

وأتذكر أنني كنت في لندن في شهر أكتوبر ١٩٧٧ وراجعت للمرة الأخيرة بروفات كل صفحة من صفحات الكتاب، ووضعت توقيعي على تصميم غلافه، وعدت إلى القاهرة مطمئنًا إلى أنه لم يبق غير دوران المطابع في أسكتلندا ويتم كل شيء.

لكني لم أكد أعود إلى القاهرة حتى انفجرت المفاجأة التي اصطلح على تسميتها بوصف المبادرة، وإذا أوضاع العالم العربي كلها تنقلب رأسًا على عقب، وفي وسط كل الهموم النازلة فقد وجدتني أمام هم محدد ومباشر وهو أن أبعث إلى الناشرين في لندن أرجوهم تأجيل كتاب العالم العربي لأن مفاجآت الحوادث تجاوزت كثيرًا مما كتبت، خصوصًا عن الصراع العربي – الإسرائيلي!».

(لم ير النور هذا الكتاب، ومخطوطته كانت قد سلمت لجريدة التايمز ودار كولينز، ولا نعرف ما هو مصيره، هل بقي لديهما، أم تم استرداده، وإذا استرده الأستاذ هيكل فهل بقي في لندن أم استعاده للقاهرة ؟).

٥ - ظهور وتراجع القوة العربية!

تكلم الأستاذ هيكل عن خطة عمله لعام ١٩٨٤ منوهًا:

«بعد فراغي من كتاب: خريف الغضب، حاولت أن أكتب لمجموعة الناشرين التي تملك حق نشر كتبي في العالم عن ظهور وتراجع القوة العربية. وبدأت المحاولة فعلًا. ثم كتب أن الذي تراجعت مؤقتًا عما اعتزمت. فقد وجدتني أصف عالمًا عربيًّا كل أحواله تدعو للرثاء، ولم أشأ أن يكون ما أكتبه سهمًا جديدًا تتكسر به النصال على النصال!».

(هل لاحظت استخدام الأستاذ هيكل لكلمة «تراجع» وليس لكلمة «انكسار» ؟ - ربما لا أحد يعرف إن كان الأستاذ قد أكمل الكتاب بعد أن توقف مؤقتًا، خاصة بأن مسلسل الرثاء استمر في الهبوط عندما استباح الغرب لنفسه حق النزول لاحتلال عاصمة عربية هي بيروت، وبدعوى إنقاذها من احتلال إسرائيلي وصل بالفعل إلى قلبها، فقد استعرت الحرب الأهلية في بيروت، فيما استمرت الحرب العراقية الإيرانية في استنزاف جميع الفرقاء، واندلاع حرب داخلية في عدن، ومسلسل الانقلابات في الخرطوم، وهجرة اليهود السوفييت لفلسطين، وجريمة ضم الكويت، وكارثة تدمير العراق، وسلام الإذعان بين العرب وإسرائيل، والعنف المتصاعد في الجزائر، وحروب السودان العبثية، والخلافات الحدودية بين دول الخليج، والمجاعة في الصومال والنزول الأمريكي في القرن الأفريقي، وما زال مسلسل الرثاء يتجه هبوطًا دون بصيص أمل في حركة تصحيحية تجعله يرتد صعودًا!)

٦ - زيارة جديدة للتاريخ!

كان الأستاذ هيكل قد أخبرني (نوفمبر ١٩٩٧) بأنه يفكر جديًا بجزء ثاني (وربما ثالث)، يستكمل ما بدأه في الجزء الأول، من نشر محاضر حوارات مع شخصيات عالمية ارتبط حوارها بقضايا معينة، مع رؤية عصرية ونظرة شمولية للحدث، ومنها سلسلة حواراته مع هنري كيسنجر وغيره!

(كان الجزء الأول قد ظهر في منتصف العام ١٩٨٥، وبعد فراغ الأستاذ هيكل من سلسلة ثلاثيته عن: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، بدأ في التفكير بإصدار جزء ثاني من كتاب: زيارة جديدة للتاريخ. لكن يبدو من تدافع الحوادث وقوة تأثيرها أنها شدته إلى محالها، فلم يتسن له الكتابة، وربما خطها بأمل نشرها، فقد كان حساسًا من إرهاق الناس بقصص وحكايات أمام مداهمات الحوادث وسرعة جريانها!)

٧ - الينابيع المنسية!

وهي تحتوي على خمس مجموعات:

(أ) كتاب نشره الأستاذ هيكل في أكتوبر ١٩٧٣ تحت عنوان «الشرق الأوسط: ١٩٦٧»، وقد نشر على حلقات في جريدة الصنداي تلغراف، ولكن الأستاذ آثر ألا يجمعها ضمن دفتي كتاب!

(ب) المقالات المكتوبة بلغات أجنبية (الإنجليزية واليابانية)، والتي نشرت في صحف مثل تايمز وصنداي تايمز ونيويورك تايمز والجارديان والاندبندنت والأويزرفر وصنداي تلغراف (مجموعها يفوق الـ ٤٠٠ مقال)، ويوميوري شيمبون (نشر الأستاذ عام ١٩٩٧ ضمن كتاب «المقالات اليابانية»، ٢٩ مقالًا مترجمًا كانت لصحيفة اليابانية قد نشرتها له، وهي بطبيعة الأشياء ليست كل ما كتب هناك)!

(جـ) المحاضرات في الجامعات العالمية (أكسفورد وشيكاغو والجامعة الأمريكية بالقاهرة وجامعة القاهرة وجورج تاون وغيرها)، والمحافل الدولية مثل اليونيسكو وغيرها!

(د) مجموعة المقالات المصرية سواء المكتوبة باللغة الإنجليزية في صحيفة الإجيبشيان غازيت، ومجموعة مقالاته في مجموعة أخبار اليوم (أخبار اليوم وآخر ساعة وآخر لحظة والأخبار)!

(هـ) مجموعة الحوارات الصحفية التي أجريت معه سواء في الصحافة المصرية أو العربية أو الأجنبية (بالمئات)، (نشر الأستاذ ٣٤ حديثًا صحفيًّا أجرته معه الصحافة المصرية والعربية ضمن كتاب «أحاديث في العاصفة»)!

٨ - كرادلة خلف الستار!

سرد الأستاذ هيكل أن تفكيره لعام ١٩٨٥ اتجه لوضع كتاب عن قائمة بعشر أسماء من الشخصيات الغامضة التي لعبت أدوارًا

مهمة من وراء الستار في السياسة العربية. وقد قابلهم جميعًا (من بينهم السيدان كمال أدهم ومهدي التاجر، كما أبلغني ورفض أن يدلي ببقية الأسماء الثمانية)، ثم كان أن غير رأيه في

مشروع الكتاب كله - واعتذر للناشر الذي كان يلح في طلبه - أندريه دويتش - عن ظن أن هناك في المنطقة (وقتها) قضايا أسبق إلى الاهتمام من عشرة رجال غامضين مارسوا أدوارهم من وراء ستار على مسرح سياسي تجري أخطر وقائعه وراء الضوء - وبعيدًا عن عيون الناس!

(ظل الأستاذ قد قابل العشرة رجال الغامضين، فإن محضر لقاءاته معهم موجود، فهو يقوم بتفريغ مجريات يومه على الورق قبل أن يستسلم للنوم، عن اعتقاد صحيح بأن الذاكرة خوانة، كي لا تشحب الكلمات وتبهت الصور من مخيلته!

ترى أين استقرت هذه المحاضر، هل بقيت في لندن في مكان ما؟، أم التهمتها نيران الحقد والكراهية، عندما أقدمت مجموعة من شياطين على حرق بيته الريفي في برقاش في أغسطس ٢٠١٣؟)

٩ - السيف والهلال!

في نهاية عام ١٩٩٠ كان الأستاذ هيكل قد اتفق مبدئيًا مع دار هاربر كولينز على كتابة ثلاثة كتب، وقد ظهر منها اثنان: (حرب الخليج: أوهام القوة والنصر، والمفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل).

وتلكأ الأستاذ في كتابة ثالث الكتب وهو يناقش «الإسلام السياسي»!

كان الأستاذ هيكل قد قضى أكثر من سنة في الإعداد لهذا الكتاب (كانت سنة دراسة مفيدة بالنسبة لي - كما قال)، ولم تفتر حماسة دار هاربر كولينز، فقد استمروا في إلحاحهم عليه بأن يصدره (استمرت محاولتهم حتى شهر إبريل ٢٠٠١)!

١٠ - رؤية استشرافية للعالم العربي!

وفي نفس الجلسة كان قد صرح لي بأنه «ينوي تدوين كتاب استشرافي عن العالم العربي غداة حلول العام ٢٠٠٠، وهي اللحظة التي سيعبر بها العالم كله (وكذلك العالم العربي) من قرن إلى قرن ومن ألفية إلى أخرى»!

١١ - المذكرات!

وكنت قد سألته في نفس الجلسة عن موعد صدور مذكراته، وهو استهول الطرح على اعتبار بأنها ستكون آخر ما سوف يكتبه وينشره!

(لا أحد يعلم مصير مذكراته وما كان يدونه يوميًا من تجربته ورؤيته لخضم الأحداث، هل هي في مكان آمن، وتحت يد وفية، ستخرج علينا يومًا وفي توقيت حدده الأستاذ هيكل لتنشرها، أم أنها احترقت ضمن الهجوم على بيته الريفي في برقاش ؟)

١٢ - حدود السلاح!

كنت في ضيافته في نوفمبر ١٩٩٧، وذكرى ثلاثين سنة على نكسة ١٩٦٧، قد حلت، وقد ذكرته بأن سفره الضخم عن حرب ١٩٥٦ (ملفات السويس) قد صدر بالذكرى الثلاثين على نشوبها (١٩٨٦)، صحيح بأنك قد دونت على جزأين أجواء وخلفية حرب ١٩٦٧ (سنوات الغليان - ١٩٨٨، والانفجار - ١٩٩٠)، لكن هناك سبع سنوات قد مرت على صدور الكتاب، ولا شك بأن مجموعة ضخمة من الوثائق قد أفرج عنها، فضلًا عن مذكرات قد دونت، وبرامج التاريخ الشفهي الوثائقية قد بثت. وهو من جانبه قال لي «بأن يفكر في كتاب يتناول فيه ما استجد من حقائق، وما ظهر من وثائق، رغم أن كتاب «الانفجار» لم يكن كلمة افتتاحية، بل توغلًا في الدهاليز، وشعاع ضوء على التعاون الإسرائيلي الأمريكي، مركزًا على خط الصراع في المنطقة وعليها»!

(كان الأستاذ قد تعرض لحرب ١٩٦٧ في كتابه «عام من الأزمات» على ضوء ما ظهر من وثائق إسرائيلية فقط!)

١٣ - خريف النظم وربيع الشعوب: من الارتباك الحائر إلى المأزق الحرج!

كانت دار هاربر كولينز، قد عرضت في مطلع العام ٢٠١٣ على الأستاذ هيكل، عنوانا جديدا يحل مكان الكتاب الذي رفض الاستمرار به «السيف والهلال»، يتناول فيه ما استجد من أحداث في المنطقة العربية مع بداية حقبة جديدة من القرن الواحد والعشرين، والذي عرف بالربيع العربي.

وبالفعل بدأ العمل على ذلك، فقد عقد سلسلة لقاءات مع مسؤولين عرب ومعارضين في أغلب الدول العربية التي شهدت ما يسمى الربيع العربي (تونس، مصر، سوريا، البحرين واليمن)، وأيضا مع الجهات التي حرضت ودعمت قيام تحركات هنا وهناك، ومع جهات إقليمية ودولية فاعلة.

ورغم تجمع خيوط كثيرة في يده، ووثائق تدعم، ومعلومات تؤكد، ودراسات ومذكرات تستكمل الصور والمشاهد، إلا أنه آثر التوقف عند نقطة معينة، تاركا ما كتب لقابل الأيام لو سمحت بذلك المقادير!

١٤ - توحش الرأسمالية وتغولها!

في آخر لقاء جمعني به (أبريل ٢٠١٥)، كان على مكتبه عشرات الوثائق والأوراق. وقد استفسرت منه إذا كان هناك مشروع لكتاب جديد؟

وهو أكد بأنه يفكر بكتاب عن «الرأسمالية وتغولها»، فقد اعتبرت الرأسمالية نفسها منفردة بحق الثروة، لدرجة أنها حولت المجتمعات منذ سقوط الاتحاد السوفيتي (وقبل ذلك) إلى غابات وحوش وزواحف عبر نظرية السوق!

وأنه بعد «الاحتكار» لابد من «الانتشار»، وهكذا ظهرت الشركات العابرة للقارات (هي القوة الاقتصادية الثانية بعد الولايات المتحدة وليس الصين)، وهي تحولت لدولة ولكن بلا وطن، وإمبراطورية تمارس نفوذها على العالم بأكمله لا على إقليم بعينه).

والرأسمالية استطاعت عبر الإعلان والإعلام وغيرها من الوسائل أن تطلق ما يمكن تسميته «ثورة الاستهلاك»، قد يقول أحد بأن الاستهلاك منذ فجر التاريخ، هذا حقيقي، لكن في الأزمنة المتغيرة وتوحش الرأسمالية تحول الاستهلاك لنوع جديد: شراء ما لا حاجة لك به، وأن تدفع بما لا تملكه (عبر بطاقات الائتمان والقروض والديون)، ولم يعد مقتصرا على الأفراد بل على المؤسسات والشركات (سندات لتمويل قروض سابقة في الأغلب ولعمليات توسعة) والدول (سندات الخزينة)، فالكل يسعى للدين، ويعمل بالدين، بل ويتاجر بالدين، وتحول الاقتصاد إلى أوراق تطارد أوراق أخرى كما كان يقول بول فولكر Paul Volcker رئيس مجلس الاحتياطي الفيدرالي (١٩٧٩ - ١٩٨٧)!

ولا أعرف إلى أي مدى وصل الأستاذ بالكتاب، فقد تعرض بعد هذا اللقاء بأسابيع لحادثة في منزله بمنتجع الغردقة، أدى إلى ضرورة الانتقال للندن لعملية جراحية، ثم العودة إلى القاهرة، مع ضرورة الراحة التامة، وبعدها بأشهر حدث الغياب عن المشهد تماما؟!

الفصل العشرون:

سائحٌ في جَسَد الليل *

> مثل جميع المسافرين البارزين، لقد رأيت أكثر مما أتذكر، وأتذكر أكثر مما رأيت.
> بنيامين ديسرايلي **Benjamin Disraeli**

الأستاذ هيكل لا يعرف كيف يُحيي قناديل الليل، كونه يكون متمددا في فراشه قبل أن ينتصف الليل عند الثانية عشر. محتفظا بأحلامه تحت وسادته، فهو ليس أديبا أو شاعرا ليناجي الغيم ويُفتن بضوء القمر!

فهو كائن نهاري، يستيقظ والشمس ما زالت بعد في عُريها، ولم ترسل بعد شعاعها إلى تراب الأرض!

القاهرة بين الغياب والحضور، في حالة تثاؤب بديع، منطلقا نحو منتجع القطامية، ليمارس رياضته المحببة: الغولف!

«عندما ألعب الغولف، أشعر بأنني ما زلت على قيد الحياة»!

الأستاذ منتشيا عندما سألته عن علاقته بلعبة الغولف، يكمل حديثه بشغف: «القاهرة بديعة، والجو عليل، أشعة الشمس، وصوت الطيور، المنتجع تصميمة مبهر، عربة الغولف golf cart، العشب الأخضر، زرقة السماء، المسطحات المائية، هروب من الضغوط اليومية، صداقات جديدة ومتباينة، حقيبة الغولف golf bag، كرات الغولف golf balls، نقطة الانطلاق tee، المشي بعد كل تسديدة shot، الحفرة hole - نادي القطامية يحوي ١٨ حفرة تشمل ٧٢ نقطة par، وملعب آخر خاص يحوي ٩ حفر تشمل ٣٥ نقطة - ليس المهم النتائج scores، لكن ممارسة اللعبة!

* أدونيس. ديوان «المسرح والمرايا» - قصيدة «اللؤلؤة»

توقف الأستاذ للحظة، وسألني: هل تمارس لعبة الغولف؟

أومأت رأسي بالنفي!

أستمر في تساؤلاته: هل تعلم بأن حقيبة الغولف تحوي على عدة عصي (تصل في بعض المرات لعدد ١٤)، كل واحدة منها مختلفة عن الأخرى، ولكل واحدة منها وظيفة وتسديدة مختلفة عن الأخرى!

ثم بدأ الأستاذ بتسمية بعضهم: clipart – driver – vector – png – iron – wood – putter – wedge وغيرها!

توقف ليأخذ نفسا من سيجاره، ثم رشفة من فنجان القهوة، ثم انطلق:

«ألاحظ شبها بين ممارسة السياسة وممارسة لعبة الغولف ملخصه كلمة واحدة التكتيك Tactic، بمعنى أن من يحاول أن يستخدم عصا واحدة، ومن ضربة واحدة، ليدخل الكرة في الحفرة، لن يقدر ولا يستطيع!

هناك عدة ضربات محددة (الوصول للهدف بحده الأعلى (أو الأدنى) من المطالب الشعبية)، مستندا على جهدك وحيويتك (تنبيه إلى مكان ومكانة وتاريخ وهوية وقدرة وهمة)، وعلى اختيار العصا المناسبة للضربة القادمة (دفع الامكانيات والإرادة)، واختيار اتجاه الضربة بما يتناسب مع حركة الرياح (حشد وإدارة ما يملكه الشعب من موارد طبيعية وإنسانية وتاريخية واستراتيجية واقتصادية وثقافية)!

سألته عن أفضل مكان مارس فيه لعبته المحببة: الغولف؟

قال الأستاذ مبتهجا، مستعيد ذكرياته للمكان: في سويسرا، قرية كرانس مونتانا Crans Montana، وهي منتجع للتزلج في قلب جبال الألب السويسرية، وهناك نادي في كرانس سور سيير Crans-Sur-Sierre، وهو على هضبة مطلة على وادي الرون، وفي مواجهته مرتفعات مون بلان Mont Blanc، وعادة ما أقيم بفندق صغير هناك رودينيا Rodania (الأستاذ كعادته طبوغرافي خبر أرضه، في كل موضوع يتحدث عنه ويخوض فيه)!

أين تجد الأستاذ؟

تجده في القاهرة مستقلا بمكتبه أو في بيته الريفي ببرقاش مجموعة من: السياسيين والصحفيين والكتاب والأدباء والمثقفين وغيرهم من كافة الجنسيات. ملقيا محاضرة في

نقابة الصحفيين أو معرض الكتاب أو الجامعة الأمريكية أو نادي الصيد، وضيفا على جماعة خريجي المعهد القومي للإدارة العليا، راعيا توزيع جوائز جمعية أحمد بهاء الدين. محتفلا بضيف في مطعم نادي العاصمة، داعيا ضيفا آخر على مطعم سويس إير بالجيزة، أو مطعم سانتا لوتشيا بالإسكندرية. ممارسا لعبته الأثيرة الغولف مع تباشير الصباح، سابحا في مياه البحر الأبيض بشاليه الرواد أو مياه البحر الأحمر بشاليه الغردقة. مستمعا لمحاضرة في الجامعة الأمريكية في موسمها الثقافي. حاضرا معرضا للتشكيلي يوسف فرنسيس أو للرسام منير كنعان ويوسف كامل وفاروق حسني وحلمي التوني أو للتشكيلية تحية حليم أو لفنانة الرسم الحديث نازلي مدكور، متجولا في بينالي للخزف والنحت أقامه الفنان محي الدين حسين. مشاهدا فيلم «الآخر» أو «رسالة إلى الوالي» مع صديقيه المخرج يوسف شاهين والفنان عادل إمام. مدليا بحديث صحفي لينشر عبر الصحف أو الإذاعة أو التلفزيون، داخلا مع إشراقة الشمس لمكتبه لمتابعة آخر الأخبار على جهاز التيكرز ticker ومستمعا لمحطة البي بي سي. زائرا المقر البابوي، ضيفا على مائدة إفطار المهندس ميلاد حنا، مطمئنا على جارته في الطابق الخامس الشيخة هداية سلطان السالم. مراجعا مجموعة من الوثائق، فيما تقوم الدكتورة مايسة الجمل بمساعدته في بحث سياسي، طالبا من سكرتيره الأستاذ منير عساف بإدخال كتابه إلى الكمبيوتر، فيما الأستاذة إيناس طه (أبنة صديقه ممدوح طه) تقوم بإعداد كتابه للطباعة، فيما مديرة مكتبه الدؤوبة جيهان عطية تتابع مسار كتابه بابا بعد باب، وتحضر له جيهان عبد السلام ملفا عن قضية ملحة!

تجده مبهرا باليابان من فتيات الجيشا Geisha الجالسات على حصير التاتامي Tatami، وفنون تنسيق الزهور، ومشاهد الطبيعة التي تتوجها الثلوج عند قمم جبل فيوجي Fuji، وإبداع الرسم باللون وبالرمل، والبيوت الصغيرة من الخشب والورق، والكيمونو والقبقاب (الملابس التقليدية اليابانية) وأغاني الفصول الأربعة في حي جيون Gion District البوهيمي في كيوتو (عاصمة الإمبراطورية القديمة في اليابان)!

تجده متأملا تمثال الملكة فكتوريا في بنغالور بالهند، زائرا سهول جايبور موطن الآلهة ساراسواتي Saraswati (إلهة المعرفة والموسيقى والفنون والحكمة والتعلم في الديانة الهندوسية)، ملاحظا التناقض ما بين صرامة المعابد الهندية القديمة وعبوسها والطبول التي تدق فيه بفزع تحاول أن تسترضى الآلهة شيفا Shiva (إله التدمير) حتى لا ينقض على الكون كله يحطمه ويمزقه - وما بين تاج محل الأثر الرقيق (ضريح ممتاز محل) الذى

تركه زوجها الإمبراطور المغولي شاه جاهان في أغرا، متجولا في معبد بيرلا Perla بأضوائه الخافتة وروائحه الصارخة من البخور إلى العرق، وأصواته الغريبة تختلط فيها دقات الطبول مع أصوات أدعية الصلاة والأناشيد والترانيم، مشاركا في احتفال مرور ربع قرن على وفاة غاندي من الصباح الباكر (السادسة فجرا) على شاطئ نهر الغانج المقدس حيث ساحة غاندي مستمعا لترتيل كتاب الديانة الهندوسية المقدس البهاغافاد غيتا The Bhagavad Gita، محاولا فهم الفلسفة الكامنة في معابد خاجوراهو Khajuraho بولاية ماديا براديش Madhya Pradesh (مغلقة للزوار العاديين بسبب ما تحتويه من تماثيل الجنس الفاضح. والجنس في تلك المعابد ضمن الطقوس الدينية التي تمهد للرهبنة، فترة نسيان للنفس بغية الاكتفاء، فتؤدي إلى الملل منه برغبة التطهر - بصرف النظر عن صحتها!)

(يحلو للأستاذ هيكل عقد مقارنات وملاحظة الفرق بين معبد هندوكي في الهند ومعبد بوذي في اليابان!

«نبعت البوذية من أحضان الهندوكية لكن الفارق بين زيارة معبد هندوكي في الهند ومعبد بوذي في اليابان واسع شاسع. في المعبد الهندوكي آلهته الثلاثة التقليدية: براهما للخلق، وكريشنا للحفظ، وشيفا للتدمير، لكن براهما وكريشنا كلاهما في أي معبد هندوكي منسي مهجور، والعابدين جميعاً أمام شيفا إله التدمير بملامحه المملوءة قسوة وشرا، يسترضونه أن يقبل منهم ولا ينقض على حياتهم وآمالهم.

وفى الأديان كلها رموز للشر، لكن الأديان كلها تطالب المؤمن بعصيان رمز الشر وتحديه وتثبيه بمقدار ما يعصى ويتحدى وأما شيفا فهو وحده يطلب الزلفى والرضى!

وفى المعبد البوذي في اليابان ومع مشاركة عقيدة الشنتو له، فإن المعبد صندوق صغير من خشب قديم تسكن به أرواح الأجداد وسط الطبيعة المعبودة ذاتها، وإناء ماء صغير أمامه رمزا للخير، وقطعة ورق أو قماش أبيض معلقة عليه رمزا للنقاء - إن زاد على ذلك شيء فتمثال صغير لبوذا إحدى يديه ممدودة والثانية مبسوطة.

الأولى تقول طبقاً للتفسير الياباني، سوف أجيب سؤالك والثانية تقول لا تخف»!

(الأستاذ هيكل يعتبر نفسه تلميذا شديد الفضول في دراسة قضايا الهند واليابان بصفة خاصة وكان في هذين البلدين شيء ما يستهويه ويشده إليه باستمرار!).

تجده مشاركا في ندوة دولية عن مستقبل الديمقراطية في العالم عقدت في موطن أول ظاهرة ديمقراطية (أثينا)، باحثا عن أثرا باقيا للسجن الذي شرب فيه سقراط كأسه المسمومة (لم يجده!)، ويوما عند سفح الأكروبول Acropolis!

تجده متقصي في زيورخ مصير ومآل أموال البترول العربي، وزائرا البيت المنعزل على حافة جبل في سلس ماريا Sils-Maria بسويسرا، الذي قضى فيه فريدريك نيتشه (فيلسوفه الأثير) آخر أيامه بعد أن لف عقله الشامخ ضباب الانهيار!

تجده في شيكاغو ملقيا محاضرة في المؤتمر السنوي للخريجين العرب من الجامعات الأمريكية حيث كان ضيف الشرف.

وفي نيويورك (يبدأ عادة بها عندما يقصد الولايات المتحدة، يستبقي صباحا بأكمله خاليا من أي ارتباط. حيث يتجه من فندقه (في العادة فندق بيير The Pierre) إلى الميناء ليحجز لنفسه تذكرة على إحدى البواخر الصغيرة الطوافة التي تدور من حول جزيرة مانهاتن Manhattan لثلاث ساعات، متأملا الجزيرة وهي بؤرة الجهاز العصبي للولايات المتحدة، وملقيا نظرة سريعة على تمثال الحرية الشهير).

ويحل ضيفا على الأمين العام للأمم المتحدة، داعيا ومدعوا لوزراء وسياسيون وخبراء وصحفيون ومستشارون وغيرهم على مطاعم نيويورك كفندق والدورف استوريا Waldorf Astoria، وشيراتون شيكاغو، ومطعم لاميزون بلانش Le Maison Blanche في واشنطن ، وفندق هوليوود بلازا Hollywood Plaza Hotel في لوس أنجلوس.

مدعوا على نادي متروبوليتان Metropolitan (هو أحد أقدم المؤسسات الخاصة بواشنطن (شمال غرب العاصمة قرب البيت الأبيض) والأكثر احتراما. منذ تأسيسه في عام ١٨٦٣ (في ذروة الحرب الأهلية)، من قبل ستة من مسؤولي وزارة الخزانة، ولليوم، وبعد أكثر من قرن على تأسيسه، لا يزال النادي يجذب أعضاء بارزين من جميع أنحاء العالم).

تجده أمام مرقد السيدة فاطمة المعصومة في مدينة قم بإيران، معجبا بالمسجد الذي يضم رفاتها (آية من المعمار وأحد روائع الفن الفارسي).

تجده في باريس ملقيا محاضرة في مبنى اليونيسكو أو في متحف غيميه Guimet، متخذا من فندق كريون de Crillon أو ريتز Ritz مقرا لإقامته، داعيا ومدعوا على مطاعم باريس

كمطاعم جزيرة القديس لويس Ile Saint Louis أو مطاعم جادة مونتين Montaigne برفقة جنرالات وسياسيون وصحفيون وأدباء وأصدقاء وغيرهم، ضيفا على أعرق نوادي باريس الاجتماعية Cercle de l›Union Interalliée في الدائرة الثامنة وميزته أنه قريب من قصر الاليزيه Élysée Palace في فوبورج سانت أونوريه Rue du Faubourg Saint-Honoré ومحاذي للسفارة البريطانية (أسس عام ١٩١٧ ، ومن أعضاؤه الملوك والشخصيات السياسية الدولية، وكان رئيسه في يوم من الأيام مارشال فرنسا العتيد فرديناند فوش)!

تجده في روما (أحلى الأوقات في سبتمبر، فالأغاني كلها تتحدث عن روما في سبتمبر). قاصدا السفارة المصرية (مقرها في قصر سافويا، قدمه الملك فيكتور عمانويل الثالث آخر ملوك أسرة سافوي لكي يصبح بيتا لسفارة مصر في روما عرفانا بفضلها أن استضافته في المنفى حتى مات في الاسكندرية سنة ١٩٤٧، كما شهد القصر عملية اعتقال الزعيم الفاشي بينيتو موسوليني)، ذاهبا في ليلة قمر رومانية إلى ساحة نافونا Piazza Navona جالسا على أي مقعد من المقاعد المحيطة بالنافورات الثلاث التي نحتها جان لورينزو برنيني Gian Lorenzo Bernini لهذا الميدان، ناسيا الدنيا كلها خيالا وتأملا. ويوما كاملا في الفاتيكان .. وصاعدا سلالم كنيسة القديس بطرس في الفاتيكان (أكبر كاتدرائية في العالم)، ومتجولا بين معالم النهضة ومقتنيات القصور في فلورنسا (أهم مركز سياحي في العالم)، متابعا القلق الإيطالي العنيف في الشمال الذي أوشك أن يتحول إلى ساحة حرب أهلية، متجولا في معرض أوفيزي Uffizi ومتأملا متحف ومنزل سيد علم السياسة نيكولو مكيافيلي. ماشيا فوق جسور فينيسيا (البندقية) نحو ميدان القديس مرقس (جسر التنهدات Ponte dei Sospiri). مسترخيا في منتجع كوستا سميرالدا Costa Smeralda (جزيرة سردينيا)!

تجده في لندن لإجراء عملية دقيقة في عين أبنه الأوسط أحمد، مواسي صديقا في إحدى المستشفيات إثر وعكة ألمت به، متخذا من فندق كلاريدج مقرا له لمقابلة صحفيين وسفراء ودبلوماسيين وأساتذة جامعات وغيرهم ممن تشغلهم علاقات بلادهم مع العالم الخارجي وأحداثه المتحركة بسرعة.

عضوا في نادي جاريك The Garrick Club (نادي اجتماعي - نادي السادة الأكثر تميزا واحتراما في العالم - يقع في منطقة وست إند West End. وقد تأسس سنة ١٨٣١ برعاية شقيق الملك دوق ساسكس Duke of Sussex ، ويضم النادي أكثر من ١٠٠٠ لوحة ومنحوتة ومكتبة مسرحية ومخطوطات ووثائق)، متنزها في حدائق لندن من هايد بارك

Hyde Park وريجنت بارك Regent›s Park إلى سانت جيمس بارك St James›s Park، ضيفا على أصدقاء في مباني ألباني The Albany (مجمع سكني كلاسيكي في بيكاديللي)، مشتريا مجموعة كتب من مكتبة هاتشاردز Hatchards (تأسست سنة ١٧٩٧)، مستمعا أو ملقيا لمحاضرة في كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية أو جامعة أكسفورد أو كامبريدج، مشاهدا مسرحيات في المسرح الملكي هايماركت Theatre Royal Haymarket في حي شافتسبري Shaftesbury (حي المسارح ودور العرض).

داعيا أو مدعوا على مطاعم لندن، من مطعم سانتيني Santini مرورا بمطعم توتو Toto إلى مطعم كريستوفر Christopher›s بصحبة أصدقاء قدامى من رؤساء تحرير إلى وزراء إلى أعضاء مجلس العموم وملوك وسياسيون وغيرهم، متبضعا من شارع بوند Bond Street، مقتنيا مجموعة وثائق من معارض وصالات سوثبي Sotheby›s أو كريستي Christie›s للمزادات، زائرا للمتحف البريطاني في حي بلومزبري Bloomsbury (حي المتاحف ودور النشر العريقة)، مستمتعا بمشاهدة عرض مسرحي في مسرح دروري لين Drury Lane أو فيلم في سينما أوديون Odeon أو في مسرح ليريك The Lyric Theatre.

تجده متجولا في القصور والمعابد الذهبية في بانكوك مع رهبان البوذية ذوو الأردية البرتقالية والرؤوس الحليقة، خاصة معبد بوذا الزمردي (وات فرا كايو Wat Phra Kaew) حيث ترقد الأرواح بسلام، مشاركا نشوة التايلانديين لأنهم وجدوا في الشمال فيلا أبيض ثانيا غير الفيل الأبيض الذي يعيش في القصر الملكي والذي كان الظن بأنه الفيل الأبيض الوحيد في المملكة (والفيل الأبيض في تايلاند علامة سعد!).

معرجا على السوق العائم في بانكوك الذي يشد إليه كل الذين يبحثون عن صورة للحياة في جنوب شرقي آسيا بعيدا عن الطلاء المصطنع للعواصم وأضواء الليل الصارخة. المتاجر العائمة مصوبة على القوائم وسط المستنقعات التي تتسلل إليها مياه البحر من خليج سيام وهي تمتد صفوفا تجرى بينها شوارع مائية وأزقة لا تكاد القوارب تستدير فيها إلا بصعوبة بالغة من ضيقها ومن الزحام، والقوارب القادمة من الريف القريب تحمل إلى السوق ألوانا شتى من البضائع، والروائح في الجو كله زاعقة .. مزيج غريب من روائح الموز والسمك المجفف وأصداف البحر والعطن الطبيعي في المستنقعات.

تجده يقضي أغلب وقته في المغرب في جامع (جامعة) القرويين، وقد أطلعه أمين المخطوطات في مكتبة الجامع على مخطوطة لمقدمة ابن خلدون، وقد هزه تواضع ذلك العالم

المعلم العظيم عندما وجد في آخر صفحة من المخطوطة يصادق على ما كتبه النساخ المحترف الذي تلقى منه كتابه ويرسم بخط يده عبارة: «الحمد لله ما نسب إليّ صحيح، موقعا بختمه: «عبد الرحمن بن خلدون» ..

تجده واقفا في خشوع أمام النصب التذكاري للسيد جمال الدين الأفغاني بكابول الذي يعتبره أعظم الأموات والأحياء أيضا!

تجده في البقاع اللبناني، متجولا بين آثار بعلبك الفينيقية (مدينة الشمس - هليو بولس)، ومعبد جوبيتر، وهيكل باخُس والأعمدة الستة، مرافقا الفنان عبد الحليم كركلا، ملقيا محاضرة في قصر العدل، مدعوا على مطاعم لبنان أو على منزل سياسي كبير، ضيفا على قصر بعبدا وقريطم والرابية والمختارة وعين التينة، زائرا المراجع الدينية في حارة حريك وعائشة بكار وبكركي، ضيفا دائما على عائلة البستاني في بيت مري، ملتقيا مع مقاتلي حزب الله بعد مغامرة عبر الحراسات والمتاريس!

تجده على ضفاف الخليج بالدوحة، ملقيا محاضرة في متحف الفن الإسلامي، وجامعة جورج تاون، مشيدا بالمنارة المشعة على شاطئ هذا الخليج، ومبهورا بطاقة النور التي يحتاجها العالم العربي، وهمة قطر التي لا تقاس بحجمها!

وحاضرا حفل جوائز مجلة «أرابيان بزنس»، كان أحمد (أبنه الأوسط مؤسس شركة القلعة القابضة) قد فاز بإحدى تلك الجوائز عن «الإنجاز الحياتي Lifetime Achievement Award» في إمارة دبي»، ويبدي تساؤله للأمير محمد بن راشد عن «سر الفورمولا في بناء مدينة فريدة؟». ويهديه الأمير كتابيه: «رؤيتي» و«ومضات من فكر» ممهوران بتوقيع وإهداء.

(أبلغني الأستاذ هيكل فيما بعد، بأن إمارة دبي تحاكي بأضوائها إمارة موناكو!

وكان الأستاذ حسن (النجل الأصغر للأستاذ هيكل) قد غرد عبر حسابه على موقع تويتر يوم السبت ٢٢ أغسطس ٢٠١٥:

«لو فيه تكامل عربي، يوما ما، أرشح الشيخ محمد حاكم دبي رئيسا للوزراء للمنطقة، ومعنديش عقدة انه ما يبقاش مصري لأنه عربي وتنفيذي بجد».

وكذلك غرد يوم الاثنين ٨ فبراير ٢٠١٦: «مرة تانية الشيخ محمد حاكم دبي رئيسا لوزراء مصر، وكمان لأي بلد عاوز وحدة عربية ومعنديش عنصرية إنه لازم يبقى مصري»).

الفصل الواحد والعشرون:

جسر الدموع*

> نحن لسنا بحاجة أبدا لنخجل من دموعنا.
> تشارلز ديكنز Charles Dickens

في أكتوبر ٢٠٠٤ سألت الأستاذ هيكل: «هل ذرفت دموعك يومًا سواء على المستوى الشخصي أو المستوى العام؟

أجاب الأستاذ: لعلي لا أبكي.. يعني.. لكن في بعض الأحيان النادرة جدًا بكيت فيها لسبب عام:

نكبة فلسطين

- كانت المرة الأولى يوم الأربعاء ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤٨ وأنا أرى الجيش المصري يستعد للانسحاب من مدينة المجدل (شمال شرقي مدينة غزة والتي تبعد عنها ٢٥ كلم).

وقفت على سفح الهضبة العالية التي تقبع فوقها غزة.

وما زلت أذكر منظري في تلك الساعة، واقفًا تحت شجرة على طريق غزة - دير سنيد (قرية فلسطينية شمال شرقي مدينة غزة والتي تبعد عنها ١٢ كلم).

ولم أشعر إلا وأنا أغطي عيني بيدي باكيًا، أنهنه، وأذرف الدموع كأنها جمرات نار.

(استولت القوات الإسرائيلية على تقاطع الطرق ما بين «مستعمرة نجبا Kibbutz Negba» (تقع على الطريق بين المجدل وبيت جبرين) وحتى «مستعمرة نتساريم Netzarim» (غرب قطاع غزة)، وهو ما يعني احتلال شمال النقب، وانقسام الجيش المصري لقسمين معزولين عن الآخر:

* أدونيس ديوان «أغاني مهيار الدمشقي» - قصيدة: «ساحر الغبار - جسر الدموع».

قسم في مدينة بيت لحم بقيادة القائمقام أحمد عبد العزيز، والقسم الثاني في مدينة المجدل على الطريق الساحلي بقيادة اللواء أحمد المواوي).

حريق القاهرة – السبت الأسود

– كانت المرة الثانية يوم السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢.. يوم أحرقت القاهرة.

كنت في مكتبي في جريدة «أخبار اليوم» وخرجت فور سماعي خبر اشتعال القاهرة بالنار.. إلى شارع فؤاد (٢٦ يوليو حاليًا) وإلى شارع سليمان باشا (طلعت حرب حاليًا) وإلى شارع قصر النيل وإلى شارع إبراهيم باشا (الجمهورية حاليًا).

كانت ألسنة اللهب في كل مكان، وكانت الفوضى هي التي تحكم وتملك.

كانت الشوارع مغطاة بالرماد وبقطع الخشب التي ما زالت تشتعل والنار تسري فيها بعد أن أحالتها إلى فحم.

وعاد إليّ نفس الشعور الذي أحسست به في غزة.

حريق القاهرة كان البرهان الساطع لنهاية النظام الملكي كله، لكن لا التيار الليبرالي الممثل بحزب الأغلبية وقتها الوفد وباقي أحزاب القصر (الهيئة السعدية، الأحرار الدستوريون، الكتلة الوفدية، والحزب الوطني)، ولا التيار الديني الممثل بحركة الإخوان المسلمين، ولا التيار الشيوعي الممثل بالأحزاب الماركسية الثلاث، جميعهم كانوا من الوهن والضعف من أن يفكروا بالاستيلاء على الحكم وقلب النظام، كلهم توجسوا خيفة أمام المسئولية والتصدي للشرعية، جميعهم ارتاعوا من الملك وجبنوا أمام قوة الاحتلال!

توقف الأستاذ هيكل لثواني قبل أن يكمل: الحقيقة كل القوى كانت قد تآكلت، فالتيار الليبرالي تآكل بعد قتله مؤسس حركة الإخوان المسلمين (حسن البنا)، والتيار الإسلامي تآكل بنكثه لعهوده، فمن حركة دعوية لنظام خاص قام بعمليات اغتيال وتفجير وترويع، والتيار الشيوعي تآكل بموقفه مما كان يجري في فلسطين فضلًا عن ترؤس أحزابه كلها يهود، متحولًا من آمال منشودة بعدل اجتماعي إلى ظنون شاردة بالترحيب بنشأة إسرائيل!

(كان الأستاذ هيكل في الساعة الحادية عشر صباحًا داخل مبنى جريدة أخبار اليوم

لاجتماع إداري مع الأخوين أمين (علي ومصطفى)، وأثناء الاجتماع دق جرس التلفون وكان المتصل الأستاذ أحمد حسين (زعيم مصر الفتاة)، متحدثًا مع الأستاذ هيكل: «قرأنا لك تغطي عواصم الدنيا شرقًا وغربًا، فانزل الآن إلى عاصمة مصر وشوف بنفسك»!

ثم دق جرس التليفون مرة ثانية، وكان المتحدث هو إدجار جلاد (باشا) صاحب جريدة الجورنال ديجيبت Le journal d'Egypte (تصدر باللغة الفرنسية)، وهو من أبرز رجال القصر الملكي في تلك الأيام، مستفسرًا من الأستاذ هيكل: «هل لديك علم بما يجري في شوارع البلد؟»، وقال له الأستاذ: «إننا الآن نتابع ويظهر أن هناك بدايات عنف»، وكان تعليق جلاد (باشا): «يظهر أن المسألة خطيرة.. خطيرة جدًا»!

ونزل الأستاذ هيكل من مبنى جريدة أخبار اليوم إلى شارع فؤاد ومعه زميله وصديقه الأستاذ محمد يوسف المصور الأشهر في ذلك الوقت.

وكانت المشاهد التي تنتظرهما مما لا يخطر على بال أو على خيال.

فبعد الانتفاضة الشعبية، انقض السواد الأعظم يعرب عن نفسه، بزيادة اللهيب اتقادًا، وبالسطو والسرقة.

حريق القاهرة كان تذمرًا من الذين لا يملكون شيئًا، ضد الذين يستحوذون وحدهم على حق الحياة.

ولم يكن غريبًا أن يتجمع هياج الحشود، على البنوك (باركليز Barclays)، البريطاني وعلى غيره من الشركات والمؤسسات البريطانية. وقد مات من رعايا بريطانيا في ذلك اليوم ١٢ شخصا)، وعلى دور السينما، وعلى الفنادق الكبرى (فندق شبرد)، وعلى المحلات الأنيقة في وسط المدينة (شاهد الأستاذ هيكل فتاة تسرق مضرب غولف)، وعلى نادي سباق الخيل البريطاني – ذلك كله كان طبيعيًا، فقد كان انفعال الأكثرية على محاولات إفقارها، من التحالف البغيض بين الأجانب والباشوات المصريين!

وهكذا أتاحت لها الظروف متابعة حريق القاهرة من اللهب إلى الرماد، وكان بين من صادفهم الأستاذ هيكل وسط الدخان البكباشي جمال عبد الناصر. فقد نزل مع غيره من الضباط إلى شوارع العاصمة المشتعلة بالنار بعد أن عجز البوليس عن السيطرة على الموقف، ومن ثم اقتضت الأمور نزول الجيش.

النكسة

- كانت المرة الثالثة يوم الجمعة ٩ يونيو ١٩٦٧، كان يومًا طويلًا مع الرئيس جمال عبد الناصر، بدأ من السابعة صباحًا حتى السادسة مساءً. وكان الهدف الأساسي من المقابلة هو مشروع خطاب التنحي الذي سيقدمه للأمة بعد الأحداث المروعة التي غطت وجه منطقة الشرق الأوسط كلها بالنار والدم من ٥ يونيو ولأيام عصيبة تالية!

في الدقيقة الأخيرة من اليوم كان سؤال ناصر الأخير عن علاقتي بالسيد زكريا محيي الدين، وقلت له إنني لا أنوي تكرار ما قمت به معه، ولكني قابلًا تكليفه لي لمعرفتي بدقة الظروف حتى يتمكن زكريا من تسلم مسئولياته.

ونهضنا نحن الاثنان.

وتصافحنا.

ولمحت دمعة في عينيه لأول مرة في حياتي. واستدرت خارجًا من غرفة مكتبه، فلم أكن أريده أن يرى دمعة أخرى في عيني!

سألته بعد أن توقف: «ما قرأته عن تلك الفترة - نكسة ٦٧ - يشي بأن كل شاعر ومثقف وأديب وراوية وقصاص تمزق وأصيب بالانكسار، إلا أنت، فما السر وراء ذلك؟»

أجاب الأستاذ: «الرئيس ناصر وزوجتي هدايت كانا كذلك، في حالة استغراب من تماسكي وصلابتي. أنا وقتها كان في ذهني فيلم شاهدته ربما سنة ١٩٥٦ بعنوان «سوف أبكي غدًا I'll Cry Tomorrow» (بطولة سوزان هيوارد Susan Hayward وريتشارد كونتي Richard Conte - إخراج دانيال مان Daniel Mann، وقد فاقت إيراداته وقتها ٧ ملايين دولار) وقصة الفيلم ليس لها علاقة بالحرب أو الصراع لكن العنوان جذبني، لاحظ بأنه كان عندي موقف في هذه الحرب وهو معلن، وقد استشهد به وزير خارجية إسرائيل وقتها آبا إيبان في مجلس الأمن، وهو أنني قلت إن قرار قفل خليج العقبة يعني الحرب، وقتها أيضًا الاتحاد الاشتراكي قلب الدنيا متهمني كالعادة بأنني أثبط الروح المعنوية!

ومع ذلك، تستطيع أن تقول إنني كالباقي أصبت بحالة اكتئاب، ولكن وأنت تحتل منصب تحرير صحيفة، وأنت مسئول عن ركن الفكرة فيما تمثله ثورة ٢٣ يوليو، وتنشر جريدة

صباح كل يوم، وتكتب مقالًا أسبوعيًا، نعم فوجئت بما جرى وحجمه، ولكن هل تنكمش وتقع وتنهار؟ بينما ترى الناس تخرج وتتحدى وترفض نتيجة الصراع لحظتها، فلابد حينها أن تقف معها وتبشر بأمل جديد، خصوصًا بأن هناك أسباب حقيقية لهذا الأمل الجديد.

ربما أنني كنت من الداخل ممزقًا، لكن ما يثير حيرتي، كمية هذا الجلد للذات وللضمير المصري والقوة المصرية والإرادة المصرية لا لزوم له، فكل أمة من الأمم واجهت كارثة ومحنة من فرنسا إلى اليابان، لكن في وقت الأزمات تتحدد فيها مصائر أمم وشعوب لا تملك أن تترك نفسك للانفعالات، نعم كنت متماسكًا، لأن هناك مقادير..

نهاية عصر

- كانت المرة الرابعة في أثناء اللحظة الرهيبة التي وقفت فيها بجوار فراش جمال عبد الناصر وهو يجود بالنفس الأخير.

لم أبكيه لحظتها!

بل بكيته يوم تشيعه يوم الخميس ١ أكتوبر ١٩٧٠، لأنه كان رفيقًا حميمًا وسيظل ظني به أنه ليس فقط إنسانًا عظيمًا وإنما تاريخًا عظيمًا أيضًا.

وأتممت أيامًا بعد «الرحيل» لا أقدر على التصديق، وأيامًا أخرى أعقبتها لم أتمكن من التخيل.

هذه هي سفرته الأولى التي يذهب فيها ولا أكون في رفقته!

ثلاثة أيام انقضت بين لحظة الرحيل حتى هجع في مثواه الأخير.. كفنًا أبيض طاهرًا فوق فرشة من الرمال في قبر أقيم على عجل خلف مسجد بناه بنفسه!

بدأت الجنازة من مجلس قيادة الثورة القديم على النيل - قرب فندق شيراتون الجزيرة، وما إن طالعت النعش ولاحت لي حقيقة أن جمال عبد الناصر في جوف هذا الصندوق لم أتمكن من مغالبة نفسي.. وأجهشت بالبكاء نائيًا بنفسي خارج الصفوف رغم أني كنت المرافق الرسمي

لرئيس وزراء الاتحاد السوفيتي أليكسي كوسيغين Alexei Kosygin (كان الأستاذ هيكل وزيرًا للإعلام وقتها)..

مبادرة القدس

- كانت المرة الخامسة يوم السبت ١٩ نوفمبر ١٩٧٧، يوم وصول الرئيس أنور السادات إلى القدس مساءً، كنت قد غادرت القاهرة إلى الإسكندرية (بلاج عايدة بالمنتزه) لأبتعد عن مركز الحوادث منتهزًا فرصة إجازة عيد الأضحى، لكن ما كان يجرى له تأثير المغناطيس في قوة جذبة مهما حاولت الابتعاد، وهكذا وجدتني على شاطئ ستانلي في الإسكندرية وأمامي طوال الوقت جهاز راديو أنتقل بمؤشره بين إذاعات العالم.

وأعترف على استحياء أنني لم أتمالك نفسي حين سمعت إذاعة القاهرة تتحدث عن ترتيبات، وتقول أول ما تقول إن سربًا من مقاتلات سلاح الجو الإسرائيلي سوف يخرج للقاء طائرة الرئيس السادات.

لم أتمالك نفسي ولا أعرف لماذا لحظتها، فإذا أنا أعطى عيني بكفى وأجهش في بكاء، ولم أستطع ضبط مشاعري إلا عندما أحسست بيد تمس كتفي في رفق والتفت لأجد طفلي الصغير (حسن) يرقبني بعينين تملؤها الدموع والدهشة شاعرًا أن شيئًا ألم بي، ولكن مداركه لا تسعفه بتفسير لهذا الذي لم يعهده فيّ من قبل (أنبته والدته السيدة هدايت ملتمسة منه أن يعود إلى الكابينة)..

توقف لبرهة، ثم استرسل في حديثه: هناك من يقفز فوق التاريخ والصراعات والبشر والاقتصاد والسياسة والعالم والاستراتيجية بطريقة مرفوضة وغير مطمئنة.

وهناك جزء من العالم لا يهمه أمرنا في شيء راح يصفق له، وهناك جزء من العالم العربي يراقب ببلاهة وكأن الأمر لا يعنيه، والجزء الآخر (مصر وغيرها) مضلل في كل ما يحدث، كُتمت عنه الحقائق، كان انفعالي شديدًا، وتدفق الاحتدام دموعًا، دموع الإخفاق للأسف الشديد!

النوستالجيا

- كانت المرة السادسة يوم الإثنين ٢٨ سبتمبر ١٩٨١، كنت في سجن طره، جميعنا تقريبًا

عزم على أن نحيي ذكرى ارتحال الرئيس جمال عبد الناصر، كنوع من التصدي لكل ما كان جاريًا. كان الرئيس السادات أيامها في بداية النهاية، في الصباح سرت إشاعة بأنهم يجهزوا معتقل جبل الطور في صحراء سيناء لترحيلنا إليه قبل المغيب.

في المساء تزاحم الخطباء يرثون الرئيس ناصر خلال قضبان سجن السادات.

كنت منذ بداية اليوم أشعر أن هناك دمعة مترددة تغشى باب العين، لكنني لم أذرفها، ربما لأننا كنا نحيي الذكرى كنوع من التصدي لا من الألم.

في لحظة من لحظات هذا اليوم تذكرت تفاصيل اليوم الأخير من حياة ناصر، وتذكرت آخر كلماته في آخر مكالمة تليفونية سمعت فيها صوته: «أنا بحاجة لاستراحة طويلة».. وآخر لمحة ألقيتها على جثمانه، هي كلها تفاصيل لا تفارق الذاكرة ولا القلب لا في أيام الراحة ولا في أيام الأسى.

لكن الذي لفت نظري ليلتها هو ذلك الاندفاع الذي حرض الجميع بإلحاح على أن يتصدوا لكل ما كان يجتازه الوطن من أحوال بذكرى ناصر. فقد كان السجن يجمع رموزًا لقوى وطنية كثيرة ينتسب بعضها لما قبل ثورة يوليو، وينتسب الآخرون للثورة نفسها. وكان يجمع كثيرين ممن تخاصموا مع ناصر، أو تنازع معهم، أو اختلطت أجواء الريبة علاقته بهم وعلاقتهم به والالتباس وربما المصادمات:

- كان هناك إخوان مسلمون اشتبك معهم ناصر، وتنازعوا معه لحد محاولة اغتياله وقتله.

- وهناك وفديون ينتسبون للحزب الذي أدان ناصر بأنه قد انتزع تأثيره التاريخي على الشعب

وهناك يساريون زجوا للسجون في عهد ناصر، وها هم يدخلونه بعد رحيله دفاعًا عن أفكاره

- وكان هناك آخرون ينتسبون لمدارس فكرية أخرى ولأجيال متعاقبة.

لذلك أصغيت لكلماتهم في الإشادة بمآثر الرئيس ناصر بحفاوة، وكان المشترك ما بين ما تقوله كل هذه المدارس الفكرية المتباينة هو الإدراك بأن الأمة تاهت كثيرًا مع اختفاء ناصر، وكان اتفاق هذه الرموز في سجن واحد هو أحد علامات هذا الافتقاد. عندها أحسست أن

هناك سوء فهم تاريخي قد جرى بين هذه القوى كلها وبينها وبين ناصر، وأن هذا قد بدد فرص على الأمة والوطن لا تُعوض. وربما أن هذه القوى استخلصت، وناصر حي وقيادته موجودة، قيمة حضوره وقيمة ما كان يمثله..

دموع بلا رثاء!

– كانت المرة السابعة يوم الثلاثاء ٦ أكتوبر ١٩٨١، ساعة أن أبلغني العقيد محمود غنام (مأمور سجن طره) والعقيد صلاح شلبي (ضابط مباحث) نبأ اغتيال الرئيس أنور السادات (ربما بقصد معرفة رد الفعل!)..

استوضحت، وعندها لم أستطع أن أذكر إلا أنه كان صديقًا، وإذا بالدموع في عيني تجري..

لقد عشت معه عشرين عامًا كأصدقاء، أصغر أبنائي (حسن).. أنا أعرف كيف كان ضعف السادات تجاهه.

(نشر الأستاذ هيكل في كتابه الصادر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر سنة ١٩٩٣ «حرب الثلاثين سنة: أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة»، وثيقة تحمل شعار الدولة بها رؤوس موضوعات كتبها أثناء جلسة التحضير السياسي والإعلامي لحرب أكتوبر في استراحة كنج مريوط، ويلاحظ وجود عبارة «حسن هيكل» بخط يد الرئيس السادات!

ففي صباح يوم الأربعاء ٥ سبتمبر ١٩٧٣، كان الأستاذ هيكل على موعد مع الرئيس السادات في استراحة الرئاسة في برج العرب (ساحل مصر الشمالي)، ومن ثم دعاه الرئيس إلى الركوب بجواره في السيارة (طراز مرسيدس بنية اللون)، وراح يقودها بنفسه في اتجاه استراحة كنج مريوط.

طلب الأستاذ هيكل أوراقًا ليكتب عليها ولو مجرد إشارات لما يمكن أن تسفر عنه المناقشات (مجموعة شواغل سياسية وإعلامية كانت لا تزال حائرة في فكر الرئيس السادات)، وطلب الرئيس السادات حقيبة يده وكانت في سيارة الحراسة التي تتبع سيارة الرئيس. وأخرج منها مجموعة أوراق تحمل شعار الدولة واسم الرئيس. والغريب أنه لم يكن مع الأستاذ هيكل قلم (من النوادر!)، وأخرج الرئيس السادات قلمًا وراح يجربه على أول ورقة من مجموعة الأوراق التي أخرجها، واختار أن يجرب قلمه بكتابة اسم أصغر أبناء الأستاذ (حسن هيكل)، وكان أقربهم جميعًا إلى الرئيس السادات!

امتنان

– المرة الثامنة حاولت جاهدًا أن أحبس دموعي طيلة الأيام التي أعقبت نشر مقالي: «الاستئذان في الانصراف» (الثلاثاء ٣٠ سبتمبر والأربعاء ١ أكتوبر ٢٠٠٣)!

فقد فوجئت بتدفق المقالات في الأعمدة والزوايا الصحفية داخل مصر وخارجها من أصدقاء وزملاء مهنة وغيرهم، ممن أعرفهم وممن لم أتشرف بلقائهم ومعرفتهم، كالسيل المنهمر من فيضان المشاعر تطالبني بالعدول عن قرار الانصراف، وسأظل وفيًا لجميلهم ما بقيت..

لفحات الأحزان

وعلى المستوى الشخصي كان استفساري؟

أجاب الأستاذ: «الأقرب إلى ذاكرتي الآن هو غياب شقيقي الوحيد المهندس فوزي (١)، رغم تجاربي الكثيرة مع لسعات الأسى، هناك من يتخيل أن ما يتبقى من المغادرين عنا في حياتنا هو بكائنا في وداعهم أو ذكرياتنا معهم»!

ثم كان أن استضافت الإعلامية منى الشاذلي يوم الخميس ٧ إبريل ٢٠١٦ الدكتور المهندس أحمد هيكل (الابن الأوسط)، وتحدث عن ظروف إصابته بورم خبيث من النوع العدواني Aggressive، وقد وصف الدكتور أحمد رد فعل والده بعد أن فاتحه بالأمر بالغريب!

كان الأستاذ هيكل يومها في برقاش، لاستقبال بعض الزوار، وما أن فرغ من عمله (في حدود الثانية ظهرًا)، حتى صعد إلى غرفة نومه، فتوجه إليه الدكتور أحمد – الذي كانت مشاعره ملتبسة بين خشية من مفاتحته في أمر إصابته بالمرض وخوفًا من ردة فعله.

وربما كان قول الأديب والسياسي الألماني يوهان غوته يومها في ذهن رجل الأعمال الدكتور أحمد هيكل: «المواجهة هي أقصر الطرق للوصول إلى الهدف». وهكذا استجمع أمره.. وفاتح الأستاذ هيكل!

وفضت الأحاسيس الإنسانية والحنان الأبوي المتحررتان من كل عقل.. فإذا عينا الأستاذ

هيكل في حالة انهيار كهبوب العواصف، ودموعه تنافس الأمطار في انسكابها!

وقد عدت لمجموعة أوراقي، ووجدت بأن الأستاذ هيكل قد غادر إلى الولايات المتحدة (مدينة بوسطن بولاية ماساتشوستس حيث يتواجد بها أفضل مستشفيات لعلاج مرض السرطان) يوم الأربعاء ١٣ فبراير ٢٠٠٨، متغيبًا عن افتتاح الدورة التدريبية التي سطمها مؤسسة هيكل للصحافة تحت عنوان «الصحافة تاريخ سائل»، والتي استضافت خلالها المؤرخ البريطاني السير أليستر هورن Sir Alistair Horne!

لكن عناوين جميع الصحف كانت تتحدث عن أزمة صحية طارئة ألمت بالأستاذ هيكل (قصور في الدورة الدموية)!

وهو ما يثبت بأن الأستاذ هيكل قادر على ترك مسافة بينه وبين أقرب المقربين له، تطبيقًا للمثل الأمريكي الشهير: «He plays his cards close to his chest هو يلعب وأوراقه قرب صدره»!

■ ■ ■

الفصل الثاني والعشرون:

.. أسرار الموائد والكراسي *

> طاولة، كرسي، وعاء من الفاكهة والكمان؛ ماذا يفعل الرجل أيضا لكي يكون سعيدا؟
>
> ألبرت اينشتاين Albert Einstein

لا شيء أبدا يدلل على أي حضارة أكثر من مطبخها، فالمطبخ هو المكان النهائي الذي تنتقل إليه Refinement رقة وأناقة ورقي الحياة – كذلك بدأ الأستاذ هيكل حديثه عن المطاعم العالمية والمطابخ المتنوعة!

إن البشرية تطورت ومع التطور تقدم المطبخ ولم يعد الطعام ذريعة للشبع، ولكنه بات فنًا من فنون الحياة.

فهناك المطبخ الإيطالي، عبر أطباق البيتزا وعجائن المكرونة التي عثر عليها الرحالة الإيطالي ماركو بولو في الصين وعاد به إلى إيطاليا لتتحول بسرعة إلى فن إيطالي ومن ثم إلى مطبخ عالمي.

خذ مثلًا المطبخ الصيني، الفرد الصيني يتحرك بمنطق «حب الحياة»، جرب مرة الأكل الصيني، قيمة الأكل الصيني أنه مزيج لمتناقضات، الأكل الصيني قائم على التباين Contrast وقائم على التهسث بين متنقصات وقائم على نظام مكتفٍ بذاته، عندما تتناول الطعام الصيني لا تستطيع أن تمزج معه طعام من مطبخ آخر، فمثلا نحن هنا نستطيع أن نمزج شرقي بأوروبي، فطبق ورق عنب محشي وهو طبق شرقي تستطيع أن تتناول بعده طبق إسكالوب Escalope وهو طبق أوروبي (فرنسي)، لكن في المطبخ الصيني لا تستطيع إلا أن تبدأ وتنتهي به، فهو بداية ونهاية وإحساس باللذة متكاملة ومكتفٍ بذاته..

* [illegible] ديوان «كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل» – قصيدة: «فصل الحجر»

وأتذكر أن «وولين شي» المسئول عن تحرير جريدة «الشعب» وهي كبرى الصحف الصينية، دعاني إلى عشاء ذات ليلة من شهر يناير ١٩٧٣ في مطعم «بط بكين» الشهير.

كان العشاء سبعة أطباق من بطة واحدة!

واسترسل الأستاذ هيكل في شرح مكونات كل طبق: «خمس قطع مختارة باردة من البطة في أول طبق، كبد البطة مقليًا في طبق ثان، أضلاع البطة بالصلصة في طبق ثالث، قلب البطة في قطع صغيرة محمرة في طبق رابع، لسان البطة وأمعاؤها والبنكرياس مطبوخة مع الخضروات في طبق خامس، جسم البطة نفسه أخيرًا، وهو الطبق الرئيسي، مشويا في طبق سادس، عظام البطة مسلوقة، في طبق حساء في النهاية، وهو الطبق السابع، فالمطبخ الصيني لا يوجد به شيء أسمه ضائع!

أليس ملفتًا أن مذاق طعام حوض الحضارة الصينية اتخذ طريقه ليستكمل تمددًا عالميًا شاسعًا، وأخرج تنويعات مختلفة على مذاقه الأصلي كالمطبخ الياباني والتايلاندي والفيتنامي

والمطبخ الفرنسي بحساء البوياييس Bouillabaisse (حساء السمك الشهير في مرسيليا).

والمطبخ الإسباني وهو ضمن مطابخ حوض البحر الأبيض المتوسط، ووجبة «بقية paella» وهي من الأرز والزعفران والمأكولات البحرية المتنوعة من الوجبات التي أستمتع بها.

والمطبخ الهندي الذي أخرج مذاقه ولكن بأسلوب آخر – فإذا كانت إنجلترا قد احتلت الهند بجيوشها قرنين من الزمان، فإن المذاق الهندي يحتل بريطانيا إلى آخر الزمان بمشروب الشاي ومسحوق الكاري!

والمطبخ اليوناني وهو أيضًا ضمن ثقافة البحر الأبيض المتوسط، خصوصًا بسلطاته المميزة عن غيرها من حوض المتوسط عبر إضافة زيتون كالاماتا وجبنة فيتا والتوابل oregano، وفلفل فلورينا المشوي، والخرشوف (أرضي شوكي) بزيت الزيتون وغيرها..

والمطبخ المكسيكي قريب الشبه من أطباق البحر الأبيض المتوسط ولكنهم يستخدمون الشطة بكثرة!

والمطبخ الأمريكي بوجباته المشهورة التي هي الآن أشهر طعام في العصر الأمريكي. فقد طور المجتمع الأمريكي فكرة «الساندويتش» – وقد بدأت في إنجلترا – إلى السجق المسلوق (الهوت دوج Hot dog) – وإلى الدجاج المقلي (كنتاكي تشيكن Kentucky Fried Chicken) – وإلى اللحم المفروم (هامبورجر Hamburger) الذي مثلته في النهاية منتجات ماكدونالدز McDonald's.

المعاناة خلف القضبان!

بعد ساعة من قدومي لسجن طره، الزنزانة رقم ١٤، سمعت صليل الباب الحديدي ومفتاحًا يدور فيه. ثم انفتح الباب عن شاويش (عبد التواب) يتبعه اثنان من الجنود، أحدهما يحمل صفيحة عسل أسود يغطيها الصدأ، وآخر يحمل صفيحة أخرى ممتلئة بأرغفة الخبز، وتحجبها سحابة من الذباب. واعتذرت له شاكرًا. ومع أنه قد بان شعوري بالجوع، فقد كان شكل ما هو ظاهر من الطعام يغني عن فتح أي رغبة.

وانقضت ساعات ثم فتح باب الزنزانة بعد الظهر، وولج أحد الضباط يستدعيني للخروج معه. وعند غرفة مدير السجن وجدت في انتظاري ضابطًا برتبة لواء ومعه ثلاثة من العمداء. وظهر أن الموضوع مرتبط بمذكرة تفتيش شقتي ومكتبي وبيتي الصغير في الريف.

وبعد أن تم التفتيش في بيتي ومكتبي في الجيزة ومصادرة بعض ما وجدوه من أوراق. قصدنا بيتي الريفي، وقد كان تحت احتلال عسكري كبير حينما وصلنا إليه. وقد عاودني الشعور طاغيًا بالجوع، واستأذنت ضابط الحملة ما إذا كان في إمكاني أن أطلب طبقًا من البيض المقلي، وجاءني الطبق غارقًا في السمن. وهكذا أرغمت إلى أن أستأذن مرة أخرى ما إذا كان ممكنًا استبدال البيض المقلي ببيض مسلوق لأن كثرة السمن في البيض المقلي يحتمل أن تثير كل مشاكل المرارة والكلى التي أكابدها. وجاءني الأذن بالقبول، بحمل البيض المسلوق (خمس بيضات تناولها خلال الأيام الخمسة الأولى في السجن) وبعض أرغفة الخبز التي جاءني بها خفير البيت هو وزوجته (عبد السلام وزينب)!

واستمر هذا الوضع، فعند الساعة العاشرة من صباح كل يوم، كان الشاويش يفتح طاقة الزنزانة ويلقي لكل واحد برغيف خبز والقليل من العسل الأسود، ويحضر ثانية عند الساعة الثالثة بعد الظهر فيلقي برغيفي خبز وقطعة جبنة بيضاء لكل سجين، لكنها كانت في جردل،

والشاويش عبد التواب يفتح الباب الحديدي بيده - الباب ويده تفتقدان لأسس النظافة - ثم يدب يده في الجردل لإعطاء قطعة الجبنة مع سرب من الذباب مرافق الشاويش وما يحمله (وهو ما رفضه الأستاذ هيكل طيلة ليالي السجن، مما أفقده ١١ كلغم من وزنه!) ولكن بعد اغتيال الرئيس السادات، سمح لنا أن نشتري من كانتين (مقصف) السجن ما قيمته جنيه واحد فقط، وكان من ضمن المسجونين الدكتور كمال الإبراشي (طبيب الأسنان وكان الأستاذ هيكل من المترددين على عيادته) نصحه بشراء الطماطم (كونها تحتوي على مجموعة من الفيتامينات والحديد)!

كان البعض يقوم بشراء معلبات لحمة ودجاج (لانشين وبولوبيف)، وأنا لم أتناوله في حياتي، لكن للحصول على البروتين كنت أتناول وجبة الفطور، التي أصبحت فول مدمس، وكانت وجبة هائلة، وكنت أتناولها برغبة، ولكني قبلها أقوم بفرزه من السوس، لست وحدي ولكن كل رؤساء وزراء مصر السابقين ورجالها الأقوياء تجدهم صباحًا بعد وضع نظاراتهم يقومون بفرز الفول من السوس، خصوصًا بعد أن اتفقنا مع الشاويش عبد التواب أن يقوم بتغطية أرغفة الخبز من أسراب الذباب، وقد كان خبزهم مقبولًا!

وفي إحدى المناسبات قدموا لنا لحمة مسلوقة (لم يعد تقريبًا يتناولها الأستاذ هيكل بعد خروجه من السجن!) فقد قدمها لي أيضًا الشاويش من جردل بيده، وزميل الزنزانة الشيوعي المتمرس صابر بسيوني عرض عليّ أن يقوم بتقشير اللحمة (إزالة جوانبها الأربعة، لكن الأستاذ هيكل كان نافرًا منها على الإطلاق!)

حكاية في منتصف الليل!

في ليلة من ليالي أكتوبر ١٩٥٩ كان الأستاذ هيكل في دمشق.

وكان المشير عبد الحكيم عامر قد وصل إليها منذ أيام في مهمة رسمية.

في تلك الليلة، قابل الأستاذ هيكل في فندق أمية، الصحفي الأمريكي المشهور هاري إيليس Harry Ellis (المراسل الأجنبي لصحيفة كريستيان ساينس مونيتور. توفي في يونيو ٢٠٠٤. التحق بالصحافة سنة ١٩٤٧، وعين أول مراسل صحفي أجنبي مقيم في بيروت سنة ١٩٥١)، وكان قد جاء من بيروت بناء على موعد مع المشير عامر حدده المكتب الصحفي لسفارة الجمهورية العربية المتحدة في بيروت.

وقال إيليس للأستاذ هيكل: «لقد عدت الآن فورًا من موعد مع المشير عامر...»

وجلس الأستاذ هيكل مع إيليس في بهو فندق أمية يتحدثون معًا في قصص وذكريات وتجارب واجهوها معًا أيام كانوا مراسلين حربيين في كوريا قبل ما يقرب من عشر سنوات...

وتركه الأستاذ هيكل، وصعد إلى غرفته في الفندق لينام.

ولم تمض إلا بضع دقائق حتى سمع الأستاذ هيكل طرقة على الباب، وفتح وإذا شاب يقدم له نفسه باعتباره من المكتب الثاني... ودهش الأستاذ هيكل.

وقال له الشاب في رقة وأدب شديدين: «سيدي... ألم تكن الآن مع هذا الصحفي الأمريكي.. إيليس؟»

قال له الأستاذ هيكل: نعم.

قال: عرفنا أنه قابل المشير الليلة..

قال الأستاذ هيكل: هكذا سمعت منه.

قال: ألم يقل لك ماذا سمع من المشير؟

وتحولت دهشة الأستاذ هيكل إلى ذهول، وقال له: «هل تسمح لي أن أسألك.. لماذا تريد أن تعرف؟»

قال ببساطة: «لأكتبه في التقرير..»

قال الأستاذ هيكل: «تقرير.. لمن سوف تكتب التقرير؟»

قال: «لوزير الداخلية»

قال الأستاذ هيكل «لا أظن أن وزير الداخلية - السيد عبد الحميد السراج - يحتاج إلى تقرير في هذا الأمر، إن حديث إيليس دار مع المشير، ويستطيع وزير الداخلية أن يسأل فيه المشير رأسًا» قال الشاب بحزم: «سيدي.. ظننتك تستطيع مساعدتي بدل أن أسأل الرجل الأجنبي نفسه...»

وأحس الأستاذ هيكل بقلق، فلقد تصور ما يمكن أن يحدث لو ذهب هذا الضابط الشاب

من المكتب الثاني إلى إيليس وسأله عن حديثه مع المشير عامر. ما الذي يمكن أن يفهمه إيليس من هذا الوضع؟ أغلب الظن أنه كصحفي مجرب وقديم، سوف يفهم منه الكثير.

وقرر الأستاذ هيكل على الفور أن لا يترك الأمر.

سكت لحظة ثم قال لضابط المكتب الثاني الشاب: «اسمع.. ما رأيك لو انتظرت إلى الصباح وأنا أعطيك كل ما سمعته من إيليس عما دار بينه وبين المشير»

قال الضابط الشاب: «ألا تستطيع أن تفعل ذلك الآن؟»

قال الأستاذ هيكل: «نحن الآن في الواحدة من الصباح، ولقد كنت على وشك أن أنام كما ترى، والمسألة كلها بضع ساعات»

قال الضابط الشاب: «في الصباح الباكر.. حتى أكتب تقريري قبل أن تفتح الدوائر الحكومية» قال الأستاذ هيكل: «في السابعة صباحًا سوف أكون تحت أمرك» .

وأقفل الأستاذ هيكل الباب وهو يفكر كيف يتصرف في الأمر بهدوء، كان همه كله أن لا تبدو الجمهورية العربية المتحدة أمام صحفي أجنبي غريب في صورة تثير فضوله ومن يدري ماذا يمكن أن تثيره بعد الفضول، ثم وصل إلى حل، ورفع سماعة التليفون وطلب إيليس وكان ينزل في نفس الفندق وقال له: «هاري.. يبدو أن صحفيًّا آخر حصل على حديث من المشير. وفي رأيي أن لا تنتظر للغد حتى تبرق بحديثك معه ويسبقك الصحفي الآخر. إنك لن تجد مكتب البرق مفتوحًا في دمشق الآن، لهذا فإني أقترح عليك أن تركب سيارتك فورًا إلى بيروت وتبرق بحديثك مع المشير قبل الفجر وتسبق به غيرك».

واعتبرها إيليس جميلًا أسداه الأستاذ هيكل إليه تطوعًا ووفاء. وظل الأستاذ هيكل بعدها يشعر بوخزة الضمير.. ولكن المهم أن إيليس خرج من دمشق ووصل إلى بيروت قبل الصباح.

ودق جرس التليفون بجوار سرير الأستاذ هيكل في الساعة السابعة صباحًا.

وكان المتحدث هو ضابط المكتب الثاني الشاب يذكر الأستاذ هيكل بموعده معه.

وقال الأستاذ هيكل: «متأسف.. هل تتركني لأنام؟»

قال: «ولو.. أما وعدتني أن تحكي لي ما قاله لك إيليس من حديث المشير معه؟»

قال الأستاذ هيكل ببساطة: «لم يقل لي شيئًا في هذا الموضوع»

قال بحدة: «شو ها الحكي»

قال الأستاذ هيكل بهدوء: «هذا ما حدث..»

وأقفل التليفون غاضبًا، ولكن الصمت في الحجرة بعد بضع دقائق تمزق وتبدد من طرقات عنيفة على الباب، وقام الأستاذ هيكل ليفتح، وكان هو بنفسه ضابط المكتب الثاني الشاب.. جاء ثائرًا غاضبًا بعد أن عرف أن إيليس نفسه غادر الفندق في الفجر وانطلق على طريق بيروت.

موقف محرج!

«في مارس ١٩٥١ في بيت شقيقة الشاه محمد رضا بهلوي (التوأم الأميرة أشرف)، وقعت في مأزق شخصي على مائدة الطعام. فقد كان طبق الـ "كافيار Caviar" هو فاتحة الغداء، ولم أكن قد ذقته من قبل لكني جاريت الباقين وأخذت في طبقي بعضا منه وفعلت كما فعلوا وتناولت معلقة صغيرة منه على قطعة من الخبز المجفف وضعتها في فمي ثم لم أستطع أن أمضغ أو أبلع. فقد فوجئت بمذاق «زفارة» بحرية مركزة (لم يكن الروس قد توصلوا إلى أساليب معالجته لإزالة «زفارته» كما فعلوا فيما بعد) وأحسست أنني أختنق. وكان الشاه هو الذي أحس على الفور بما جرى لي واقترح برقة أن أذهب إلى الحمام وأتخلص مما هو غير قابل للمضغ أو البلع في فمي.

وأسرعت، وعدت، وكان هو الذى قال بأدب «إن كل الذين يجربون الكافيار لأول مرة يحدث لهم ما حدث لي»!

طبق غريب من كوناكري!

في يناير ١٩٦١ كنت برفقة الرئيس ناصر لحضور مؤتمر الدول الإفريقية المنعقد في مدينة الدار البيضاء، وقد دعيت على طبق وطني من غينيا (زمن الرئيس أحمد سيكو توري)، الطبق اسمه «فونيا» وهو مصنوع من الموز والأناناس والفول السوداني والدجاج وفوق ذلك كله «صلصة» من الشطة الحمراء!

إشاعة في سالزبورغ!

ما كاد يصل الأستاذ هيكل إلى ميونيخ (منتصف شهر أغسطس ١٩٧٢) حتى امتلأت صحف العالم وإذاعاته بحكايات تقول: إن مقصده من السفر إلى عاصمة بافاريا هو ترتيب للقاء بينه وبين هنري كيسنجر مستشار الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون لشئون الأمن القومي، وإنها محاولة جديدة في الدبلوماسية السرية التي مارسها كيسنجر بنجاح مشهور في بكين وموسكو وباريس... وجاء الدور فيها الآن على أزمة الشرق الأوسط!

وسمع الأستاذ هيكل لأول مرة بحكاية كيسنجر من صاحبة الفندق الهادئ الذي حل به أيامًا على ضفاف بحيرة في شمال النمسا (بحيرة فوشيه Fuschl) قبل أن تبدأ الدورة الأوليمبية (السبت ٢٦ أغسطس - الأحد ١٠ سبتمبر ١٩٧٢).

ذهب إلى مدخل الفندق ذات صباح مبكر لآخذ مجموعة من صحف لندن وباريس حتى لا ينقطع عن الدنيا فإذا صاحبة الفندق

- وكانت في شبابها ممثلة لامعة من نجوم المسرح والسينما - واقفة في انتظاره واقتربت همسًا تسأله: «هل ستقابل كيسنجر هنا في هذا الفندق أو أن اللقاء سيتم خارجه؟».

ونظر إليها بدهشة وسألها: «من الذي قال بأنني سأقابل كيسنجر؟».

ونظرت إليه السيدة الرقيقة نظرة ممثل محترف إلى ممثل هاو!

وقالت له: «أوه... هر هيكل... إن القصة كلها منشورة في الصفحات الأولى من جرائد سالزبورغ هذا الصباح!».

ثم أضافت وصوتها يتهدج بالرجاء: «من أجل خاطري دع هذا اللقاء يتم هنا... إنه سوف يجعل من هذا الفندق مكانًا مشهورًا!!».

وتناول منها صحف سالزبورغ التي كانت تحملها وراح يحاول استقراء السطور، ثم قال لها ضاحكًا: «هل تصدقين الصحف؟»

وسألته باستغراب: «ألست أنت صحفيًا؟».

وقال لها على الفور: «إذا كانت تجربتي مع الصحافة أكثر من ثلاثين سنة قد علمتني شيئًا فهو أن لا أصدق كل ما أقرأه في الصحف».

وحمل معه مجموعة صحف لندن وباريس التي جاء من أجلها وذهب إلى شرفة هادئة على البحيرة... وكانت السيدة الرقيقة غارقة في الدهشة والاستغراب ولا يعرف ماذا كان يجول في خواطرها تلك اللحظات!

زيارة إلى لندن!

أقام الأستاذ هيكل في فندق هيلتون لندن Hilton London Metropole في شهر نوفمبر ١٩٧٢، فقد كان صديقه السفير اللبناني نديم دمشقية في انتظاره في المطار وأبلغه: «بأن لندن هذه المرة تختلف فهناك طرود متفجرة، وخطابات ناسفة، وتليفونات تهديد من مجهولين ومن يعرف ماذا أيضًا... وبلغهم بالتأكيد أنك هنا فضلًا عن أن خبر وصولك قد نشر فعلًا وأذيع .. وإذن فسوف تكون هدفًا.

إننا جميعًا (السفير دمشقية والسفير الجزائري الأخضر الإبراهيمي والوزير المفوض المصري أحمد سمير) ناقشنا الموضوع قبل وصولك والرأي عندنا أن تنزل في السفارة اللبنانية... تنزل معي في بيتي كصديق!»

وراح الأستاذ هيكل يناقشه ويبدي حججه في اختيار النزول في فندق، وأهمها أنه يتيح له حرية الحركة والاتصال، ثم إنه يعرف، وهم يعرفون أن حجم زواره كبير وهو عبء لا يريد أن يحمل به غيره، ثم أنه لم ينزل إطلاقًا في سفارة، ولا يتصور أن ذلك من حقه...!

وانضم إليهم في المناقشة بعد قليل دنيس هاملتون رئيس التحرير العام لمجموعة صحف «التايمز» وفوجئ به الأستاذ هيكل يقول: «لماذا لا تنزل معي في بيتي؟.. عندنا لك مكان جاهز... وهناك سوف نكون معًا طوال الوقت، وسوف نكون على اتصال بكل التطورات».

وقال له الأستاذ هيكل والدهشة تستبد به أكثر: «هل أصبحت لندن غابة لا يستطيع زائر أن يأمن فيها على نفسه؟».

وتدخل نديم دمشقية في الحديث يقول: «المشكلة أن الجماعات الصهيونية أصابها صرع من يوم حادث ميونيخ (سبتمبر١٩٧٢)، وأنت بالذات حاولت الدفاع عن وجهة نظر الفدائيين، ثم أن صلتك «بفتح» معروفة، وعلاقتك بالقذافي أيضًا معروفة... وأنا لا أقول إن الخطر بنسبة ١٠٠٪، ولكنى سوف أفترضه بنسبة ١٪، وهذا الـ ١٪ يكفينا لكي نحتاط».

وطالت المناقشة، وصمم الأستاذ هيكل في النهاية على أن ينزل في الفندق، ولو لهذه الليلة ويجرب ثم يقرروا في الغد ما يكون!

وعندما وصل إلى فندق هيلتون لندن أحس بأن المسألة جد بأكثر مما قدر..

وجد أحد ضباط الأمن جاهزًا لاستقباله بمجموعة أسئلة: «هل عندك مانع أن تسجل نفسك هنا باسم مستعار؟، هل عندك مانع أن نفتح كل خطاب أو طرد مرسل إليك قبل أن تتسلمه؟، هل عندك مانع أن يقف أحد ضباط الأمن قرب غرفتك في الفندق؟، وأجاب عليها الأستاذ هيكل بكلمة واحدة فقط: «أبدًا!» وافق على ذلك كله، ولكنه بدأ يشعر بضيق الحصار من الغامض والمجهول!

وقال لنفسه: «في الصباح سوف أذهب إما إلى السفارة اللبنانية... أو إلى بيت دنيس هاملتون؟!».

وكان أول ما سمعه في الصباح أن السفارة اللبنانية لم تنم الليل بطوله، لأن مجهولًا اتصل بسكوتلاند يارد وأخطرهم بأنه وضع قنبلة في مبنى السفارة اللبنانية، وأنها ستنفجر في الساعة الثانية صباحًا، وأسرعت سيارات البوليس والإسعاف إلى هناك، وخرج نديم دمشقية وقرينته (البريطانية مارغريت) وكل من في البيت إلى خارجه، بينما سكوتلاند يارد بالكشافات القوية وأجهزة التجسس الدقيقة والكلاب البوليسية تفتش كل ركن في البيت.

واتصل الأستاذ هيكل بنديم دمشقية ليقول له ضاحكًا: «هل تريد أن أحجز لك غرفة في الفندق معي؟!».

عرض العمل في الأهرام.. من جنيف!

في شهر يونيو ١٩٥٥ كان الأستاذ هيكل (كان وقتها واحدًا من رؤساء تحرير جريدة الأخبار ورئيس تحرير مجلة آخر ساعة) في جنيف ليتابع مؤتمر الأقطاب الذي انعقد فيها واشترك فيه خروشوف عن الاتحاد السوفيتي وايزنهاور عن الولايات المتحدة، وإيدن عن بريطانيا، وإدغار فور عن فرنسا.

وأثناء وجوده في جنيف لمتابعة المؤتمر العالمي مر على فندق دي بيرج (فندق دي بيرج Four Seasons Hotel des Bergues من أقدم فنادق جنيف فقد افتتح سنة ١٨٣٤،

وقلما لا تجد أميرًا أو ملكًا أو إمبراطورًا من ألمانيا، النمسا، إنجلترا، روسيا، الدنمارك، هولندا والبرتغال إلا وأقام به!) لموعد مع السيد علي الشمسي (باشا – وهو أحد مؤسسي الوفد في أيامه الأولى ثم أصبح وزيرًا واستقر أخيرًا كأول رئيس مجلس إدارة البنك الأهلي). وكان الأستاذ على صلة قديمة به فقد كان بين أوائل من تعرف عليهم من الساسة المصريين بعد اشتغاله بالصحافة سنة ١٩٤٢، وكان الرجل دمث الخلق، واسع الأفق، شديد الصبر مع صحفي شاب يتصور أن الكون كله يمكن أن يتغير بين يوم وليلة!

وكانت لعلي الشمسي صلة بالصحافة فقد كان في وقت من الأوقات رئيسًا لمجلس إدارة الأهرام ثم اكتفى مع ضغط المشاغل عليه، بمقعد العضوية فيه.

وفي ذلك اليوم، في فندق دي بيرج بجنيف فاتحه علي الشمسي في فكرة انضمامه إلى الأهرام، وأبدى يومها الأستاذ هيكل خمسة أسباب ليعتذر عن رئاسة تحرير الأهرام!

حسين وحسنين!

انعقد مؤتمر بلودان يوم السبت ٨ يونيو ١٩٤٦، في فندق بلودان الكبير، وهو في مصيف بلودان القرية السورية الحلوة النائمة على قمة جبل تفترش سفوحه أشجار التفاح.

والذي ترأسه عن الجانب المصري الدكتور محمد حسين هيكل (باشا) رئيس مجلس الشيوخ، وبمشاركة وفود من سوريا والأردن والسعودية ولبنان واليمن وفلسطين وأمين عام الجامعة العربية عبد الرحمن عزام (باشا).

كان الأستاذ هيكل مشاركًا أيضًا كمراسل لجريدة أخبار اليوم، وقد وصل قبل الجميع، ونشرت الصحف السورية خبرًا عن وصول هيكل (باشا) دون التدقيق بين حسين وحسنين، وبدأت السفارة المصرية والرئاسة السورية بالتحرك، وسارع الفندق بتغيير غرفته، ونقله إلى الجناح الخاص بهيكل (باشا). وحضر السفير المصري برفقته عبد الرزاق السنهوري لتحية هيكل (باشا) الذي وصل فجأة دون أن يخبر أيًّا منهما، لكنهما فوجئا بأن هيكل الذي وفد إلى بهو الفندق ليس هو هيكل الذي قدما من أجله. وأوضح لهما الأستاذ هيكل اللبس، ثم ذهب ثلاثتهم لاستقبال هيكل (باشا) في المطار!

مقلوبة فلسطينية في.. لندن!

كان السياسي الفلسطيني المقيم في لندن الأستاذ باسل أمين عقل والسيدة قرينته مها

القدومي، وجها دعوة للأستاذ هيكل ولمجموعة من المثقفين والصحافيين، وكان طبق «المقلوبة» متقدمًا المعروض من الطعام، وكان الأستاذ هيكل منهمكا وهو يتناول هذا الطبق بنهم ورائحة الهال تفوح منه!

وبعد عودة الأستاذ لمكان إقامته اتصل هاتفيًا بالأستاذ عقل متسائلًا عن «اسم الطبق الذي يحوي لحمًا وأرزًا وباذنجانًا فهو خرافي وطعم»، وأجابه «إنه طبق فلسطيني يدعى مقلوبة»، وكان رد الأستاذ هيكل «دي مقلوبة وطعمه بالشكل دا، أومال لو معدولة كانت هاتبقى إزاي؟»!!

طبق ملكي في ذكرى ميلاد الأستاذ!

«ويوم الأحد ٢٣ سبتمبر ١٩٥٦ (ذكرى ميلاد الأستاذ هيكل الـ ٣٣)، قرر الرئيس جمال عبد الناصر زيارة السعودية، بعد اقتراح الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود أن يكون الاجتماع في مدينة الدمام (عاصمة المنطقة الشرقية، وقلب الحزام الشيعي)!

وبالفعل وصلت طائرة الرئيس ناصر إلى مطار الظهران وبطبيعة الأحوال كنت مرافقًا له (كان وقتها الأستاذ صحفيًا في دار أخبار اليوم)، وأيضًا بطبيعة الأشياء لم أحضر الجلسات الرسمية، لكني كنت موجودًا في كل المناسبات التي تلتها، وتصادف أنني تواجدت في إحدى مآدب الغداء قبالة الأمير فيصل (شقيق الملك وولي العهد)، وكان هناك على طاولة الطعام بيننا جمل صغير (مفطح قعود) جاثمًا على أقدامه، وتطوع الأمير فيصل أن قدم لي قطعة لحم من الجمل، وأنا بدوري وضعتها في طبقي ولكني لم أستطع أكلها لعدم استساغتي لها.

رغم أني تناولت أطباق عجيبة وغريبة في الدول العديدة التي زرتها، مثل قدم فيل في الكونغو، وثعابين في تايلاند»!

■ ■ ■

الفصل الثالث والعشرون:

رَسَمَتْ وجهَكَ أزهارُ الطريق *

> كل شيء يخضع للتفسير. وأيا كان التفسير السائد في وقت معين، فهو وظيفة للقوة وليس للحقيقة.
>
> **فريدريش نيتشه Friedrich Nietzsche**

● محمد حسنين هيكل، ربما أقوى صحافي في العالم.

(إدوارد شيهان Edward Sheehan – كاتب أمريكي ومراسل أجنبي – جريدة نيويورك تايمز – الأحد ٢٢ أغسطس ١٩٧١)

● إن هنري كيسنجر حسن الثقة في نفسه وفي معرفته بشئون العالم وإنني عندما زرت مصر، قابلت فيها رجلًا له صفات كيسنجر، ومزاياه، وهو محمد حسنين هيكل..

(دونالد كندال Donald Kendall – الرئيس التنفيذي لشركة بيبسي كولا (١٩٧١ – ١٩٨٦) – الثلاثاء ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢)

● لقد خاض هيكل معركة كان في أغلب الأحوال وحده فيها ضد الرضا بالنفس، والاسترخاء الفكري، وطالب بالتخلي أولًا عن أنماط التفكير العربي، والسلوك العربي، التي كلها إطناب وتمجيد بالذات. ومقدار النجاح الذي أحرزه لم يصبح بديهيًا إلا الآن. ففي وقت نادى فيه آخرون بخوض حرب متعجلة ويائسة على غرار حرب ١٩٦٧، نصح هيكل بالتريث ووقفة مطولة. وفي وقت أصر فيه آخرون على ضرورة أن تظل مصر مرتبطة بالروس، لأن الولايات المتحدة مرتبطة ارتباطًا لا رجعة فيه مع إسرائيل، تصدى لهم هيكل معرضًا نفسه ومركزه لمخاطرة كبيرة. وبالفعل كان يبدو التوقع في ذلك الوقت بأن البيت

* أدونيس: ديوان «أغاني مهيار الدمشقي» – قصيدة «مرثية»

الأبيض بوسعه أن يضغط على إسرائيل على النحو الذي فعله في الأسابيع الأخيرة، ضربًا من الجنون. ولم يكن هيكل في ذلك يردد ما يقوله الرئيس السادات، بل إنه خاض حوارًا عنيفًا مع خصوم شملوا في بعض الأحوال الرئيس السادات نفسه.

(فيكتور زورزا Victor Zorza– صحفي بريطاني (بولندي) – صحيفة واشنطن بوست – الثلاثاء ١٣ نوفمبر ١٩٧٣)

● أحد مشاهير المصريين لم يستطع إمساك لسانه، ففي عموده الأسبوعي في جريدة الأهرام حذر محمد حسنين هيكل – رئيس تحرير تلك الجريدة والصديق المقرب لعبد الناصر – من المآزق التي ستنجم عن دبلوماسية الخطوة خطوة التي ابتدعها كيسنجر، وهي الدبلوماسية التي قال إنها تهدد بعزل مصر بصورة كاملة، والحط من قوة العرب ووحدتهم الحديثة، وهما القوة والوحدة التي لا يمكن أن تعمل مصر بدونهما لأنها جزء من العالم العربي، كما حذر من حرمان مصر من الثقل السوفيتي الموازي للولايات المتحدة، وفي تحدّ سافر للسادات قال إنه لا يلمح أي تغيير جدي في السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، وكانت انتقاداته المستمرة مقنعة لأنه أيام الاعتماد على الاتحاد السوفيتي كان يدعو دائما إلى تعويض الدور الأمريكي، وأحيانا ما أكسبته مواقفه «الموالية للأمريكيين» شجبا غاضبا من الحرس «الموالي للسوفييت» في المذهب الناصري القويم، ولم يكن لأحد دور يفوق دور هيكل في مساعدة السادات في السنوات الثلاث غير المستقرة التي سبقت الحرب، وعليه فمع طرد هيكل من رئاسة تحرير أشهر جريدة في العالم العربي هوى آخر عمود كبير في الحقبة الناصرية.

(ديفيد هيرست David Hearst– مراسل صحفي إنجليزي – كتاب «السادات»، صدر سنة ١٩٨١).

● عدد قليل من الأصوات حاول تحذير النقراشي (محمود فهمي: رئيس وزراء مصر سنة ١٩٤٨). من جملتهم، المراسل القدير محمد حسنين هيكل. كان هيكل متواجدًا في فلسطين، وحذرت تقاريره الإخبارية من أن اليهود شجعان، وخصوم منظمون. فتم استدعاءه إلى مكتب النقراشي، والذي قال لهيكل إن مقالاته تضر بالروح المعنوية.

ربما، لا أحد أكثر من مدرس التاريخ المضطرب (النقراشي)، يعد على مضض بلاده للحرب.

(لاري كولنز Larry Collins (كاتب أمريكي)، دومينيك لابيير Dominique Lapierre (كاتب فرنسي) – كتاب «يا قدس»، صدر سنة ١٩٧١)

(في بداية سنة ١٩٤٨ كان الأستاذ هيكل في فلسطين في مهمة صحفية، حاول فيها تغطية المعارك التي كانت تدور بين المقاتلين الفلسطينيين وبين القوات الإسرائيلية، وأهمها في ذلك الوقت تنظيم «الهاجانا – أي جيش الدفاع، وهو اسم الجيش الإسرائيلي فيما بعد». وكتب الأستاذ هيكل سلسلة من التحقيقات الصحفية نشرت في جريدة أخبار اليوم تحت عنوان «النار فوق الأرض المقدسة»، وقد تعرض في أحدها لعمليات تهريب الأسلحة وصنعها في المستعمرات الإسرائيلية، وكان أن استدعاه رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي (باشا) ليقول له إنك بالغت في تصوير درجة الاستعداد الإسرائيلي، وبالتالي فإن ما كتبته يمكن أن يؤثر على الروح المعنوية للعرب!)

● محمد حسنين هيكل هو واحد من الصحفيين الكبار في عصرنا. وما يجعله الصحفي الشهير هو مزيج من العقل التحليلي القوي، رشاقة قلمه، وشعور قوي لقيمة الأخبار الممتعة.

(إدوارد مورتيمر Edward Mortimer – مؤلف وصحافي بريطاني – جريدة التايمز)

● محمد حسنين هيكل يوفر قدر كبير من المعلومات العميقة لكثير من قضايا المنطقة والعالم!

(تشابمان بينشر Chapman Pincher – صحفي ومؤلف إنجليزي – مجلة سبكتيتر)

● بصرف النظر عن كونه رئيس تحرير صحيفة مشهورة في العالم العربي، كان محمد حسنين هيكل أيضًا الصحفي الأوفر حظًا في هذا العالم، فهو المقرب لفترة طويلة من الرئيس جمال عبد الناصر والأقرب لفترة ما من الرئيس السادات. إذا كان هناك أحد في وضع ليعطينا المعلومات المجردة عما يجري في الشرق الأوسط، فإنه هو.

(آرثر ويلكينسون Arthur Wilkinson – كاتب بريطاني – جريدة أكسفورد ميل)

● بصرف النظر عن المعلومات الجديدة – عما يجري في مصر والعالم العربي – هناك وفرة لإمتاع الخبراء بالشأن العربي والقارئ العام.

(ريتشارد جونز Richard Johns – محرر شئون الشرق الأوسط في صحيفة فايننشال تايمز)

● إن محمد حسنين هيكل كان أول من فكر في استخدام البترول كسلاح سياسي، فلقد بدأ في تناول هذا الموضوع جديًا في كتاباته سنة ١٩٤٩، أي بعد حرب فلسطين الأولى مباشرة،

وفي ذلك الوقت كانت مناقشة هذا الموضوع وبحث إمكانياته تبدو من ضروب الخيال، لكنه ظل على يقين من أن هذا، تكمن فيه إمكانيات تأثير هائلة.

(جريدة الأوبزرفر The Observer – ١٩٧٤)

● ممتلئ وممشوق، ذو طبيعة مشاكسة وصلب، ملامحه ريفية، أسمر اللون كصعيدي، رشيق الجملة وبحسم، ذو لمحة متلألئة غالبًا، وابتسامته مراوغة، ربما يكون محمد حسنين هيكل الشخصية الأكثر إثارة للاهتمام في مصر المعاصرة. الصحفي المنفتح الصارم الذي يؤمن بسلطان الكلمة. خصب الخيال، طلقًا حاد اللسان، يحضر الملفات، ويفجر الشعارات، ويقترح أفكارًا، وينشر بقريحته، وبجرأة نادرة، نشيد الناصرية.

(جان لاكوتير Jean Lacouture صحفي فرنسي – مجلة مغرب – مشرق الفرنسية – عدد: مايو – يونيو ١٩٧٤)

● لسنوات خلت كان صوت محمد حسنين هيكل هو صوت مصر.

كان الصحفي الأبرز في العالم العربي لأفضل دور في العقدين الأخيرين، بل أكثر من ذلك، هو كان صديق ومستشار الرئيس جمال عبد الناصر. عموده الأسبوعي في صحيفة الأهرام كان نافذة للعالم الخارجي على ذلك النظام الكتوم.

اليوم، هيكل في الـ ٥٣ بملابسه الأنيقة، وسيجاره الفاخر.

كان مزدهرًا ومسترخيًا (رغم الحملة الشعواء ضده من أجهزة سلطة السادات) بينما كان يستقبل زواره في شقته الأنيقة المطلة على النيل، ولا يبدو أنه يشعر بأنه مهدد من قبل ما أسماه «حملة التشويه» ضده. «وهي مخزية»، كما قال، وجعلت أبناءه الثلاثة حزينون، «مهاجمتي إلى جانب أفكاري جعلتني بطلًا لدى موقف رجل الشارع وأنا لم أسع لذلك».

(توماس ليبمان Thomas Lippman – صحفي أمريكي – جريدة واشنطن بوست – الإثنين ٩ مايو ١٩٧٧)

● ليوم آخر يتذوق محمد حسنين هيكل سيجاره الفاخر ذا الرائحة النفاذة، وكما قال لي كيف أن الرئيس أنور السادات عرض عليه قبل ثلاث سنوات منصب نائب رئيس الوزراء. «أنا ممتن وشاكرًا لك، لكن هذه هي مهنتي، يمكنك دائمًا أن تجد ٢٠٠٠ شخص في مصر ليكونوا وزراء. لكن هل يمكنك أن تعثر على ١٠ أو ١٥ ليكونوا صحفيين ؟»

قوي البنية في الـ ٥٤ من عمره بشعره الداكن القصير وعيونه المعبرة. كتابه على

الاستعدادات المصرية السرية لحرب ١٩٧٣ ضد إسرائيل: «الطريق إلى رمضان» أصبح من أكثر الكتب مبيعًا في الغرب. في الشهر الماضي، هيكل برهن بأنه لا يزال قادرًا على جذب الجمهور للهدف الذي ينشده، فقد نفذت أعداد جريدة الأهالي اليسارية التي أجرت معه حوارًا شاملًا.

(كريستوفر رين Christopher Wren – مراسل في موسكو والقاهرة – جريدة نيويورك تايمز – الثلاثاء ٣٠ مايو ١٩٧٨)

● عندما كان محمد حسنين هيكل قرب القمة كان الكل يهتمون بما يعرفه... وعندما ابتعد عن القمة تحول اهتمام الكل إلى ما يفكر فيه..

(أنتوني نوتنغ Anthony Nutting – وزير الدولة السابق للشئون الخارجية في وزارة أنتوني إيدن – برنامج: صور شخصية عبر هيئة الإذاعة البريطانية – الخميس ١٤ ديسمبر ١٩٧٨)

● محمد حسنين هيكل، رئيس التحرير المصري المعروف دوليًا والكاتب والرجل الذي دعاه ذات مرة الرئيس الراحل أنور السادات «العدو رقم واحد».

هيكل، الذي اكتسب شهرته خلال عقد الستينات كمحرر لصحيفة الأهرام اليومية القاهرية وعمليًا كصنو الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

(ديفيد أوتاواي David Ottaway – كاتب أمريكي متخصص – جريدة واشنطن بوست – السبت ٢٠ فبراير ١٩٨٢)

● أحد الصحفيين الرئيسيين في مصر ومن أكثر النقاد إثارة للجدل، عموده «بصراحة» يقرأ من بغداد إلى الرباط. انقسموا بشأنه، البعض مدح رؤيته السياسية، وآخرون زعموا عدم ثقتهم به.

بتولي الرئيس السادات الرئاسة في سبتمبر ١٩٧٠، استمر هيكل مستشارًا رئاسيًا. نشأت القطيعة عندما أعرب هيكل عن شكوكه حول اتفاقية سيناء الأولى (فك الاشتباك ١٩٧٤) وانجراف الرئيس السادات تجاه الولايات المتحدة، وبما أن هيكل لا يبقى هادئًا، أُقيل من منصبه كرئيس للتحرير وعرضت عليه وظيفة فارغة: مستشار صحفي بالرئاسة. هو رفض تسلمها. ومنع من الكتابة في مصر، لكن هيكل كتب في الخارج.

وكان هيكل محبوبًا دائمًا من رجال الصحافة الأجنبية. فهم سعوا إليه بانتظام لاستقصاء أفكاره «المعارضة». على أنها استفزازية وقاطعة!

(هيرمان إيلتس Hermann Eilts، سفير الولايات المتحدة إلى مصر ١٩٧٣ - ١٩٧٩، جريدة واشنطن بوست - الأحد ٣١ يوليو ١٩٨٣)

● إنني قرأت كتابك وتصورت كم كان يمكن أن يختلف كتابي، وكتب كثيرين من الذين عانوا كتابة التاريخ غيري - لو أنه أتيحت لنا جميعًا رواية شاهد عيان عاش وقائع الأحداث التي نتعرض لها ثم فعل مثلما فعلت أنت وسجل لنا ما رأى.

ولا أخفي عليك أنني أحسدك على تجربتك التي أعطتك الفرصة لتعيش التاريخ وتكتب عنه أيضًا.

(ستيفن رونسيمان Steven Runciman - مؤرخ إنجليزي - اشتهر بثلاثة مجلدات عن تاريخ الحروب الصليبية)

● محمد حسنين هيكل، هو أول عربي يقدم تحليلًا جديًّا للأحداث وتداعياتها!

(روبرت فيسك Robert Fisk - كاتب وصحفي إنجليزي)

● ثاقب ومطلع. وإذا كان هناك شخص يعرف، ومستعد أن يتكلم، عن هؤلاء الملوك والشيوخ والرؤساء وما يجري بينهم في قممهم التي لا تعد ولا تحصى والعديمة الجدوى، فإنه محمد حسنين هيكل.

(مجلة الإيكونوميست The Economist الإنجليزية - السبت ٩ مايو ١٩٩٢)

● بعضًا من كتب محمد حسنين هيكل قراءتها مزعجة بالنسبة للمواطنين الغربيين، ولهذا السبب فهي تستحق القراءة!

(مجلة هيرالد الكاثوليكية Catholic Herald Magazine الإنجليزية)

● كتب محمد حسنين هيكل مقنعة، وعلى نحو باهر متحررة من الانحياز، وزاخرة بالعبر للعالم الغربي!

(موريس وودز Maurice Woods - صحفي بريطاني رئيس تحرير جريدة لندن بيبر The London Paper)

● محمد حسنين هيكل، كفى لجيلنا أن نقول:هيكل، ليعرفه.

أما للجيل الذي بعدنا، فنقول: كاتب صحفي مميز، يكتب منذ خمسين سنة ولا زال يقرأ، بل لعله اليوم يقرأ أكثر.

كتب ملمعًا للنصر، مبلسمًا للهزيمة، منظرًا للحلم، منظرًا للحقيقة. كتب بالعربية، وبالإنجليزية، وترجمت كتبه إلى كل اللغات. اشتهر بمقاله الأسبوعي: بصراحة. كتب عن عبد الناصر وكتب له، وكتب عن فلسطين.

ساهم في المجيء بأنور السادات رئيسًا، وساهم به صريعًا.

أشهر من قال: لا، إن قصد اللا أو قصد النعم. صديق حر وخصم مر. رأيه كالمبضع أو كالمخرز، وأحيانًا كثيرة كالسكين. لا يهادن.. لا يهادن حتى نفسه.

استنهض العروبة في وجه الشرق أوسطية، ووجه الانعزالية، وضد إسرائيل.

إسرائيل الكبرى، الحلم الصهيوني أولًا، وإسرائيل الصغرى التي تُرسم أخيرًا.

السلام عنده سلامان: واحد لنا وآخر علينا. الأول نصنعه والثاني مستورد.

يقول: لابد أن تتكلم أرضنا العربية، لا تستطيع أن تتكلم العبرية، كوننا سنناجي شهداءنا، وستقرأ الفاتحة، الشهداء لم يتعلموا العبرية والفاتحة لا تقرأ إلا بالعربية.

(مصطفى ناصر - صحفي لبناني له علاقات وثيقة (وربما غامضة) مع جميع الفرقاء- تلفزيون المستقبل - الجمعة ٢ ديسمبر ١٩٩٤)

● مؤلفات محمد حسنين هيكل لا تنسى... صريحة بشكل مدهش في روايتها لنا عن القصة الحقيقية لما حدث. المئات من أطروحات «الخبراء» في الشرق الأوسط لا تقارن بكتبه!

(إدوارد سعيد Edward Said - جريدة الأوبزرفر - الأحد ١٤ يناير ١٩٩٦)

● محمد حسنين هيكل هو عميد الصحفيين المصريين بلا منازع والمحلل السياسي الأكثر خبرة واستقلالية في التفكير في العالم العربي.

(مايكل ادامز Michael Adams - صحفي بريطاني مستقل - صحيفة الغارديان - يوم الخميس ٤ فبراير ١٩٩٩)

● ينتابك شعور بالسعادة المفرطة وأنت تتحدث مع محمد حسنين هيكل، المعلق السياسي

الأكثر احترامًا في العالم العربي، وزير خارجية مصر الأسبق، في ردهة فندق كلاريدج، أحد أكثر فنادق لندن أناقة.

مترافقًا مع رنين البيانو وإيقاع المزمار، هيكل أماط اللثام عن تصوره من احتمالية قيام فوضى، ونادرًا ما كانت الهوة بين الشرق والغرب، والعالم الأول والثالث، تبدو واضحة لهذا الحد.

هيكل، البالغ من العمر ٧٨ عامًا، بلباقة ودون صعوبة، يتجاوز هذين العالمين بتحليل ثاقب لكشف رياء كل منهما. هو صحفي لحوالي ٦٠ عامًا، ورئيس تحرير ورئيس مجلس إدارة للجريدة اليومية المصرية ذات النفوذ «الأهرام» لحوالي ٢٠ عامًا، وكتب عشرات الكتب المقروءة على نحو جيد عن مصر وإيران. منذ الأيام الأولى للثورة، كان قريبًا من الرئيس ناصر، وكان لفترة وجيزة - وعلى مضض - وزيره للإرشاد القومي والشئون الخارجية في عام ١٩٧٠. وهو كان يتمتع بعلاقة وثيقة وعلى قدم المساواة، ولكن بالأحرى أكثر نفسًا مع الرئيس السادات، الذي سجنه في سنة ١٩٨١ لمعارضته مفاوضات كامب ديفيد.

(ستيفن موس Stephen Moss - صحافي بريطاني - جريدة الغارديان - الثلاثاء ٩ أكتوبر ٢٠٠١)

(قال لي الأستاذ هيكل بأن موقفه من تولي مثقف (صحفي) وزارة كان متأثرًا برأي أبداه أمامه رئيس تحرير جريدة المقطم الأستاذ خليل ثابت (لساني توفي سنة ١٩٦٤): «لقد كان الدكتور هيكل (محمد حسين باشا) صحفيًا عظيمًا لكنه ترك قلمه ليعمل وزيرًا، فانحط!!»..

وأردف مستطردًا: «أديب فرنسا الكبير أندريه مالرو والقمة الشامخة في عالم الفكر والفن، وزير الثقافة العتيد، وصديق الجنرال شارل ديغول وصفيه الفكري. كان يتناول الغداء معي في مطعم لاسير La maison Lasserre في شارع فرانكلين روزفلت بباريس في شتاء ١٩٧٠.

وكان مالرو منتشيًا برواد المطعم عندما يلقون عليه تحية تلحقها عبارة «السيد الوزير Monsieur le ministre»، وأحاول تنبيهه بأن قيمته كمثقف وأديب أهم من لقب وزير»)!

● حين كان أسامة (بن لادن) يبلغ من العمر أربع سنوات، وصلت إلى القاهرة لإجراء

محادثة مع عبد الناصر (جمال)، لتنشر في مجلة لوك Look. استقبلني محمد حسنين هيكل، المستشار الرئيسي لناصر. لم أستطع رؤية ناصر نفسه. كان في متراس، ملجأه على نهر النيل. فيما بعد، اكتشفت أن مؤامرة لقتله قد فشلت تمامًا وكان في عزلة وتحت حراسة جيدة. تكلم هيكل بإنجليزية جيدة، كان متهكمًا. وساخرًا. «نحن ندرس القرآن للحصول على إشارات فيما يتعلق بتحديد النسل». هو تنهد.

قلت له: «ألم تعثروا على شيء مفيد؟»

قال لي: «ليس تمامًا. لكننا سنستمر في البحث عن نص». نحن تحدثنا لمدة أسبوع. «ناصر يرغب بتحديث مصر. لكن هناك الرجعيون، العنصر الديني...» تنهد هيكل ثانية. ثم مفاجأة. «نحن وجدنا شيئًا غريبًا جدًا، أولاد القرية الشباب - الأذكياء منهم الذين نعلمهم ليكونوا مهندسين وصيادلة إلى آخره - يتحولون إلى دينيين ضدنا».

سألته: «الجناح اليميني ؟»

أجابني: «إلى حد بعيد».

هيكل الابن الروحي لعصر التنوير الغربي في القرن الثامن عشر. فكرت في هيكل يوم الثلاثاء القاتم (١١ سبتمبر ٢٠٠١) عندما قام أحد أبناء جيله من العرب المحدثين، باسم الإسلام، ضاربًا ما كان يعد، قبل ٤٠ عامًا، نموذج ناصر للدولة الحديثة.

(غور فيدال Gore Vidal - كاتب أمريكي - كتاب: حرب دائمة لأجل سلام دائم (كيف أصبحنا مكروهين إلى هذا الحد) - صدر سنة ٢٠٠٢)

● سنوات عديدة مضت، عندما كنت جالسًا في نوفل لوشاتو Neauphle-le-Château (إحدى ضواحي باريس) فوصل جنتلمان أنيق ليرى الإمام الخميني. كان اسمه محمد حسنين هيكل، رئيس التحرير السابق للأهرام وربما أكثر المعلقين المستنيرين لأحداث الشرق الأوسط في أي وقت مضى. مؤلف وكاتب يسهم في صحيفة صنداي تايمز في لندن. وكان هيكل مؤتمن ووزير الإعلام في مجلس الوزراء للرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر ومستشارًا في السنوات الأولى للرئيس أنور السادات قبل أن يفترق الاثنان بعد رحلة السادات المثيرة للجدل إلى القدس، واتفاقات السلام في كامب ديفيد.

(رونالد هيلتون Ronald Hilton - أكاديمي بريطاني (أمريكي) بجامعة ستانفورد - جريدة الواشنطن تايمز - السبت ٤ أكتوبر ٢٠٠٣)

● محمد حسنين هيكل: حكيم الشرق الأوسط. العديد من قادة العالم من خروشوف حتى السادات، شعروا بلدغ تعليقات هيكل التي لا ترحم. إنه أعظم صحفي في مصر، وفي الواقع أشهر كاتب في الشرق الأوسط.

(روبرت فيسك Robert Fisk – كاتب وصحافي إنجليزي – جريدة الإندبندنت – الثلاثاء ١٠ إبريل ٢٠٠٧)

● محمد حسنين هيكل، أسطورة حية في عالم الصحافة، هو شخص نقرأ عنه في كتب التاريخ. لكن هيكل هو شخص منخرط بشكل عميق في ممارسة العمل الصحفي الآن ومن أجل المستقبل.

(سارميلا بوس Sarmila Bose – أمريكية من أصل هندي من كبار الباحثين المشاركين في مركز الدراسات الدولية في قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية في جامعة أكسفورد – الاثنين ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٧)

● محمد حسنين هيكل كان وما يزال واحدا من الأصوات العظيمة للعالم العربي على مدى نصف قرن من الزمن، وفي الحقيقة هو أحد عظماء الصحفيين في نصف قرن الماضي. صحفي وكاتب ومؤرخ، شخص لم يكتب فقط عن التاريخ، بل شخص ويفعل الذكاء والتحلي باحترام كرامة المهنة، كان أحد صانعي التاريخ.

كريس باتن Chris Patten – الحاكم البريطاني السابق لهونج كونج – الاثنين ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٧)

● إن هناك ثلاثة فقط من المصريين البارزين: الفرعون رمسيس، ناصر، ومحمد حسنين هيكل.

(روبرت فيسك Robert Fisk – كاتب وصحافي إنجليزي – جريدة الإندبندنت – الجمعة ٢٢ مايو ٢٠٠٩)

● في عام ١٩٨٤، أجريت مقابلة مع هيكل في مكتبه ذي الجدران الخشبية في مكتبه بوسط القاهرة. وقد كان جذابًا إلى أبعد الحدود وراوية دمث. وفيما كان ينفث سيجاره الهافانا في كل مكان، كان هيكل يقاطع نفسه أثناء سرده للحكايات بأسئلته الثاقبة وحتى الاستفزازية. أدركت كم كان هو قويًا ومحبوبًا في مجلس وزراء ناصر.

(كاي بيرد Kai Bird – مؤلف وكاتب عمود حائز على جائزة بوليتزر الأمريكية – كتاب: عبور بوابة ماندلباوم – صدر سنة ٢٠١٠)

● صوت الرجل العجوز لاذع، عقله حاد، أنه مقاتل مخضرم، كاتب، حكيم، ولعله أهم الشهود الأحياء والمؤرخين في مصر الحديثة، كاشفًا خطايا النظام الذي حاول إسكاته إلى الأبد.

في السابعة والثمانين، محمد حسنين هيكل، هو عميد، ورمز في الصحافة المصرية، صديق ومستشار ووزير لناصر والسادات.

هيكل في سن الشيخوخة، لكنه يمتلك الإطلالة، والحيوية، والذاكرة الشاسعة.

لكن هيكل هو المعلم المحنك.

الخطوط تبدو جميلة على وجه هيكل، طائر عجوز حكيم ومحنك. ويشعر أنه من الضروري أن يعتذر عن ٨٧ عامًا، شاب محاصر في هيئة رجل كبير السن. ويمكن لأي شخص مدعو لعرينه الداخلي في بلدة (برقاش) على النيل، والمليء بالكتب والسجاد الجميل ورائحة السيجار الفاخر، باستطاعته رؤية أحزان هيكل.

(روبرت فيسك Robert Fisk – كاتب وصحافي إنجليزي – جريدة الإندبندنت – الإثنين ١٤ فبراير ٢٠١١)

● «عندما كان مبارك يتحرك حول المدينة، حتى المجال الجوي الدولي كان يتم إغلاقه»، كما صرح محمد حسنين هيكل، المعلق السياسي المصري، بينما كان يتجول في رواق فندق كلاريدج، الفندق الذي خصه هيكل كقاعدة له في لندن. «كنت هنا منذ بضع سنوات ورأيت شرطيًا في الخارج. عندما سألته ما الذي يفعله، أخبرني: «جلالتها آتية لتناول الغداء».

تخيلي! إذا حدث هذا في القاهرة سيكون هناك شاحنات من الجنود المسلحين في الشارع».

لسنوات عديدة كان قصر مصر الجديدة منطقة مألوفة لهيكل – ٨٨ عامًا – صديق ومستشار الرئيسين جمال عبد الناصر وأنور السادات (إلى أن اختلف مع السادات وسجنه لثلاثة أشهر).

في بداية السبعينات (يناير ١٩٧٣) وقف في إحدى الشرفات متحدثًا مع تشو إن لاي –

رئيس الوزراء الصيني – والذي قال له: «فوضى في كل مكان». تشو كان رجلًا حكيمًا، كما قال هيكل.

هو التقى فرانسوا ميتران في القصر واكتشف ولعهما المشترك بطبق اللحمة المطهوة ببطء (تيت دي فو **tête de veau** – رأس العجل)، والذي تناوله مع الرئيس الفرنسي في زياراته التالية لفرنسا.

هو اصطدم مع هنري كيسنجر عندما كان في إجازة بسانت موريتز (قرية في سويسرا) بعد أن تشاجر مع السادات، وكيسنجر عرض تدخلًا من أجله (أغسطس ١٩٨١). وناقش الأمور العالمية مع جواهر لآل نهرو والمارشال تيتو.

لذا فهيكل – رئيس التحرير السابق – قد التقى، ناصحًا أو مناصرًا إلى حد كبير كل واحد من الذين كان لهم شأن في منطقة الشرق الأوسط وخارجها خلال نصف القرن الأخير.

عاموده: بصراحة – المنشور في الأهرام، الصحيفة التي أشرف على تحريرها لعشرين عامًا – كان لعقود قراءته مطلوبة بالنسبة للطبقات السياسية عبر الشرق الأوسط.

(مارجاريت دريسكول Margarette Driscoll – صحفية بريطانية – جريدة الصنداي تايمز – الأحد ٨ يوليو ٢٠١٢)

(كان الأستاذ هيكل في لندن في إحدى السنوات، وحين عودته إلى مقر إقامته في فندق كلاريدج لمح رجل بوليس إنجليزي – واحدًا! – يقطع المسافة من الباب إلى حافة السور عند شارع ديفيز Davies. استغرب الأستاذ هيكل وجود رجل بوليس ليس له في العادة مكان. دخل فسأل رئيس البهو جون سبار John Spar، وهو رجل خدم في موقعه أكثر من أربعين سنة، وطالت خبرته وحنكته فيه، وأصبح في زيه الرسمي المهيب رمزًا مشهورًا لبقية باقية من التقاليد الإنجليزية.

سأله الأستاذ هيكل وهو متردد. ثم أحس أنه يستطيع أن يطمئن إليه فترك مكانه – وراء مكتبه العالي الذي يقف دائمًا وراءه يؤدي وظيفته – ثم اقترب سبار من الأستاذ هيكل وهمس بصوت خفيض: «لكي أكون صادقًا معك سيدي فالحقيقة هي....»

ثم تنحنح ونزل بصوته إلى طبقة الهمس:

«الحقيقة يا سيدي... هي الملكة قادمة للعشاء بعد قليل»!!)

● الأيديولوجية الناصرية اليسارية، والتي تركزت على ما دعاه ناصر «الاشتراكية العربية»، والتي أثرت بشكل متواضع على السياسة المصرية الحالية، لكن محمد حسنين هيكل بقي لفترة طويلة وثيق الصلة بالموضوع بعد وفاة ناصر، ويقدر له شبكة اتصالاته العالمية الواسعة وبراعة تحليلاته الرائعة.

(جريدة الواشنطن بوست The Washington Post – الأربعاء ١٧ فبراير ٢٠١٦)

● غير أن محمد حسنين هيكل ظل لعقود واحدًا من أكثر المعلقين الموثوق بهم في مصر والعالم العربي – إضافة إلى أنه مؤرخ للأحداث العاصفة زمن ناصر.

(هيئة الإذاعة البريطانية BBC – الأربعاء ١٧ فبراير ٢٠١٦)

● استمر محمد حسنين هيكل الناطق الشهير عن الناصرية (القومية العربية العلمانية) لفترة طويلة في أعقاب وفاة ناصر سنة ١٩٧٠.

وصف نفسه دائمًا بأنه صحفي، أولًا وقبل كل شيء. لكن دوره الفذ كمشارك في الأحداث ومؤرخها، موجهًا التاريخ المصري لجميع التيارات السياسية – الليبراليين، القوميين، وحتى الإسلاميين – للحصول على مشورته.

للأفضل أو للأسوأ الأستاذ هيكل، استمر العراب الثقافي لحقبة من التاريخ يدركها الكثير من المصريين بأنها حقبة التقدم، والكرامة، والتأثير الوطني (حقبة الرئيس ناصر).

(ديفيد كيركباتريك David Kirkpatrick – مدير مكتب النيويورك تايمز في القاهرة – الجمعة ١٩ فبراير ٢٠١٦)

● محمد حسنين هيكل، عميد الصحافة العربية، المقرب جدًا من ناصر، ولأكثر من نصف قرن كان المؤرخ الأعظم تأثيرًا في مصر.

المؤتمن على أسرار الرؤساء، محلل سياسي ويعادل وزير ولكن دون حقيبة وزارية، وهيكل كان الصحفي الأكثر نفوذًا في مصر لسبعة عقود في مهنة الصحافة. بفضل شبكة علاقاته الواسعة، وعلى حد سواء داخل وخارج البلاد، وهيكل أصبح المحلل الاستثنائي للتاريخ

المعاصر في العالم العربي المضطرب.

بين عامي ١٩٥٧ و١٩٧٤ كان رئيسًا لتحرير صحيفة الأهرام، أحد أهم أدوات النظام في دعوته للمد العروبي. عاموده «بصراحة» يوم الجمعة، أصبح مرجعًا تاريخيًا. يطلق عليه «بابا» الصحفيين الواسع الاطلاع، ويمتلك الحس التحليلي الدقيق والمتناغم، وهيكل يروي من مكانة متميزة الحروب المتعددة التي هزت الشرق الأوسط خلال الحرب الباردة.

(ريكارد غونزاليس Ricard González - مراسل صحيفة إلباييس الإسبانية في القاهرة - الجمعة ١٩ فبراير ٢٠١٦)

● محمد حسنين هيكل أيقونة الصحافة العربية، المؤتمن على أسرار الرئيس جمال عبد الناصر، كاتب عمود بقلم شائك ومؤرخ للأحداث في الشرق الأوسط، وهيكل بقدر ما هو مبجل لدى البعض بقدر ما هو مكروه لدى البعض الآخر. هاويًا السيجار الفاخر، احتاز القرن داخل دوائر السلطة الخاصة. صانع رؤساء وأفكار، جامعًا البلاغة مع فطنة سياسية نادرة وذاكرة موسوعية.

(هيلين سالون Hélène Sallon - صحفية فرنسية في جريدة ألوموند - السبت ٢٠ فبراير ٢٠١٦)

■ ■ ■

الفصل الرابع والعشرون:

إنه فارس الكلمات الغريبة *

﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا﴾
قرآن كريم - سورة البقرة

انطلاقًا من واقع أن الأستاذ هيكل ترك لنا ٥٩ كتابًا، و١٨ كتابًا حواريًّا معه، و٥٥ كتابًا قام بكتابة مقدمات لها، و٢٥ كتابًا ساهم فيها بكلمة أو ورقة عمل، ومئات اللقاءات الصحفية والإذاعية والتلفزيونية التي أجريت معه، فوجدت أنه من الأفضل الاكتفاء بالكتب الـ ٥٩ التي قام بتأليفها، وقمت أيضًا بعملية «تنقية» لأقواله المأثورة، متجاهلًا بذلك المكان والزمان والظروف السياسية والأوضاع الاجتماعية التي نحت بها كلماته، مفتشًا عن الحد الذي استطاع أن يبلغه الأستاذ بالحدث السياسي (بطبيعته عارض وليس دائم)، إلى درجة القيمة الإنسانية الباقية والمتخطية كل الحواجز الزمنية والمكانية!

● ما أصعب صناعة المُلك، وما أشق أن يكون الإنسان ملكًا!

كتاب: إيران فوق بركان

● هل أستطيع أن أطلب منك أن تساعدني في أن أحجز مقعدًا في أول صاروخ يتجه إلى القمر.. إنني أريد أن أكون أول صحفي يصل إليه؟

كتاب: حديث ن. س. خروتشوف مع محمد حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة الأهرام المصرية

● إن معرفتنا بماضي أي إنسان هي نصف معرفتنا بمستقبله!

كتاب: العقد النفسّية التي تحكم الشرق الأوسط

* أدونيس ديوان «أغاني مهيار الدمشقي» قصيدة «فارس الكلمات الغريبة» عهد الحديد»

● من المحتم دائمًا لضمان سلامة أي حديث أن تكون نقطة بدايته واضحة.

إن وضوح نقطة البداية في الحديث هي قوة دافعة له في الاتجاه الصحيح، وبالتالي فهي عامل مهم في الوصول به إلى هدفه.

كتاب: نظرة إلى مشاكلنا الداخلية على ضوء ما يسمونه.. أزمة المثقفين

● إن الماضي وتفاصيله مفتاح أساسي للحاضر وتفاصيله.

كتاب: ما الذي جرى في سوريا

● هناك أشياء لا يصلح المال لتقويمها، كما أن هناك مجتمعات تقيس نفسها بمقدار ما أعطت للدنيا، وليس بمقدار ما أخذت منها فقط!

كتاب: يا صاحب الجلالة

● إن أي إنسان يستطيع يومًا أن يتعامل مع من يكره... لكنه لا يستطيع أن يتعامل مع من يحتقر!

كتاب: خبايا السويس

● إن الناس يتوبون عن خطاياهم، ولكنهم لا يتوبون عن آرائهم!

كتاب: الاستعمار لعبته... الملك

● كلمة «علاقات» تعني - مضمونًا وإيجابًا - طريقًا مفتوحًا للمرور فيه من الجانبين، على عكس كلمة «سيطرة» أو «تبعية» وكل منهما تعني طريقًا مفتوحًا للمرور من جانب واحد فقط.

كتاب: نحن... وأمريكا

● إن دور البطل ظاهرة مؤقتة في التاريخ، ويجب أن يكون كذلك، لأن الأصل والأساس الباقي والخالد، هو الشعب.

كتاب: عبد الناصر في ساعاته الأخيرة

● الصحافة في صميمها تاريخ تحت الصنع!

كتاب: عبد الناصر والعالم

● إننا لا نستطيع باسم الحرية أن نمزق الوحدة.

ولكننا لا نستطيع باسم الوحدة أن نقتل الحرية!

كتاب: موعد مع الشمس - أحاديث في آسيا

● عندما يقدم كاتب على تزييف التاريخ، فهو يفعل ذلك لمصلحة.

يزيف التاريخ لحساب حاكم أو لمصلحة سلطة، فالمصالح عند الاثنين.

المصالح عند الأحياء الأقوياء، وليست عند الموتى والضعفاء.

كتاب: الطريق إلى رمضان

● أن كل واحد منا يملك اختيار مواقفه ولكن من منا يملك اختيار مقاديره؟!

كتاب: لمصر.. لا لعبد الناصر

● أي حدث من الأحداث يظل «سياسة» طالما هو لا يزال تحت سيطرة صناع القرار والمؤثرون فيه على القمم أو بقربها.

ولكنه حين يخرج من هذه السيطرة يصبح «تاريخًا» ويتحول إلى شيء تصعب السيطرة عليه، لأنه يدخل حصيلة مضافة إلى خزائن التجارب الحية لشعوب وأمم وأوطان.

كتاب. قصّة السويس آخر المعارك في عصر العمالقة

● إن الصديق الوحيد هو «أرضنا»، وأن الدور الوحيد هو «قوتنا الذاتية»، وبهما معا نستطيع أن ندير علاقاتنا بالعالم والتاريخ!

كتاب: الحل والحرب!

● في المجتمعات الشرقية تتلاشى المسافات وتغيب الحدود، وهكذا فإن أي اختلاف في الرأي يجري تصويره خروجًا على الوطن، ثم إن أي اجتهاد إنساني يمكن تحويله عصيانًا ضد الدولة. وللإنصاف فإن ذلك من بقايا موروث قديم صنعه فهم مغلوط للجانب السياسي في التاريخ الإسلامي، حيث وقع الالتباس في تأصيل نظام الخلافة، ومن ذلك السبب نسبت نظم يعلم الله جورها ظلمًا إلى خلافة رسول الله، وأعقب ذلك إفراط في تسخير الدين لخدمة

الدنيا كما وقع بالتجاوز في استعمال آيات من القرآن الكريم ذاته مثل ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ مع الضغط على الكلمات الثلاثة الأخيرة.

كتاب: حديث المبادرة

● قصة السياسة الدولية من أولها إلى آخرها، هي علم إدارة رؤى مختلفة ومصالح مختلفة، وهدفها تجنب الصدام إلا في حالة ضرورة قصوى، وتحقيق السلام عن طريق صنع موازين للقوة تحصل على أقصى ما تستطيع الحصول عليه بأقل ما يمكن أن تعطي في مقابله مع المواءمة بين المطلوب والممكن.

كتاب: حكاية العرب والسوفييت

● إن الذين آثروا الصمت تعلموا الدرس وفهموا أن الكلام - بغير أوامر - كثير المخاطر، في حين أن الصمت - ولو بغير أوامر أيضًا - قد يكون حصن أمان!

كتاب: وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي

● الأقدار لا تتعلق بكلمات. والمستقبل لا يرتهن بنوايا. والمصائر لا يضمنها مزاج لحظة بعينها!

كتاب: السلام المستحيل والديموقراطية الغائبة - رسائل إلى صديق هناك

● هناك مشكلة في أن الإطار الإسلامي أوسع من حدود الأمة العربية.

الأمة العربية - وعلى أساس قيم الحضارة الإسلامية - لها كيان واحد باللغة والثقافة والتاريخ والمصلحة والأمن.

وذلك كله يتطلب نظامًا عربيًّا قائمًا بذاته.

ومعنى ذلك أن «عودة الإسلام» بصفة عامة قد لا تحمل معها - بالضرورة حلًّا لمشاكل النظام العربي.

أي أن العقيدة قد تصنع معجزتها الخلاقة، ويبقى التاريخ - مجال الفعل الإنساني - عاجزًا أو مترددًا خائفًا؟

كتاب: آفاق الثمانينات

● إن «الثورة» أشبه ما تكون بعملية انفجار هائلة، تجيء بعد أن يكون شعب من الشعوب أو أمة من الأمم، قد تحملوا بأكثر مما تحتمله طاقتهم اقتصاديًّا وسياسيًّا وفكريًّا، وهم في عملية الانفجار يحطمون ليس قيودهم وسلاسلهم فقط ولكن كل الحدود والسدود، ثم يحاولون وضع أساس مختلف لمجتمع جديد سيد وحر.

لكن «من» الذي يضع الأساس الجديد؟ و«متى»؟ و«كيف»؟

أسئلة عويصة، ظلت على طوال التاريخ - برغم كل ما قيل ويقال عن «قوانين الثورة» - بغير جواب.

كتاب: مدافع آية الله - قصة إيران والثورة

● إن حرية الصحافة بالمعنى الحقيقي هي حرية مناقشة صنع القرار، العوامل المؤثرة عليه والمناخ المحيط به والنتائج التي يمكن أن تترتب بعدها.

كتاب: عند مُفترق الطُرق - حربُ أكتوبر.. ماذا حدث فيها..... وماذا حدث بعدها!

● عندما يزيد حجم القوة أو العنف عن الهدف أو الغرض المطلوب منها تحقيقه، فإن الخلل في التوازن بين الوسائل والغايات يكشف إحساس القوة بعجزها، ويفضح إحساس العنف بضعفه.

كتاب: خريف الغضب - قصة بداية ونهاية عصر أنور السادات

● عندما تختلط الأمور فإن ما يضيع ليس هو العلم والتجديد فقط، وإنما يضيع الحلم الوطني والقومي ولا يكون هناك بديل غير القمع والقهر.

عندما يضيع الحلم فإن الأنظمة لا يعود أمامها غير طريق واحد بدايته قناة تليفزيون أو محطة إذاعة أو جريدة ونهايته دبابة أو مدفع أو طائرة!

إذا عجزت الأنظمة عن تطويع إرادة الناس بالكلام تولى السلاح مهمة إخضاعهم بالنار!

كتاب: بين الصحافة والسياسة - قصّة (ووثائق) معركة غريبة في الحرب الخفيّة!

● الثورات لا تصدّر لكن قيمها قابلة للانتشار. وفرق كبير بين تصدير الثورة وبين انتشار قيمها. ومن الصعب أن يتصور أحد أن أي ثورة يكون في استطاعتها أن تصدّر أو تنشر كثيرًا أو بعيدًا إلا إذا استعملت في ذلك سلطة الدولة وليس جاذبية الثورة.

ولعل أزمة أي ثورة في هذه الإشكالية تتمثل في القصور عن التفرقة بين مرحلة الثورة ومرحلة الدولة فكل واحدة منهما لها أسبابها وذرائعها ولها دورها وأساليبها.

وهكذا فإن المأزق يبدأ يضيق كل يوم.

ثم لا تجد دولة الثورة نفسها تتجاوز حدود القوة المقبولة والمسموح بها فقط، وإنما ستجد أيضًا أنها حرمت نفسها من البعد الاستراتيجي المحيط بها في المنطقة.

ومهما قيل في أن «دولة الثورة» مضطرة إلى أن تحمي نفسها خارج حدودها فإن أي عمل خارج الحدود له أيضًا بضرورة الأحوال حدود.

كتاب: زيارة جديدة للتاريخ

● في كل بلدان العالم الثالث وبغير استثناء تقريبًا يوجد مستويان من العمل السياسي: مستوى ظاهر مكشوف فوق سطح الحياة السياسية، تمثله عناصر من الطبقات المالكة والقادرة بالتالي على الإمساك بالسلطة. ومستوى آخر من العمل السياسي يتحرك سرًا، وفي الخفاء، وفيه تكمن كل دواعي التغيير ومطالبه. وعندما يكون الوطن - أي وطن - في مواجهة أزمة خانقة فإن مركز التأثير عادة ينتقل من ظاهر الأرض إلى بطنها، ومن الظاهر المكشوف إلى السري والخفي. ووصول وطن إلى أزمة طاحنة، هو أن العناصر الممسكة بزمام القيادة قد أخفقت في أداء دورها، وأنه لابد من بديل ينقل المسئولية إلى آخرين يتصورون أو يحلمون بأن لديهم ما يقولونه.

كتاب: حرب الثلاثين سنة - ملفات السويس

● باستمرار هناك من يحاول أن يميع التميز القومي أو الخصوصية القومية مع الذين لا يتمتعون بأية خصوصية. فالعالم الإسلامي نحن نرتبط به بروابط روحية ومعنوية وإنسانية وحضارية. لكن الأمم تقيم مستقبلها على مخططات أمرين: مصالح مشتركة وأمن مشترك ولا يمكن غير ذلك. لا أعرف كيف يمكن أن نحقق أمنًا مشتركًا مع إندونيسيا أو الملايو. أساعدهم معنويًا وماديًا. لكن عندي قضية أمن تختلف تمامًا عن قضيتهم الأمنية. فهنا توجد خصوصية عربية داخل البحر الإسلامي، وهي خصوصية تشكل كيانًا صالحًا لكي يشكل أمة لأن الإطار الذي يصنع أمة يحقق أمنًا، فالدين يعتبر إيمانًا يقينيًا، لكنه لا يعتبر أمنًا قوميًا

فالأديان تملكها القلوب، لكن مسألة الأمن والمصالح تحتاج إلى تنظيمات فيها عنصر تماسك، ومصالح أمنية وتنموية.

كتاب: أحاديث في العاصفة

● وقائع التاريخ الكبرى عائمات جليد طرفها ظاهر فوق الماء، وكتلتها الرئيسية تحت سطحه، ومن يريد استكشافها عليه أن يغوص!

كتاب: حرب الثلاثين سنة - ١٩٦٧ سنوات الغليان

● إن «العقائد» لا تموت بالسكتة القلبية مرة واحدة وإنما تتواصل محاولاتها - ولو بالتنفس الصناعي أحيانًا - في طلب البقاء.

كتاب: الزلزال السوفييتي

● الناس مهما علت أقدارهم بشر، وتصرفاتهم تصدر بالدرجة الأولى عن هذا العنصر البشري فيهم. لكن هذه القضية ما زالت ملتبسة في أذهاننا، ولعلها بقية من عصور امتزاج السلطة بالدين. وهذا ظاهر حتى في تعرضنا لأهم مراحل تاريخنا، بما في ذلك المرحلة الأكبر والأخطر، وهي مرحلة الفتنة الكبرى التي بدأت من صدر الإسلام وما زالت مستعرة على مشارف القرن الواحد والعشرين. فنحن نوقر كل أطراف الصراع في هذه الفتنة الكبرى، نعتبرهم جميعًا صحابة، وكلهم من المرضي عنهم في الدنيا والآخرة. وبهذه العصمة للأشخاص، حتى من طبائع البشر، يلتبس التاريخ قديمه وحديثه حتى الآن!

كتاب: حرب الثلاثين سنة - ١٩٦٧ الانفجار

● إن قصة أي حدث سياسي يصعب فهمها ما لم توضع داخل إطارها، فإذا سلخت منه أصبحت روايتها بالسكين وليس بالقلم، بل إن كل مسرحية تحتاج إلى أرضية تجري فوقها الحركة، وإلى خلفية تعطي تأثيرات الظروف على أجوائها.

وأرضية السياسة - في ظني - هي الجغرافيا، وخلفيتها - فيما أتصور - هي التاريخ، وهكذا توضع الأحداث في زمانها ومكانها.

كتاب: حرب الخليج - أوهام القوة والنصر

• إن تدفق المعلومات، أي المعرفة بالحقائق، تضيف إلى حرية الرأي بعدًا ثالثًا يجسم الصورة، وهو أن يكون المتابع للحوار، قارئًا أو سامعًا، على علم بما يجري من حوله بحيث يكون بدوره قادرًا على المشاركة، موجودًا في الساحة، على بينة تسمح له بأن يختار... والاختيار جوهر الحرية.

نحن ننسى أحيانًا أن أي وطن لابد أن يتحاور مع نفسه - بل يتفاوض مع نفسه - قبل أن يتحاور مع العالم، أو يتفاوض معه!

وإذا غابت المعلومات والأخبار والخلفيات، فإن الكتابة أو الحوار - كائنًا من كان الكاتب أو المحاور - تصبح في واقع الحال نوعًا من الإنشاء (جملًا مرصوصة) - أو نوعًا من الإنشاد (مديحًا في هذا الطرف أو ذاك!).

كتاب: أكتوبر ٧٣ - السلاح والسياسة

• إن الصراعات التاريخية الكبرى يصعب حلها بأسلوب المفاجآت، وفي صخب وألوان العروض التلفزيونية مهما بلغت درجة تأثيرها. فالمفاجآت انبهار ساعة أو يوم أو شهر، ثم يزول التأثير. والعروض الصاخبة مشاهد أخاذة، لكن لمسة على زر تكتم الأصوات وتطفئ الأنوار من دون تأثير باق على حقائق الأشياء. وتعلمنا التجارب أن الفارق بين الضياء والحريق شعرة واحدة من تماس أسلاك، أو من عزلها!

كتاب: اتفاق غزة - أريحا أولًا السلام المحاصر بين حقائق اللحظة وحقائق التاريخ

• أقباط مصر ومسلموها - شأنهم شأن كل البشر في هذا العالم الثالث - مثقلون مرهقون بمشاكل لا أول لها ولا آخر، وهم - شأنهم شأن غيرهم من البشر - يبحثون عن حلول لهذه المشاكل، لكن بحثهم في شئونهم وشئون مصر يجيء في إطار حق المواطنة، وليس في إطار حماية الأقلية.

وإلا كنا كمن يلعب الكرة، بقنبلة!

كتاب: أقباط مصر ليسوا أقلية - رسالة إلى رئيس تحرير جريدة الوفد

• إن تصور عالم جديد ينشأ في استقلال كامل عما قبله وهم مخالف لحقائق الأشياء حتى بالنسبة لأعظم التغييرات الكبرى في تاريخ البشرية وهي الأديان. فالمبادئ الأساسية في أديان

التوحيد الثلاثة الكبرى لم تتغير كثيرًا في جوهرها ولم تتغير كثيرًا في قصصها. بل إنه في الدين الواحد قصدت الحكمة الإلهية حتى في الأركان والشعائر ألا ينقطع الحاضر عن الماضي، ومن ذلك مثلًا أن شهر رمضان كان صيامًا قبل الإسلام، كما أن الحج إلى البيت الحرام كان مألوفًا قبل الرسالة النبوية سواء بالطواف أو بالسعي، وهذه عظة لموجبات الاستمرار جنبًا إلى جنب مع موجبات التغيير، مع أن المصدر قدسي وهو قادر على أن يعيد الخلق كله من جديد.

كتاب: مصر والقرن الواحد والعشرُون - ورقة في حوار

• لابد أن نسلم أن العنفَ ظاهرة إنسانية تتبدى أو تتوارى في المجتمعات بعلاقة من نوع ما مع الحقائق الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي تسود هذه المجتمعات. فالسلام الاجتماعي في أي وطن ليس مسألة حض على فضيلة الصبر، وليس مسألة نص قانوني يغلظ العقوبات على مخالفة مواده، كما أنه ليس مسألة تطوع خيري للعمل الصالح والإحسان.

إنما السلام الاجتماعي مطلب مركب، وهو مشروط بشرعية السلطة، مشروط بمشروعية الثروة، مشروط بحقوق المواطنة، مشروط بإحساس المساواة بين الناس وإن تفاوتت الكفاءات أو حتى الحظوظ، ومشروط بغير ذلك كثير.

كتاب: ١٩٩٥ بابٌ مصر إلى القرن الواحد والعشرين

• شرط تحتاج إليه الأمم والشعوب في يقظتها وهو شجاعة الشك والجسارة على مراجعة المنقول والمحفوظ!

كتاب: أزمة العرب ومستقبلهم

• الاهتمام بالسياسة فكرًا أو عملًا يقتضي قراءة التاريخ أولًا - لأن الذين لا يعرفون ما حدث قبل أن يولدوا، محكوم عليهم أن يظلوا أطفالًا طول عمرهم!

كتاب: المفاوضات السّرّيّة بين العرب وإسرائيل - الأسطورة والإمبراطوريّة والدّولة اليهوديّة

• عندما يتسع العنف في أي مجتمع وتتسع دائرته لتضم ألوف وعشرات ألوف الناس، فمعنى ذلك أن ظاهرة العنف سياسية.

ومعنى أن تكون الظاهرة سياسية أن علاجها يستحيل أن يقتصر على أداة الأمن وحدها،

وإنما يتحتم أن يكون العلاج سياسيًّا أي اجتماعيًّا وغير ذلك لعب بالنار لأنه يتصاعد بالعنف إلى درجة التمرد وبالتمرد إلى درجة الثورة!

كتاب: المفاوضات السّرّيّة بين العرب وإسرائيل – عواصفُ الحرب وعواصفُ السّلام

● الدين هوية أولى يولد بها كل إنسان، وهي هوية بحتمية الأقدار قبل حرية الاختيار، وبالتالي فهي من الناحية الثقافية جلده العاري.

وإذا تعرض أي إنسان لأزمة تمزقت معها هوياته المكتسبة الأخرى مثل التربية والتعليم والثقافة وتجربة الحياة – فإن الهوية التي تبقى له هي هوية الطبيعة الأولى – لحمه العاري... الدين الذي ولد به!

كتاب: المفاوضات السّرّيّة بين العرب وإسرائيل – سلام الأوهام: أوسلو – ما قبلها وما بعدها

● الأديان السماوية تعطي للناس أسسًا روحية ومناهج أخلاقية يهتدون بها في سلوكهم وعلاقاتهم، لكنها لا تتعدى ذلك إلى مجالات العمل الاقتصادي والاجتماعي والسياسي فليست هناك مؤسسات دستورية إسلامية ومؤسسات دستورية غير إسلامية – وليس هناك اقتصاد إسلامي واقتصاد غير إسلامي – وليست هناك سياسة خارجية إسلامية وسياسة خارجية غير إسلامية – وليس هناك أمن قومي إسلامي وأمن قومي غير إسلامي.

وهذا طبيعي، فالقيم العليا دائمة، والحلول الممكنة لمشاكل المجتمعات متغيرة. ومن الطبيعي أن الأديان تركز على الثابت، وأن العلوم تركز على المتغير.

كتاب: المقالات اليابانية

● إن الأساطير الدينية بالطبيعة معتقدات لا تقبل التجزئة.

وحين لا يكون لشرعية الدولة أساس غير سلطان الأسطورة – فإن السلام بالمعنى الإنساني مستحيل... لأن الأسطورة يتحتم عليها أن تجعل خريطتها مطابقة لعقيدتها.

كتاب: الخليج العربي.. مكشوف – تداعيات تفجيرات نووية في شبه القارة الهندية

● هناك شرطان لازمان كي لا يتوقف الزمن العربي: الشرط الأول استعادة الوعي بوسائط المعرفة – والشرط الثاني استعادة الإرادة بوسائل العقل.

كتاب: العُروش والجُيُوش – كذلك انفجر الصراع في فلسطين: قراءة في يوميّات الحرب

● في مصر الآن – كما في بلدان كثيرة غيرها – عودة إلى نوع من الأصولية الدينية، ولهذه الأصولية – من وجهة نظري – أسباب اقتصادية واجتماعية وفكرية يمكن مناقشتها؛ وكانت هي التي دفعت التدين المصري المأثور عبر التاريخ إلى حافة ما يسمونه بـ«التطرف الديني».

ولقد لجأت الدولة في مواجهة هذا «التطرف» إلى أسلوبين: أسلوب التصدي الإداري، وأسلوب المزايدة عليه وفوق أرضيته. وكلاهما لم يؤد إلى إضعافه، وإنما أدى إلى مضاعفته.

فعندما يزداد التصدي الإداري للظاهرة فإن قصارى ما ينجح فيه هو إثارة الشرر الناشئ من حرارة الاحتكاك قريبًا من الحطب، وهي مغامرة لا داعي لها!

وعندما تتخطى المزايدة حدها، وتصل مساحة البرامج الدينية في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية – كما هو حادث الآن – إلى ما يزيد على ربع الرقعة العامة للبرامج، فقصارى ما تنجح فيه هذه المزايدة هو أنها تحول قضية الدين بكمالها وجلالها إلى عمليات إنتاج وإخراج وتمثيل مسرحي وسينمائي وتليفزيوني، وهذا أبعد الأشياء عن طبيعتها. ثم إن ساحة الدين ملتقى لكل الناس، وأما منابر الإفتاء في شئونه فلابد أن يكون لها قدرها وحسابها، فإذا وصلنا إلى هذا الكم من الحجم فأول المحاذير هو الغرق في حديث «المنقول» لسهولته وتجنب حديث «المعقول» رغم أهميته في وقت نحتاج فيه إلى دخول ميادين الاجتهاد قبل دخول ميادين الجهاد – على الأقل لنعرف طبائع حروبنا ومعاركنا، وأطرافنا وأهدافنا.

مقال (سؤال: هل في مصر مستقبل؟) – جريدة الأهرام – الأربعاء ٥ يوليو ١٩٨٩

● بالتأكيد فإن الحرب ليست ضرورية، ولكن الضرورات قد تفرض الحرب.

والسلام في حد ذاته يستحيل أن يكون خيارًا استراتيجيًّا، وإنما الأمن هو المطلب الاستراتيجي، ويتحقق السلام إذا تحقق الأمن – وذلك منطق الأشياء.

ثم إنه ليس مفهومًا على وجه التحديد كيف تتوازن المصالح بالتطوع والإحسان!

كتاب: حرب من نوع جديد!

● طموحات البشر إلى الأمن والحرية، وإلى العدل والتقدم – تصوغ للمجتمعات الإنسانية أهدافها الكبرى.

وتيارات التاريخ العظيمة تعطي للأفراد – رجالًا ونساءً – أدوارهم في اللحظات الحاسمة من حياة مجتمعاتهم.

وحين تتوافق الظروف في حياة الأمم، وتتبلور وتتضح أهدافها الكبرى، ثم يتلاقى ذلك مع ظهور قيادات تملك كفاءة وشجاعة الإمساك باللحظة – فإن الطموحات تصبح قادرة، بما يُعطي للآمال فرصة أن تتحولّ إلى حقائق.

كتاب: العروش والجيوش (٢) – أزمة العُروش صدمة الجيُوش: قراءة متصلة في يوميّات الحرب (فلسطين ١٩٤٨)

● أليس صحيحًا أن محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) – بالوحي – نادى بفكر يختلف عن فكر الجماعة في قريش، وكان الحق ما نادى به محمد ؟

أسألك: لو أنك كنت وزيرًا لداخلية قريش.. ماذا كنت تفعل في محمد بن عبد الله وهو ينادي برأي يختلف عن رأي الجماعة... أليس كذلك تبدأ حركات التطور الكبرى سواء كانت وحيًا مباشرًا من الله أو فكرًا حرًا من قلب إنسان ؟

... كان لديهم وزير داخلية اسمه أبو جهل، ولكنه لم يستطع أن يوقف طلوع الصبح.

كتاب: كلام في السّياسة – قضايا ورجـال: وجهات نظر (مع بدايات القرن الواحد والعشرين)

● الواقع أنه حين تظهر بوادر الفتنة، ناشئة من اختلاف العقائد، مع وجود رغبة أو تصميم على استغلالها من الخارج أو حتى من الداخل – فإن الوطن – أي وطن – وليس الوطن المصري وحده – يجد نفسه أمام ظرف لا يصلح فيه منطق الحوار لأن العقائد بطبيعتها مُتعلّقة بالإيمان، وما يتصل بها مشبوب بالعواطف، وطول الأخذ والرد يحرك في القلوب ما تصعب السيطرة عليه.

كتاب: كلام في السياسة – عام من الأزمات! ٢٠٠٠ – ٢٠٠١

● إن العلاقة بين «الأديان» لا تحتاج إلى حوار وجدل، وإنما تحتاج إلى فهم متبادل. والحوار في مفهومه الطبيعي يطالب أطرافه أن يتوصلوا إلى لقاء، وذلك يجوز في الأفكار وليس في الأديان. فالأديان مسألة «إيمان» لا يعرف حلًا وسطًا، بل إن الحل الوسط يجرح اليقين! – ولذلك فالمطلوب من كل «مؤمن» أن يحترم «إيمان» غيره عن طريق الفهم وليس عن طريق الجدل. يدخل في ذلك أنه حتى مقولة أن «الكل أبناء إبراهيم» مقولة تحتاج إلى تدقيق، فالدين

ليس نسبًا عائليًا، ولكنه اختلاف «معتقدات إلهية ورسولية» متجاوزة للنسب – البشري على فرض تحققه

كتاب: كلام في السياسة – نهايات طرق: العربي التائه ٢٠٠١

● حروب العقائد تحتاج إلى الإيمان قبل أن تحتاج إلى المال، وترضى بالتضحية ولا تنتظر الثروة، والمجاهدون في سبيل الله لا يحرصون على المال، لأنه إذا كان ذلك – فهو الحرص على الحياة، وإلا لما كانت للمال فائدة. فإذا كان الحرص على المال هو المقصود إذن فالتعرض للخطر غير وارد وإيثار السلامة يصبح «القاعدة الذهبية» لسلوك المجاهدين.

كتاب: كلام في السياسة – الزمن الأمريكي: من نيويورك إلى كابول

● من المفارقات أن شعوب العالم المتقدم تعرف التفرقة بين الواقع والأسطورة، وبالتالي فإن المثال الكامل لم يخلق قط ولا في حالة الأنبياء، فمنذ خروج آدم من الجنة خرج وراءه البشر جميعهم، وعاشوا دنياهم بكل مواطنها، وحسابهم آخرها ليس على ما هوت إليه نفوسهم، وإنما على ما ارتقت إليه هممهم.

كتاب: سقوط نظام! لماذا كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ لازمة ؟

● الحكمة الصوفية المأثورة القائلة بأنه «عند التمام يبدأ النقصان» – تظل صادقة بالعرفان وبالبرهان معًا، لأن كل كائن حي له أجل ولهذا الأجل مراحل: طفولة وصبا وشباب وكهولة وشيخوخة وموت. وذلك قانون نافذ حتى على الإمبراطوريات باعتبارها كيانات حية، وعندما يصل عمر أي كائن حي إلى ذروته فإن النزول على الناحية الأخرى من التل حتمي، لأن أي كائن حي عند الذروة يكون قد استعمل إلى أقصى حد كافة مصادره وموارده، وهو حين يستعملها إلى أقصى حد – يستهلكها بنفس المقدار.

وبقواعد الحساب فإن إسراف أي كائن حي في استعمال المصادر والموارد المتوافرة لديه، تلزمه أن يصرف وينزح منها أكثر وأسرع، وذلك مأزق الإفراط في أي سلوك.

كتاب: الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق

● إنني رجل محب لهذه الحياة ومغرم بها – وفي الوقت نفسه متصالح ومتفاهم مع ما

بعدها، فهذه الحياة أعطتني أحلى وأغلى ما عندها ومن الحق أن أدرك أن ما بعدها موصول بها – اتصال النهار مع الليل!

كتاب: استئذان في الانصراف – رجاء ودعاء.. وتقرير ختامي

● العلم سياق واحد ملأته ينابيع وموارد ومصادر متعددة – خطوة موصولة بخطوة موصولة – دون علم وطني يرتفع أو جواز سفر يسمح أو يحجر – بمعنى أنه ليست هناك مثلًا فيزياء أو كيمياء أو فلك أو رياضيات أوروبية صرف – أو صينية صرف – أو هندية صرف – أو عربية إسلامية صرف، وإنما هناك علم واحد صب فيه الجميع من كل نبع ومن كل نهر ومن كل بحر حتى وصل الفيض إلى المحيط المشترك الأكبر، وهناك حافظت على عالميته وفتحتها لكل من يرغب ويستطيع – أدوات للاقتراب والتناول تنظمها شروط متعالية على كل الأجناس وفوق كل الأقاليم.

كتاب: على هامش صراع الحضارات (رؤية صحفي)

● الأقدار التاريخية للشعوب هي نتائج مباشرة للجغرافيا والتاريخ وما يصنعه الاثنان بمنطقة معينة من العالم من صلات وتفاعلات وضرورات أمن ومقتضيات مصلحة..

فحتى القيادات العظيمة للتاريخ لا تملك اختيار أقدار بإصدار قرار، وإنما ميزة القائد التاريخي هي مقدرته على الاتصال بالحقائق التاريخية وقابليته للتعبير عنها فكرة وحركة.

كتاب: كلمات لها مناسبات

● حتى الوهن له كبرياء من نوع ما، لأن إنسانية الإنسان ملك له في كافة أحواله، واحترامه لهذه الإنسانية حق لا تستطيع سلطة أن تنتزعه منه – إلا إذا تنازل عنه بالهوان، والوهن يختلف عن الهوان!!

كتاب: مبارك وزمانه – من المنصّة إلى الميدان

● إذا كان التطرف والإرهاب ظاهرة يمكن ردها إلى العقل – فإننا بالعقل أيضًا نستطيع أن ندرك أن كل ظاهرة باقية، طالما بقيت الأسباب التي أدت إليها.

كتاب: مبارك وزمانه – ماذا جرى في مصر ولها؟

● المواطنة مواطنة، ليس فيها أغلبية وليس فيها أقلية، وإنما حقوق متساوية لكل مواطن.

وليس طبيعيًّا في ظل دولة المواطنة ألا يكون هناك محافظ مسيحي إلا على سبيل الاستثناء – أو مدير جامعة – أو سفير من الدرجة الأولى – أو وزير واحد أو اثنان يتكرر اسمه أو اسمها، لأن هناك خانة لابد من سدها.

كتاب: مصرُ إلى أين؟ ما بعد مبارك وزمانه

■ ■ ■

الفصل الخامس والعشرون:

كتبٌ ومرايا أتقرأ تجاويفها *

غرفة بدون كتب تماثل جسد بلا روح.
ماركوس توليوس سيسرو
Marcus Tullius Cicero

الكتب - حسب الأستاذ - أنواع وأصناف وألوان، بينها ما يعرض آراء أو معارف أو تجربة كاتبه، وبينها ما يركز على موضوع معيّن يجمع فيه معارف أو تجارب آخرين، وبينها ما يشي بخبر أو رأي أو اجتهاد.

والكتب في عرف الأستاذ نوعان:

نوع يزكيه موضوعه وعمق التناول وجاذبية العرض. ونوع ثانٍ يمهد له اسم كاتبه لأن الاسم وحده يكون علامة مميزة سابقة في الإيحاء بالقيمة حتى من قبل أن تتأكد هذه القيمة برضى القارئ وحكمه.

يقسم الأستاذ قراءاته إلى قسمين: قراءات الصيف المسترخية، وقراءات الشتاء المركزة!

والقراءة في الصيف متأنية، لأنها ليست محصورة ولا محاصرة، وكذلك فهي فسحة مفتوحة للتأمل والتحليق في سماء عريضة.

وأنواع الكتب في الصيف بدورها يقسمها الأستاذ لنوعين هما: كتب «السّير» - كتبها أصحابها بأنفسهم (سيرة ذاتية)، أو كتبها آخرون غير أصحابها بعد أن تقابلوا مع قصص (حياة) تستحق التسجيل لرجال ونساء تركوا في الدنيا ذكرًا وأثرًا.

وكتب السيرة أيضًا قسمها الأستاذ لعدة أنواع هي:

١ - هناك كتاب يمكن أن يدور حول رجل، يعرض مختارات من كتاباته، أو مجموعة

* أدونيس: ديوان «كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل» - قصيدة «أيام الصقر».

كتاباته كاملة، وهذا نموذج شائع حدث لكتابات «أحمد أمين» و «زكي نجيب محمود» وغيرهما.

٢ – وهناك كتاب يمكن أن يكون سيرة حياة لرجل، سواء السيرة موضوعية كما كتب «العقاد» مثلًا عن «سعد زغلول»، أو ذاتية كما كتب «سلامة موسى» عن نفسه.

٣ – وهناك كتاب يمكن أن يكون تحيّة لرجل، كما فعل عدد من تلامذة «طه حسين» عندما أهدوا إليه في عيد ميلاده السبعين مجموعة من دراساتهم في ما يعرفون أنه يهتم به من فكر، وجعلوا من عنوان الكتاب وصفًا مباشرًا لنوعه وهو «إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين».

٤ – وهناك كتاب يمكن أن يكون عرضًا أو نقدًا أو خلافًا أو دراسة لدور رجل في ما قال أو فعل، ورفوف المكتبات ملأى بهذا النوع من الكتب.

ثاني أنواع الكتب في الصيف هو: أعمال في التاريخ والسياسة والحرب، فتلك – إلى جانب المهنة – هواية مبهورة دائمًا بحكاية الصراع الإنساني ودخائلها.

وقد قسمها الأستاذ أيضًا لقسمين هما:

الكتابة التقريرية، وفي وقتها، تختلف عن مذاكرات الساسة حين يكتبونها في أوقات فراغهم فإذا هي إعادة بناء الحوادث بأثر رجعي يجعل من الرواية حديثًا عما كان يجب أن يكون وليس عما كان فعلًا، أي أن الحوادث تعاد صياغتها بحيث يتم توظيف الماضي في خدمة الحاضر، ومع هذا التوظيف تكون الحقيقة أولى ضحاياها.

يختلف ذلك كله عن الكتابة التقريرية، ففيها يبرز الحاضر أثناء وقوعه ويظهر المستقبل عند مرحلة التكوين والخلق الأولى وتكون خطوط الضوء صافية بغير عوالق أو شوائب من هوى أو من صنعة.

وللأستاذ مقولة مأثورة عن قراءة كتب التاريخ مفادها «الاهتمام بالسياسة فكرًا أو عملًا يقتضي قراءة التاريخ أولًا – لأن الذين لا يعرفون ما حدث قبل أن يولدوا، محكوم عليهم أن يظلوا أطفالًا طول عمرهم»!

بينما أنواع الكتب في الشتاء (أغلبها داخل جدران غرفة، وأمام مكتب، وفي اليد قلم بالقرب منه ورق) هو: كتب تتصل بالفلسفة والفكر (لهذا تستدعي التركيز)!

ولدى الأستاذ ثلاث مكتبات في الأماكن التي سكنها وعاش فيها:

الأولى في مكتبه ومنزله في الجيزة (مقسمة لعدة مكتبات: مكتبة في المكتب الذي يمارس فيه عمله اليومي، ومكتبة للكتب التي يحتاج إليها في اللحظة الراهنة، وصالون ملحق بالمكتب يحوي على مكتبة أدبية وتاريخية، بما فيها كتب الرحالة الفرنسيون لمصر وجميع الكلاسيكيات الأدبية العربية والروافد الأساسية للثقافة العربية، بينما في شقته الملاصقة للمكتب، مكتبة تضم أعمال موسوعية وقواميس وأطالس).

والثانية في منزله في الإسكندرية (ستانلي، وهي تضم معظم ما هو خاص بالبحر الأبيض المتوسط، بما فيها تاريخ الإسكندرية والبطالسة وإسبانيا واكتشافها لأمريكا).

والثالثة في قرية برقاش (وهي تضم جميع الكتب التي أهديت له، ومن ضمنها مجموعة الكتب الموقعة من مؤلفيها إهداء له، وكان مجموعهم ٣٢٠٠ كتاب بنهاية عام ١٩٩٢).

والأستاذ ارتبط بالكتاب منذ أن أشرقت الشمس عليه، فقد كان البيت الذي نشأ به في حي الحسين (٨ شارع جوهر الصقلي، البيت يعود إلى جده بيومي سلاّم)، وقد تحول المنزل في جانب منه إلى أكداس كتب جاءت لخاله (عبد القادر وكان مساعدًا لوالده في التجارة – وكان قارئًا نهمًا في أوقات فراغه) من مكتبة صبيح (صاحبها هو محمد علي صبيح، الكائنة في ميدان الجامع الأزهر) وكان أصحابها أصدقاء لخاله..

أول كتاب طالعه الأستاذ – بعد القرآن – هو كتاب «أدب الدنيا والدين» لأبي الحسن الماوردي.

آخر كتاب طالعة هو رواية «ليلة الرئيس الأخيرة La dernière nuit du Raïs» للكاتب الجزائري ياسمينة خضرا (الاسم مستعار لمحمد مولسهول – وهو اسم زوجته كونه كان ضابطًا في الجيش الجزائري، ولم يكشف هويته إلا بعد تركه للجيش الجزائري واستقراره في باريس في العام ٢٠٠١)!

والأستاذ يعد من أكثر المثقفين العرب – وربما العالم – الذي يتابع كل ما يصدر من دور النشر ومراكز الأبحاث، فكما يؤكد «بأن الكتب التي تنشر عن العالم المعاصر، وفكره، وتجاربه، لهي ثروة حية متحركة تصنع على الدوام غنى إنسانيًا بغير حدود، ولابد للفكر العربي أن يكون

على اتصال بهذا كله، مباشر وقريب. بحر الثقافة مفعم ورحب، فهناك كتب تطالعها وتلفت انتباهك في مرحلة ثم تبدل رأيك فيها، هناك علاقة راسخة بين الكتب ومرحلة نمو الإنسان، في مرحلة الشباب هناك الكتب التي ما إن تطالعها حتى يتبدى لك أنك قد حزت على مفاتيح الأبواب المؤصدة، وكتب تمتعك جدًا وتستهويك حتى تقول إنه ليس هناك بعدها، وبعد قليل تبهت ويستقر كتاب آخر، ابتعد عن الرواسخ الأساسية، مثل كتاب «الأمير» لنيكولو مكيافيلي، و«المدينة الفاضلة» سواء لأفلاطون أو الفارابي، أو المساجلة البديعة بين ابن رشد (تهافت التهافت) والغزالي (تهافت الفلاسفة) في الفلسفة، تطالعها وتشدك في الصراع بين العقل والإيمان.

الكتب تماشي خطوات معينة في حياتك، هناك الكتب التي قد تستجيب لمزاج لحظة معينة وتجدها تتسق مع مزاجك في تلك اللحظة، وهناك الكتب التي تنبهك في مرحلة معينة، الثقافة بحر جار وحياة دائمة وأنت معها في سجال متواصل، ما كنت تناقشه البارحة ليس هو الذي تناقشه اليوم، أنا شخصيًا علاقتي مع الكتب ليست قائمة على مطالعة كتاب والفراغ منه، أتصور بأن كل كتاب متصل بما قبله، ومتعلق به، كله في تيار المعرفة وافد من أصل واحد وكله يصب في مجرى واحد، كله سمك يموج في نفس البحر، السؤال هو: إنك في أي طرف أو أية بقعة من البحر في هذه اللحظة؟، المناخ، ماذا تطالع فيه الآن؟ وما الذي تحتاج إليه؟. هي عملية أخذ ورد دائمان.

علاقتي بالكتب مثل علاقتي بالهواء الطلق ومتى أرغب بالذهاب للحديقة أو إلى الشاطئ، علاقة حية، الكاتب علاقته بالكتب علاقة مترابطة وليست علاقة زيارات، الكتاب ساعة أن أطالعه يتوغل في نسيجي، وأنا أميز باستمرار بين الكتب وما عداها، المجلات التي تطالعها أو الصحف اليومية تزودك بالمعارف العامة فيما تواظب على ملاحقته، لكن ما يرسم أساس ثقافتك وتكوينك وتفكيرك وتربيتك: الكتب، هذه الكتب هي تجارب حية معك، تحيا معك، عندما تنظر إلى مكتبتك وما تحتويه من كتب لا تشعر بأن ما تحتويه مجرد أوراق وكلمات مطبوعة، لكنك تدرك أنها حيوات، ألوان من الحياة، الحياة التي تحيا داخل هذه الكتب متألفة معك».

وسأذكر فيما يلي ما رأيته من ثمرات المطابع ومراكز الأبحاث موضوعًا على مكتب الأستاذ، أو سألته فيما يتابع من قراءات عندما كنت ألتقيه (أو أحادثه هاتفيًا)، أو ما تابعته

بعيني من مئات الكتب المتراصة في مكتبته التي تحيا رفوفها بالفكر والعلم والمعرفة بلغات متنوعة وفي مسارات وأنواع وأشكال من الثقافات لا عدد لها ولا حصر.

وللقارئ المدقق في عناوينها يستطيع أن يلم بثقافة الأستاذ ومدى اطلاعه فضلًا عن همومه وشواغله:

- **عندما زرته في مكتبه الكائن بالجيزة للمرة الأولى (يونيو ١٩٩٤ - ٢١و٢٣)، كان على مكتبه:**

١ - تقرير «بعد الملك فهد: الخلافة في المملكة العربية السعودية:After King Fahd Succession In Saudi Arabia» للصحفي البريطاني في معهد واشنطن سايمون هندرسون Simon Henderson.

وكذلك مجموعة من الكتب منها:

١ - «النظام العالمي القديم والجديد World Orders Old and New» للمثقف الأمريكي نعوم تشومسكي.

٢ - «القلم والسيف the Pen and the Sword»، وهو حوار بين إدوارد سعيد والإعلامي الأمريكي (من أصل أرمني) ديفيد بارساميان David Barsamian.

٣ - «مكتوب Maktub» رواية للشاعر والروائي البرازيلي باولو كويلو Paulo Coelho.

سألته وقتها: للوهلة الأولى وأنت في مكتبتك، مطالعًا «خير جليس في الزمان»، ماذا يتبادر لذهنك؟

أجاب الأستاذ: «حوار بيني وبين من صاغوا تلك الأسفار من النفائس.. أشعر بأن أرواحهم تنصت - بل لعلي لا أكون مبالغًا إذا قلت بأن ما بيني وبينهم مناجاة - ظانًا أنهم يتابعون وقع ما أخط من ملاحظات وتعليقات على أبحاثهم وما توصلوا إليه من نتائج وأحكام، وبذلك لا تكون أرواحهم حبيسة داخل أغلفة كتبهم، فبيني وبينهم حوار دائم وخيط لا ينقطع»!

- **في لقائي معه للمرة الثانية (نوفمبر ١٩٩٧ - ٤ و٨)، كان على مكتبه:**

١ - كتابان للمؤرخ الفلسطيني وليد الخالدي هما: «الصهيونية في مئة عام من البكاء

على الأطلال إلى الهيمنة على المشرق العربي (١٨٩٧ - ١٩٩٧)»، «وخمسون عاما على تقسيم فلسطين (١٩٤٧ - ١٩٩٧)».

ربما سمحت لنفسي، أن أذكر مداعبة مع الأستاذ بعد أن ذكر لي كتابي الدكتور وليد الخالدي، أنني قلت للأستاذ «أن الإسرائيليين يعرفون قيمة الرقم المقدس: سبعة، ففي سنة ١٨٧٧ تم إنشاء أول مستعمرة استيطانية لليهود في فلسطين وهي مستعمرة «بتاح تكفاه» (شمال شرق يافا)، وفي سنة ١٨٩٧ تم انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل بسويسرا وبه تم وضع البذور الأولى لقيام دولة لهم في فلسطين، وفي عام ١٩١٧ صدر وعد من وزير خارجية بريطانيا آرثر بلفور بإنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وفي عام ١٩٤٧ صدر قرار تقسيم فلسطين لدولتين عن الجمعية العامة التابعة لهيئة الأمم المتحدة رقم ١٩١، وفي عام ١٩٦٧ الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة التي أفضت لاحتلال القدس وكامل فلسطين، والإمساك بأراضي ثلاث دول عربية بهدف إرغامهم على التفاوض وبالتالي كسر موقف الرفض منها، وفي عام ١٩٧٧ مبادرة الرئيس السادات - بداية المتاهة العربية!

وهو عقب ضاحكًا «والله نظرية، لكن يبدو أن العرب تنبهوا لقداسة الرقم سبعة فالانتفاضة الفلسطينية انطلقت سنة ١٩٨٧، وهي مشهد جليل لشعب حاول أن يمسك بيده مقاديره، لكنها إحدى الفرص الضائعة في عالمنا العربي، فمن مشوار طويل ابتدأ بموكب شهادة مرورًا بموكب إرادة وانتهى بموكب إذعان»!

٢ - «تاريخ الشعوب الناطقة بالإنكليزية A History of the English-Speaking Peoples»، لرئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل.

٣ - «الدبلوماسية Diplomacy»، لوزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر.

٤ - تقرير الحالة الدينية في مصر.

٥ - «سيدة من مصر»، مذكرات السيدة جيهان السادات.

سألت الأستاذ: هل هناك طقوس معينة للقراءة؟

الأستاذ قال: أشرع يومي وأختمه بالقراءة، في طريقي إلى منتجع القطامية (يقع بين المعادي

ومصر الجديدة على الطريق الدائري ليمارس فيه لعبته المحببة إلى قلبه: الجولف)، في الساعة (٥:٤٥ فجرًا) أطالع الجرائد المصرية لأطل على المشهد العام والأداء اليومي للبلد، في طريق عودتي أكتفي بالاستماع لمحطة الـB.B.C، عندما أصل لمكتبي، هناك أجد تقارير الصحافة الإسرائيلية، مراكز الأبحاث الخارجية، الجرائد والمجلات العربية.

فترة ما بعد العصر، أطل على البرقيات، ومستكملًا ما بدأته من الجرائد والمجلات.

قبل النوم (ساعتين قبل النوم) قراءة كتاب.

استدرك لأستاذ قائلا: استنكر مبدأ المطالعة في السرير، وأظنه معيب لي ولمن أقرأ له!

في حجرة نومي، هناك كرسي فوتيه Fauteuil وأباجورة، وعلى ضيائها أقرأ ليكون آخر ما أقوم به، محتفظًا طول الوقت بقلم رصاص، ليس لتسجيل ملاحظات على الهامش، بل ربما لتداعي أفكار ليس بينها وبين الكتاب أي رابط، ولكنها بدأت بطرق باب تفكيري كهاجس، فأبدأ فورًا بتفريغها!

استفسرت: هل تقرأ كل حرف وكلمة في الجريدة أو المجلة؟

أجاب قاطعًا: لا طبعًا، صفحات الرياضة والفن (وليس الأدب) استبعدتهم تمامًا من قراءاتي اليومية للصحف والمجلات!

سألت الأستاذ: مع تعدد مكتباتك وأماكن تواجدك، هل تخصص لكل مكان قراءة معينة؟

كانت إجابة الأستاذ كالتالي: عندما أتواجد في الغردقة، يكون رفقي من الكتب دواوين الشعر، في صيف كل عام تقريبًا وأنا في قرية الرواد، يكون رفقي من الكتب: بدائع الزهور في وقائع الدهور (أبو البركات ابن إياس)، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (يوسف ابن تغري بردي)، وتاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار (عبد الرحمن الجبرتي)..

في مكتبة الإسكندرية ستجد مجموعة ضخمة من الكتب التي تتناول تاريخ وجغرافية حوض البحر الأبيض المتوسط..

استفسرت؟

أجاب الأستاذ: بمجرد أن تلقي بنظرة أولى على الخريطة، سيبدو لك المتوسط كدائرة اتصال

وسط العالم وعلى امتداد التاريخ وطول الوقت، والضابط لعقدة مواصلاته، قلب العالم، أشبه ما يكون بطاولة مستطيلة يتحلق حولها كراسي ترمز للدول والثقافات: تركيا (الإرث الإسلامي)، اليونان (الإغريقية)، إيطاليا (الرومانية)، فرنسا ودورها الحضاري، إسبانيا (حضارة الأندلس)، مصر (الفرعونية)، لبنان (الفينيقية) والعرب بكل ما انتجوه من ثقافات على طول الخط الممتد من أنطاكية إلى برشلونة!

تنهد بأسى: هل تعلم بأن شعراءنا تنبهوا لجسامة موقع البحر المتوسط قبل ساستنا ومفكرينا الاستراتيجيين، شوقي له قصيدة بعنوان البحر الأبيض المتوسط، يقول فيها بالتحديد:

يا أَبيضَ الْآثَارِ وَالصَّفْحَاتِ ضُيِّعَ مِنْ أَضَاعَكَ

- في زيارتي الثالثة له (نوفمبر ٢٠٠١)، كان على مكتبه طوفان من الكتب زاد عن المرات السابقة:

١ - «السلطة والسياسة والثقافة Power politics and culture»، للمفكر الفلسطيني إدوارد سعيد.

٢ - «معنى الخيانة Meaning of Treason» للصحفية البريطانية ريبيكا وست Rebecca West.

٣ - «الحرب الإسرائيلية على لبنان Israel's Lebanon War»، للمراسل العسكري الإسرائيلي لصحيفة هآرتس: زئيف شيف Ze'ev Schiff.

٤ - «الماضي لديه نمط آخر The Past Has Another Pattern: Memoirs»، مذكرات الدبلوماسي والمصرفي الأمريكي جورج بول George Ball.

٥ - «أربعة رؤساء وأفريقيا: ديغول، بومبيدو، جيسكار ديستان، ميتران - أربعين عامًا من السياسة الأفريقية Quatre présidents et l'Afrique: De Gaulle Pompidou Giscard d'Estaing Mitterrand Quarante ans de politique africaine"، للصحفي الفرنسي كلود فوتيه Claude Wauthier المتخصص بالشئون الأفريقية لدى وكالة فرانس برس.

٦ - «العملية هيبرون Operation Hebron»، رواية لعميل المخابرات المركزية الأمريكية السابق إريك جوردان Eric Jordan.

٧ - «قصة مونتي كاملة، مونتغمري والعلمين The Full Monty: Montgomery Of Alamein ١٨٨٧-١٩٤٢»، لكاتب السير البريطاني نايجل هاميلتون Nigel Hamilton.

٨ - «أنديرا: قصة حياة أنديرا نهرو غاندي Indira: The Life of Indira Nehru Gandhi»، للكاتبة الأمريكية كاثرين فرانك Katherine Frank.

٩ - «يوميات الحرب War Diaries ١٩٣٩-١٩٤٥»، يوميات المارشال البريطاني آلان بروك Alan Brooke.

١٠ - «هيروهيتو: صنع اليابان الحديثة Hirohito: And The Making Of Modern Japan»، للمؤرخ الأمريكي هيربرت بيكس Herbert Bix.

١١ - «شبه عالمي Semi-Monde»، مسرحية للكاتب المسرحي الإنجليزي نويل كوارد Noël Coward (كتبها سنة ١٩٢٦).

١٢ - «لغز القصر: داخل وكالة الأمن القومي، منظمة الاستخبارات الأكثر سرية في أميركا The Puzzle Palace: Inside the National Security Agency America's Most Secret Intelligence Organization»، للصحفي الأمريكي جيمس بامفورد James Bamford.

١٣ - «الملكة فيكتوريا: تاريخ شخصي Queen Victoria: A Personal History»، للمؤرخ الإنكليزي كريستوفر هيبرت Christopher Hibbert.

١٤ - «فارس الصليب: حياة المارشال أروين روميل Knight's Cross: A Life of Field Marshal Erwin Rommel»، دراسة قام بها الجنرال البريطاني ديفيد فريزر David Fraser (قائد الكلية الملكية للدراسات الدفاعية).

١٥ - «فرنسا: سنوات الظلام France: The Dark Years ١٩٤٠ - ١٩٤٤»، للمؤرخ البريطاني جوليان جاكسون Julian Jackson.

١٦ - «العقل الحديث: تاريخ الفكر في القرن العشرين The Modern Mind: An intellectual history of the 20th century»، للمؤرخ البريطاني بيتر واتسون Peter Watson.

١٧ - «الطلسم: المعركة لفك الشيفرة Enigma: The Battle for the Code»، للكاتب البريطاني هيو سيباج -مونتيفيور Hugh Sebag-Montefiore.

١٨ - «الميزان العسكري في الشرق الأوسط The Military Balance in the Middle East»، للباحث الاستراتيجي الأمريكي (يعمل في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية - CSIS) أنتوني كوردسمان Anthony Cordesman.

١٩ - «العملاق: كيف غيرت المؤسسة أمريكا Colossus: How the Corporation Changed America»، للكاتب الأمريكي جاك بيتي Jack Beatty.

٢٠ - «بعيد وشاسع Far And Wide»، للصحفي البريطاني دوغلاس ريد Douglas Reed.

٢١ - «عائلات أمريكا الستين America's 60 Families»، للصحفي الأمريكي فرديناند لندبرغ Ferdinand Lundberg.

٢٢ - «الإبحار في الاضطراب: أمريكا والشرق الأوسط في القرن الجديد Navigating through Turbulence: America and the Middle East in a New Century»، تقرير من إعداد معهد واشنطن.

٢٣ - «١٩٨٤»، رواية للروائي الإنجليزي جورج أورويل George Orwell

قال لي الأستاذ «ربما لا يعلم جيلكم بأن الروائي الإنجليزي جورج أورويل، والروائي الأمريكي إرنست همنغواي Ernest Hemingway، والمحاضر سكوت واتسون Scott Watson، والروائي الإنجليزي لورانس دوريل Lawrence Durrell، والصحفية الفرنسية إيف كوري Ève Curie.. قد كتبوا في صحيفة: الإجيبشيان غازيت The Egyptian Gazette زمن الحرب العالمية الثانية، بل إن درويل وكوري عملوا في الصحيفة نفسها، كون القاهرة كانت في ذلك الوقت أهم مركز بريطاني لقيادة الحرب العالمية، وقبلها العاصمة الهندية دلهي كون نائب الملك (المستعمرة الوحيدة التي يوجد بها نائب للملك وحكومة لها مطلق الصلاحيات بالتصرف بعيدًا عن المركز لاعتبارات وسائل المواصلات والاتصالات)، وقبلهما بالطبع عاصمة الإمبراطورية نفسها: لندن»!

٢٤ - «فرانكنشتاين Frankenstein»، رواية للروائية الإنجليزية ماري شيلي Mary Shelley.

٢٥ - أربعة كتب للصحفي البريطاني أنتوني سامبسون Anthony Sampson وهي: «الشقيقات السبع The seven sisters»، «بازار الأسلحة في التسعينيات: من كروب لصدام The Arms Bazaar in the Nineties: From Krupp to Saddam»، و«لمسة ميداس: فهم ديناميكية مجتمعات المال الجديدة من حولنا The Midas touch: understanding the dynamic new money societies around us»، و«مانديلا: السيرة المعتمدة Mandela: The Authorised Biography».

٢٦ - «رحلة الشاه الأخيرة The Shah's Last Ride»، للكاتب البريطاني وليام شوكروس William Shawcross.

قلت للأستاذ: لماذا هذا الكم الهائل من الكتب والتقارير وفوقهم بعض الروايات؟

أجاب: كما لا شك تتابع الأحداث، اسم العراق يدنو ويدنو مثل ترنيمة جزئية تقترب لتنتقل وتتحول إلى الترنيمة الأساسية (والهدف النهائي: إيران)، وهناك غزو أمريكي بدأت طلائعه في كابول، وحريق عالمي حدث في نيويورك، وما يجري في فلسطين من صدام بين حقوق وحقائق، وعالم دخل قرن جديد وألفية ثالثة، وقوى صاعدة، وقوى مسيطرة تحاول تثبيت اللحظة، وتطلعات ورؤى، وخطط وأهداف، قصيرة وطويلة، وخرائط جديدة ترسم وفق مطامح ومطامع.. وهذا الذي تراه من كتب هو عودة إلى أصول الصراع، فمعظمنا يؤثر نسيانه، مصطدمين بالشجرة التي تحجب عنا رؤية الغابة، غارقين بالتفاصيل اليومية بعيدًا عن جذور الصراع، بينما هناك أسس محددة وقواعد حاكمة للصراع، بعيدًا عن «كوكتيل» الأصوات والألوان وتضارب الصور، وهكذا فالعودة لهذه الأسس مطلوب، والوعي بها حيوي، كي لا ينتحر المعنى كما يقول أخينا محمود درويش!

تساءلت: عفوًا أستاذ، لكني لم ألمح أي كتاب لمؤلف عربي؟

أجاب الأستاذ بعد أن سحب كتابين من الجانب الآخر للمكتب: «هذا كتاب للخبير الاقتصادي المصري سمير أمين بعنوان «هيمنة الولايات المتحدة ومواجهة المشروع الأوروبي

L'hégémonisme des États-Unis et l'effacement du projet européen (الكتاب كان باللغة الفرنسية)، وهذا كتاب آخر للمفكر الفلسطيني عزمي بشارة «العرب في إسرائيل: رؤية من الداخل»!

قلت يائسًا: أخيرًا وسط هذا الكوم الهائل من الكتب، كتاب يتيم لمفكر عربي؟

قال لي «من غير أن تمتعض وترتسم على ملامحك غضبة مُضرية، إذا أحببت متابعة الفكر من مصادره فلابد من أن ترتحل إليه في منابته الأساسية. نحن - للأسف الشديد - لسنا بعد خلاّقين أو مبتكرين في حقول عديدة!

تساءلت: وماذا عن الروايات والشعر والقصص؟

أجاب الأستاذ: عندما أنوي أن أستقصي عن الوقائع في «روح» أي بلد، وعن منطلقاته السياسية القادرة على توضيح مقاصده، فإنني لا أتكئ على كتب التاريخ ولا المذكرات السياسية، وإنما أعرج فورًا إلى الأدب. مصغيًا للشاعر والراوية والأديب بداية، وبعدها يأتي ترتيب المؤرخ والسياسي والدبلوماسي.

- في أكتوبر ٢٠٠٤ كان اللقاء الرابع، كان على مكتبه هذه الباقة من ثمرات المطابع:

١ - «الإنسانية والنقد الديمقراطي Humanism and Democratic Criticism»، للمفكر الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد.

٢ - «خطة الهجوم Plan of Attack»، للصحفي الأمريكي بوب وودوارد Bob Woodward.

٣ - «الانتصارات The Triumphs of Petrarch»، للشاعر الإيطالي فرانشيسكو بترارك Francesco Petrarca - باللغة الإنجليزية.

٤ - «تاريخ الثورة الفرنسية The French Revolution: A History»، للمؤرخ الأسكتلندي توماس كارليل Thomas Carlyle.

٥ - «الشاه.. وأنا - المذكرات السرية لوزير البلاط الإيران The Shah and I: The Confidential Diary of Iran's Royal Court»، للسياسي الإيراني أسد الله علم.

٦ - «خريف البطريرك The Autumn of the Patriarch»، رواية للروائي الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز Gabriel García Márquez - باللغة الإنجليزية.

٧ - «ثقافة الهزيمة Culture of Defeat»، للباحث الألماني فولفغانغ شيفيلبوش Wolfgang Schivelbusch - باللغة الإنجليزية.

٨ - «الحاجز - شظايا رواية»، رواية للمفكر الفلسطيني عزمي بشارة.

٩ - «قطار الصعيد»، رواية للأديب المصري يوسف القعيد.

١٠ - «جندي أمريكي American Soldier»، مذكرات الجنرال الأمريكي تومي فرانكس Tommy Franks.

١١ - «عام قضيته في العراق - النضال لبناء غد مرجو My Year in Iraq: The Struggle to Build a Future of Hope»، مذكرات الدبلوماسي الأمريكي بول بريمر Paul Bremer.

- كان اللقاء الخامس في فبراير ٢٠٠٧، كانت عناوين الكتب كالتالي:

١ - «العالم في عصر الإرهاب Longitudes and Attitudes: The World in the Age of Terrorism»، للصحفي الأمريكي توماس فريدمان Thomas Friedman.

٢ - «ويلات وطن: صراعات الشرق الأوسط وحروب لبنان Liban: nation martyre»، للصحفي الإنجليزي روبرت فيسك Robert Fisk - باللغة الفرنسية.

٣ - «بلاك ووتر: صعود أقوى جيش مرتزق في العالم Blackwater: The Rise of the World's Most Powerful Mercenary Army»، للصحفي الأمريكي جيريمي سكاهيل Jeremy Scahill.

٤ - «الحقيقة حول محمد: مؤسس أكثر ديانة غير متسامحة في العالم The Truth About Muhammad: Founder of the World's Most Intolerant Religion»، للمؤلف الأمريكي روبرت سبنسر Robert Spencer.

٥ - «أعلام الصحافة العربية: محمد التابعي»، للصحفي المصري صبري أبو المجد

٦ - «دلفين Delphine»، رواية للأديبة الفرنسية آن لويز جيرمين دي ستال Germaine de Staël المعروفة باسم مدام دي ستال - باللغة الفرنسية.

٧ - «مذكرات رئيس تحرير في شارع فليت مذكرات رئيس التحرير -EDITOR IN-CHIEF: THE FLEET STREET MEMOIRS OF SIR DENIS HAMILTON»، للصحفي الإنكليزي دنيس هاملتون Denis Hamilton.

٨ - «آفاق المستقبل لأمريكا Prospect for America: the Rockefeller Panel reports»، وهو مشروع استشراف المستقبل، بتمويل من صندوق الإخوة روكفلر Rockefeller Brothers Fund.

٩ - «حدائق الأحزان: إيران و«ولاية الفقيه»، للباحث المصري المتخصص بالشئون الإيرانية والتركية مصطفى اللباد.

١٠ - «الانحدار تجاه السويس Descent to Suez: Diaries ١٩٥١-٥٦»، مذكرات الدبلوماسي البريطاني إيفلين شاكبيرج Evelyn Shuckburgh.

١١ - ثلاث كتب للجنرال البريطاني جون باجوت غلوب John Bagot Glubb «قصة الفيلق العربي The story of the Arab Legion»، و«بريطانيا والعرب Britain and the Arabs: A Study of Fifty Years 1908 to 1958» و«مغامرات عربية Arabian adventures».

١٢ - «هنري الثالث وحاشيته Henri III et sa cour»، مسرحية للكاتب الفرنسي ألسكندر دوماس Alexandre Dumas - باللغة الفرنسية.

١٣ - «السياسة الوطنية للطاقة Report of the National Energy Policy - WTRG Economics»، تقرير أشرف عليه نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني Dick Cheney.

في مزرعة برقاش كان اللقاء السادس (يناير ٢٠٠٩)، وكان أمامه مجموعة من الكتب هي:

١ - «عالم من المتاعب: البيت الأبيض والشرق الأوسط - من الحرب الباردة إلى الحرب على الإرهاب A World of Trouble: The White House and the Middle East-from the Cold War to the War on Terror»، لمراسل صحيفة النيويورك تايمز الأمريكي باتريك تايلر Patrick Tyler.

٢ - «ستة أيام من الحرب: يونيو ١٩٦٧ وصناعة شرق أوسط جديد Six Days of War: June ١٩٦٧ and the Making of the Modern Middle East»، للمؤرخ الإسرائيلي مايكل أورين Michael Oren.

٣ - «الاستشراق الأمريكي: الولايات المتحدة والشرق الأوسط منذ 1945American Orientalism: The United States and the Middle East Since 1945»، للمؤرخ الأمريكي دوغلاس ليتل Douglas Little.

٤ - «أبرياء في الخارج The Innocents Abroad»، للكاتب الأمريكي مارك توين Mark Twain.

٥ - «يعقوب هرتسوغ: سيرة ذاتية Yaacov Herzog: A Biography»، للمؤرخ الإسرائيلي ميخائيل بار زوهار Michael Bar-Zohar.

٦ - «نفحة الإيمان - مذكرات حياة غير متوقعة LEAPOFFAITH - MEMOIRS OF AN UNEXPECTED LIFE»، مذكرات ملكة الأردن: نور.

٧ - «أسد الأردن: حياة الملك حسين في الحرب والسلام Lion of Jordan: The Life of King Hussein in War and Peace»، للمؤرخ البريطاني (عراقي الأصل) آفي شلايم Avi Shlaim.

٨ - كتاب من ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية بعنوان «محاضر الكنيست ١٩٦٧/١٩٦٦ نصوص مختارة من محاضر الكنيست السادس».

٩ - «صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي - الجيش المصري البري والبحري»، دراسة للأمير عمر طوسون.

١٠ - «حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧ - ١٩٧٠»، مذكرات الفريق محمد فوزي.

١١ - «الصراع العربي الإسرائيلي من مذكرات وذكريات الفريق عبد المنعم واصل»، مذكرات الفريق عبد المنعم واصل.

١٢ – «موشي دايان: الجندي، الرجل، الأسطورة Moshe Dayan: The soldier the man the legend»، للمؤرخ الإسرائيلي شبتاي تافيت Shabtai Teveth».

١٣ – «٣٤ يومًا: إسرائيل، حزب الله، والحرب في لبنان 34 Days: Israel Hezbollah and the War in Lebanon»، للصحفي الإسرائيلي عاموس هرئيل Amos Harel.

١٤ – «فن وعلم العمليات النفسية: دراسة حالة من التطبيقات العسكرية The Art and Science of Psychological Operations: Case Studies of Military Application»، لعالم الاجتماع الأمريكي ديفيد بولوك David Pollock.

١٥ – «منافع ومساوئ التاريخ The Uses and Abuses of History»، للمؤرخة الكندية مارجريت ماكميلان Margaret MacMillan.

١٦ – «إرث من الرماد: تاريخ وكالة المخابرات المركزية Legacy of Ashes: The History of the CIA»، لمراسل صحيفة النيويورك تايمز الأمريكي تيم وينر Tim Weiner.

١٧ – «أسرار الصندوق الأسود»، للصحفي اللبناني غسان شربل.

١٨ – «أروع السنوات: تشرشل كقائد عسكري Finest Years: Churchill as Warlord ١٩٤٠–١٩٤٥»، للصحفي البريطاني ماكس هاستينغز Max Hastings.

اللقاء الأخير في مكتبه إبريل ٢٠١٥، وكان أمامه كتاب واحد فقط:

١ – «حقول الدم: الدين وتاريخ العنف Fields of Blood: Religion and the History of Violence»، لأستاذة الدين المقارن البريطانية كارين أرمسترونج Karen Armstrong.

■ ■ ■

الفصل السادس والعشرون:

زمن الشعر *

> الشعر هو عندما تجد العاطفة فكرتها والفكرة تجد كلماتها.
> روبرت فروست Robert Frost

يوم الأحد ١٥ يونيو ١٩٨٦، نشرت جريدة الخليج الإماراتية، حوار مع الأستاذ هيكل، تحت عنوان «هيكل ... بلا سياسة»، أجراه معه الأساتذة أحمد بهاء الدين وعلي سالم ورتيبة الحفني وفهمي هويدي ..

وكان مما جاء فيه قول الأستاذ:

«نعم .. أنا أحفظ حوالي عشرة آلاف بيت من الشعر أرددها باستمرار كلما أمكن. ليس فقط من باب التذوق. ولكن أيضا لتقوية الذاكرة التي تضعف مع السن. وبعض الناس يرددون الأغاني في الحمام، لكنني أردد أبيات الشعر. والصحافي ليس مصادر ومعلومات فقط، ولكنه ذاكرة أيضا.

وعلى فكرة أنا في يوم من الأيام حاولت أن أكون شاعرا وكتبت شعرا رديئا.

هي محاولات ساذجة في أيام الصبا، والمذاكرة. وبنت الجيران. وأنا اذكر واقعة محددة قلت فيها شعرا، لأنه سبب لي مشكلة. فقد كانت بنت الجيران تخرج إلى الشرفة لابسة ثيابا سوداء. ويبدو أن أمها التي كانت تكره السواد ضغطت عليها، فغيرت البنت ثوبها إلى اللون الأحمر، وفوجئت بها في الشرفة مرتدية هذا الثوب. فسارعت إلى كتابة بيتين من ذلك الشعر الرديء قلت فيهما:

مَاذَا بِقَلْبِكِ يا حَسْنَاءُ مَنْ وَجْدٌ يَضْطَرِبُ

* أدونيس كتاب «زمن الشعر» وهو يحوي على مجموعة دراسات للمفكر والشاعر

أَحَالُ الْفَحْمَةُ السَّوْدَاءُ إِلَى حَمْرَاءُ تَلْتَهِبُ

نقلت البيتين في ورقة ناولتها لشخص كان يعمل في بيتنا، وطلبت منه أن يوصلها إلى بنت الجيران، وذهب إلى بيتها فعلا، لكنه أعطى الورقة إلى أمها .. وجرى ما جرى .. لكن لم استمر في كتابة الشعر لحسن حظ الناس ولحسن حظي!»

ومنذ لقائي الأول مع الأستاذ هيكل، مساء يوم الثلاثاء ٢١ يونيو ١٩٩٤، وإلى لقائي الأخير معه صباح يوم السبت ١٨ أبريل ٢٠١٥، كان مما تطرقت له حواره السابق، عن الشعر ورقم العشرة آلاف بيت من الشعر العربي ..

وسأذكر فيما يلي ما سمعته منه وما دونته حينها في أوراقي لكل بيت شعر (من الصعب ذكر كل ما سمعته منه، فمثلا سمعته يردد عشرات الأبيات لشاعره الأثير أحمد شوقي، ولذا سأكتفي بذكر الشاعر مرة واحدة فقط).

- **أَحْمَدْ شَوْقِي:** غُلِبُوا عَلَى أَعصَابِهِمْ فَتَوَهَّمُوا أَوْهَامَ مَغْلُوبٍ عَلَى أَعْصَابِهِ [١]

الأستاذ هيكل يعتبر «إنه من بعد أحمد شوقي لم تشهد مصر تجربة شعرية ضخمة»!

- **عبّاس محمود العَقَّاد:** أَنِفِ الشَّيْطَانُ مِنْ فتنتِهِ أَمِمَّا يَأْنَفَ مِنْ إِهْلَاكِهَا

وَرَأَى الْفَاجِرُ مِنْ زَمرَتِهِ كَعَفِيفِ الذَّيْلِ مِنْ نُسَّاكِهَا [٢]

مشهد ..

في رأي الأستاذ «أن شعر العقاد بنيان عقلي أخاذ، لكن تلك هي النقطة الرخوة فيه، فهو عقلاني تجاوز الضروري من الشعر: عقل وروح، مفتقرا بقسوة إلى الإحساس».

وأتذكر بأنني ذهبت يوما في شهر نوفمبر ١٩٩٧ لزيارته برفقة الأستاذان مصطفى ومحمود بكري ومجموعة من صحفي جريدة «الأسبوع». وكانت الأخبار متواترة عن نية الإدارة الأمريكية بشن ضربات على العراق. وقد سأل أحدهم، الأستاذ هيكل: عن تصوره لشكل المنطقة بعد الضربة الأمريكية وإزاحة الرئيس صدام حسين؟

(١) قصيدة ذكرى كارنارفون Carnarvon (هو الأرستقراطي الإنجليزي جورج هربرت George Herbert، ولد يوم الثلاثاء ٢٦ يونيو ١٨٦٦، وتوفي يوم الخميس ٥ أبريل ١٩٢٣ (في مصر)، الداعم المالي للبحث والتنقيب عن مقبرة توت عنخ آمون في وادي الملوك.

(٢) قصيدة ترجمة شيطان

وكان رد الأستاذ بالحرف تقريبا، وسط رائحة السيجار الكوبي الفاخر والجذاب: سأحكي لك حكاية قصيرة وسريعة وأنت بعدها تستطيع أن تستخلص الإجابة!

كان صديقي الأستاذ كامل الشناوي يحضر حفل لتأبين زعيم حزب الوفد سعد زغلول، وقد حضرها الأستاذ عباس محمود العقاد، وقد ألقى قصيدة لهذه المناسبة بعنوان "ذكرى الأربعين»، وبداية القصيدة:

أَمْضَيْتُ بَعْدَ الرَّئِيس الأربعون عَجَّبَا كَيْفَ إِذَنْ تَمْضِي السَّنُون

وعندما انتهى العقاد من إلقاء قصيدته، عاد لمكان جلوسه، وكان يجلس بجانبه الأستاذ كامل الشناوي، وطلب رأيه، فرد عليه الشناوي: كما مضت الأربعون!

- **دُريد بن الصمّة:** أَمَرْتُهُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى فلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إلا ضُحَى الغَدِ

وَهَلْ أنَا إلا من غَزِيَّةَ إنْ غوَتْ غوَيْتُ وإنْ تَرشُدْ غزَّيَةُ أَرْشُدِ [١]

- **أَبو الطَّيِّبِ المُتَنَبِّيّ:** وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضحِكَاتِ وَلَكِنهُ ضَحِكٌ كالبُكا [٢]

يرى الأستاذ «أن الشاعرين: شوقي والمتنبي، سياسيان، كان الشعر وسيلتهم ومنبرهم للتعبير عن آرائهم وتوجهاتهم السياسية»!

يكمل الأستاذ شارحا: حينما تطالع ديوان المتنبي تتحسس الكلمة وبلاغتها وموسيقاها وصورتها.

يؤكد هيكل موضحا: الشعر أداة من أدوات التعبير الثقافي عن خيال الإنسان وفكره ونظره، عبر صياغات بلاغية تختزل معارفه، وبنفس الوقت تمد أفق مداركه، عبر التصور الخلاق لملكاته وموارده وقدرته وإرادته!

- **كَامِلِ الشّنَاوِيّ:** يا وردةً لَمْ يَزَلْ فِي جَوِّنَا أَثَرٌ

.. مِنْ نَفْحِهِ

.. آهِ لَوْ عَادَتْ لَيَالِيكِ

ذَكَرْتُ بَعْدكِ أَيَّامَيْ الَّتِي سَلَفَتْ

(١) قصيدة أرث حديد

(٢) قصيدة ضحك كالبكاء

.. فَاشْتَقْتُهَا

.. غَيْرَ يَوْمٍ خَانَنِي فِيكِ:

يَوْمَ افْتَرَقْنَا

.. عَلَى أَنِّي أَرَاكِ غَدَا

.. فَلَمْ أَجِدْ فِي غَدِّي إِلاّ تَنَائِيكِ !!

لَوْلَا إِبَائِي، وَلَوْلَا أَنَّنِي رَجُلٌ

.. لِحَدَّثَتْكِ اللَّيَالِي: كَيْفَ أَبْكِيكِ !! [١]

مشهد ..

الأستاذ هيكل تحدث معي بحميمية عن صديقه الشاعر كامل الشناوي، وهو يشد الدخان من سيجاره: «فهو فتح لي ولمجموعة من أفراد جيلي فرصة غناء الشعر العربي، فالكل درس الشعر العربي بالأسوب المدرسي، الشناوي بملكته الشعرية، وحياته كراوية، وطبيعته كفنان، ومرات مع الوهم، ولكنه حببنا جدا بالشعر، فصوته بديع، وراوية هائل، وكنت أصاب مرات بخيبات أمل فيمن يحب، وفي أحدى هذه المرات كامل «وجع دماغنا» بشيء أسمه «روز»، وقد قابلتها على أي حال، وكامل كتب لها قصيدة ورددها أمامي كثيرا، لدرجة أنني منذ ذلك الوقت وحتى اليوم (يونيو ١٩٩٤) ما زلت أحفظها»!

ثم ردد الأستاذ القصيدة، وأستطرد قائلا: «قلت لكامل مين روز التي تكتب لها هذا الشعر الهائل؟ وذهبت معه لرؤية روز، المفارقة أنه كان في ذات المكان حيث توجد به هذه العمارة (مرشاق – الجيزة)، فقبل بناء هذه العمارة كان هناك كازينو بديعة، وكانت تعمل روز في الكازينو، وسهرنا حتى ما بعد منتصف الليل، إلى أن انتهت روز مما كانت تقوم به من رقص، وجاءت لكامل قائلة له «كمولتي معاك ٥٠ جنيه؟» وأخرج كامل من محفظته الـ ٥٠ جنيه، ولم يعد يراها بعد ذلك!

ثم علق الأستاذ قائلا «أنا صارحت كامل بأنه يحب الحب شخصيا»!

معنى الإخلاص ..

(١) قصيدة وردتي

كان الأستاذ هيكل يواظب على أن يقيم لصديقه كامل الشناوي احتفالا سنويا في منزله بمناسبة عيد ميلاده (ولد يوم الاثنين ٧ ديسمبر ١٩٠٨) موجها دعوة لكل أصدقاء الشناوي، عن اعتقاد: «بأن الأستاذ كامل الشناوي صاحب يد بيضاء على كل صحافي مصري بمن فيهم الأستاذ نفسه»!

- مُسْلِم بن الْوَلِيد (صَرِيع الْغَوَانِي): لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ وَكَمْ لَائِمٍ قَدْ لَامَ وَهُوَ مُلِيمُ [١]

- الرمّاح بن أبرد (ابْنُ مَيَّادَة): مُنًى اِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى وَإِلَّا فَقَد عِشنا بِها زَمَنًا رَغدا [٢]

- أَبُو عَلِيٍّ اِبْنُ سِينَا: هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ وَرْقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعِ [٣]

- عُمارة اليَمَني: وَلَا تَحْتَقِرْ كَيْدَ الضَّعِيفِ فَرُبَّمَا تَمُوتُ الْأَفَاعِي مِنْ سُمُومِ الْعَقَارِبِ [٤]

- عِمران بن حِطّان: أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ رَبداءُ تَجفُلُ مِنْ صَفيرِ الصافِرِ [٥]

- مَحْمُود سَامِي الْبَارودِيّ: أَقَامُوا زَمَانًا ثُمَّ بَدَّدَ شَمْلَهُمْ أَخُو فَتَكَاتٍ بِالْكِرَامِ اِسْمُهُ الدَّهْرُ [٦]

- سَعِيد عَبْدُهُ: اِحْتَرَت أَكْلَكْ مَيِّنْ يا صَاوِي يا حَبوب ..

يا تَمْر هِنْدِيّ عَلَى حَنْضَل عَلَى خَرُّوب ..

يا ذَوْق باريس دابَ فِي خَلْطَة أيوب .. [٧]

يرى الأستاذ بأن «الدكتور سعيد عبده طبيب هوى الكتابة، وأنه كان من أحسن من كتب الزجل السياسي في مصر في الثلاثينات والأربعينات».

- مَأْمُون الشِّنَاوِيّ: أَنْتَ وعزُولِيّ وزَمَانِي حَرَام عَلَيْك

(١) قصيدة لعل له عذرا وأنت تلوم
(٢) قصيدة ليت أمي النفس من لاعج الهوى
(٣) قصيدة الروح
(٤) ديوان شعر
(٥) كتاب الأغاني – طبعة دار إحياء التراث العربي
(٦) قصيدة فخر بقومه
(٧) رغم ذكره الأستاذ، ولم أجده في أي كتاب يعود للمؤلف الدكتور سعيد عبده

دَبِلَتْ زُهورُ الْأَمَانِي مَا بَيْنَ إيديك (١)

– صَلَاحَ جَاهَيْنِ: مَلَايِين الشَّعْب تُدَقُّ الْكَعْب تَقُولُ: كُلّنَا جَاهِزِين (٢)

مشهد ..

الأستاذ يرى في صلاح جاهين «ظاهرة» لن تتكرر، كونه متعدد المواهب: شاعر (مربعات، مسرحيات شعرية: الشاطر حسن، طاحونة الشيطان، الليلة الكبيرة)، ممثل (اللص والكلاب، من غير معاد، لا وقت للحب)، كاتب سينمائي (خلي بالك من زوزو، أميرة .. حبي أنا، عودة الابن الضال)، ورسام كاريكاتير (أول رسام كاريكاتير تنشر له جريدة الأهرام ابتداء من سنة ١٩٦٢ أثناء إدارة الأستاذ هيكل لها!)

وفي لقاء جمعني مع الإعلامي الأستاذ عماد الدين أديب، بفندق ماريوت الكويت، مطلع شهر مارس ١٩٩٨. كان ضمن ما قاله لي «أنه تتلمذ على يد الأستاذ صلاح جاهين، وكان الشاعر جاهين يحدثه عن شعوره الشديد بالذنب لكتابته أغنيات لثورة ٢٣ يوليو وعن الأحلام، وأنه صوّر مجتمعا بالأحلام لم يتحقق على أرض الواقع»!

وقد راجعت الأستاذ (نوفمبر ٢٠٠١) فيما يتعلق بندم الأستاذ جاهين وشعوره بالذنب، وقد شرح لي قائلا، وأنا اقلب السكر في فنجان الشاي أمامي، وهو يتناول علبة السيجار:

«أن جاهين فنان، بمعنى أنه أسرع من غيره بالانكسار، فهناك فرق بين فئات البشر، فهناك: المفكر، السياسي، الفنان، العامل، إلى آخره.

الفنان أسرع هؤلاء شعورا بالانكسار، فالفنان قد تأتي له صدمة غرامية في حياته فييأس ويفكر بالانتحار، بينما من يعمل في الشأن العام أو الهم العام ليس مطلوبا منه أن يقع ويتمزق أمام أي صدمة من أي نوع، بل أن يتماسك، ويشد من أزر الآخرين، وإلا فالبلد كلها ستقع»!

يوم الاثنين ٢٨ مايو ١٩٦٢ قام الأستاذ صلاح جاهين برسم كاريكاتير، معلقا على أحد رجال الدين المشهورين في ذلك الوقت (الشيخ محمد الغزالي)، ونشره في جريدة الأهرام (لم يطلع عليه الأستاذ).

(٨) قصيدة أنت وعزولي وزماني في عام ١٩٤٠ قام بغنائها وتلحينها الموسيقار محمد عبد الوهاب

(١) قصيدة يا أهلا بالمعارك في عام ١٩٦٥ قام بغنائها الفنان عبد الحليم حافظ من ألحان الموسيقار كمال الطويل

فقد انعقد المؤتمر الوطني للقوى الشعبية يوم الأحد ٢٧ مايو، وكان الشيخ الغزالي أحد المتحدثين فيه وطالب فيه: «بتحرير القانون المصري من التبعية الأجنبية، وتوحيد الزي بين المصريين، والتأكيد على حشمة المرأة، وألا تكون عارية الصدر والظهر والساقين»!

وفي اليوم التالي كانت آراء الشيخ الغزالي هي موضوع كاريكاتير صلاح جاهين، وحمل الكاريكاتير عنوان «هاجم الشيخ محمد الغزالي كل القوانين والأفكار الوافدة من الخارج»، أما الرسم فكان يصور الشيخ واقفا على المنصة يلقي كلمته منفعلا أمام رواد المؤتمر، وقد سقطت عن رأسه عمامته البيضاء بحكم الجاذبية الأرضية، وتحت الرسم تعليق جاهين: «الشيخ الغزالي: يجب أن نلغي من بلادنا كل القوانين الواردة من الخارج، كالقانون المدني وقانون الجاذبية الأرضية»!

وكان الرد من قبل طبقة المشايخ ومناصريهم بمقاطعة جريدة الأهرام، وفوجئ الأستاذ بأن توزيع الجريدة قد فقد ما يتجاوز ٣٠٪، ومدير التوزيع جاء مسرعا للأستاذ بأنه إذا استمر التوزيع في الهبوط فهناك كارثة محققة!

وقام يومها النائب البرلماني سيد جلال (شيخ البرلمانيين في مصر، والذي ألغى الدعارة في مصر) بوساطة بين الأستاذ هيكل والشيخ محمد الغزالي، لحل الأزمة، والأستاذ كان مشجعا (بسبب مهني بحت كونه مسؤول في نهاية المطاف عن توزيع الجريدة)، وكذلك الشيخ الغزالي (الأستاذ اعترف بأنه كان يخشى مما أسماه «سلطان الأغلبية الكاسحة»، بينما الشيخ الغزالي كان يخشى من علاقة الأستاذ بالرئيس ناصر)!

– صَلَاحَ عَبْدِ الصَّبُور: وَتَقَدَّمَ الدَّجَالُ وَالْقُوَّادُ وَالْقَرَادُ وَالْحَاوِي الطَّرُوبُ

وَتَضَعْضَعُوا، قَالُوا مَعَاذَكَ، أَنْتَ خَالِقُهَا، أَجَلْ

أَنْتَ الزَّمَانْ

أَنْتَ الْمَكَانُ

أَنْتَ الَّذِي كَانَ

أَنْتَ الَّذِي سَيَكُونُ فِي آتِي الْأَوَانِ

وَعَوَى أَبُو الْهَوْلِ الْمُخِيفُ وَقَلْبَ الْوَجْهَ الْكَئِيبَ إِلَى الْيَمِينِ

وَأَشَارَ، ثُمَّ تَوَاثَبُوا فَوْقَ الْأَرَائِكِ جَالِسِينَ [١]

- مَحْمُود دَرْوِيش: لَمْ يَمُتْ أَحَدٌ تَمَامًا

تِلْكَ أَرْوَاحٌ

تُغَيِّرُ شَكْلَهَا وَمُقَامَهَا [٢]

مشهد ..

في أكتوبر ٢٠٠٤، كان لي لقاء مع الأستاذ هيكل، قبل موعدي معه في صباح ذلك اليوم، كنت قد ذهبت إلى مكتبة مدبولي بميدان طلعت حرب، وضمن ما اشتريته جدارية محمود درويش.

وضعت مجموعة الكتب في مكتب الأستاذة جيهان عطية (مديرة مكتبه)، ودخلت على الأستاذ وبيدي كتاب «الجدارية»!

كنت قد سمعت من «البعض» أن الأستاذ حضر أمسية محمود درويش في الجامعة الأمريكية بقاعة ايوارت التذكارية Ewart Memorial (احتفالية بعام فلسطين)، وأنه كان واضح التأثر بما يسمع، وما أن انتهى محمود درويش من إلقاء ديوانه «الجدارية» حتى هب الأستاذ واقفا ليصفق فترة طويلة!

ذكرته بما سمعت، وهو علق قائلا: «لا تصدق كل ما يقال عني، فهناك مبالغات، هذا لا يعني بأنني لم استحسن ما جاء من كلمات نثرية في جدارية أخينا درويش!» (الأستاذ لا يعترف بالشعر إلا العامودي منه (فالموسيقى والصورة بادية فيه حاوية حجم التجربة الإنسانية وشعورها وحكمتها)، بينما يعتبر الشعر الحر جمل نثرية جميلة لكنها لا ترقى لأن تكون شعرا، عوضا على أنها تجربة لم تكتمل بعد (قد تكون عابرة)، فضلا على أنها مستوحاة من الغرب!)

ناولته الديوان وقلت له أي الجمل - النصوص - استقرت في باب مأثورات ما لديك؟

قلب الديوان، وبعد برهة قال:

لَمْ يَمُتْ أَحَدٌ تَمَامًا

---

(١) قصيدة عودة ذو الوجه الكئيب

(١) ديوان الجدارية

تِلْكَ أَرْوَاحٌ

تُغَيِّرُ شَكْلَهَا وَمُقَامَهَا

قلب مزيدا من الصفحات، ثم توقف أمام تلك الجملة:

وَكُلَّمَا صَادَقْتُ أَوْ

آخيت سُنْبُلَةً تَعَلَّمْتُ الْبَقَاءَ مِنَ

الْفَنَاءِ وَضِدَّهُ: «أَنَا حَبَّةُ الْقَمْحِ

الَّتِي مَاتَتْ لِكَيْ تَخْضَرَّ ثَانِيَةً

وَفِي مَوْتِي حَيَاةٌ مَا ...»

قلب مزيدا من الصفحات ثم توقف أمام تلك الجملة طويلا، وقال بصوت مطمئن:
مَا قِيمَةُ الرّوحِ إِنْ كَانَ جِسْمِي مَرِيضًا وَلَا يَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِوَاجِبِهِ الْأَوَّلِيِّ؟

توقف الأستاذ برهة، ثم قال بحزم: أنا من الذين يفضلون الحياة مع الخطر على الحياة مع الألم، فالأول مقدس بينما الثاني مهين!

وكان السيجار على المنفضة التي بجانبه قد انطفأ ...

وفي يوم الخميس ١٢ فبراير ٢٠١٦ كان الأستاذ على موعد مع ما استقر في وجدانه من كلمات محمود درويش، قد هرمت السنوات وانزوت الأيام، ووهن الجسد، وبلغت الروح نزعها الأخير، ووصلت الرحلة إلى منتهاها، واكتملت الرسالة، مستعدا لحياة ثانية، داعيا المحيطين به بأن «لا تشاكسوا القدر»!

فكما كتب ذات يوم: «الموت حدث طبيعي من داخل السياق وليس من خارجه، فالموت جزء من الحياة بل هو تجديد لها عبر تدفق إنساني شاءت له عناية الخالق الأعظم أن يتواصل بمثل تواصل الزمن - ذلك أنه بمقدار ما لكل فرد من الناس يوم ميلاد ويوم رحيل - فقد نتذكر أن بداية كل يوم في الزمان شروق، وختام كل يوم في الزمان غروب، ثم إن الغروب لا ينتهي بالظلام، بل إن ظلام ما بعد الغروب سهر في انتظار شروق جديد، وكذلك تمضي الحياة غلابة على الموت!»

وصباح يوم الأربعاء ١٧ فبراير كان على موعد مع ملاك الموت، وقد التقاه بنور الإيمان

وقوة شكيمة منصرفا معه إلى عوالم نائية وغامضة مكتنفة بالأسرار ومغلفة بالألغاز!

- كُثَيِّر عَزَّة: يُكَلِّفُهَا الخِنْزِيرُ شَتْمِي وَمَا بِهَا هَوَانِي وَلَكِنْ لِلْمَلِيكِ استزَلَّتِ

هَنِيئًا مَرِيئًا غيرَ دَاءٍ مُخامرٍ لِعزَّةَ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ [1]

مشهد ..

لهذا البيت حكاية، فقد ردده أمامي الأستاذ هيكل في معرض حديثه عن بعض أبناء المهنة من الصحفيين والكتاب، وهجومهم عليه (وصل البعض لحد الشتم، وبعضهم على صفحات الأهرام نفسها)، رغم أن بعضهم كانوا، وبعضهم ما زالوا في موضع القرب والود منه، ربما تحت ضيق الأحوال، وربما أضاليلها، محاولا أن يفهم، ليستطيع أن يعذر، ولائما وليس ناقما!

وفي لقاء آخر جمعني معه، قلت له أن هناك خطأ ما في الشطر الأول من البيت، وبرقت عيناه، وأبتسم، وقال لي ما معناه، وهو يدخن سيجاره التقليدي الفاخر: «وهل ترضى لي أن أقول بالحرف ما ذكره الشاعر؟»، ثم أردف قائلا: «أنت أول من تنبه للفرق بين ما جاء على لسان الشاعر وما أردده أنا دائما، هل أنت غاوي شعر وتحفظه؟»

وأجبت قائلا: «بل أنا أحاول أن أحفظ ما تذكره أمامي من أشعار، فأشتري الديوان، محاولا حفظه وفهمه، وكان أن وقع بيدي ديوان الشاعر كثير عزة، واكتشفت ما جاء من اختلاف بينهما!

الغريب أنني لم أذكر له الكلمة، ولا هو ذكرها في معرض تبريره لتغييرها، لدماثة أخلاقه، وسمو نفسه!

والبيت كما يردده الأستاذ هو: يُكَلِّفُهَا الغِيرَانُ شَتْمِي وَمَا بِهَا هَوَانِي وَلَكِنْ لِلْمَلِيكِ استزَلَّتِ

والقارئ المتابع يستطيع أن يعرف من المقصود!

- أمين الريحاني: أَنَا الشَّرْقُ

عِنْدِي فَلْسَفَاتٌ وَعِنْدِي دِيَانَاتٌ

فَمِنْ يَبِيعُنِي بِهَا طَيَّارَاتٌ [2]

(١) قصيدة رفرات قاتلة.

(٢) قصيدة أنا الشرق.

- طَرَفَة بن العَبْد: سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ [1]

- نُصِيب بن رِيَاح: أَهَابُكِ إِجْلَالًا وَمَا بِكِ قُدْرَةٌ عَلَيَّ وَلَكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا [2]

- علية بنت المهدي: أرضى فَيَغْضَبُ قاتلي فتعجّبوا يرضى القتيلُ ولا يُرضّي القاتِلا [3]

- الحُسين بن مَنْصُور الحَلَّاج: القاهُ فِي اليَمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ: إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالمَاءِ! [4]

- سَعِيد الكَرْمِيُّ: خَلَتِ الرِّقاعُ مِنَ الرِّخاخِ فَفَرْزَنَتْ فيها البيادقُ واستطال الأعبُد [5]

مشهد ..

ذكر الأستاذ (أكتوبر ٢٠٠٤) هذا البيت في معرض حديثه عن «شغف» الرئيس جمال عبد الناصر بالشعر، وحفظه لبعض الأبيات، بل أن هذا البيت لم يسمع به الأستاذ ولم يردده أحد أمامه باستثناء الرئيس ناصر، وقد سأله عن قائله وأين سمعه أو قرأه؟، ولكن لم يسعفه الرئيس ناصر بجواب!

وبدوري سألت بعض المهتمين بالشعر، وبالفعل فقد وُجد للبيت أساسا لدى «مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين» - وزودني أحدهم بالقصيدة كاملة وهي للشاعر الفلسطيني سعيد الكرمي، وصورتها، وقدمتها للأستاذ (فبراير ٢٠٠٧)، وقرأها بعناية، وطلب نسخة، وقلت له: هي لك ..

وبعد أن فرغ منها قال لي: «هل هناك صلة قرابة بينه وبين الشاعر عبد الكريم الكرمي؟»، فقلت له: أنه والده!

فقال: «إذن، فلربما سمعها عبد الناصر أثناء تواجده في خنادق فلسطين وعلى تلالها وبين بيارات البرتقال من بعض المقاتلين الفلسطينيين في عراق المنشية، وهي المعركة التي حصل فيها ناصر على نجمة فؤاد الأول العسكرية»!

ثم أردف قائلا: «بيت الشعر هذا مثال حي على القوة الناعمة: التعليم والثقافة والشعر

(١) قصيدة المعلقة

(٢) قصيدة دعا المحرمون الله يستغفرونه

(٣) قصيدة يا عاذلتي قد كنت قبلك عاذلا

(٤) قصيدة الإنسان والقدر

(٥) قصيدة خمس

والفن، وهو العمل القادر على الوثوب من فوق الحدود وخلالها، وهذه الطاقات هي قوة الوحدة الفاعلة بين شعوب الأمة العربية»!

واستطرد الأستاذ كعادته: «الشعر بمثابة ألياف أو أسلاك حريرية تبنى عليها الجسور والأليات التي تجتازها الدبابات والحشود، وللشعر جهد ضخم يهب الشعوب عزيمة الحياة»!

- مَحْمُود بَيْرَم (التُّونِسِيّ): قَال: إِيه مُرَاد إِبْنِ آدَم؟

قُلْتْ لَهُ: طَقه

قَال: إِيه يَكْفِي مَنَامُهُ؟

قُلْتْ لَهُ: شَقَّه

قَال: إِيه يَعْجَلْ بِمُوْتِه؟

قُلْتْ لَهُ: زَقّه

قَال: حَدّ فِيهَا مُخَلَّد؟

قُلْتْ لَهُ: لأه

قَال لِي: مَا دَامَ إِبْن آدَم بِالصِّفَات دِي

نَوِّيْتِ أَحَفَّظَ صِفَاتِ إِبْن آدَم كُلّ مَا اترقى [1]

مشهد ..

تذكر الأستاذ جلسة جمعته مع الشاعرين كامل الشناوي وبيرم التونسي عندما كان ثلاثتهم في جريدة اخبار اليوم (الأستاذ وقتها كان مدير للتحرير ومكتبه ملاصق للشاعر بيرم التونسي)، وكان الشناوي ينتقد فلان ويقيم علان، عبر استشهاده ببيت شعر لأمير الشعراء أحمد شوقي في مسرحيته الشعرية «مصرع كليوباترا»، جاء فيه:

يا له مِنْ بِبغَاءٍ عَقْلُهُ فِي أُذْنَيْه.

وبيرم - حسب الأستاذ شاعر بديع وفيلسوف هادئ بطريقة أو بأخرى - وكان بينه وبين الشناوي ود مفقود (ربما لأنهم أبناء كار واحد)، علق على ما قاله الشناوي منسوبا

(١) قصيدة ابن آدم.

لشوقي: «بأن هناك أماكن كثيرة لتواجد العقول، وإنها غير مقتصرة على الأذن، فهناك ستة أماكن لتواجد العقل، عقل في الرأس، وعقل في الأذن، وعقل في الحنجرة، وعقل في القلب (مشاعر)، وعقل في القدم، وعقل في البطن (وقد توسع بيرم في شرح أماكن البطن!) ..

- علي الغاياتي: كَفْكِفِي يا مِصْرُ دَمْعَ الْوَجَلِ وَارْتَقِبْ يا نِيلُ نَيْلَ الأَمَلِ

جَاوَزَ الصَّبْرُ الْمَدَى وَالصَّدْرُ لَمْ يُبْقِ فِيهِ الْوَجْدُ مِنْ مُحْتَمَلِ [1]

- إبراهيم عبد القادر المازني: وَاذْكُرُونِي وَالْوَجْهَ مُنْطَلِقُ الْبِشْرِ كَأَنِّي مَا زِلْتُ فِي الأَحْيَاءِ [2]

- عَبْدُ الرَّحْمَن الشَّرْقاوِيّ: الْكَلِمَةُ نُور ..

وَبَعْضُ الْكَلِمَاتِ قُبُور

بَعْضُ الْكَلِمَاتِ قِلَاعٌ شَامِخَةٌ

يَعْتَصِمُ بِهَا النُّبْلُ الْبَشَرِي

الْكَلِمَةُ فرقَانٌ مَا بَيْنَ نَبِيٍّ وبَغِيٍّ

بِالْكَلِمَةِ تَنْكَشِفُ الْغُمَّة

الْكَلِمَةُ نُورٌ وَدَلِيلٌ تَتْبَعْهُ الأُمَّةُ [3]

- أَحْمَدَ رَامِي: وَأُصُورَ لَكَ ضَنَى رُوحِيّ وَعِزَّة نَفْسِيّ مَنَعَاِي [4]

- نِزَار قَبَّانِيّ: مَتَى سترحلونْ؟

الْمَسْرَحُ اِنْهَارَ عَلَى رُؤُوسِكُمْ

مَتَى سترحلونْ؟ [5]

- مُحَمَّد مَهْدي الْجَوَاهِرِيّ: لَا يُعْصِمُ الْمَجْدُ الرِّجَالَ وَإِنَّمَا كَانَ الْعَظِيمُ الْمَجْدَ وَالأَخْطَاءَ [6]

(١) قصيدة نحن والاحتلال.
(٢) قصيدة كموني إن مت في ورق الزهر.
(٣) قصيدة الحسين ثائرا
(٤) قصيدة حيرت قلبي معاك. في عام ١٩٦٠ قامت السيدة أم كلثوم بغنائها من ألحان الموسيقار رياض السنباطي، وهو أول عمل لها معه
(٥) قصيدة المشنوق
(٦) قصيدة في ذكراك الأولى يا ناصر

مشهد ..

لدى الأستاذ هيكل قصائد لم تنشر لشاعر العراق محمد مهدي الجواهري!

كان الجواهري قد قدم إلى مصر في زمن الرئيس أنور السادات. حيث كان مقيما في منفاه بدمشق. وقد جرت له بعض الضغوطات في سوريا. وكان مولع في أن يلعب على محوري القاهرة دمشق. تواصل الجواهري مع الأستاذ هيكل مناشدا إياه بالمجيء إلى مصر ليستقر بها كلاجئ سياسي. الأستاذ هيكل تحدث مع الرئيس السادات، وأبلغه بطلب الجواهري. طاوعه الرئيس السادات بفتور - ربما رغبة بمجاراة الأستاذ أو تلبية لمطلبه.

في هذا الوقت كان اللاجئون السياسيون يخضعون لجهاز أمني. ولم يكن هناك الترف الذي يلوح للاجئ الذي يأتي إلى مصر. اشتكى الجواهري، وتم تبليغ شكواه للرئيس السادات. كان يشكو من الشقة المخصصة له ليسكن فيها، والسيارة المخصصة له، والمخصصات الأخرى. والاعتراضات ذهبت سدى. الجواهري زار الأستاذ هيكل، وناوله رسالة مغلقة، ملتمسا عدم فتحها إلا بعد أن يغادر مصر نهائيا.

الأستاذ هيكل اتصل بالرئيس السادات، ليخبره أن الجواهري ينذر بالانصراف عن مصر بسبب سوء المعاملة. السادات رد: «المركب اللي تودي، ألف مليون سلامة».

والرسالة المغلقة تم فضها، ويعلق الأستاذ هيكل: «هجائية أبو الطيب المتنبي لكافور الإخشيدي «لا تشتر العبد»، تبدو وكأنها إطراء فيما كتبه الجواهري عن مصر والسادات»، ويستطرد الأستاذ هيكل جازما: «ولن أنشر القصيدة»!؟

- مُحَمَّد أَحْمَدْ مَحْجُوب:[1]

مشهد ..

ذكر لي الأستاذ في معرض حديثه عن السودان (يونيو ١٩٩٤) بيتين من الشعر قالهما له الأستاذ محمد أحمد محجوب (رئيس وزراء السودان)، ولم يكن مؤيدا لفكرة الوحدة مع مصر ودائم الترديد لبيتين من الشعر:

---

(١) له عدة دواوين منها: الفردوس المفقود، قصة قلب، قلب وتجارب، مسبحتي ودني.

وَلَوْ أَنَّا عَلَى حَجَرٍ ذُبِحْنَا جَرَى الدَّمَيَانِ بِالخَبَرِ الْيَقِينِ.

والبيت الثاني هو: تَرْجُو الْخَلَاصَ بِغَاشِمٍ مِنْ غَاشِمٌ لَا يُنْقِذَ النَّخَّاسُ مِنْ نَخَّاسِ

وفي لقاء آخر مع الأستاذ (نوفمبر ١٩٩٧)، ذكرته ببيت الشعر الأول وأنه ليس لمحجوب بل للشاعر سحيم بن وثيل الرياحي، بينما البيت الثاني هو للشاعر إيليا أبو ماضي في قصيدة «لم يبق غير الكأس».

وكان تعليق الأستاذ «لقد انطبع في ذاكرتي - كون محجوب شاعر - أن البيتين له، لكثرة ترديده لهما»!

- مُعِين بسيسو: الصَّمتُ مَوْتْ

قُلْهَا وَمُتْ

فَالْقَوْلُ لَيْسَ مَا يَقُولَهُ السُّلْطَانُ وَالْأَمِير

وَلَيْسَ تِلْكَ الضحكة الَّتِي يَبِيعُهَا الْمُهَرِّجُ الْكَبِير

لِلْمُهَرِّجِ الصَّغِير

فَأَنْتَ إِنْ نَطَقْتَ مُتْ

وَأَنْتَ إِنْ سَكَتَّ مُتْ

قُلْهَا وَمُتْ[1]

ربما لا يعلم الكثيرون بأن الشاعران الفلسطينيان: محمود درويش ومعين بسيسو، قد عملا في جريدة الأهرام، إثناء إدارة الأستاذ لها (يوليو١٩٥٧ - فبراير ١٩٧٤)!

- فَارُوق جويدة: قَالَتْ: حَبِيبِيْ .. سَوْفَ تَنْسَانِي

وَتَنْسَى أنني يَوْمًا وَهَبْتُكَ نَبْضَ وِجْدَانِيْ

وَتَعْشَقُ مَوْجَةً أُخْرَى وَتَهْجُرُ دِفْءَ شُطَآنِيْ[2]

---

(١) قصيدة الصمت

(٢) قصيدة في عينيك عنواني في عام ١٩٩٢ قامت السيدة نجاة الصغيرة بغنائها من ألحان الموسيقار محمد عبد الوهاب ومحمد الموجي!

مشهد ..

في آخر لقاء لي مع الأستاذ في منتصف نهار يوم السبت ١٨ أبريل ٢٠١٥، دخل علينا الأستاذ الشاعر فاروق جويدة، وطلب منه الأستاذ أن ينتظره في الشرفة الملحقة بالمكتب، وبدأت أجمع أوراقي، واستأذنت من الأستاذ أن ألتقط صورة مع الشاعر جويدة، وأذن بالطبع، وقال «هل تعرفه»؟، وأجبت نعم عبر كتبه وقصائده!

وذهبت إليه واستأذنته بالتقاط الصور، ثم عدت لوداع الأستاذ، وسألته عن رأيه في شعر الأستاذ جويدة، وهو أجاب، وفي يده سيجار كوهيبا الكوبي الفخم: «بأن لديه ضعف ناحيته، وشعره ينم عن موهبة، وخاصة قصيدة «في عينيك عنواني». ثم قال ضاحكا: «هي جلبت له جيش من المعجبات لم يتوفر لي»!

- **إبراهيم نَاجِي:** حُطِمَتْ مِنْ جَبَرُوتِهِنَّ فَقُلْنَ لِي أَزِفَ الْفُرَاقُ فَقُلْتُ وَيْحَكِ هَاتِي [١]

- **عَلِيُّ مَحْمُود طه:** يا قَاهِرَ الْمَوْتِ كَمْ لِلنَّفْسِ أَسْرَارُ؟ ذَلَّ الْحَدِيدُ لَهَا واستخذت النَّارُ [٢]

يعتبر الأستاذ بأن: «للشاعر عليّ محمود طه نصيب شعري لا بأس به، فالبنيان الشعري عنده متمايز حقا، لكنه لم يتقدم من التجربة الشعرية المتكاملة التي كانت لأمير الشعراء أحمد شوقي».

- **خَلِيل مُطران:** فَبَجَّلَتْ تَحْتَ تَاجِ الْمُلْكِ مُدْمِيهَا وَقَبَّلَتْ دَمهَا فِي الْمَرْمَرِ الْقَانِي [٣]

- **عَبْد اللهَّ بن الْحَجاج الثَّعْلَبِيُّ:** كَأَنَّ فِجَاجَ الْأَرْضِ وَهِيَ فَسِيحَةٌ عَلَى الْخَائِفِ الْمَذْعُورِ كَفَّةُ حَابِلٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ أَنَّ كُلَّ ثَنِيَّةٍ مِنَ الْأَرْضِ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْهِ بِقَاتِلِ [٤]

- **سُحَيْم بن وُثَيل الرياحي:** وَلَوْ أَنَّا عَلَى حَجَرٍ ذُبِحْنَا جَرَى الدَّمَيَانِ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ [٥]

- **أَبُو فِرَاس الْحَمَدَانِيُّ:** معللتي بالوصلِ والموتُ دونهُ إذا مِتُّ ظَمْآناً فَلا نَزَلَ الْقَطْرُ! [٦]

(١) قصيدة الفراق.
(٢) قصيدة قاهر الموت.
(٣) قصيدة في ظل تمثال رعمسيس.
(٤) كتاب الأغاني | طبعة دار إحياء التراث العربي.
(٥) كتاب الأغاني – طبعة دار إحياء التراث العربي.
(٦) قصيدة في الليلة الظلماء يفتقد البدر.

- **عَبْد اللهَّ بْنُ عُمَر الْعَرَجِيُّ:** أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ [١]

- **عَلِيّ بن الْعَبَّاس (ابْنُ الرُّومِيِّ):** أقام يُجهِدُ أياماً قريحَتَهُ وفسَّر الماءَ بعد الجَهْدِ بالماءِ [٢]

- **فُؤَاد حَمْزَة:** بِسَيْفِكَ لَا بِسَيْفِ الإنجليز دَخَلْتَ الشام إيزي ثُمَّ إيزي [٣]

- **أَبُو عُبادة الْبُحْتُرِيُّ:** لَقَدْ نَطَقَ الْبَشِيرُ بِما ابتَهَجنَا لهُ لو كانَ يَصْدُقُنا الْبَشِيرُ [٤]

- **نَصْر بن سَيَّار الْكِنَانِيُّ:** أَرَى تَحْتَ الرَّمَادِ وَمِيض جَمْرٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُوْنَ لَهُ ضِرَامُ [٥]

- **عَبْد الْكَرِيم الْكَرْمِيّ (أَبُو سَلْمَى):** أُنشرْ على لهبِ القصيدِ شكوى العبيدِ للعبيدِ

شكوى يرددها الزمانُ غداً إلى أبد الأبيدِ
قَالُوا: الْمُلُوكُ، وَإِنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ سِوَى الْعبيدِ
دُكَّتِ عُرُوشٌ زَيَّنُوهَا بِالسَّلَاسِلِ وَالْقُيُودِ
وَأَذَلَّهُمْ وَعْد الْيَهُودِ وَلَا أَذَلَّ مِنَ الْيَهُودِ
أَسْتَارُ «مَكَّةَ» كَيْفَ تَسْدُلُهَا عَلَى الْخَصْمِ اللَّدُودِ
تَأْبَى الصَّحَارَى أَنْ يُدَنَّسَ رَمْلُهَا «فيلبي» و«مُودِيٌّ»
و«أَبُو طلَالٍ» فِي رُبَى عَمَّانَ يَحْلَمُ بِالْحُدودِ
أُقْعُدْ فَلَسْتَ أَخَا الْعُلى وَالْمَجْدِ وَأَنْعَمْ بِالْقُعُودِ
وَأَهْبُطْ إِلَى مِصْرَ الملوك وَقُلْ لَهَا يا مِصْرُ مِيدِي
يا مِصْرُ ضَيَّعْتِ الْمُنَى بَيْنَ الْفَرِيدَةِ وَالْفَرِيدِ
دَعْ سُبْحَةَ التَّضْلِيلِ وَأَخْلَعْ عَنكَ كَاذِبَةَ الْبُرُودِ
مَا أَنْتَ إلا دُمْيَةٌ يُلْهَى بِهَا فِي يَوْم عِيدِ [٦]

(١) كتاب الأغاني – طبعة دار إحياء التراث العربي
(٢) قصيدة وشاعرٍ أوقَد الطبع الذكاء به.
(٣) كتاب قلب جزيرة العرب.
(٤) قصيدة المرء مؤلف من ضروب.
(٥) قصيدة أرى تحت الرماد وميض جمر.
(٦) قصيدة لهب القصيد. يقصد جون فيلبي الذي تظاهر بالإسلام وأصبح مستشارا للملك عبد العزيز آل سعود،

- صَالِح مَهْدِي عماش: [1]

مشهد ..

لم يذكر الأستاذ إي بيت شعر للشاعر (هو بالأصل وزير دفاع الجمهورية العراقية سنة ١٩٦٣)، وقد ذكره لي الأستاذ عندما سائلته عن أغرب ديوان شعر قرأه أو أهدي له أو أستمع إليه؟ - وقال بأن: «الفريق صرف وقته في تلك السنة (١٩٦٣) في تأليف قصائد شعر وقام هو بنفسه بإلقائها بمنتهى الحماسة من إذاعة بغداد!

واستطرد الأستاذ قائلا، وهو ينفث دخان سيجاره، وهو ينظر إليّ بحد عينيه: رغم أنها سنة تعتبر بداية للمنعطفات الحادة، فقد شهدت تحرك القوى القومية ضد حكم عبد الكريم قاسم في العراق (فبراير)، وتحركت دمشق وأسقطت بقايا نظام الانفصال المتهالك في سوريا (مارس)، وبدء محادثات الوحدة الثلاثية (مصر والعراق وسوريا)، والأزمة في اليمن، وبداية المشكلة الكردية، واغتيال الرئيس الأمريكي جون كينيدي، وغيرها من الأحداث على المستوى الإقليمي والدولي، إلا أن الفريق عماش وجد وقتا لينظم قصائد شعر!

- إيليَا أَبُو مَاضِي: يَهْوَى الْبُروقَ وَضَوْءَهَا ويَخَافُ تَخْدَعَهُ الْبُروقْ

بلْ أنتِ أعظمُ حيرةً من فارسٍ تحتَ القتامْ

لا يستطيعُ الانتصارْ ولا يَطيقُ الانكسارْ [2]

- عَبْد المُنعم الرفَاعِيّ: غَدًا سَأَرْوِي لَكَ مِنْ قصّتي عَنْ بَارِقٍ لَاحَ وَأُفْقٍ جَدِيد [3]

- إمرؤ الْقَيْس: بَكَى صَاحِبِي لَمّا رَأى الدَّرْبَ دُوْنَهُ وأَيْقَنَ أَنَّا لاحِقانِ بِقَيْصَرا

فَقُلتُ لَهُ: لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنّما نحاوِلُ مُلْكاً أوْ نُموتَ فَنُعْذَرَا [4]

- صَالِح بن عَبْد الْقُدُّوس: مَا يَبْلُغُ الأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ [5]

ومودي كان سكرتير عام في حكومة فلسطين ثم انتقل إلى السعودية.

(١) ديوان صفحات من كتاب الحياة.

(٢) قصيدة المساء.

(٣) قصيدة نحوى. في عام ١٩٦٨ قام بغنائها وتلحينها الموسيقار محمد عبد الوهاب.

(٤) قصيدة سما لك شوق بعدما كان أقصر.

(٥) قصيدة يا أيها الدارس علما ألا.

- عَبْد الْعَزِيز المقالح: وَالصَّمْتُ لَوْ تَدْرِينَ أَبْلَغُ مِنْ مَلَايِين الْخُطَب [1]

- أَبُو الْعَلَاء المعرّي: في اللاذقية ضجّةٌ ما بينَ أحمدَ والمسيحْ

هذا بناقوس يدقُّ وذا بمئذنةٍ يصيحْ

كلٌّ يمجّدُ دينهُ يا ليتَ شعري ما الصحيحْ [2]

- عَبْد اللهَّ بنّ المُعْتَزّ: وكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ فَظُنَّ خيْرًا وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْخَبَرِ [3]

- غَازِي الْقُصيبِيّ: بيني وبينك ألف واشٍ ينعبُ فعلامَ أسهب في الغناء وأطنبُ [4]

عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِب: إِنِّي لأَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لا أَرَى أَحَدًا [5]

اِبْنُ حَزْم الأَنْدَلُسِيّ: وتفرَّقوا شيَعًا فكلُّ قبيلةٍ فيها أمير المؤمنين ومنبرُ [6]

- الحُسَن بنّ هانِي (أَبو نُوَاس): قُلْ لمنْ يبكي على رَسْمٍ دَرَسْ واقفاً ما ضَرّ لو كان جلسْ [7]

إسماعيل بن الْقَاسِم أَبو الْعَتاهِيَة: أَتتهُ الخِلافَةُ مُنقادَةً إِلَيهِ تُجَرِّرُ أَذيالَها

فلم تَكُ تَصْلُحُ إلاَّ له ولم يَكُ يَصْلُحُ إلاَّ لها [8]

- أَبو الحْسَن الحُصْرِيّ الْقَيْرَوانيّ: يَا لَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ [9]

- المُعْتَمِد عَلَى اللهَّ: وتُؤخذُ باسمه الدنيا جميعاً وما مِنْ ذاكَ شيءٌ في يديهِ [10]

- إدريس جمّاع: إِنْ حَظّيَ كَدَقِيقٍ فَوْقَ شَوْكٍ نَثَرُوهُ ثُمَّ قَالُوا لِحُفَاةٍ يَوْمَ رِيحٍ اِجْمَعُوهُ [11]

- أَبو تمّام الطّائِيّ: وإِذَا أَرادَ اللهُّ نَشْرَ فَضيلَةٍ طويتْ أتاحَ لها لسانَ حسودِ

(١) قصيدة بطاقة إليها.

(٢) قصيدة

(٣) قصيدة سقى المطيرة ذات الظل والشجر

(٤) قصيدة رسالة المتنبي الأخيرة إلى سيف الدولة

(٥) قصيدة ما أقل الناس رغم كثرتهم.

(٦) البيت منسوب لأبن حزم الأندلسي.

(٧) قصيدة قافية السين يعرض بامرئ القيس لقوله قفا نبك

(٨) كتاب الأغاني، أبو فرج الأصبهاني - طبعة دار إحياء التراث العربي

(٩) قصيدة يا ليل الصب. في عام ١٩٦٥ قامت السيدة فيروز بغنائها من ألحان الأخوين رحباني (منصور وعاصي)

(١٠) كتاب: البداية والنهاية، إسماعيل ابن كثير - طبعة دار الفكر

(١١) قصيدة لحظات باقية

لَوْلاَ اشتعَالُ النَّارِ فيما جَاوَرَتْ ما كَانَ يُعْرَفُ طيبُ عَرْف العُودِ[١]

- بشّار بْنُ بُرْد: وتَرَاهُ بعد ثَلاَثَ عَشْرَةَ قائِماً مِثْلُ المُؤَذِّنِ شَكَّ يَوْمَ سَحَابِ[٢]

- بِشَارَة الخُورِي: جَفْنُهُ عَـلّمَ الغَزَلْ وَمِنَ العِلْمِ ما قَتَلْ[٣]

- حَافِظ إبراهيم: ثَقُلَتْ عَلَيْكَ مؤُونتي إِنِّي أَرَاهَا واهِيَهْ

فَافْرَحْ فَإِنِّي ذاهِبٌ مُتَوَجِّهٌ فِي داهيهْ[٤]

- جُبْران خَلِيل جُبْران: سَكَنَ اللَّيْل وَفِي ثَوْبِ السُّكُون تَخْتَبِي الْأَحْلَام

وَسَعَى الْبَدْر وَلِلْبَدْرِ عُيُون .. تَرْصُدُ الْأَيَّام[٥]

- ميخائيل نَعِيمِهِ: أَخِي، إِنْ ضَجَّ بَعْدَ الحَرْبِ غَرْبِيٌّ بأعمالِهْ

وَقَدَّسَ ذِكْرَ مَنْ ماتُوا وَعَظَّمَ بَطْشَ أبطالِهْ

فَلَا تَنْدَبْ، فَأُذْنُ الْغَيْرِ لَا تُصْغِي لِشَكْوَانَا

بَلْ اتْبَعْنِي لِنَحْفِرَ خَنْدَقًا بِالرَّفْشِ وَالْمِعْوَل

نُوَارِي فِيهِ مَوْتَانَا[٦]

- قَيس بن المُلَوّحِ (مَجْنُون لَيْلَى): وَقَدْ يَجْمَعُ اللهُ الشَّتِيتَيْنِ بَعدَما يَظُنَّانِ كُلَّ الظَّنِّ أن لا تَلاقِيا[٧]

- عَبْد الرَّحْمَن الأبنودي: هُوَّه بإيدين عَارِيَة حَمى التُّورَة

وَحَطّ روحُهُ جُوّه حَنَكْ الدِّيب

وَأَنْتَ اللِّي جِيت لَهُ ضِيفَ عَلَى الْفِكْرَة

(١) قصيدة مدح أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد.

(٢) قصيدة في ذم أصحابه

(٣) قصيدة جفنه علم الغزل. وفي عام ١٩٣٣ قام بغنائها وتلحينها الموسيقار محمد عبد الوهاب.

(٤) ديوان حافظ إبراهيم.

(٥) قصيدة أغنية الليل. وفي عام ١٩٦١ قامت السيدة فيروز بغنائها من ألحان الموسيقار محمد عبد الوهاب.

(٦) قصيدة أخي

(٧) قصيدة تذكرت ليلى والسنين الخواليا.

دلوقت جاي تِتْهِمُهُ بِالتَّخْرِيب !![١]

مشهد ..

الشاعر الوحيد الذي كتب له الأستاذ مقدمة لأحد دواوينه (مربعات) هو: الشاعر عبد الرحمن الأبنودي. ربما لم يطلب منه شعراء آخرون، أو طلبوا وأعتذر، لا علم لي!

كانت هناك محاولة - لم تكتمل - كي يكتب الأستاذ مقدمة لكتاب «الرسائل»، وهو مجموعة رسائل متبادلة بين الشاعرين: محمود درويش وسميح القاسم على صفحات مجلة «اليوم السابع» الباريسية خلال النصف الثاني من الثمانينات، وقام بكتابتها الروائي الفلسطيني أميل حبيبي تحت عنوان «بين شطري البرتقالة الفلسطينية».

وهو أيضا الشاعر الوحيد الذي حاور الأستاذ بحوارات منشورة (للأستاذ حوارات مع مجموعة من الشعراء المصريين والعرب، لكنها لم تنشر لا على صفحات الجرائد ولا في داخل كتب)!

وهو أيضا الشاعر (المثقف) الوحيد الذي أفلت من الأستاذ، عندما تعاقد الأستاذ - أثناء إدارته لجريدة الأهرام - مع صفوة من أقلام مصر وأحسن صحافييها!

الأستاذ قال لي يوما (أكتوبر ٢٠٠٤):«الأبنودي له فضل في جمع السيرة الهلالية، فضلا عن دواوينه، ومنها الأحزان العادية»!

- عبد السلام شهاب:

مشهد ..

سألت الأستاذ (نوفمبر ٢٠٠١) عن الشعر الحلمنتيشي، وهل له علاقة بأحد فرسانه، وما رأيه به؟

أجاب الأستاذ: «هو من أنواع الشعر، فكاهي ضاحك، جامعا بين العامية والفصحى، أقرب للطبقة الشعبية والمعبر عنها، لخفة ألفاظه وحلاوة إلقائه، في محاولتها لتخطي واقعها»!

توقف الأستاذ برهة ثم قال : «كان بجريدة الأهرام شاعرا يعمل بها قبل إدارتي لها، يدعى الأستاذ عبد السلام شهاب ، وأستمر يعمل معي لغاية سنة ١٩٦٦ ، وبعدها أحيل للمعاش،

(١) ديوان مربعات الأبنودي.

مما أضطره ليتعاقد للعمل في إحدى الصحف الأردنية ، وسألت عنه ، وعلمت ما جرى له ، فبعثت لإحضاره مرة أخرى للعمل في الأهرام»!

استفسر مني الأستاذ : «عن سبب سؤالي عن الشعر الحلمنتيشي ؟»

قدمت له قصيدة قد نظمها الأستاذ عبد السلام شهاب ، بمناسبة مرور عشرون عاما على اشتغال الأستاذ بمهنة الصحافة (فبراير ١٩٦٢) ..

تسأل : «كيف عثرت عليها ؟»

أجبت : «قبل يوم واحد فقط ، من صديق مشترك لك ولي .. الأستاذ سمير صبحي»!

والقصيدة بعنوان : هيكل .. زميلا - وهي من ٧١ بيتا!

ومطلعها :

عِشْرُونَ عَامًا وَأَكْثَر وَلَيْسَ عَقْلِي دَفْتَر

...

قَدْ حَلَّ فِيهَا زَمِيلٌ مَنْ خَيْرِ أَبْنَاء عبقَر
فَتًى طَرُوبُ الْمُحَيَّا كَالنِّيلِ أَسْمِرُ أَحْمَر
يَطَلُّ مِنْ نَاظِرِيهِ فَكَرٌ ذَكِيّ .. مُصَوَّر
بِمثلِهِ .. صَحَفِيًّا كُلُّ الصَّحَافَةِ تَفْخَرْ

...

وَفِي السِّيَاسَةِ .. أَدْهَى مِنْ أَيُّ نِمْسٍ وَأَمْكَر
وَفِي السِّيَاحَةِ .. أَمَضَى مِنْ جاجرين .. وَأَمْهَرْ
يَرَاهُ فِي مِصْرَ لَيْلًا وَالصُّبْحُ فِي مَدَغَشْقَر
وَالظُّهْرُ فِي نِيُويُورْك وَالْعَصْرُ فِي مانْشِسْتَر

...

وَكُلُّنَا .. قَدْ عَرَفْنَا هَذَا الزَّمِيلَ الْمُوَقَّر
مَا زَالَ هَيْكَل يَبْدُو أَبْهَى كَثِيرًا وَأَبْهَر
وَهَا هُوَ الْيَوْمَ فِينَا مَا بَيْنَنَا قَدْ تصَدَّرْ
شَبَابُهُ لَيْسَ يَبْلَى بِالدَّهْرِ لَا يَتَأَثَّرْ

- أَحْمَد عَبْد الْمُعْطِي حجازِيّ: كُنْتُ بَكَيْتُ عَنْدَمَا دَقَّتْ طُبُولُ الْإِنْتِصَار

كُنْتُ إِبْتَسَمْتُ .. عَنْدَمَا سَالَ دَمِيٌ عَلَى الْجِدار! [١]

- مُحَمَّد بنّ إدريس الشَّافِعِيُّ: إذا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نفسِهِ فصَدْرُ الذي يَسْتودِعُ السِّرَّ أَضْيَقُ [٢]

- عَبْد اللهّ العلايلي: وَلَوْ أَنِّي أَقَمْتُ مَقَام شَوْقِي لِفَاضَ الشِّعْرُ مِنْ تَحْتِي وَفَوْقِي [٣]

- عَلِيٌّ الجُنْدِيُّ: سُبْحَانَ خَالِقِهِ سُبْحَانَ بَارِيهَا
قُلْ فِيهِ مَا شِئْتِ لَا تَحْرُجَ وَقُلِ فِيهَا
يا مِنْ رَأَى الشَّمْسُ فِي أُفْقِ العُلى
إِقْتَرَنَتْ بِالْبَدْرِ يَحْدُوهُ جبريل وَيَحْدُوهَا [٤]

- مُحَمَّد الْأَسْمَر: هَلْ بَاتَ يُغْنِي أَنْ يُقَالَ لَهَا اسْلَمِي إِنْ صَحَّ ذَلِكَ فَاسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي يا مِصْرُ إِنَّ اللهَّ جَلَّ جَلَالُهُ لَا يَسْتَجِيبُ إِلَى دُعَاءِ النُّوَمِ الْيَوْمَ أَلْسِنَةُ الْمَدَافِعِ وَخذَهَا مَقْبُولَةُ الدَّعَوَاتِ طَاهِرَةُ الْفَمِ [٥]

- عمرو بن الأَهْتَم: لعَمرُكَ ما ضَاقَتْ بلادٌ بأهلِهَا ولكنَّ أخلاقَ الرِّجالِ تَضِيقُ [٦]

- سَمِيح الْقَاسِم:

مشهد ..

الأستاذ قال لي (فبراير ٢٠٠٧): «سميح عربي» رغم وجوده تحت سيادة الدولة الإسرائيلية، فهو اختار أن يتشبث بالأرض ويبقى بالداخل ولو تحت الاحتلال، وقبل هو وغيره بالمواطنة الإسرائيلية ولها أحكامها، لكنه تمسك بالهوية الفلسطينية ولها تحدياتها وضغوطها، ومد جسورا إلى الضفاف العربية المحيطة بفلسطين، وهو محيط علاقاته ملتبسة مع الدولة التي ينتمي إليها بالمواطنة، من تناقضات ثقافية وسياسية إلى تناقضات عسكرية!

---

(١) قصيدة الدم والصمت
(٢) قصيدة إذا المرء أفشى سره بلسانه.
(٣) بيت شعر، ذكره الأستاذ، ولم أجده في أي كتاب يعود للمؤلف عبد الله العلايلي
(٤) قصيدة نشرت في جريدة الأهرام - مارس ١٩٣٩
(٥) قصيده يا مصر
(٦) قصيدة ألا طرقت أسماء وهي طروق

بعكس زميله الشاعر محمود درويش، الذي انطلق نحو العالم الخارجي مقيما علاقات هنا وهناك، فأصبح متحررا من ضغط اللحظة – الاحتلال ، مما أكسب شعره نشاط وقدرة وتفاعل فاتقد ذهنه، وأضحى معبرا عما يجري خلف جدران الاحتلال بأقدر ممن يتواجدون خلف تلك الجدران .. كما في ديوانه «حالة حصار»، تواجد درويش في الخارج جعله متواجد في ضمير العالم، وما قلته هو تقرير واقع حال، وليس دعوة للخروج من أرض وطن تحت احتلال»!

- دخولُ الفاتحينَ يكونُ صُبحاً ولا تُرجَى مَواكِبُهم مَساءُ [1]
- ولي الدين يكن: هَاجَتْكَ خَالِيَةُ الْقُصُورِ وَبَكَتْكَ آفلةُ الْبُدورِ وَذَكَرْتَ سُكَّانَ الْحِمَى وَنَسِيتَ سُكَّانَ الْقُبُورِ ويكيت بالدمع الغزير لباعث الدمع الغزيرِ [2]
- أَبُو الْقَاسِمِ الشَّابِيُّ: إِذَا الشَّعْبُ يَوْمًا أَرَادَ الْحَيَاةَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَدَر [3]

مشهد ..

علق الأستاذ هيكل على عقد مقارنة بين بيت شعر الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي:

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجب القدر

وهو المخزون الثقافي الراسخ في الذاكرة التونسية، وبين بيت شعر للشاعر المصري إبراهيم رضوان:

مَدَد مَدَد شِدِّي حَيْلِك يا بَلَد

وهو المخزون الثقافي الراسخ في الذاكرة المصرية؟

«بأن المسائل أعقد وأكبر مما يبدو من بيوت الشعر، أحدهما يحث على انتزاع إرادة الحياة وآخر مستغيثا بقوى غيبية، كانت أجهزة الإعلام الرسمية في مصر تؤكد عبر أبواقها في أعقاب هرب الرئيس التونسي زين العابدين بن علي مساء يوم الجمعة ١٤ يناير وحتى صبيحة ٢٥ يناير، بأننا لسنا تونس!

(١) لم اهتدي لقائل هذا البيت.
(٢) قصيدة هاجتك خالية القصور.
(٣) قصيدة إرادة الحياة.

بينما نحن أوضاعنا مشابهة لتونس بل وعلى ميزان أكبر، لكن الأمر كان بحاجة لجسارة، فلا يمكن تفسير بأن طليعة من الشباب المصري تحركت وأخذت مخاطر تبعات ما قد يحدث، وتجمعت بطريقة ملفتة للنظر، ثم انضمت إليها كتلة بهذه القوة، فهذا ليس تحرك يأس، بل موقف ثوري يختمر ويتفاعل ولم يكن ينتظر إلا لحظة جسارة، وتقدم شباب وفعلوها، وهذا بحد ذاته: حالة ثورية»!

- أَبُو الْحَسَنِ التِّهَامِي: وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ [1]
- إبراهيم المُنْذِر: يُقْضَى عَلَى الْمَرْءِ فِي أَيَّامِ مِحْنَتِهِ حَتى يَرَى حَسَناً مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ [2]
- سُحيم عَبْدِ بَنِي الْحَسْحَاس: أَشَوْقًا وَلَمَّا يَمْضِ لِي غَيْرُ لَيْلَةٍ فَكَيْفَ إِذَا سَارَ الْمَطِيُّ بِنَا شَهْرًا [3]
- مَحْمُود حَسَن إسماعيل: مُسَافِرٌ زَادُهُ الْخَيَالُ

وَالسِّحْرُ وَالْعِطْرُ وَالظِّلَالُ

ظمآنُ وَالْكَأْسُ في يديه

وَالْحُبُّ وَالْفَنُّ وَالْجَمَالُ [4]

- عليّ بن بسّام الشَّنْتَرِيني: وما الدهرُ في حال السُّكون بساكنٍ ولكنه مُستجمِعٌ لوُثوبِ [5]
- أدونيس: [6]

مشهد ..

صباح يوم الثلاثاء ٦ فبراير ٢٠٠٧، كنت وقرينتي وأولادي الثلاث على موعد مع الأستاذ. كانت الكلمة التي ألقاها في احتفالية تأبين الدكتور محمد سيد أحمد، في نقابة الصحفيين (أبريل ٢٠٠٦)، ما زال صداها يرن في أذني!

كان مما جاء في كلمة الأستاذ ما يلي:

(١) قصيدة حكم المنية في البرية جار
(٢) قصيدة يا أذن ما تشتكين اليوم يا أذني.
(٣) ديوان شعر.
(٤) قصيدة النهر الخالد، في عام ١٩٥٤ قام بغنائها وتلحينها الموسيقار محمد عبد الوهاب.
(٥) كتاب: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.
(٦) كتاب: المحيط الأسود.

«أن المحاربين القدامى لا يموتون وإنما هم مسافرون في الغروب، تختفي قسمات وجوههم من أمام نواظرنا، ثم تنسحب بعد ذلك أشكالهم وتتحول مع اتساع المسافات إلى ظلال تتصاعد مع الأفق، وهناك يتركز الظل في نقطة، ثم تتحول النقطة عند الحافة إلى نجم بعيد!»

ثم أضاف شارحا «إننا في ثقافات الشرق نتعسف حين نتعامل مع الموت، نتصوره نهاية للحياة، بينما هو - حسب ظني - طور من أطوارها، فهذه الحياة بدأت قبلنا وهي مستمرة بعدنا من أزل إلى أبد، وقد نصاب بالشجن والحنين حين يغيب عنا عزيز علينا متحسبين أنها النهاية، لكن ذلك إسراف في التشاؤم لأن الغياب تختلف عن النهاية!»

ثم انتهى موضحا «لعلي لا أصدم أحدا إذا حسبت أن الموت جزء من الحياة بل هو تجديد لها عبر تدفق إنساني شاءت له عناية الخالق الأعظم أن يتواصل بمثل تواصل الزمن - ذلك أنه بمقدار ما لكل فرد من الناس يوم ميلاد ويوم رحيل، فقد نتذكر أن بداية كل يوم في الزمان شروق، وختام كل يوم في الزمان غروب، ثم إن الغروب لا ينتهي بالظلام، بل إن ظلام ما بعد الغروب سهر في انتظار شروق جديد، وكذلك تمضي الحياة غلابة على الموت!»

وقلت له: أنت كعادتك تضفي على أي موضوع بعد ثقافي، وتجعلنا نرى الصورة - المشهد من زاوية مختلفة!

عقب الأستاذ قائلا: «بأن مهمة المثقف أن يقدم لجمهوره مدخلا إلى عوالم مفتوحة وفضاء لا محدود لواقع حياتهم!»

سائلته: هل تقرأ للشاعر أدونيس؟

- أجاب: «لم أقرأ كتبه، للأسف - فقد تراجعت اهتماماتي الأدبية أمام طوفان ما يصدر من كتب سياسية، وأن كنت أقرأ ما يكتبه كل أسبوعين في جريدة الحياة عبر زاويته «مدارات»، لكن ما سبب طرحك للتساؤل؟»

قلت: هناك كتاب له بعنوان «المحيط الأسود» صدر قبل عام تقريبا، وبه جملة استوقفتني، وظني بأنها قد كتبت لك:

«إِعَادَةَ النَّظَرِ فِي كُلِّ شَيْءٍ
مِنْ أَجْلِ تَجْدِيدٍ جَدِيدٍ لِكُلِّ شَيْءٍ

شَرْطٌ أَوَّلَ لِتَقْدِيمِ فِكْرٍ جَدِيدٍ»

كما ترى هي مرادفة لما كتبته أنت قبل عشرين عاما «إلى هؤلاء الذين يملكون الجرأة على مراجعة المألوف والمعروف ... وأنفسهم»!

ابتسم الأستاذ، ثم قال «تتوارد خواطر، وماذا أيضا قال أخينا أدونيس؟»

أجبت: نحن نموت مرة ونولد مرارا!

ارتفعت درجة حماسة الأستاذ ومد يده إلى ورقة (زرقاء) وقلم وكتب !

تقابل الأستاذ مع الفيلسوف قبل سنة من سفر الأستاذ في الغروب (رؤية أدونيس كشاعر لا يمنحه حقه. لا عند الذين يبجلون شعره، ولا عند الذين يعتبرونه مبهما. فهو مثقف مهموم بشؤون وقضايا عصره وأمته، ومفكر واسع الاطلاع على علوم زمانه، وموقفه من أي قضية يأتي في زمانه ومكانه بلا تردد)!

فقد وجهت دعوة لأدونيس ليحل ضيفا على معرض القاهرة للكتاب (الدورة ٤٦)، بدعوة من الهيئة المصرية العامة للكتاب. ويوم الخميس ٥ فبراير ٢٠١٥، وفي منتصف النهار، كان اللقاء في مكتب الأستاذ الكائن في الجيزة.

ولم ينشر الخبر في أي من وكالات الأنباء، ولم يتجاوز عدد الذين علموا بالمقابلة أصابع اليدين (كنت واحدا منهم!).

وفيما بعد جمعتني المقادير بأدونيس في بلدة «الفحيص» بالأردن (إبريل ٢٠١٥)، وقد فوجئ بمعرفتي بخبر اللقاء، وكان كريما في شرحه عن أبعاد اللقاء ورؤيته لما يقوم به الأستاذ من «سبر أغوار الحقيقة في العالم العربي»!

- **مُحَمَّدُ عَبْدِ الْمُعْطِي الهمشري**: قَدْ نَسِينَا كُلُّ مَا كَانَ لَنَا وَتَرَكْنَا فِي غَدٍ مَا سَيَكُونُ [1]
- **صَالِح الشرنوبي**: وَالْأَحَادِيثُ عَنْ وَجُودِ صَدِيق كَالْأَحَادِيثِ عَنْ وَجُودِ السَّلَامِ! [2]
- **مُحَمَّد بنْ عمَار الشَّلَبِيّ**: ألقابُ مملكةٍ في غيرِ موضِعِها كالهرّ يحكي انتفاخاً صولةَ الأسدِ [3]

(١) ديوان شعر
(٢) قصيدة الصديق
(٣) ديوان شعر

ولا يقتصر حفظ الأستاذ هيكل على الشعر العربي.

فتجده يردد مقاطع من شعر **محمد تقي بهار** (ملك الشعراء في الأمة الفارسية)، وإلياذة هوميروس، وأبيات للشاعر الإنجليزي روديارد كبلنغ **Rudyard Kipling** (هو صحفي كذلك! - ونبي الإمبريالية البريطانية كما أطلق عليه الروائي الإنجليزي جورج أورويل).

وأبيات للشاعر الهندي رابندراناث طاغور **Rabindranath Tagore** (يمتاز شعره بالتدين والوطنية)، وكذلك أبيات للشاعر الأمريكي روبرت فروست **Robert Frost** (شاعر القضايا الاجتماعية والفلسفية المعقدة).

وأيضا للشاعر الروسي يفغيني يفتوشينكو **Yevgeny Yevtushenko** (الشاعر الشعبي لدى الشعب الروسي).

كما يردد أبياتا للشاعرين الفارسيان **عمر الخيام** (شاعر القلق والتشاؤم) **وحافظ شيرازي** (الشاعر الصوفي).

وأبياتا للشاعر الإنجليزي ستيفن سبندر **Stephen Spender** (ركز في شعره على مواضيع الظلم الاجتماعي والصراع الطبقي)، وأبياتا للشاعر الإسباني فيديريكو غارسيا لوركا **Federico Garcia Lorca** (شاعر الفلاحين والبسطاء والأساطير وعندليب الأندلس)، وللشاعر الإنجليزي (الأمريكي فيما بعد) ويستن هيو أودن**Wystan Hugh Auden** (وقد تنوع في شعره بين المواضيع السياسية والاجتماعية وبين المواضيع الثقافية والنفسية).

وللشاعر الألماني فريدريش فون شيلر **Friedrich von Schiller** (شاعر وسط بين المأساة الكلاسيكية والدراما الشكسبيرية).

وكذلك للشاعري الرومنطيقية البريطاني جورج بايرون **George Byron** والفرنسي ألفونس دو لامارتين **Alphonse de Lamartine** .

وأشعار الإنجليزي توماس هاردي **Thomas Hardy** (شاعر الرومانسية)، وللشاعرين الألمانيان يوهان غوته **Johann Goethe** (أعظم شعراء ألمانيا) وهاينريش هاينه **Heinrich Heine** (شعره غنائي لكنه متطرف).

وأشعار الإيطاليان دانتي أليغييري **Dante Alighieri** (أعظم شعراء إيطاليا) وفرانشيسكو بتراركا **Francesco Petrarc** (شاعر عصر النهضة).

وشاعر عصر الملكة فكتوريا، ألفريد تينيسون **Alfred Tennyson** الأكثر شعبية في بريطانيا.

وللشاعر الأمريكي والت ويتمان **Walt Whitman** (أعظم شعراء بلاده، خاصة مجموعته «أوراق العشب»، شعره حر متسلسل، مستعملا التعابير الشعبية ومتغنيا بالحرية والحب والشهوانية).

والشاعر التشيلي بابلو نيرودا **Pablo Neruda** (ذو النزعة الاجتماعية والثورية)، والشاعر الإنجليزي جون درايدن **John Dryden** (من أبرز ممثلي الكلاسيكية. له مسرحيات ومآس، وأهاجي سياسية، منها قصيدة مشهورة «أبشالوم وأحيتوفل Absalom and Achitophel» التي تعتبر من أهم الوقائع الشعرية في الأدب الإنجليزي).

وشعر الزن وفن الهايكو الياباني.

■ ■ ■

الفصل السابع والعشرون:

أعيش في جزيرة الألوان*

الحياة الجيدة هي تلك المستوحاة من الحب وموجهة بالمعرفة.
برتراند راسل Bertrand Russell

قمت بجهد استثنائي فيما يمكن تسميته «جولة عاصفة» لمشاهد محددة ومحدودة من أحوال وأحداث سيرة الأستاذ هيكل!

لا أحاول أن أسرد سيرة الأستاذ، عن اعتقاد بأن هناك فرق بين «سيرة رجل» و«حياة رجل» ..

فسيرة أي رجل هي من اختصاص مؤرخ (ويشترط به الحياد) وأن يبدأ خطوة بخطوة من لحظة الميلاد إلى لحظة الغياب، بينما إلقاء ضوء على حياة أي رجل لا يشترط بأن يقوم بها مؤرخ، بل سرد قصة من هنا ورواية حكاية من هناك، مركزا طيلة الوقت على دوره الإنساني والثقافي، مبتعدا طول الوقت - قدر الإمكان - عما هو سياسي!

باختصار شديد، قصص لا تقول سيرته كاملة، ولكن تروي ملامح حياته، وهي بطبيعتها حافلة!

وسيلاحظ القارئ العزيز بأن الأستاذ هيكل كان متواجدا في كل ركن، وفي وسط أي حدث، وعند منحى أي طريق منذ لحظة ظهوره على خشبة المسرح، حتى لحظة غيابه!

(ملاحظة ضرورية: سيلاحظ القارئ العزيز، بأني آثرت تسليط الضوء على علاقات الأستاذ هيكل خارج العالم العربي!)

* أدونيس: ديوان «أغاني مهيار الدمشقي» - قصيدة: «المرة واحدة».

● خليل طهمسبي المنتمي لجماعة فدائيان إسلام، يقوم باغتيال رئيس وزراء إيران الجنرال عليّ رزم آراه، ظهر يوم الأربعاء ٧ مارس ١٩٥١ في مسجد الشاه بالعاصمة الإيرانية طهران!

ويصل الأستاذ هيكل إلى طهران عصرا قادما من القاهرة مندوبا عن جريدة أخبار اليوم، ويلتقي مصادفة بكبير مراسلي جريدة ديلي اكسبرس الإنجليزية the Daily Express، سيفتون دلمر Sefton Delmer، القادم من لندن، مجتمعين في مطار مهرباد لتغطية الحدث الخطر، وليكتب بعدها الأستاذ هيكل باكورة كتبه: إيران فوق بركان!

● وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس يصل في زيارة عمل إلى القاهرة يوم الاثنين ١١ مايو ١٩٥٣. ودالاس في الأصل سليل أسرة من القسس، وإلحاحه في الحديث كان يحمل صبغة تبشيرية ..

وبطبيعة الأحوال اجتمع به الأستاذ هيكل، واستمع إليه، وهو يلقي عليه موعظته وملوحا له بسبابته: «يجب أن تؤمنوا»!

● في العام ١٩٦١، نشر الأستاذ هيكل كتابه «أزمة المثقفين». مستشهدا بكتاب صدر في العام ١٩٥٨ لأستاذ علوم الاقتصاد والتاريخ بجامعة هارفارد ديفيد لاندز David Landes.

«إن الوثائق التي عثر عليها أخيرا في أحد أقبية بنك فرنسا، والتي صدرت في دراسة بعنوان Bankers and Pashas – أي «مصرفيين وباشوات» تثبت دون أدنى شك، أن الفلاح المصري الجائع المريض هو الذي أقام صناعة النسيج في لانكشير في بريطانيا وكانت هذه الصناعة هي دعامة توسع الاقتصاد البريطاني في القرن التاسع عشر.»

مما حدا بالدكتور عبد العظيم أنيس – عالم رياضيات –، أن يلتقي بالأستاذ هيكل، طالبا منه استعارة الكتاب لترجمته، فوجد منه حماسا بالغا، وقد صدرت الترجمة عن دار المعارف. وقد أثنى الدكتور أنيس في مقدمة المترجم قائلا: «كان لحماس الأستاذ هيكل ومتابعته الفضل الأكبر في إكمال ترجمة هذا الكتاب ونشره».

● في الذكرى العاشرة لأزمة السويس (١٩٥٦ – ١٩٦٦)، قرر رئيس تحرير جريدة صنداي تايمز دنيس هاملتونDenis Hamilton، أن يعهد بمهمة إجلاء خبايا الأزمة

إلى أستاذ التاريخ المعاصر بجامعة ريدينغ University of Reading هيو توماس Hugh Thomas.

وتفرغ الأستاذ هيو توماس للتكليف الذي عهد إليه، وتولى هاملتون من جانبه أن يرتب له ما يشاء من المقابلات وأن يفتح له ما يريد من الملفات.

وكتب هيو توماس دراسته عن خبايا السويس، ونشرها الأستاذ هيكل (معربة) في جريدة الأهرام، وكتب مجموعة تعليقات وملاحظات عليها (٥ مقالات في سبتمبر وأكتوبر ١٩٦٦). وقد تم نشر دراسة توماس وملاحظات الأستاذ هيكل في كتاب بعنوان: خبايا السويس».

● في أحد أيام شهر أكتوبر ١٩٥٢ كان الأستاذ هيكل يتابع كمراسل صحفي معركة انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة، وكانت المنافسة بين المرشحان: الجنرال دوايت ايزنهاور عن الجمهوريين وأدلاي ستيفنسون عن الديمقراطيين، وأيامها كانت قطارات السكة الحديد وسيلة نقل المرشحين من موقع انتخابي إلى موقع انتخابي غيره، ووجد الأستاذ نفسه على قطار ايزنهاور في عربة منه خصصت للمراسلين الأجانب، ومر بهم ايزنهاور في طريقه إلى مؤخرة القطار حيث كان عليه أن يلقي من شرفته خطابا في جماهير تنتظره على محطة قرية أوتاوا Ottawa على الطريق من بافالو Buffalo إلى نيويورك، والأستاذ أصابه الذهول، فقد رأى ايزنهاور وقد امتلأ وجهه بالأصباغ: طبقة من الكريم الوردي تغطي وجهه ولون الورد أكثر ظهورا على وجنتيه، وخطوط سوداء على الحواجب تظهرها، ولمسات من مساحيق أخرى على التجاعيد تخفيها – وكل ذلك لكي تظهر صورته على شاشات التليفزيون موحية بالحيوية ونضارة الصحة وعافية الشباب، وقد تصادف وجود الصحفي البريطاني الأشهر اللورد بيفربروك Lord Beaverbrook، وزميله الصحفي اللبناني سمير سوقي على نفس مقصورة القطار، حين تساءل الأستاذ بدهشة وبراءة زائر من العالم المتخلف، «أهكذا تفعل مقتضيات السياسة عند المتقدمين بالجنرال الذي قاد جيوش الحلفاء في الحرب العالمية العظمى؟»

علق الأستاذ هيكل قائلا: «ضاع الجوهر من أجل المظهر ولم تعد السياسة علم التحقيق وإنما أصبحت فن التزويق، واعتمدت سياسات الانطباع بدلا عن سياسات الاقناع»!

● قال وزير الدفاع الإسرائيلي الجنرال موشيه ديان Moshe Dayan مرة في أعقاب معارك الأيام الستة من يونيو ١٩٦٧:

- إن عظمة النصر الإسرائيلي سوف تدرس في كل معاهد الحرب في العالم، وعلى كل مستويات التعليم العسكري.

ولدى الأستاذ هيكل نقطة خلاف (ليست الوحيدة!) مع الجنرال موشيه ديان، وهي أن الأولى بالدرس ليس «عظمة النصر الإسرائيلي» وإنما «سخافة الهزيمة العربية».

معللا وجهة نظره: «بأن النصر الإسرائيلي المعزز بقوى الاستعمار لم يكن فيه شيء غير عادي، ولكن الهزيمة العربية كانت شيئا غير عادي بأي ميزان»!

أي أن إسرائيل حققت نصرا أكبر من قدرتها حتى مع «استعمال الحد الأقصى من طاقتها، بينما لقى العرب هزيمة أقل من قدرتهم حتى مع استعمال الحد الأدنى من طاقاتهم» !!

● أستاذ العلوم السياسية وعلم الاجتماع في الجامعة الأمريكية عاموس بيرلماتر Amos Perlmutter، في دراسته الجادة «إدارة الأزمات: مفاوضات كيسنجر في الشرق الأوسط، أكتوبر ٧٣ - يونيو ١٩٧٤»، المنشورة في مجلة الدراسات الفصلية (سبتمبر ١٩٧٥)، كتب بالحرف: «هنري كيسنجر الذي اتخذ لنفسه بثقة، مكانة «ناظر مدرسة الدبلوماسية»، لم يقم أحد بتحدي هذه المكانة إلا مرة واحدة، وذلك حين تصدى محمد حسنين هيكل (الداهية Shrewd) لكيسنجر أثناء مناقشة معه، واعترض على هذا الدور الذي اتخذه كيسنجر لنفسه، وهو أنه فوق الصراع.

إن تحدي هيكل لكيسنجر بهذا الأسلوب من الصراحة أثبت فاعلية، ولكن هيكل عندما رفض أن يدور في فلك سياسة كيسنجر مثل غيره، أُخرج من عمله في الأهرام»!

(كتب كذلك إدوارد شيهان في كتابه «العرب والإسرائيليون وكيسنجر»: «أعرب محمد هيكل والذي كان في أسوان في المرحلة الأخيرة من المفاوضات عن احتجاجه مشيرا إلى أن الاتفاق سوف يؤدي إلى تجميد الوضع لصالح إسرائيل. وقد رفض هيكل في ذلك الوقت الإذعان، ومن ثم فقد مساندة السادات له، وترتب عليه الإطاحة به من منصبه كرئيس لتحرير جريدة الأهرام».)

● لم تتح للأستاذ هيكل مقابلة الرئيس ليندون جونسون، لكنه قابل أقرب الناس إليه، وكان من بينهم والت روستو Walt Rostow مستشاره لشؤون الأمن القومي، وشقيقه

وكيل وزارة الخارجية للشؤون السياسية يوجين روستوEugene Rostow الذي كان قوة محركة في وزارة الخارجية الأمريكية مع الوزير دين راسك Dean Rusk.

● الأستاذ هيكل في أكتوبر ١٩٥١ يرافق الصحفية الأمريكية مارغريت هيغينز Marguerite Higgins أثناء تغطيتها للحرب الكورية كمراسلين حربيين، وقد حصلت مارغريت على جائزة بوليتزر Pulitzer لتغطيتها للحرب وكانت أيضا أول امرأة تحصل عليها، وفيما بعد هيأ لها الأستاذ هيكل إجراء مقابلة مع الرئيس ناصر يوم الخميس ٢٣ أكتوبر ١٩٥٢

● يستضيف الأستاذ هيكل يوم الأربعاء ٢٨ سبتمبر ١٩٥٥ في منزله (١٤ شارع شجرة الدر - الزمالك) كل من الرئيس ناصر والمشير عامر وكيرميت روزفلت Kermit Roosevelt (حفيد الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت وضابط استخبارات، وفيما بعد عضوا في وكالة المخابرات المركزية)، على العشاء، إثر إعلان الرئيس ناصر عن صفقة الأسلحة السوفيتية (تم توقيعها في براغ العاصمة اليوغسلافية).

● اعتبر إدوارد شيهان Edward Sheehan إجراء حديث مع الأستاذ هيكل شبيه بإجراء حديث مع هنري كيسنجر. مقررا بأنها أكثر من محادثة فهي حادثة.

● في شهر مايو ١٩٦٧، يستقبل الأستاذ هيكل في فندق سيدي عبد الرحمن بالعلمين أحد قادة الحرب العالمية الثانية المارشال برنارد مونتغمريBernard Montgomery، بطل معركة العلمين.

ورغم مر السنين إلا أن نبرات المارشال كانت حادة، وهو يتذكر وقائع المعركة والتي كانت العلمين مسرحا لأحداثها!

قال مونتغمري مصرحا للأستاذ: إنني لم أكن مرشح ونستون تشرشل لقيادة الجيش الثامن جيش الصحراء. كنت مرشح المارشال آلان بروك Alan Brooke رئيس أركان حرب الإمبراطورية وقتها. كانوا يبحثون عن جنرال يقود الجيش الثامن أمام اروين روميل Erwin Rommel، طرح آلان بروك على تشرشل اسمي، ورفض تشرشل وقال إنني لا أعرف شيئا عن حرب الصحراء، وهو يريد خبيرا في حرب الصحراء.

قرر تشرشل بعد ذلك اختيار الجنرال وليام غوت William Gott، وكان أيضا من مساعدي الجنرال كلود أوكنلك Claude Auchinleck، وأرسلت إشارة إلى غوت أن يجيء من العلمين إلى القاهرة لمقابلة تشرشل لكن طيارا ألمانيا أصاب الطائرة التي استقلها من مطار هيلوبوليس في القاهرة، وقتل المسكين غوت وهو في الطريق إلى القاهرة لمقابلة تشرشل. وهكذا وجد تشرشل نفسه على مضض يقبل اسمي قائدا للجيش الثامن بناء على إلحاح آلان بروك.

● في شهر سبتمبر ١٩٦٧ كان الأستاذ هيكل ينصت للقائد والزعيم الفرنسي شارل ديغول وهو يحادثه في المكتب الرئاسي بقصر الاليزيه، ويحفظ عنه جملته الأثيرة: «إن الذي يريد الكلام في السياسة عليه أن يضع أمامه خريطة ينظر إليها ويدرس ألوانها وخطوطها، وحينئذ فقط يحق له أن يتكلم برأي أو يجتهد بحكم».

● الأستاذ هيكل يتلقى في بداية التسعينات اتصالا من جريدة يوميوري شيمبون Yomiuri Shimbun تعرض عليه المشاركة في باب ثابت تحت عنوان نظرات ثاقبة على العالم Insights into the World، وهناك أكثر ٢٤٠ جريدة تصدر في جنوب شرق آسيا وغرب الولايات المتحدة تحصل على حق نشر هذا الباب. وكانت أسماء المشاركين بانتظام في كتابة هذا الباب الثابت: حشد من نجوم الفكر والسياسة في العالم ومن بينهم المؤرخ الأمريكي، والناقد الاجتماعي، والمثقف الشعبي آرثر شليزنجر Arthur Schlesinger.

● في شتاء ١٩٧٠، كان الأستاذ هيكل قد قال لأديب فرنسا الحديثة ومفكرها الكبير أندريه مالرو André Malraux، وهما يتناولان الغداء في مطعم لاسير La maison Lasserre في شارع فرانكلين روزفلت بباريس، «أن ناصر ليس قائد هذه الأمة، وإنما مجرد تعبير عنها!»

ورد عليه مالرو: «كان ناصر أكثر من ذلك قليلا .. إنه لم يكن مجرد تعبير .. وأكاد أقول إن الكلمة الصحيحة هي تجسيد .. إن ناصر كان تجسيدا لأمته في مرحلة تحول هام عاشته وما زالت تعيشه.

هناك في التاريخ شخصيات يصدق عليها هذا الوصف بالنسبة للشعوب والأمم التي تظهر فيها .. إنها تجسد نضال وآمال هذه الشعوب والأمم. كان ناصر واحدا من هذه الشخصيات.

كان وسوف يبقى لسنوات، لا نستطيع من الآن أن نرى مداها، تجسيدا في الحياة لمصر.

كان نابليون من هذا النوع من الشخصيات التاريخية.

إذا ذكر نابليون ذكرت فرنسا .. وإذا ذكرت فرنسا لم يكن في وسع أحد أن ينسى نابليون»!

● السكرتير الصحفي للبيت الأبيض زمن الرئيس جون كينيدي، ورئيس مكاتب شبكة ABC News في أوروبا بيير سالينغر Pierre Salinger، يقابل صديقه الأستاذ هيكل في لندن أثناء تواجدهما في لندن خلال شهر سبتمبر ١٩٩٠، وكان سالينغر بصدد إعداد كتاب عن أزمة الخليج (احتلال الكويت)، وقد قضوا ساعات طويلة في مكتب سالينغر أو في فندق كلاريدج (مقر إقامة الأستاذ الدائم خلال تواجده في العاصمة البريطانية) يستعرضان بعض فصول كتابه «حرب الخليج: الملف السري Secret Dossier: The Hidden Agenda Behind the Gulf War»، ويناقشان جوانب الأزمة.

وكان رأي سالينغر أنه كتب عن مرحلة واحدة في الأزمة، وأن الواجب يقضي أن يكتب الأستاذ هيكل عن مجملها!

وبعد أن اتسعت حيرته - أستقر الأستاذ هيكل عند رأي صديقه فأطل على الفكرة، ومصدرا كتابه «حرب الخليج: أوهام القوة والنصر Illusions of Triumph: An Arab View of the Gulf War».

* والتر ليبمان Walter Lippmann الكاتب والمراسل والمعلق السياسي الأمريكي (الأستاذ هيكل يعتبره مثله الأعلى في الصحافة، ومن المفارقات أنهما من مواليد نفس اليوم بفارق ٣٤ عام، حيث أن ليبمان من مواليد يوم الاثنين ٢٣ سبتمبر ١٨٨٩، بينما الأستاذ هيكل من مواليد يوم الأحد ٢٣ سبتمبر ١٩٢٣)، وقد رافقه الأستاذ هيكل أثناء زيارته للقاهرة وقدمه للرئيس ناصر في مارس ١٩٥٧.

* الأستاذ هيكل يلح في عناد على رئيس وزراء اليابان كاكوي تاناكا Kakuei Tanaka، وهو مجتمعا معه في مكتبه بالعاصمة طوكيو في يناير ١٩٧٣، حين سأله: «كيف تستطيع قوة اقتصادية كبرى أن تظل بدون سياسة دولية نشيطة ومؤثرة - إلا إذا كنا نتحدث عن عملاق قدماه من الفخار؟»

● قام الأستاذ هيكل بزيارة للعاصمة الفرنسية باريس في سبتمبر ١٩٦٧، فارضا نفسه تقريبا، لمدة أسبوع كامل على أحد أبرز مفكري الاستراتيجية الذرية الحديثة الجنرال بيير ماري غالوا Pierre Marie Gallois، وكان الرجل كريما بعلمه إلى أبعد حد فاستقبله في بيته (شقته في عمارة رقم ٨، شارع رامبرانت rue Rembrandt، إلى الجنوب مباشرة من ملعب بارك دي مونسو Parc de Monceau) كل يوم وبلغ صبره عليه إلى درجة أنه جاء إلى قاعة مكتبه بسبورة وطباشير وقضى ساعات بعد ساعات، يشرح للأستاذ الأفكار الأساسية، في كتابه الشهير: «توازن الرعب – استراتيجية للعصر النووي»!

● وزير الخارجية الأمريكي ويليام روجرز يزور القاهرة في شهر مايو ١٩٧١، ويبدي رغبته في زيارة مبنى الأهرام.

كان الوزير قد تحدث مع الأستاذ هيكل ثلاث مرات: على عشاء أقامه دونالد بيرجيس القائم على شئون المصالح الأمريكية في القاهرة، ثم على فنجان شاي في فندق هيلتون حيث أقام خلال زيارته، ثم على عشاء أقامه روجرز نفسه تكريما لوزير الخارجية محمود رياض.

والمرة الرابعة كان على فنجان قهوة في مكتب الأستاذ هيكل، وقد تكلم معه بصوت خفيض وبسرعة:

«إن هنري كيسنجر رجل ليست له ولاءات. إن كل كائن حي بالطبع له ولاءات. لكن المشكلة في هنري أن قائمة ولاءاته على النحو التالي: ولاؤه الأول والثاني والثالث لهنري كيسنجر، وولاؤه الرابع لأي سيد يستعمل خدماته، وولاؤه الخامس لأمته ..»

وأبدى الأستاذ هيكل ملاحظة قال فيها: «إنني قابل بولائه لأمته، ذلك لأن ولاؤه لأمته سوف يجعله يعرف أن مصالح الولايات المتحدة كلها مع العرب».

وقاطعه روجرز: «ماذا تقول؟ أمته ليست الأمة الأمريكية. ولاؤه لليهود».

(كان كيسنجر بدوره يسخر من روجرز ويعتبره ساذجا، ومبتدئا في السياسة الخارجية وكان يشعر بأن «مشروع روجرز» قد حدد تسوية نهائية قبل أوانها. فلقد أقام المبنى قبل إرساء الأساس. وفي الحقيقة أن روجرز قد رتب وقف إطلاق النار على قناة السويس عام ١٩٧٠. ولكنه عندما اقترح التوصل إلى اتفاق مرحلي بين مصر وإسرائيل يقضي بإعادة فتح

قناة السويس، لم يجد من كلا الطرفين استجابة ما، فالمصريون كانوا سيقبلون انسحابا جزئيا تقوم به إسرائيل من سيناء ولكنهم طالبوا بتعهد إسرائيلي يقضي بالانسحاب الكامل فيما بعد، ولقد رفض الإسرائيليون ذلك).

● الصحفي الأمريكي سايروس سولزبيرغر Cyrus Sulzberger والعضو في العائلة التي تملك صحيفة نيويورك تايمز، التقى ثلاث مرات بالرئيس جمال عبد الناصر في منشية البكري، وكان مرافقه الأستاذ هيكل. وفي العام ١٩٧٠ نشر سولزبيرغر كتابه الضخم «آخر العمالقة – متضمنا مقابلاته مع عمالقة زمناه كديغول وتشرشل وكينيدي وخروشوف وناصر (العربي الوحيد في الكتاب) وآخرون»!

● وزير الدولة البريطاني السير أنطوني نوتنغ Anthony Nutting، يكتب في كتابه المثير «ناصر»، متناولا الأستاذ هيكل ومقررا بأن ذكائه الوقاد وأذنه الصاغية وسرعة بديهته استطاع أن يعرف الكثير مما يدور من أحاديث حول ما يجري من أحداث سياسية واجتماعية في القاهرة.

● السفير الأمريكي في القاهرة ريموند هير Raymond Hare، يجري اتصالا هاتفيا مع الأستاذ هيكل بعد ظهر يوم الأربعاء ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ (اليوم الثالث لبدء العدوان الثلاثي)، وجرى بينهما الحوار الآتي:

– إنني آسف لإزعاجك في هذه الساعات بطلب يبدو سخيفا، ولكني أتصور أنك تستطيع فهمي ... أنت تعرف البروفيسور السير كيبل كرسول Keppel Creswell (المؤرخ المعماري الإنجليزي)؟

– إنني أعرف كرسول وأتابع عمله الجليل في دراسة الآثار الإسلامية في مصر بالتعاون مع جامعة أكسفورد.

– إن كرسول وضع تحت الحراسة شأنه شأن كل الرعايا البريطانيين، وقد جاءني الآن، وهو يخشى على مكتبته وعلى أوراقه في بيته بحي الجمالية، الذي يقيم به من خمسين سنة، وهو يعتقد أن الحراسة قد لا تقدر ما يفعله، وقد تضيع كتبه وأوراقه وجهد خمسين سنة، وقد جاءني يعرض إيداع مكتبته بصفة مؤقتة في الجامعة الأمريكية في القاهرة، ويمكن أن يتم ذلك بإشراف الحراسة، ولكن المهم أن تحفظ هذه الذخيرة الإسلامية من الضياع، حتى تنجلي الظروف.

- إنني سأفعل كل ما في وسعي.

- إنني سوف أبعث إليك بالبروفيسور كرسول ليشرح لك الموضوع.

كان الرئيس ناصر مشغولا بموعد مع السفير الإندونيسي في القاهرة (محمود لاماكو لاتجوباMahmud Lamako Latjuba) الذي جاءه يحمل رسالة من الرئيس أحمد سوكارنو ، وطلبه الأستاذ هيكل ، وترك له رجاء بأن يتصل به فور فراغه من المقابلة.

وفي الساعة السادسة كان البروفيسور كرسول في مكتب الأستاذ هيكل، متعثرا في خطاه، واقفا أمامه وقبعته العتيقة في يده وعصاه التي يتوكأ عليها في يده الأخرى (عمره وقتها ٧٧ سنة)، متزامنا مع بدء الطيران البريطاني بقصف المطارات المصرية حول القاهرة بقاذفات كانبيرا Canberra ... متلعثما وهو يقول له بصوت خفيض مرتعش:

- إني حزين من أجل بريطانيا يا سيدي.

وراح الرجل يشرح للأستاذ هيكل يائسا قصة خوفه على مكتبته ومجموعو أوراقه.

ودق جرس التليفون، وكان من الرئيس ناصر، وسأله عن سبب الاتصال، وقال له، وكان رده بسرعة:

- إنني موافق، ولا أريد أن تضيع مكتبة على هذا النحو الذي تصفه في سراديب الحراسة، ولك أن تتصل بالدكتور القيسوني (وزير المالية المشرف على إجراءات الحراسة) وتنقل إليه موافقتي.

ووضع الأستاذ هيكل سماعة التليفون، وألتفت إلى البروفيسور كرسول يقول له:

- لقد تم إنقاذ مكتبتك وأوراقك.

ونظر كرسول إلى الأستاذ هيكل، وفي ثوان كانت الدموع تملأ عينيه، متسائلا:

- في هذه اللحظة التي كان دوي القنابل فيها يملأ أذناي الرئيس ناصر، هل كانت لديه القدرة على أن يسمع نداء واهيا هو في الحقيقة نداء الحضارة ..؟ إنني لا اريد مكتبتي وأوراقي لنفسي، ولكني أريدها أن تبقى لأنها تضم أكبر جهد إنساني مركز حول الآثار الإسلامية في مصر. ما زال الشرق قادرا على أن يعلمنا المدنية رغم ادعاءاتنا في الغرب ... سوف

يعرف الناس يوما ما حدث هذه اللحظة، وسوف يعلمون من هم الهمج البرابرة، ومن هم المتحضرون المتمدنون!

● يوم الأربعاء ٤ سبتمبر ١٩٧٤ كان الجنرال أندريه بوفر André Beaufre الخبير الاستراتيجي العسكري الفرنسي يستضيف في بيته الواقع نهاية شارع فوبورج سانت أونوريه Rue du Faubourg Saint-Honoré، الأستاذ هيكل والسفير المصري نجيب قلدي. وكان الأستاذ يستمع للجنرال بوفر وهو يحلل أسباب نكسة ١٩٦٧ : «إنني درست معارك سنة ١٩٦٧ ، وناقشت تفاصيلها طويلا مع القادة الإسرائيليين ومنهم ديان ورابين، وتقديري أن جيشكم انهزم في حرب نفسية قبل أن ينهزم في حرب عسكرية. القيادة ذهلت من ضربة الطيران، والقوات في الميدان فوجئت بالتحركات الخاطفة للألوية الإسرائيلية، وتفكك الجيش الكبير نفسيا قبل أن تبدأ معارك القتال الحقيقي، وذلك تفسير ظاهرة أن خسائركم الكبيرة في المعركة لم تقع إلا بعد صدور قرار الانسحاب من القاهرة!»

● الأديب فتحي غانم خرج يوم الخميس ٢١ يناير ١٩٩٩ (توفي يوم الأربعاء ٢٤ فبراير ١٩٩٩) بمقال في مجلة «صباح الخير»، نافيا بشكل لا لبس فيه، وبطريقة قاطعة أن روايته «الرجل الذي فقد ظله» كانت مكتوبة عن الأستاذ هيكل.

ولقد أستفاض في سرد الوقائع، وقال بأنه كان في زيارة عائلية للأستاذ محمد التابعي (حي الزمالك)، الذي فاجأه بسؤال: «هل المقصود من الرواية وأبطالها (محمد ناجي ويوسف عبد الحميد السويفي) عنهما (التابعي وهيكل)»، وقال له بأن السؤال كان من الأستاذ هيكل، والأفضل أن تتصل به!

وبالفعل ذهب الأديب فتحي غانم في اليوم التالي لمكتب الأستاذ هيكل في الأهرام، والذي قابله ضاحكا وقائلا له بالإنجليزية:

«أهلا بالرجل الذي فقد عقله Welcome The Man Who Lost His Mind»!

وقد كتب الروائي البريطاني ديزموند ستيوارت Desmond Stewart في مقدمة ترجمته لرواية «الرجل الذي فقد ظله»: «أن هيكل كان في وضع يستطيع فيه أن يلحق أضرارا بفتحي غانم إذا أراد لكنه لم يفعل، وهو يعلم أن الرواية بعيدة عنه، ويفهم أسباب الحرص بين الناس على إلصاق شخصية يوسف به».

(هل لاحظ أحد بأن الثلاثة اشتقوا من بعضهم – دون قصد (ربما!) عناوين كتبهم؟

ففي العام ١٩٧٥ كتب ماركيز رواية «خريف البطريرك» ..

وفي العام ١٩٨٣ كتب الأستاذ «خريف الغضب» ..

وفي العام ٢٠٠١ كتب رشدي رواية «الغضب» ..

وماركيز في حواره مع الصحفية الكولومبية ماريا الفيرا سامبر María Elvira Samper في سنة ١٩٩٠ قال بالحرف: «كل ما يعتبره المؤرخون خطأ، أعتبره أنا صحيحا»!

ماركيز كان يحاول استعادة إنسانية سيمون بوليفار Simón Bolívar من الذين حاولوا جعله فوق البشر، فجعله يأكل ويشرب، ويفرح ويحزن، وتشغله عظائم الأمور وتلهيه أحيانا صغائرها، وذلك طبيعي لأنه إنسان!

والأستاذ كان يحاول إثبات بأن قيمة أي حدث تاريخي حين يروى عن قرب، ليس فقط في دقة التفاصيل والنفاذ إلى الخبايا، ولكن أيضا في الصورة الإنسانية وفي ومضها ونبضها!

ورشدي كان يحاول كسر كل المحرمات Taboo في جميع رواياته، ويرمي عصا الشك في كل يقين، مشددا على أن لا قداسة لإنسان كائنا من كان!)

● الصحفي الأمريكي جيمس ريستون James Reston يجري حوار مع الرئيس جمال عبد الناصر وينشره في صحيفة نيويورك تايمز يوم الأحد ١٥ فبراير ١٩٧٠، وقد مهد له الأستاذ هيكل فرصة مقابلة الرئيس ناصر. وكان جيمس ريستون في بداية الستينات ساعد الأستاذ هيكل في إجراء عدة مقابلات مع الرئيس جون كينيدي.

● الرئيس الإيراني محمد خاتمي يزور مصر نهاية شهر مارس ٢٠٠٧، ويحتفي به الأستاذ هيكل في منزله الريفي ببرقاش، ويدور حوار لمدة ٦ ساعات بين الرئيس خاتمي ومجموعة من المفكرين دعاهم الأستاذ هيكل، ومن بينهم: أحمد ماهر (وزير الخارجية الأسبق)، وأسامة الغزالي حرب، وأيمن الصياد، وجلال أمين، وجميل مطر، وحسام عيسى، وحسين عبد الغني، وسلامة أحمد سلامة، والسيد يسين، وصلاح الدين حافظ، وعادل حمودة، وعبد الله السناوي، وعبد الوهاب المسيري، وفاروق جويدة، ومحمد السيد سعيد، ومصطفى بكري، ومصطفى اللباد، وهاني شكر الله، ويحيى الجمل.

وقد تخلل الحوار مأدبة غداء تقدمته المأكولات المصرية الكلاسيكية كالفطير المشلتت، والكشك والحمام المحشي بالفريك والملوخية البوراني!

وكانت بداية الصداقة بين الاثنان قد نسجت خيوطها خلال زيارة الأستاذ هيكل لطهران (١٩٩٣)، لإجراء حوار تلفزيوني مع الرئيس رفسنجاني. وقد زاره وقتها الرئيس خاتمي (كان قد ترك وزارة الثقافة قبل عام) في فندق الاستقلال في ضاحية شمران المعلقة فوق الجبال القريبة من العاصمة.

● في أكتوبر ١٩٨٩ يتواجد الأستاذ هيكل في موسكو، متناولا العشاء في مبنى السفارة المصرية مع مجموعة نادرة من الشخصيات المؤثرة: اناتولي دوبرنين Anatoly Dobrynin (السفير السوفيتي في واشنطن ١٩٦٢ – ١٩٨٦)، غينادي غيراسيموف Gennadi Gerasimov (المتحدث باسم الرئيس ميخائيل غورباتشوف للشؤون الخارجية)، زبيغنيو بريجنسكي Zbigniew Brzezinski (مستشار الأمن القومي للرئيس جيمي كارتر ١٩٧٧ – ١٩٨١)، جاك ماتلوك Jack Matlock (السفير الأمريكي في موسكو ١٩٨٧ – ١٩٩١)، أحمد ماهر (سفير مصر في موسكو ١٩٨٨ – ١٩٩٢) .. وقد سمع خلاله الأستاذ هيكل من بريجنسكي تفاصيل التفاصيل عن كيفية استثمار وقوع موسكو في الفخ الأفغاني!

● يوم السبت ١٣ سبتمبر ١٩٧٥ يغادر الأستاذ هيكل القاهرة في زيارة لأوروبا.

ويصل يوم الأربعاء ١ أكتوبر للولايات المتحدة، بدعوة من اتحاد الخريجين العرب من الجامعات الأمريكية كضيف شرف في مؤتمرهم السنوي الذي عقدوه في تلك السنة في شيكاغو.

ويعقد اجتماعا لمدة ساعتين في الطابق الثامن والثلاثين حيث مكتب سكرتير عام الأمم المتحدة الدكتور كورت فالدهايم Kurt Waldheim.

وأقامت هيئة تحرير نيويورك تايمز وواشنطن بوست حفلات لتكريمه كزميل صحفي تربطه صداقات طويلة بالكثيرين منهم.

ودعاه ديفيد روكفلر David Rockefeller رئيس مجلس إدارة بنك تشيس مانهاتن The Chase Manhattan Bank إلى غداء امتد أكثر من ثلاث ساعات.

ثم التقى مع وليام سايمون William Simon وزير الخزانة الأمريكي على العشاء.

والتقى على عشاء آخر أيضا مع روبرت ماكنمارا Robert McNamara رئيس مجلس إدارة البنك الدولي World Bank (كان تساؤله لسايمون وماكنمارا عن «أين فوائض

الأموال العربية؟». والتقى على عشاء ثالث أيضا مع عدد من أعضاء مجلس الشيوخ البارزين وبينهم السيناتور تشارلز بيرسي Charles Percy وغير هؤلاء بالطبع قابل كثيرين، مستمعا ومتكلما.

ويجري التلفزيون الأمريكي مقابلة مع الأستاذ هيكل في البرنامج السياسي المشهور الذي يقدمه الصحافي ومقدم البرامج التلفزيونية مارتن أجرونسكي Martin Agronsky، داعيا الصحافي الأمريكي المشهور جوزيف كرافت Joseph Kraft لمناقشته.

● الرؤساء الأمريكيين الذين قابلهم الأستاذ هيكل وتحدث معهم هم: دوايت ايزنهاور، جون كينيدي، ريتشارد نيكسون (استضافه الأستاذ هيكل في بيته بالقاهرة)، جيمي كارتر، باراك أوباما (قابله الأستاذ هيكل في عام ٢٠٠٨ قبل أن يصبح رئيسا، عندما كان عضو مجلس الشيوخ عن ولاية ايلينوي).

● رئيس الوزراء الإسرائيلي اسحق رابين يكتب في مذكراته (الجزء الثاني) بالحرف: «أود أن ألفت الانتباه إلى مقال محمد حسنين هيكل المنشور يوم الجمعة ٢٤ مارس ١٩٧٢ بعنوان «نوع الحرب الممكنة ... والضرورية!» وجاء فيه: «أن مصر تشعر أن طاقتها تحتمل أن تحرر بالقوة المسلحة ولو مائة كيلو متر مربع فقط من أراضيها (...) إذا تم ذلك، فإن الآثار التي يمكن أن تترتب عليه في معنويات الشعب المصري، وفى معنويات الأمة العربية، وفى موقف العدو والصديق معا، وفى الوضع العالمي كله، سوف تكون آثارا غير محدودة، لأن المعنى الرئيسي لما تحققه مصر في هذه الحالة، هو إثبات قدرتها على تحدي الأمر الواقع المطلوب فرضه عليها، وهذا يغير صورة الأزمة كلها، ويفتح الباب لتطورات مباشرة أخرى في مجرى الصراع.»

ثم علق رابين قائلا: «وهكذا بالضبط فعلت مصر في أكتوبر ١٩٧٣»!!

● ما أن أعلن الرئيس أنور السادات عن نيته الذهاب إلى الكنيست الإسرائيلي في خطابه يوم الأربعاء ٩ نوفمبر ١٩٧٧، حتى هرع مندوب محطة ABC الأمريكية في الشرق الأوسط جون سنايدر John Snyder إلى مكتب الأستاذ هيكل مجريا معه حوار عن رأيه في المبادرة، وردة الفعل المتوقعة في الشارع المصري والعربي، وعن دوافع الرئيس السادات للقيام بتلك الخطوة، وهل هناك رابط بين مظاهرات يناير والمبادرة، وغيرها من التساؤلات ..

● جوناثان ديمبيلبي Jonathan Dimbleby مقدم البرامج في تلفزيون هيئة الإذاعة

البريطانية - القناة الثانية - يجري حوارا مع الأستاذ هيكل، وقد أذيع يوم الخميس ٢٤ نوفمبر ١٩٧٧ ضمن برنامج «هذا الأسبوع This Week»، وقد تمحورت الأسئلة عن نتائج المحتملة لمبادرة الرئيس السادات زيارة القدس، وموقف العالم العربي من الزيارة، وردة فعل سوريا، وفرص نجاح مؤتمر جنيف، وغيرها من الاستفسارات ..

● السفير السابق للولايات المتحدة الأمريكية في القاهرة نيكولاس فاليوتس Nicholas Veliotes، الذي كان في زيارة للقاهرة خلال عام ١٩٨٩، اتصل بمكتب الأستاذ هيكل طالبا زيارته ومستأذنا بأنه: «سيصطحب معه أحد اصدقائه»، وقد رحب به الأستاذ هيكل وبصديقه!

وبعد قليل بدأ القلق يساور الأستاذ هيكل، فاتصل بالسفير نيكولاس وسأله: "من هو صديقك هذا؟» ..

- «ابا ايبان Abba Eban» (وزير خارجية إسرائيل الأسبق) ..
- «لا، لا أستطيع أن أستقبله» ..
- «لكنه معجب بك ويتابع كل كتاباتك»!
- «وليكن فهذا هو مبدئي - أنا لا أقابل ولا أحب أن أقابل إسرائيليين» ..
- «محمد هل نسيت أنكم في سلام مع إسرائيل؟»
- «ليس لي شان بسلام أبرمته الدولة مع إسرائيل» ..

● كان الأستاذ هيكل قد انتهى من كتابة سفره الضخم «The Return of the Ayatollah عودة آية الله - الثورة الإيرانية من مصدق إلى الخميني». فسافر إلى لندن، حيث مقر دار أندريه دويتش المحدودة (الناشر الدولي لكتب الأستاذ)، ليلتقي بالكاتب الإيرلندي والأكاديمي المتخصص في العلاقات الدولية والشرق الأوسط فريد هاليداي Fred Halliday، حيث قام بمطالعة مخطوطة الكتاب، ومقدما بعض الآراء المجدية.

● كان الصحفي البريطاني إدوارد كريستيان هودجكين Edward Christian Hodgkin المحرر بالشؤون الخارجية في صحيفة التايمز، شديد الاهتمام بأن يتعاون مع الأستاذ هيكل في كتبه التي يدون بها خبرته كرئيس تحرير جريدة الأهرام، وكصديق حميم للرئيس ناصر.

● صلى الأستاذ هيكل صلاة الفجر خلف الملك عبد الله بن الحسين - مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية - في إحدى حجرات قصر رغدان بالعاصمة عمان (مايو ١٩٤٨). وكذلك صلى صلاة العشاء خلف الإمام روح الله الموسوي الخميني في سرادق أقيم على ساحة في إحدى ضواحي باريس «نوفل لو شاتو Neauphle-le-Château» (ديسمبر ١٩٧٨)..

«أرضيت بذلك المذهبين (السنة والشيعة)، وكذلك فرعي الإمام عليّ من زوجته السيدة فاطمة، فمن ينتهي نسبه للإمام الحسن بن عليّ هو من الأشراف، ومن ينتهي نسبه للإمام الحسين بن عليّ هو من السادة»! - كذلك عقب الأستاذ ضاحكا.

● في شهر مارس ١٩٦٧ وجه الأستاذ هيكل دعوة للفيلسوف الوجودي والكاتب والناقد الفرنسي جان بول سارتر، والأديبة الفرنسية سيمون دي بوفوار تلميذة سارتر ورفيقته.

وقد ذكرت سيمون دي بوفوار في مذكراتها الصادرة عام ١٩٧٢ عن زيارتها للقاهرة: «هيكل وجه لنا الدعوة للذهاب إلى مصر، الصديق والمتحدث باسم الرئيس جمال عبد الناصر ورئيس تحرير جريدة الأهرام ... مع تلاشي النهار كانت طائرتنا تهبط في مطار القاهرة. استقبلنا هيكل، قصير، عريض المنكبين، رجل ظريف، بشرته بنية داكنة ومفعم بالحيوية»!

● السيد مهدي بازركان أول رئيس وزراء إيراني بعد الثورة الإسلامية (فبراير - نوفمبر ١٩٧٩)، والذي رحب بالأستاذ هيكل في مكتبه بالعاصمة طهران، وكان سخيا معه لدرجة أنه أحضر دفتر مذكراته اليومية الخاصة والتي كان يسجل فيها أحوال وأحداث الأيام الأخيرة لنظام الشاه، وقرأ عليه منها مقتطفات طويلة!

● شاه إيران «الأخير» محمد رضا بهلوي، الذي قابله الأستاذ هيكل للمرة «الأخيرة» في قصر نيافاران (مايو ١٩٧٥).

كانت أسئلته «الأخيرة» للشاه ضمن حوار امتد قرابة السبع ساعات، هي:

- كيف تفكر الطبقة العاملة الجديدة في إيران؟

- ماذا في الريف الإيراني، وما هي الأحوال هناك؟

- ما هو السر وراء حركات التمرد الظاهرة في شباب إيران الذي يدرس في الخارج؟

- ما هو الدور الذي تقوم به منظمة سافاك - المخابرات الإيرانية - وما يقال عنها كثير خصوصا في أوروبا؟

- ما هي الدوافع وراء عمليات العنف التي تتفجر من تحت الأرض أحيانا في إيران؟

كان الأستاذ هيكل قد قابل الشاه لأول مرة في مارس ١٩٥١، وبعدها بشهرين كتب أول أعماله «إيران فوق بركان»، وعاد بعد ربع قرن لإيران لمقابلة نفس الرجل، وخرج بنفس اليقين الأول بأن «إيران فوق بركان»!

ولم تمضي غير ثلاث سنوات على اللقاء بين الرجلين، حتى كان بركان الثورة الإيرانية يلفظ الشاه خارج إيران!

● هيرمان ايلتس Hermann Eilts السفير الأمريكي في القاهرة (١٩٧٤ - ١٩٧٩)، يكتب تعليقا طويلا في أعقاب صدور كتاب الأستاذ هيكل «خريف الغضب»، وينشره في صحيفة واشنطن بوست يوم الأحد ٣١ يوليو ١٩٨٣ تحت عنوان: «Anwar Sadat Parade's End أنور السادات، نهاية الاستعراض». وقد أسرد في الفقرة السادسة من مقاله الممتد على ثلاث صفحات:

«السادات قد يكون حساسا من لون بشرته الداكن. كمعظم العرب، على الرغم من أنهم ينكرون ذلك. ولكن أيا كان هذا يقلقه فقد أعطته، خطوة لتحقيق مصالحه في السنوات الأخيرة من حياته. أنا أتذكر، في حفل غداء خاص ومتواضع عام ١٩٧٥، السيدة السادات (جيهان) سخرت منه بسبب لونه عندما سيُستقبل في الجنوب الأمريكي. هو وبكل بساطة ضحك وقال إنه يجب أن يأخذ هذه المجازفة».

● الأستاذ هيكل يقصد العاصمة البريطانية في رحلة عمل سريعة بدايات العام ١٩٨٥، وقد التقى بعدد من الأصدقاء في مجالات النشر والصحافة، وبينهم دنيس هاملتون Denis Hamilton رئيس مجلس إدارة رويتر Reuters، وأندور نايت Andrew Knight رئيس تحرير مجلة الإيكونوميست The Economist، وهارولد ايفانز Harold Evans الذي كان رئيسا لتحرير صنداي تايمز ثم التايمز. وقد استطلع الأستاذ رأيهم في موضوع كتابه القادم وإذا هم وبدون استثناء يحبذون موضوع «معركة السويس ١٩٥٦» ويتحمسون له، كون الكتاب سيظهر في العام القادم متصادفا مع ذكرى مرور ثلاثين عاما على المعركة،

وهو أحد شهودها من الناحية العربية، ودور النشر في لندن ونيويورك وباريس تستعد على ما لا يقل عن ٢٠ كتابا في هذا الموضوع!

• اليكسي أدجوبي Alexei Adzhubei رئيس تحرير جريدة ازفستيا Izvestia السوفيتية (وزوج أبنة الزعيم السوفيتي رادا خروشوف)، يتصل بالأستاذ هيكل فور عودته من اليمن في نهاية شهر أبريل ١٩٦٤ (كان الأستاذ هيكل في صنعاء متابعا آخر مستجدات الثورة اليمنية)، مقترحا عليه أن يطير إلى موسكو، ليحضر احتفالات أول مايو (عيد العمال)، والعودة بعد موسكو إلى القاهرة على الباخرة مع نيكيتا خروشوف.

وصل الأستاذ هيكل إلى موسكو في مساء يوم الجمعة الأول من مايو، تاركا نفسه وسط زحام الجماهير المحتفلة بأول مايو في ميدان مكسيم غوركي المطل على نهر موسكوفا الذي كان يسبح في أمواج حمراء تصنعها الأعلام والألوان.

وصباح يوم السبت وجد نفسه بغير تدبير أو ترتيب مع نيكيتا خروشوف!

وصل الأستاذ هيكل إلى الكرملين بدعوة من الرئيس الجزائري أحمد بن بيلا لتناول طعام الإفطار معه، حيث فاجئهم خروشوف بالقدوم مبكرا ليصطحب معه بن بيلا في جولة إلى شبه جزيرة القرم.

وقد قضى الأستاذ هيكل أربعة أيام مع خروشوف بدعوة منه.

أولها في بيته على شاطئ البحر الأسود عند يالطا Yalta، والثلاثة الباقية، على باخرته أرمينيا التي استقلها من يالطا وعبر بها الدردنيل التركي، ما بين البحر الأسود، والبحر الأبيض، إلى الإسكندرية.

• الأستاذ هيكل يسافر إلى لندن سنة ١٩٦٧ ويقابل هارولد ويلسون رئيس الوزراء البريطاني، وجورج براون وزير الخارجية البريطاني للبحث في إمكانية عودة العلاقات بين البلدين (قطعت بعد حرب ١٩٦٧)، ويقول له جورج براون: «إذا خبطتم على الباب فسوف نفتحه»، ويرد عليه الأستاذ هيكل: «لماذا نخبط؟ دعوا الباب مفتوحا».

وبعدها كتب الأستاذ هيكل مقالا في صنداي تايمز متناولا حديثه مع رئيس الوزراء البريطاني وعنوانه «حان الوقت لنتحدث كمتساويين Time to talk as equals»، وردت صنداي تايمز بافتتاحيتها في اليوم التالي «رسالة من ناصر a Message from Nasser»..

وبعدها بأيام اجتمع جورج براون بأعضاء مجلس الوزراء، الذين وافقوا على استئناف عودة العلاقات بين البلدين ..

لكن الظريف في القصة، أنه فور وصول الأستاذ هيكل للقاهرة، طلب من صديقه الأستاذ كمال الملاخ (خبير بالآثار المصرية الفرعونية) شراء هدية لوزير الخارجية البريطانية جورج براون، وبالفعل تم شراء تمثال جعران فرعوني (خنفساء) بسعر ١٢ جنيه وتم إرساله كهدية لوزير خارجية ببلاط سان جيمس!

• وزير الخارجية الروسي الأسبق يفغيني بريماكوف Yevgeny Primakov، ومنذ أن كان مراسلا صحفيا (١٩٥٦ - ١٩٧٠) في الشرق الأوسط لصحيفة برافد (السوفيتية)، وحتى وفاته في سنة ٢٠١٥. كان يضع دائما على رأس قائمة من يقابلهم في مصر حين يزورها اسما لم يتغير ولم يتزحزح من مكانه هو: محمد حسنين هيكل.

• عالم الرياضيات والفيلسوف الإنجليزي وأحد بناة المنطق الحديث برتراند راسل Bertrand Russell، كان بينه وبين الأستاذ هيكل مراسلات وصل حجمها لمئة رسالة تقريبا. تناولت شتى قضايا العصر: الليبرالية، الاشتراكية، السلام، الفلسفة، الحرب، معادة الإمبريالية، حكومة العالم، ستالين، وغيرها من القضايا!

• الأستاذ هيكل يقابل يوم الجمعة ١٢ ديسمبر ١٩٥٢ العالم الفيزيائي الأمريكي (ألماني الأصل) ألبرت اينشتاينAlbert Einstein، في منزله الكائن في ١١٢ شارع ميرسر Mercer بمدينة برينستون في ولاية نيو جيرسي.

• الرئيس الهندي سارافيالي راداكريشنان Sarvepalli Radhakrishnan وأحكم الحكماء فيها يستقبل في أوائل عام ١٩٦٦، الأستاذ هيكل في قصر راشتراباتي بهافان The Rashtrapati Bhavan مقر رئاسة الجمهورية، وكان مقررا للقاء مجرد عشرة دقائق للسلام والتعارف، فإذا به يتحول لساعتين، وكان الأستاذ هيكل يتصور بأن الحديث سيكون تقليديا محددا فإذا بالحديث ينطلق ليطوف بالآفاق جميعا من الفلسفة إلى التاريخ إلى القضايا المعاصرة وأبطالها الأحياء!

• جمع الحوار والسجال البديع بين رئيس وزراء الهند المثقف جواهر لال نهرو وبين الأستاذ هيكل، منذ أن التقيا لأول مرة في العاصمة الهندية نيودلهي سنة ١٩٥٣، وفي أماكن

عديدة كالقاهرة وبلغراد وجزيرة بريوني (يوغسلافيا سابقا) وباندونغ بإندونيسيا، وكان تقريبا الأستاذ هيكل آخر زائر أجنبي يقابل نهرو قبل وفاته بثلاث أشهر في فبراير ١٩٦٤ (توفي يوم الأربعاء ٢٧ مايو ١٩٦٤).

• كتب رئيس تحرير جريدة نيو ستيتسمان New Statesman ريتشارد كروسمان Richard Crossman في جريدة التايمز (نوفمبر ١٩٧٢): «ما لم يغير العرب تفكيرهم فإن الإمبراطورية الإسرائيلية سوف تقوم خلال خمس سنوات ... وخلال خمس سنوات سوف يكون العلم الإسرائيلي فوق بيروت وفوق دمشق».

وأرسل له الأستاذ هيكل ردا - عبر صديق مشترك - «إن التغيير الذي تطالب به في تفكير العرب، هو تغيير نحو قبول الاستسلام، وليس تغييرا نحو قبول التحدي».

• في أوائل ستينات القرن العشرين، وفي كلية سانت أنتوني St Antony›s College في جامعة أكسفورد، كان الأستاذ هيكل يلتقي لأول مرة بجون باجوت غلوب John Bagot Glubb (التقاه قبل ذلك بالعاصمة الأردنية ولكن بشكل عابر). كان سفير مصر يومها في لندن محمد عوض القوني (كان قبلها سفيرا في موسكو وهناك نسج علاقته بسفير المملكة المتحدة في موسكو السير وليام هايتر William Hayter، والذي أنهى عمله كسفير سنة ١٩٥٧، وأختار أن يكون رئيسا لكلية سانت أنتوني).

وفي أحد الأيام وجه السير هايتر دعوة على الغداء للسفير القوني والسيدة قرينته عطية الله صبحي، وعلم بوجود الأستاذ هيكل فوجه له دعوة كذلك، وكان ضيف الشرف الجنرال غلوب (باشا).

ولأن جامعة أكسفورد عريقة فهي تخصص ما يشبه القصر ليقضي بها الدونز Dons - عمداء الكليات - حياتهم إثناء فترة الخدمة.

كان يومها الجنرال غلوب يكتب رباعيته (قصة الفيلق العربي، جندي مع العرب، الحرب في الصحراء، الفتوحات العربية الكبرى)، وغيرها من المؤلفات وكلها تبحث في التاريخ العسكري العربي، كونه مستشرق مهتم بالتاريخ العسكري للعالم العربي، مستعينا بالوثائق والدراسات والأوراق المتواجدة في كلية سانت أنتوني.

وفي تلك الجلسة أفضى غلوب باشا للجالسين معه بحقيقة مشاعره تجاه الملك حسين،

فهو يعتبره كحفيد له، وصديق لجده، وأنه يقدر بأن الملك أراد أن يؤكد Asserts نفسه، ويستطيع أن يتفهم ما قام به الملك ضده يوم الخميس ١ مارس ١٩٥٦ من إنهاء خدماته في الأردن، لأن من حق الملك أن يشعر بأنه القائد الحقيقي لجيشه، وليس لجنرال يمثل سلطة إمبراطورية، وأن من حقه أن يملي أوامره على مملكته وجيشه، وعليه فهو يتفهم خطوة الملك.

• الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران Francois Mitterrand، يدعو الأستاذ هيكل إلى غداء على مائدته في مطعم براسيري ليب Brasserie Lipp، وهو يقع في بوليفارد سان جيرمان (الدائرة السادسة)، وهو من أقدم مطاعم باريس (أسس سنة ١٨٨٠). وقد ناوله نسخة من كتابه «السنبلة والقش The Wheat And the Chaff» وهو يحوي طرفا من مذكرات وخواطر ميتران - وقد كتب عليها إهداء رقيقا، ثم قال للأستاذ هيكل: سوف تجد اسمك مرات في هذا الكتاب، فقد تعرضت فيه لأيام كنت فيها ضيفا عليك في القاهرة (يناير ١٩٧٤). سوف تجد أيضا اسم السادات. وسوف تجدني أتحدث عن الخلاف بينكما دون انحياز لأحدكما فيه. تذكر أنك أنت الذي قمت بتقديم كلانا إلى الآخر أول مرة، ولا أخفي عليك أن الخلاف بينكما ما زال حتى بعد كل هذه السنين الطويلة يحيرني».

• ماك جورج بوندي McGeorge Bundy مستشار الرئيس جون كينيدي لشئون الأمن القومي يقابل الأستاذ هيكل في فندق سميراميس بالقاهرة مساء يوم السبت ١ يونيو ١٩٦٨، ليحدثه عن أبرز ما جاء في اجتماع مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ألين دالاس Allen Dulles مع الرئيس جون كينيدي في هيانيس بورت Hyannis Port (بيت والد الرئيس كينيدي على شاطئ ولاية ماساتشوستس) في شرحه لمجمل الأوضاع في مصر، وملخصا لأحوال العلاقات معها.

• وزير الدفاع الأمريكي روبرت ماكنمارا Robert McNamara يسرد في كتابه «بريطانيا وناصر: توازن القوى في الشرق الأوسط، ١٩٥٢ - ١٩٧٧»، بأن القائم بأعمال السفارة البريطانية في القاهرة (١٩٥٩ - ١٩٦١) السير كولين كرو Colin Crowe أبلغه (أي ماكنمارا) بأن الأستاذ هيكل هو أفضل شخص في العالم العربي بعلاقاته!

• في شهر يوليو ١٩٦٥ كان الأستاذ هيكل في زيارة شخصية للعاصمة البريطانية (لإجراء عملية جراحية لأبنه أحمد، كان في الرابعة من عمره).

واستمرت الزيارة لثلاثة أسابيع، وقد وجه له النائب العمالي وودرو وايت Woodrow Wyatt دعوة إلى الغداء في بيته رقم ١٩ شارع كافنديش Cavendish Avenue، مع وزير المستعمرات السابق وأحد أقطاب جماعة السويس المشهورة بعدائها لمصر جوليان إيمري Julian Amery.

وقال لهما وودرو وايت وهما يجلسان على المائدة: «إذا لم تكن المناقشة بينكما صراع ديوك فلسوف أعتبر أنني ضيعت غذائي بدون فائدة»!

ولم يكن أي منهما: جوليان والأستاذ، ينتظران تحريضه، فلقد تحولت المناقشة في دقائق بالفعل إلى صراع ديوك !!

● في شهر يناير ١٩٧٣ كان الأستاذ هيكل في زيارة للصين، وقد عرف أن الصحفي الأمريكي الشهير جوزيف ألسوب Joseph Alsop قد زار الصين قبله، وسأل الأستاذ هيكل رئيس وزراء الصين تشو ان لاي:

«كيف سمحتم له أن يجيء وقد بنى تاريخه الصحفي كله على العداء للثورة الصينية، وكان من أعنف الصقور في الولايات المتحدة الأمريكية تحريضاً على غزو الصين؟ وأضاف: «أن ألسوب» صديقي، وأنا بالطبع لا أحرض عليه، كما أنني لا أحرض على أي رفيق في مهنة القلم ... ولكنى فقط أريد أن أفهم»!

وكان رد تشو ان لاي: «أن الخط الجديد للرئيس ماو يقول «افتحوا كل الأبواب. إن الذين كانوا أعداءنا قد يتخذون موقفاً أكثر اعتدالا. والذين كانوا معتدلين قد يصبحون أصدقاء. والذين كانوا أصدقاء سوف يتأكد ويتقرر موقفهم معنا وتثبت رجاحة رأيهم».

● وجه اللورد كريس باتن Chris Patten رئيس جامعة أوكسفورد دعوة للأستاذ هيكل، ليلقي محاضرة بمعهد رويتر للدراسات الصحفية يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٧ في تمام الساعة السادسة مساء، بعنوان «جسور وعوائق Bridges and barriers».

وكان من بين الحاضرين المؤرخ البريطاني أليستر هورن Alistair Horne، والمؤرخ البريطاني (الإسرائيلي - هو في الأصل عراقي المولد) آفي شلايم Avi Shlaim، الذي حرص بعد انتهاء المحاضرة، أن يقترب من الأستاذ هيكل، ليستطلع رأيه في كتابه الأخير «Lion of Jordan أسد الأردن - حياة الملك حسين في الحرب والسلام»!

(لابد من التوضيح هنا بأن آفي شلايم يعتبر قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ أكبر أخطأ القرن العشرين).

● في قاعة كاترين العظيمة في قصر الكرملين بروسيا ... ليلة الاحتفال بعيد الثورة يوم السبت ٢ نوفمبر ١٩٥٧. وهي أفخم قاعات الكرملين بمراياها المذهبة، وثرياتها التي تضوي كالماس تشع الأضواء الباهرة والتي لم يبدع أساطين الفن في أوروبا أجمل منها ولا أروع، واللوحات الملونة الرائعة، وأعمدتها الرخامية البيضاء الشاهقة، وجدرانها وسقوفها المغطاة بالذهب تبدو كأنها مشهد في أسطورة!

كان هناك في القاعة الهائلة التي تحمل آثار غنى القيصرية وبذخها وعزها، إحساس عميق بوجود التاريخ، حيا ماثلا، يرى ويسمع ويحس.

كان نصف العالم على الأقل ممثلا في هذه القاعة الكبرى بزعمائه، وكان النصف الآخر على أي حال، ممثلا فيها، على الأقل بسفرائه.

وفى صدر القاعة، في المكان الذي خصص لكبار الزوار كان الأستاذ هيكل واقفا يتحدث مع ماو تسي تونغ Mao Zedong زعيم الصين الأشهر قائد ستمائة مليون، ووراءهما كان هوشي منه Ho Chi Minh زعيم الهند الصينية الذي أصبحت حياته وقصة كفاحه كأنها الخرافات، يتحدث إلى رئيس أساقفة كانتربري Canterbury، أسقف بريطانيا الشهير ذي الأفكار الثائرة المتحررة هيوليت جونسون Hewlett Johnson الذي أطلق عليه وصف عميد كانتربري الأحمر.

● الكاتب الصحفي الأمريكي ستيفن جرين Stephen Green يتصل بالأستاذ هيكل أواخر العام ١٩٨٧ تليفونيا، ليسأله إذا كان مستعدا لتقديم كتابه الجديد عن العلاقات بين أمريكا وإسرائيل. ووعده الأستاذ دون تردد. وبغير أن تكون لديه فكرة محددة عن محتويات الكتاب.

كان ستيفن جرين قد أصدر كتابه الأول عام ١٩٨٤ «الانحياز: علاقات أميركا السرية بإسرائيل ١٩٤٨ - ١٩٦٧»، الذي أثار ضجة وواجه مصاعب في نشره.

وقرر ستيفن جرين مواصلة ما بدأه في كتابه الأول، وقد ظهر كتابه الثاني الذي قدم له الأستاذ هيكل عام ١٩٨٨ تحت عنوان «بالسيف: امريكا وإسرائيل في الشرق الأوسط ١٩٦٨ - ١٩٨٦».

● يوم الخميس ٧ ديسمبر ١٩٩٥، ألقى الأستاذ هيكل محاضرة في متحف غيميه بالعاصمة الفرنسية بعنوان «أزمة العرب ومستقبلهم».

وكان على رأس الحاضرين خافيير بيريز دي كويلار Javier Perez de Cuellar الأمين العام الخامس للأمم المتحدة، ومرشح الرئاسة في البيرو، لكنه آثر قطع كل برامجه، والحضور من ليما (العاصمة البيروفية) إلى باريس. وقد أقام المصرفي اللبناني عامر الداعوق وزوجته السيدة ديمة مأدبة على شرف الأستاذ هيكل في منزلهما، وقد حرص دي كويلار على الجلوس بجانب الأستاذ هيكل طيلة الوقت!

● رغم أن الأستاذ هيكل لم يقابل في حياته رئيس تحرير جريدة التايمز العتيد ويكهام ستيد Wickham Steed (توفي يوم الجمعة ١٣ يناير ١٩٥٦)، إلا إنه كان يردد دائما آرائه بضرورة التشديد على تحديد خط فاصل بين الرأي والخبر واعتبار هذا الخط الفاصل ضمانة من أهم ضمانات الصحافة الحرة كأداة من أدوات تحقيق الديمقراطية، وأن هذا الخط الفاصل لا يجب أن يلتزم به الصحفي وحده وإنما يجب أن تلتزم الصحيفة به أيضا؛ بمعنى أن يكون للخبر مكانة فيها، وللرأي مكان غيره حتى لا يختلط الأمر على القارئ، وتضيع منه فرصة إصدار حكم صحيح على مجرى الحوادث بما يسمح له بأن يقرر موقفه منها.

● في أحد أيام فبراير ٢٠٠٧ كان الأستاذ هيكل يستقبل في منزله الريفي ببرقاش وليام كوانت William Quandt عضو مجلس الأمن القومي في إدارتي ريتشارد نيكسون وجيمي كارتر، وبرفقته زوجته الصحفية البريطانية العملاقة هيلينا كوبان Helena Cobban وبعد الغداء، تم تخصيص الجلسة للمقارنة بين كتاب الأستاذ هيكل الذي صدر سنة ١٩٩٠ بعنوان: «١٩٦٧: الانفجار»، وكتاب كوانت الذي صدر عام ١٩٩٣ «عملية السلام: الدبلوماسية الأميركية والصراع العربي الإسرائيلي منذ عام ١٩٦٧ Peace Process».

● الأستاذ هيكل يستقبل في مكتبه في أواسط شهر أكتوبر ١٩٩٣ عالم اللغويات والفيلسوف والناشط السياسي الأمريكي نعوم تشومسكي Noam Chomsky في مكتبه، في حوار امتد لثلاث ساعات.

وكان تشومسكي قد استضافته الجامعة الأمريكية في القاهرة في موسمها الثقافي ليلقي

محاضرة عن: «النظام العالمي القديم والجديد»، كما استضافت الأستاذ هيكل ليلقي محاضرة عن «اتفاق غزة – أريحا أولا».

● رئيس المؤتمر اليهودي ناحوم جولدمان Nahum Goldmann توجه في مستهل العام ١٩٦٨ إلى بلجراد طالبا إلى الرئيس اليوغسلافي جوزيب بروز تيتو أن يتوسط لدى الرئيس جمال عبد الناصر في محاولة للوصول إلى حل لأزمة الشرق الأوسط.

وقال جولدمان لتيتو: «إنه من الجوهري حل المشكلة بالاعتماد على جدول زمني وإذا فإنه من الضروري معرفة ما من شأن الجانب العربي أن يقبل أو لا يقبل به. وبات من الممكن ترتيب اجتماع سري في نيويورك أو جزيرة بريوني يمكن أن يمثل الرئيس ناصر فيه محمد حسنين هيكل بصورة غير رسمية».

ورد الرئيس ناصر على الرئيس تيتو: «أن اشتراك هيكل، بما يعرفه كل الناس عن صلته بي، يعني أنني شخصيا شاركت في الاجتماع».

● الصحفي الإنجليزي توم ليتل Tom Little مدير وكالة الأنباء العربية ANA في القاهرة، يتصل مبكرا بالأستاذ هيكل صباح يوم الجمعة ٢ مارس ١٩٥٦، مستفسرا إذا كان لديه تعلق على طرد جون باجوت غلوب، ولم تكن وكالات الأنباء قد حملت بعد أية أخبار عن هذا الموضوع من عمان. فلقد تقرر هناك إيقاف حركة البرقيات حتى تخرج طائرة غلوب من الأجواء الأردنية. واستوضح الأستاذ هيكل من توم ليتل فيما سأله فيه، وسمع بعض التفاصيل التي عرفها ليتل من السفارة البريطانية في القاهرة، ومن اتصال تليفوني أجراه ليتل مع لندن.

وهرع الأستاذ هيكل ليتصل بالرئيس ناصر ليبلغه بآخر تطورات ما يجري في عمان، خاصة وأن الرئيس ناصر كان على موعد مع وزير الخارجية البريطانية سلوين لويد Selwyn Lloyd.

ومن المفارقات أن الرئيس ناصر تصور (خاطئا) أن قرار الاستغناء عن خدمات جلوب جرى بموافقة الحكومة البريطانية، بينما تصور سلوين لويد (خاطئا أيضا) بأن ما جرى في عمان هو من ترتيب الرئيس ناصر ليتوافق مع وجود وزير خارجية بريطانيا في القاهرة إمعانا في إهانته وإهانة الحكومة البريطانية!

● الدبلوماسي والمؤرخ الكندي هربرت نورمان Herbert Norman يزور الأستاذ هيكل في مكتبه بدار أخبار اليوم ليقدم رسالته التي كتبها خلال إقامته الطويلة في بلاد الشمس المشرقة: اليابان (هو من مواليد طوكيو - الأربعاء ١ سبتمبر ١٩٠٩) عن «ظهور اليابان كدولة حديثة Japan's Emergence as a Modern State»، لكي يقرأها حين علم أن اليابان تثير اهتمام الأستاذ هيكل منذ قضى فيها فترة من الوقت.

ثم تحدث مع الأستاذ هيكل عن دراسات بدأ يقوم بها في مصر.

كان العصر الفاطمي في مصر يلهب خياله ... وقال له أنه يعد رسالة عن أيام الفاطميين.

ثم كانت آخر عبارة سمعها الأستاذ هيكل من هربرت نورمان: «اسمع ... أنا أرى أنكم هنا في مصر تلقون بالا إلى ما يكتب عنكم في صحف الغرب ... يجب أن تدركوا أن أعداءكم يزرعون هذا الكلام وبالتالي لا ينبغي أن تتركوه يؤثر فيكم ... لو أنكم ألقيتم بالا إلى كل ما يكتب عنكم وأصدرتم على أساسه أحكامكم ... لوجدتم أنفسكم في بحر ليس له قرار!»

وبصعوبة حبس الأستاذ هيكل دموعه!

فقد كتب الأستاذ هيكل يوم الخميس ٤ أبريل ١٩٥٧ في يومياته:

«أكان يتحدث عنا .. أم كان يتحدث عن نفسه!

لقد راح ضحية للخطر الذي كان يحذرنا منه.

لقد غرق في البحر الذي ليس له قرار.

ولكنه لم ينتحر ... وإنما قتلوه!»

كان هربرت نورمان قد صعد صباح يوم الخميس ٤ أبريل ١٩٥٧ إلى مبنى السفارة السويدية في القاهرة قافزا من الطابق الثامن منتحرا، تاركا رسالة قصيرة مؤكدا براءته، فقد اتهم من قبل الصحافة الغربية بأنه شيوعي وجاسوس (دون سند).

وتم نقل جثمانه إلى المقبرة البروتستانتية في روما. وقد صدر عام ١٩٩٠ تقرير من بيتن ليون Peyton Lyon مقدم لوزير الدولة للشؤون الخارجية الكندي جو كلارك «Joe Clark» يثبت براءة نورمان!

● المعلق السياسي السوفيتي القدير فيكتور مايفسكي Victor Maevsky رئيس تحرير جريدة البرافدا Pravda (الحقيقة)، يجري حوارا مع الأستاذ هيكل في أواخر مارس ١٩٦٣، عن آخر المستجدات على الساحة العربية عموما والعراق خصوصا (الحوار جاء عشية إعدام زعماء الحزب الشيوعي بالجملة في العراق)، خاصة وأن الأستاذ هيكل يرى بأن ما جرى في العراق (فبراير ١٩٦٣) كان تدبيرا من المخابرات الأمريكية. وإن ثوار العراق ليسوا قوميين عربا وإنما هم جلادون وفاشيست!

● الكاتب والصحفي والدبلوماسي الفرنسي إريك رولو Eric Rouleau (مواليد القاهرة الخميس ١ يوليو ١٩٢٦، وقد زامل الأستاذ هيكل في عام ١٩٤٣ عندما انضم لصحيفة الإجيبشيان جازيت). وقد قامت السلطات الأمنية بترحيله في ديسمبر ١٩٥١ (زمن الملك فاروق - حكومة مصطفى النحاس) بعد أن منحته تأشيرة «خروج بلا عودة» بتهمة مزدوجة دمغته بالصهيونية والشيوعية في آن واحد!

وفي يونيو ١٩٦٣ استقبله الأستاذ هيكل في اليوم التالي لعودته من باريس مع زوجته روزي (بعد ١٢ سنة من نفيه)، وأقام له عشاء على شرفه بفندق سميراميس المطل على ضفاف النيل، وأبلغه بموافقة الرئيس الناصر على إجراء حوار معه، لينشر في صحيفة لوموند الفرنسية.

● الثائر الأثيوبي راس إيمرو Ras Imru لم يلتقي بالأستاذ هيكل حين زار أثيوبيا عام ١٩٤٧، ورغم أنه من العائلة الحاكمة (هيلا سلاسي) إلا أنه كان في تصور الشباب الأثيوبي كان يمثل نبضا حيا يتردد خافتا مع إيقاع تصوراتهم وأحلامهم البعيدة. وفي ذلك الوقت ناقش الأستاذ هيكل مع كثيرين من شباب أديس أبابا بعض قصص الراس أيمرو وحفظ بالتكرار بعض المقاطع من قصائده، وخاصة قصيدة «روح البحيرة».

ولكن الأستاذ هيكل التقاه في أكرا العاصمة الغانية خلال انعقاد المؤتمر الأفريقي الثالث في نهاية أكتوبر ١٩٦٥، على العشاء في قصر الاحتفالات، ودار نقاش بينهما عن الثورة المندلعة في كل القارة الأفريقية، ومعاناتها من تقلصات التمرد واندفاعها نحو التغيير.

كان الأستاذ هيكل يومها في الثانية والأربعين من عمره مفعما بالثورة والحلم بالتغيير، بينما الراس إيمرو في الثالثة والسبعين من عمره (ولد يوم الأربعاء ٢٣ نوفمبر ١٨٩٢) فاقد لحيويته والحزن يعتصره على ما آلت إليه الأمور في القارة السمراء.

وقد أطرق الراس إيمرو برأسه صامتا، ثم بدرت حركة بين أصابعه، ثم مد للأستاذ

هيكل يده وفيها خاتم ذهبي عليه نقش باسمه ورسم لمفتاح، ونقض الخاتم فإذا هو أربعة خواتم متشابكة وقال بنصف ابتسامة على شفتيه تنعكس في عيونه العسلية الرائقة والمتعبة: «إذا أعدت ترتيب الخواتم الأربعة المتشابكة واستطعت أن تجعل منها خاتما واحدا تضعه في إصبعك فهو لك»!

وأمسك الأستاذ هيكل بالخواتم الأربعة المتشابكة وقال له ضاحكا: «هذه معضلة لا أفرغ منها قبل الفجر»!

ثم استطرد: «قل لي بصراحة – هل تريد أن تلهيني عن الحديث بترتيب الخواتم .. تريد أن تكافئني على الصمت في النهاية بخاتم ذهبي؟»

وليلة انتهاء المؤتمر الأفريقي في أكرا جاء رسول من الرأس إيمرو يبحث عن الأستاذ هيكل ليقول له: «يسألك سمو الأمير الرأس إيمرو ... ماذا فعلت بالمعضلة التي تركها في يدك؟»

قال له الأستاذ هيكل: «ما زالت في يدي ... متشابكة ... لم أفرغ من ترتيبها ولم تتحول بعد إلى خاتم ذهبي في إصبعي».

قال: «يهديك الخاتم ويطلب إليك الاحتفاظ به حتى وإن كنت عجزت عن الحل»!

قال له الأستاذ هيكل: «شكرا ... معضلة تضاف إلى مشكلة، معضلة الخواتم الذهبية الأربعة... ومشكلة التمرد والثورة في أفريقيا !!»

● في أكتوبر ١٩٦٥ يزور الأستاذ هيكل قلعة فورت كريستيانسبورج Fort Christiansborg في العاصمة الغانية أكرا، وهي واحدة من مراكز تجارة العبيد، التي بناها الهولنديون على شاطئ ساحل الذهب.

ولقد أصبحت كريستانسبورج – التي كانت مقرا للحاكم البريطاني العام في ساحل الذهب، قبل الاستقلال مباشرة – بيتا رسميا لرئيس جمهورية غانا المستقلة، لكن كوامي نكروما أول رئيس لجمهورية غانا المستقلة كره الحياة فيها.

ولا يذهب نكروما إلى المقر الرسمي في كريستانسبورج إلا عندما تفرض عليه الظروف ذلك – والسبب أن كل لحظة في القلعة تذكره بالمأساة المروعة التي تعرض لها قومه: مأساة العبودية.

وخلال حديث الأستاذ هيكل مع نكروما. قال له وملامحه تقطب وعيناه تغمضان: «إذن فلقد شاهدت القلعة، إنني لم أعد أطيق الذهاب إلى هناك ... لا أذهب إلا مضطرا. وبعد الاستقلال قضيت هناك فترة من الوقت، لكن لياليّ كلها فيها كانت ليالي بيضاء بغير نوم ..... كان يخيل إلى أنني أسمع طول الوقت فرقعه السياط، تمتزج بالصياح والعويل، وأنات أكداس العبيد الذين عصرهم القهر. قلائل يتصورون – في هذه الأيام التي نعيش فيها – حجم تجارة العبيد. لا أقل من ستين مليون إنسان اختطفوا من أفريقيا. إن بعض الذين أرخوا لقصة الاستيطان في العالم الجديد قدروا من وصلوا إلى هناك من العبيد بعشرين مليوناً فقط، وأنا لا أرى تناقضا بين التقديرين. ستون مليونا ذهبوا من أفريقيا، وعشرون مليونا وصلوا إلى الشاطئ الآخر عبر المحيط. وإذن، فإن هناك أربعين مليونا ضاعوا في الطريق. كان هناك من يقفزون إلى البحر على أمل العودة، ولكن البحر كان يطويهم في أعماقه. وكان هناك السقوط، إرهاقا من حركة المجاديف تساعد الرياح، بينما السياط تهوى على الظهور العارية. وكان هناك العذاب والجوع والطاعون!»

● خلال حرب فلسطين ١٩٤٨، كان الأستاذ هيكل يتقاسم غرفة في فندق صغير (الفندق الهاشمي) بحي خان الزيت في القدس القديمة مع الصحفي البريطاني ريتشارد ويندهام Richard Windham. وكان ويندهام من تقليد عائلي يشعر بصداقة حقيقية تجاه العرب فلقد كان خاله هو ويلفريد بلانت Wilfrid Blunt محامي أحمد عرابي المشهور ومؤلف كتاب «التاريخ السري للاحتلال البريطاني لمصر».

● كان المستشرق الفرنسي الكبير جاك بيرك Jacques Berque، قد زار القاهرة في نهاية العام ١٩٦٧، وخلال حواره مع الأستاذ هيكل في مكتبه بالأهرام قال له: «إذا انتفعتم واستفدتم من التجربة فلسوف أسمح لنفسي بالتفاؤل كسياسي .. وإذا لم تنتفعوا وتستفيدوا فلسوف أظل متفائلا ولكن كمؤرخ. ذلك أن الحقيقة على المدى الطويل – وتلك صناعة المؤرخ – في صالح العرب، وأما الحقيقة في المدى السريع – وذلك اهتمام السياسي – فإنها في يد جيلكم ورهن بقدراته الممكنة!».

● في شهر مايو ١٩٧٠ يجري محرر مجلة فورتشن Fortune جون ماكلين حوار مع الأستاذ هيكل، وقد سأله عن النتائج الحقيقية التي أسفرت عنها معارك الأيام الستة من سنة ١٩٦٧، وقال له الأستاذ: «ألم تحصل إسرائيل على أكبر نصر حصلت عليه ... وعلى أكبر نصر يمكن أن تحصل عليه في ميدان القتال؟

ونتيجة هذا النصر ما يلي: في فلسطين – تحولت بقايا شعب من اللاجئين ... إلى طلائع شعب من الفدائيين.

في مصر – كان الهدف إخراج الشعب المصري من المعركة بسبب فلسطين ... فإذا الشعب المصري فيها بسبب مصر وفلسطين.

وهكذا بقية الدول العربية.

باختصار فإن نتيجة النصر الإسرائيلي هي المسافة الهائلة من اللاجئ إلى الفدائي .. من الخيمة إلى الخندق ... من بطاقة هيئة المعونة الدولية في اليد ... إلى مدفع الكلاشنكوف على الكتف، هذه محصلة ما جرى، والرمز الحي لحقيقته».

● يوم الأحد ٢٥ فبراير ٢٠٠٧، يفتتح الأستاذ هيكل، مؤسسة هيكل للصحافة العربية، بحضور صديقه أستاذ الصحافة الاستقصائية الأمريكي سيمور هيرش Seymour Hersh في الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

وكانت مكتبة القاهرة الكبرى قد رفضت عقد الدورة الأولى للمؤسسة بحجة: الأمن، وبأن سيمور هيرش يهودي!

وقد عقب الأستاذ هيكل يومها: «لا بد من التفريق بين الديانة اليهودية وبين العدوانية الإسرائيلية، خصوصا بالنسبة لرجل مثل سيمور هيرش، وهو الذي كشف أمام العالم كله خبايا وخفايا مشروع إسرائيل النووي، منبها إلى حجمه وخطره (كتاب: خيار شمشون – إسرائيل وأمريكا والقنبلة)، ولعلها من المفارقات أن تصدر مثل هذه الإشارة إلى ديانة سيمور هيرش هنا، في حين أنها نسيت مع أمثال مناحيم بيغن وشامير ورابين وديان وشارون وايهود اولمرت.

أعتذر لرجل وقف دائما بالحق في مواجهة القوة، ابتداء من مذبحة ماي لاي في فيتنام (كتاب: My lai 4) – إلى مأساة سجن أبو غريب في العراق (كتاب: سلسلة من الأوامر) – وغير ذلك من قضايا تعرض لها فيما نشرته الصحف، ابتداء من النيويورك تايمز إلى نيويوركر إلى ما نشرته له كبريات الدور في السوق العالمي للكتب.

لقد وقف سيمور هيرش كصحفي بالحق ضد القوة في بلاده، وكثير فيه داخل إلى الصميم من قضايا الشرق الأوسط ..».

● يوم الثلاثاء ٢٠ ديسمبر ١٩٧٧ تنشر صحيفة التايمز نص حوار أجراه إدوارد مورتيمر Edward Mortimer مراسل الصحيفة في الشرق الأوسط مع الأستاذ هيكل بشأن مبادرة الرئيس السادات.

وكان رئيس تحرير جريدة التايمز وليام ريس موج William Rees Mogg قد بعث إلى الأستاذ هيكل يقترح عليه أن يدلي بحديث بوجهة نظره إلى التايمز؛ لأن العالم كله لا يستطيع أن يسمع وجهة النظر الثانية من مصر. وإنه يقدر الظروف ولا يريد إحراجه. ولكنه يعتقد أن الوقت مناسب لسماع كل وجهات النظر خصوصاً من مصر.

واهتمت التايمز بما قال الأستاذ هيكل، فأبرزت حديثه في موضوعها الرئيسي في صدر صفحتها الأولى على ثلاثة أعمدة ثم استكملته في الصفحة الرابعة، وكان عنوان صفحتها الأولى:

- هيكل يحذر من مخاطر اتفاق بغير قبول عربي ...
- تحذير من سلام مصنوع من ورق الكرتون ...
- هيكل ليس ضد تسوية سلمية لأزمة الشرق الأوسط .. ولكن!

● في نهاية عام ١٩٧٠ كان الأستاذ هيكل في العاصمة لندن، في قلب بيكاديللي، وتحديدا في المجمع السكني ألباني Albany ضيف على العشاء في منزل صديقه دنيس هاملتون، وكان من بين المدعوين دينيس هيلي Denis Healey وزير الدولة السابق لشؤون الدفاع والبارون غرينهيل Greenhill الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية، وقد داعبه الأستاذ هيكل بقوله: «هل أعادت إليك غولدا مائير قبعتك؟».

ونظر إليه الرجل ثم قال: «ماذا تقصد؟»

قال له الأستاذ هيكل: «سمعت – وأنا بعد في القاهرة – أنك كنت تحضر اجتماع غولدا مائير مع رئيس الوزراء هيث في مقره رقم ١٠ داوننغ ستريت وأنها بعد الاجتماع أخطأت فأخذت قبعتك بدلا من قبعتها وسافرت بها إلى تل أبيب!».

ورفع الدبلوماسي البريطاني البارع يده وهو يقول: «لا تعليق ... لا أناقش خصوصيات علاقاتنا بطرف من أطراف النزاع في الشرق الأوسط مع الطرف الآخر!».

وضحكوا جميعا ..

كانت هذه أول مرة يزور بها الأستاذ هيكل مباني ألباني، وكانت المرة الثانية عندما زارها لزيارة الفيلسوف البريطاني (من أصل روسي) أشعيا برلين Isaiah Berlin، ولعدة مرات زار شقة صديقه رئيس الوزراء البريطاني إدوارد هيث Edward Heath، الذي أهداه يوما كتابه «الموسيقى: فرح من أجل الحياة Music: A Joy For Life» (بشاشته البادية تواري عقلا صارما).

● في عام ١٩٧٢ يجتمع الأستاذ هيكل برجل الأعمال الأمريكي أرماند هامر Armand Hammer. وكان الرئيس السادات قد طلب من الأستاذ هيكل أن يجتمع مع هامر لأنه يملك نفوذا واصلا إلى البيت الأبيض وأنه يستطيع أن ينقل رسائل إلى الرئيس الأمريكي وقتها ريتشارد نيكسون.

ولم يكن الأستاذ هيكل متحمسا كثيرا الدور رجال الأعمال كوسطاء في الصراعات الدولية.

وقد أهداه هامر كتالوجا لمجموعة مقتنياته الفنية، ونظر الأستاذ هيكل إلى غلاف الكتالوج ثم وضعه على مائدة أمامه حتى لا يضيع وقتا من المقابلة في تصفح الكتالوج، فإذا هامر يقول للأستاذ هيكل: «هذه أغلى مجموعة فنية يملكها فرد في العالم ... قيمتها ما بين ثمانمائة إلى ألف مليون دولار»!

والأستاذ هيكل يعتبر بأن استعمال السعر في وصف القيمة ترخص لا يجوز!

● في أوائل شهر نوفمبر ١٩٧٧ كان الأستاذ هيكل مدعو على حفل عشاء، وكان الجمع صفوة من المشتغلين بالسياسة والدبلوماسية والصحافة.

وسأله جوردون بروك شبرد Gordon Brook-Shepherd مدير تحرير صنداي تليجراف: «عما إذا كان مصمما على العودة غدا إلى القاهرة؟» وكان رد الأستاذ هيكل بالإيجاب: «فقد غبت عن وطني أكثر من شهرين وهذا أقصى ما أطيقه في فراقه!». وكان رأى جوردون بروك شبرد: «لا أجد ضرورة ملحة لذلك في الوقت الراهن على الأقل، لأن كل المعلومات من القاهرة فيما يخصك تبعث على القلق، فهناك ضيق بما تبديه من آراء، وهناك تحريض عليك وتربص بك».

ثم سأله جوردون بروك شبرد وقد رأى تمسك الأستاذ هيكل بما اعتزم: «هل تقبل الاحتكام إلى تصويت يقوم به هذا الجمع من الأصدقاء هنا، وكلهم يعرفك ويعرف الظروف» – وكان

رأي الأستاذ: «أنني مع كل العرفان لأصدقائي أمام قضية لا يمكن الاحتكام فيها إلى غير مشاعري وضميري».

الأستاذ هيكل سأل جوردن بروك شبرد: «ما الذي يتبقى من شجرة تخلع من تربتها؟ لوح خشب!».

ولم ييأس شبرد، وإنما وجدها فرصة للاقتراب من زاوية أخرى، فقال: «إذن لماذا لا تذهب إلى بلد عربي آخر .. ألست تعتبر نفسك قوميا عربيا؟ وأليس أرض الأمة العربية كلها وطنك كما تقول؟ – هناك أي بلد عربي تتفق أفكاره مع أفكارك سوف تظل جذور الشجرة في تربتها دون أن تتحول إلى لوح خشب!».

وكان رد الأستاذ هيكل: «إن مشكلة عالمنا العربي أنه ما زال تحت تأثير المنطق القبلي .. ما زال محكوما بالولاءات لأفراد، ربما كانت تلك ظاهرة موجودة في العالم كله، لكن هناك اختلافاً دقيقا وحاسما .. عندكم مثلا هنا في بريطانيا، وفى مواجهة قضية السلام والحرب التي كانت مطروحة سنة ١٩٣٩، كان هناك فريق منكم مع نيفيل تشامبرلين في منطقة – السلام بأي ثمن – وكان منكم فريق آخر مع ونستون تشرشل في منطقة – الحرب من أجل السلام.

في العوالم السابقة إلى التقدم فإن الأفراد رموز لمواقف أي أن العنصر الذاتي في صميمه تعبير عن حالة موضوعية، وذلك لم يرسخ بعد في عالمنا.

أنت مع هذا الفرد الحاكم أو أنت مع غيره.

وأنت مع هذا أو غيره في كل مواقفه حتى وإن اصطدم بعضها مع ما تحمله من قناعات.

أي أن الولاء ليس فرديا فحسب، ولكنه إلى جانب ذلك مطلق، وهذا أكثر مما أطيق. فأنا أريد أن أكون موضوعيا ضمن قناعاتي، وذلك صعب أو شبه مستحيل في العالم العربي. وإذا كان الأمر كذلك فإن وطني المحدود يبقى مهما كانت الظروف أولى بالبقاء فيه .. خصوصا إذا كان هذا الوطن هو مصر بكل دورها وتأثيرها في تاريخ ومصير الوطن العربي الأكبر.

ثم إنني لست متحمساً لدور اللاجئ السياسي. ولربما صلح هذا الدور لرجل يحترف السياسة، فاختار اللجوء لبعض الوقت خارج وطنه معتمدا على تنظيم يستند إليه داخل هذا الوطن، لكنني لست ذلك الرجل. ليس هذا الدور دوري، ولا هو دور أريده، وإنما دوري الذي أريده هو دور صحفي لديه رؤية وله رأى وهذا هو كل شيء».

ولم يقتنع شبرد ولم يسكت، بل سأله: «وهل تستطيع أن تكتب؟»

وكان رد الأستاذ هيكل: «هناك حدود، وفي هذه الحدود أحاول، وأعرف أن ما أكتبه يحجب عن القارئ في مصر، ومع ذلك يبقى الكلام في مصر ومنها ضروريا: لأنه تمسك عملي بحق التعبير عن الرأي. ولأنه إشارة أو رمز إلى أن أفكارا أؤمن بها ما زالت لها في مصر شعلة أو حتى شمعة!».

وسأله شبرد: «والمخاطر؟»

وكان رد الأستاذ هيكل: «قائمة في كل وقت .. وماثلة في كل مكان في العالم العربي، مع أن التقاليد الحضارية في مصر تستطيع في بعض الأحيان أن توفر قدرا من الأمان لرأي مخالف أو مختلف وهذا أصعب في أي مكان خارج مصر في العالم العربي .. أقولها إنصافا».

جريدة صنداي تليجراف أشارت إلى هذا الحوار ضمن مقال نشرته في مناسبة التحقيق الذي جرى مع الأستاذ هيكل بواسطة المدعى الاشتراكي في منتصف يونيو ١٩٧٨.

● يوم الجمعة ٢٩ أبريل ٢٠١١ كان وزير الخارجية البريطاني الأسبق اللورد ديفيد أوين David Owen وزوجته الليدي ديبورا شابرت Deborah Schabert، يقيمان حفل عشاء على شرف صديقهم الأستاذ هيكل في قاعة الطعام الرئيسية في مجلس اللوردات في ويستمنستر Westminster (تصادف مع حفل زفاف الأمير وليام وكيت ميدلتون في كنيسة ويستمنستر).

وقد حضره عدة شخصيات عالمية، وكانت أسئلتهم موجه للأستاذ هيكل عن شباب الثورة والمجلس العسكري والمشير طنطاوي وخطط المستقبل. وكان الانبهار واضحا بالثورة المصرية وميدان التحرير والأجواء الأسطورية المحيطة به، وإعجاب بشعب تصوروا أنه لا أمل فيه فإذا به يأخذ خطوات بديعة بكل المقاييس.

● في منتصف تسعينيات القرن العشرين يوجه واحدا من أقرب أصدقاء الأستاذ هيكل، رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير لمجموعة صحف التليجراف أندرو نايت Andrew Knight وزوجته البيجوم صبيحة مالك (باكستانية اقترن بها سنة ١٩٧٥ وهي زوجته الثانية) دعوة له على العشاء في منزله على قمة هامستيد Hampstead المشرفة من مرتفع على أضواء لندن من طرفها الشرقي الجنوبي.

وقد حضر العشاء أيضا الجندي الرحالة والدبلوماسي العسكري الأسكتلندي (من مواليد القاهرة) فيتزروي ماكلين Fitzroy Maclean صاحب كتاب «مقتربات شرقية Eastern Approaches» وزوجته فيرونيكا نيل فريزر فيبس.

وقد دار الحديث طيلة السهرة عما يجري في يوغسلافيا، خاصة بأن ماكلين كان المبعوث السري من رئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل إلى زعيم المقاومة الشيوعية ضد الاحتلال الألماني النازي تيتو زمن الحرب العالمية الثانية. وكان الأستاذ هيكل قد عرف عن قرب الزعيم اليوغسلافي تيتو وأجرى معه عدة حوارات صحفية.

● المؤرخ البريطاني السير أليستر هورن Alistair Horne ينشر في عام ٢٠٠٩ كتابه المهم «كيسنجر: ١٩٧٣ السنة الحاسمة Kissinger: ١٩٧٣ the Crucial Year». وقد جلس المؤرخ هورن عدة مرات مع الأستاذ هيكل (في لندن والقاهرة)، ليستمع لشهادته عن لقاءه مع كيسنجر، ورؤيته لما جرى قبل وأثناء وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣.

● يوم الأربعاء ١٥ نوفمبر ٢٠٠٨ تبث قناة الجزيرة الإنجليزية عبر برنامج "القصة من الداخل inside story" الذي يقدمه ديفيد فوستر David Foster، وقد تناولت الحلقة التغيير في سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وقد استضاف الأستاذ هيكل لمناقشة الدبلوماسي الأمريكي ريتشارد هاس Richard Haass رئيس مجلس العلاقات الخارجية منذ يوليو ٢٠٠٣.

● كبير ساسة حزب المحافظين إيان جيلمور Ian Gilmour يحرص الأستاذ هيكل في كل زياراته للعاصمة البريطانية أن يلتقي به.

وفي شهر مايو سنة ٢٠٠١، التقى الصديقان في أحد مطاعم لندن، وكان مما قاله له الأستاذ هيكل - بما يمثل نبوءة سياسية تحققت بعد خمسة عشر سنة بالخروج البريطاني من الاتحاد الأوروبي بسبب المهاجرين البولنديين:

«لاحظت هذه المرة في الحملة الانتخابية لتوني بلير أنها تدور على نقطة الهوية البريطانية.

نفس الموضوع تبناه وليام هيغ William Hague لكنه حوله إلى عنصرية على طريقة الزعيم المحافظ القديم اينوك باول Enoch Powell الذي طالب بطرد كل الملونين من بريطانيا لكي تحتفظ الجزر البريطانية بنقائها العنصري.

لفت نظري موضوع الهوية كمسألة مركزية في الحملة الانتخابية هنا. عندنا هناك – في العالم العربي – كثيرون طق في رأسهم أن العولمة تقتضي الاستغناء عن هوية.

قليلا ما تعرف – كثيرا ما تتكلم».

● باربرا اميل Barbara Amiel كاتبة بريطانية يهودية (جميلة وجريئة)، التقاها الأستاذ هيكل لمرة واحدة عندما كانت تعمل في صحيفة صنداي تايمز، وقد قال الأستاذ هيكل لرئيسها فرانك جايلز Frank Giles (رئيس تحرير صنداي تايمز ١٩٨١ – ١٩٨٣): "هذه السيدة تعمل في الصحافة محطة، وليس نقطة وصول نهائية».

وبعد سنوات وقع كونراد بلاك Conrad Black (كندي الأصل) الذي اشترى مؤسسة تلغراف في غرام باربرا، وطلق من أجلها زوجته الكندية جوانا هيشين Joanna Hishon (بعد زواج دام ١٤ سنة) وتزوج منها (هو زوجها الخامس)، وأكثر من ذلك جعلها رئيسة تحرير لإحدى صحفه: ديلي تلغراف!

● يوم السبت ١٨ ديسمبر ٢٠٠٤ توفي الصحفي الإنجليزي أنتوني سامبسون Anthony Sampson. وبعد شهور حضر الأستاذ هيكل احتفالية وداعية له أقيمت في قاعة سان مارتن الكبرى (الواقعة في مسرح الملكة، وافتتحت سنة ١٨٥٠)، وكان برنامجها ثلاث قطع موسيقية، أحب أنتوني سماعها باستمرار، واحدة لباخ، والثانية لبيتهوفن، والثالثة لبرليوز. وقد سكتت الموسيقى مرة لقراءة قصيدة لشكسبير عن الإنسان والمقادير ، ومرة ثانية لتلاوة نصوص من كتابات أنتوني سامبسون اختارها أصدقاء له ، تمثل في تقدير كل واحد منهم روح كتاباته ، وكان الختام كلمة من الصديق الكبير لأنتوني وهو الزعيم الأفريقي نيلسون مانديلا الذي راح بعاطفة دافئة يحكي عن بعض نوادر صديقه عندما كان رئيسا لتحرير جريدة درم Drum وهي الجريدة الشهيرة بأدائها في الكفاح ضد التميز العنصري في جنوب أفريقيا، وعد الأستاذ هيكل ست مرات تبسمت فيها القاعة أو علا صوتها بالضحك أثناء حديث مانديلا، وكان نبض الحياة محسوسا بوضوح مقاطعا للصمت، وكان الاثنان معا – النبض والصمت – مناخا رقيقا يحفظ للإنسانية إيقاعها جادا وجميلا في ذات اللحظة!

(ملاحظة: لأنتوني سامبسون كتاب ضخم بعنوان: «مانديلا – سيرة موثقة Mandela: The Authorised Biography»).

● خلال زيارة الأستاذ هيكل للعاصمة لندن في شهر أكتوبر ٢٠٠١، أقام له صديقه أنتوني سامبسون غداء في بيته موجها الدعوة لصفوة من العارفين بمكامن السياسة وميادين الحرب. ولم تتوقف المناقشات من الساعة الثانية عشرة ظهرا حتى الثالثة عصرا.

وكان من بين الحاضرين وليام شوكروس William Shawcross الكاتب البريطاني المختص بشؤون قضايا السياسة الدولية والجغرافيا السياسية وجنوب شرق آسيا واللاجئين، الذي وجه سؤالا للأستاذ هيكل عن رؤية العالم العربي لما جرى يوم ١١ سبتمبر؟

وقال الأستاذ هيكل: «إنها لا تختلف كثيرا عن رؤية العالم كله : انبهار بجسارة المغامرة، واستنكار لعواقبها الإنسانية، وتعاطف – ربما لأول مرة – مع الولايات المتحدة، على أن السياسة الأمريكية لسوء الحظ لم تترك لهذا الشعور بالتعاطف، فرصة أن يتنامى، وإنما طردته مسرعة بصور الخراب في أفغانستان، والعذاب الذي يعانيه رجالها ونساؤها وأطفالها وبذلك غطت الصور على الصور، بمعنى أن صورة أبراج التجارة في نيويورك وهي تتهاوى تباعدت عن موقع النظر وموضع العاطفة، مع ملاحظة أن الإعلام الأمريكي في حالة نيويورك وواشنطن ركز على مشهد اقتحام الطائرات لبرجي التجارة التوأمين، ولم يركز على صور البشر، وأما في أفغانستان فلم تكن هناك ناطحات سحاب تتهاوى كأنها مشاهد أفلام سينمائية مثيرة، وإنما كانت الصور الأظهر والأكبر والأكثر تعبيرا عن المأساة الإنسانية – هي صور الجراح والدماء والدموع والموت قتلا لمدنيين عزل لم يحملوا السلاح في حياتهم، ولم يقرئوا طول عمرهم كلمة عن صراعات العقائد والدول في الأزمنة الحديثة».

● الأستاذ هيكل من المعجبين باجتهادات السير مايكل هوارد Michael Howard أستاذ التاريخ الحديث في جامعة أكسفورد، وقد زاره في مكتبه عدة مرات، يسأله ويصغي إليه.

وكان مما سمعه الأستاذ هيكل من هوارد خلال لقاؤه به في أكتوبر ٢٠٠١ في مكتبه بجامعة أكسفورد: «لقد قرأت تعليقا عن حوادث اقتحام العمارات بالطائرات، جاء فيه وصف العمل بأنه كان جبانا، والوصف أبعد ما يكون عن الحقيقة، فما حدث يصعب أن يكون فاعله جبانا، ولو أن التعليق وصف الفاعل بأنه مجنون، لوافقت على الوصف.

أي أن ما جرى يوم ١١ سبتمبر لم يقم به الجبن وإنما قام به الجنون»!

● سايروس فانس وزير خارجية الرئيس الأمريكي جيمي كارتر يتصل بالأستاذ هيكل

يسأله إذا كان مستعدا أن يتوسط فى قضية الرهائن فى السفارة الأمريكية بطهران الذين احتجزوا من قبل الطلبة الإيرانيون. ودعاه إلى مقابلته فى واشنطن لبحث المسالة، ولم تكن ارتباطات الأستاذ هيكل المسبقة تسمح له بالذهاب إلى واشنطن يومها (كان عائدا لتوه من واشنطن). فأرسل له فانس مساعده لشئون الشرق الأوسط هارولد سوندرز (كان الأستاذ هيكل يعرفه شخصيا ويكن له الاحترام منذ أن قابله فى القاهرة عندما كان مصاحبا لهنرى كيسنجر فى تنقلاته أثناء فك الاشتباك الأول فى ديسمبر ١٩٧٣) يقابله فى لندن ثم يعود إلى مقابلته بعد ذلك فى قلعة بلريف Bellerive بجوار جنيف حيث كان الأستاذ هيكل ينزل لبضعة أيام ضيفا على الأمير صدر الدين أغا خان. وقد تسبب توسط الأستاذ هيكل فى قضية الرهائن إلى ضيق الرئيس أنور السادات، الذى قال للسفير الأمريكى فى مصر ألفريد أثرتون: «هل لم تجد واشنطن بين الأربعين مليونا من المصريين أحدا توسطه فى مشكلة الرهائن غيره؟» ورد السفير قائلاً: «من سوء الحظ أنه الوحيد بين الأربعين مليون مصرى الذى يعرف الخمينى»!

● في سنة ١٩٧٧ قابل الأستاذ هيكل لأول مرة ألكسندر دي مارانش Alexandre de Marenches مدير المخابرات الخارجية الفرنسية (من المصادفات أنه كان ابن عم صديقة قديمة للأستاذ هيكل وهي الكونتيسة تيريز دي سان فال Thérèse de Saint Phalle مديرة النشر في فلاماريون Flammarion أكبر دار نشر في فرنسا وناشرة كتب الأستاذ – تأسست سنة ١٨٧٦).

اللقاء كان في فندق كريون (حيث يقيم الأستاذ هيكل)، وقد دعاه مارانش إلى صالون حجزه في نفس الفندق لكي يتحدثا بعيدا عن الجالسين.

وكان الصالون مزود بشاشة عرض ظهرت عليها خريطة إفريقيا وخطوط طرق الملاحة البحرية حولها، مع بيان لعدد وحمولة ناقلات البترول التي تتقاطر على مسالكها كل يوم.

● كانت أول تجربة للأستاذ هيكل في البرلمان، تغطية استجواب «الكتاب الأسود» من شرفة الصحافة في مجلس النواب صيف ١٩٤٣، جالسا بين اثنين من كبار الصحفيين المصريين: الأستاذ كامل الشناوي مندوب الأهرام (كان المقعد الأول من الشرفة محجوزا باستمرار لهذه الجريدة الأعرق بين صحافة مصر، في حين كان المقعد الثاني مخصصا للإجيبشيان جازيت،

وذلك هو المقعد الذي جلس يومها عليه الأستاذ هيكل)، إلى جانب السيدة روز اليوسف التي جاءت تتابع الاستجواب (وكان ذلك أول لقاء للأستاذ بالاثنين).

يومها تقدم أحد نواب حزب الوفد بسؤال إلى وزير المعارف نجيب الهلالي (باشا) عن عملية صنع أثاث في مدرسة الفنون التطبيقية لبيت أحمد حسنين (باشا – رئيس الديوان الملكي) لم يسدد ثمن ما طلبه رغم أنه أستلمه، وقام الهلالي يرد على السؤال. والحقيقة أنه ثبت التهمة وتركها معلقة فوق رأس حسنين!

وكان تعلق الأستاذ الشناوي والسيدة روز: «أن التحدي الوفدي للقصر قد خرج سافرا، وأصبح مخاطرة على أرض مجهولة!»

وبعد ظهر اليوم التالي عاد الأستاذ هيكل إلى مقعده في شرفة الصحافة، وأمسك نسخة من مضبطة اجتماع المجلس بالأمس، وراح يقرأها مستغربا فقد وجدها خالية من أي ذكر لما رآه وسمعه بالأمس فقط. ولاحظ الأستاذ الشناوي أن الأستاذ هيكل يقلب الصفحات ويعيد تقليبها، فقال له: «لن تجد شيئا، لأن كله حذف من المضبطة وسوف نرى ونسمع الآن عجبا».

كان المستشار الشرقي للسفارة البريطانية السير والتر سمارت Walter Smart جاء إلى مجلس النواب قبل منتصف ليل أمس، وقابل عبد السلام فهمي جمعة (باشا – رئيس المجلس)، الذي استدعى من بيته يتلقى منه ما لديه، ومؤداه «أن السفارة البريطانية ترى أن ما دار من مناقشات بالأمس يمثل استفزازا لملك البلاد يستحيل قبوله، بالنسبة للسفارة البريطانية وسفيرها. والقرار أنه لابد من اعتذار علني عنه». واتصل رئيس مجلس النواب برئيس الوزراء، يوقظه من نومه، وفهم مصطفى النحاس (باشا) أن السفارة البريطانية تلوح باستعدادها لرفع يدها، تاركة الملك يرد العدوان على رئيس ديوانه بالطريقة التي يراها مناسبة. وبعد اتصالات تدخل فيها أمين عثمان (باشا) ودخل فيها فؤاد سراج الدين (باشا)، أمكن التوصل إلى حل وسط يكون بمثابة اعتذار صامت من الوفد: حزبا وحكومة، وهذا الحل الوسط حذف كل ما دار بشأن رئيس الديوان الملكي من مضبطة المجلس وتم ذلك وطبعت مضبطة الجلسة وكأن شيئا لم يكن!

وقد علق الأستاذ هيكل على مجريات تلك الواقعة: «انتهى الموضوع ولم يعترض أحد، هل هذه هي الديمقراطية؟»

● تقابل يوم الخميس ١٢ فبراير ٢٠٠٤ مبعوث الأمم المتحدة السفير الأخضر الإبراهيمي مع المرجع الشيعي آية الله العظمى السيد علي السيستاني، لأكثر من ساعتين في منزله المتواضع بمدينة النجف الأشرف.

وقال الإبراهيمي في شهادته للصحفي اللبناني المتميز الأستاذ غسان شربل، يوم الجمعة ٢٧ يونيو ٢٠١٤: «كان لقائي بالسيستاني ممتازا، واستغرق أكثر من ساعتين. لمست أنه رجل مطلع اطلاعا جيدا، بمعنى أنه لا يعيش في عزلة عن الأحداث والتطورات.

قال لي: «أنا أعرفك وقرأت عنك الكثير وآخر ما قرأته كان عن لقائك في لندن مع محمد حسنين هيكل وإدوارد سعيد. وأنا قرأت ما ترجم من كتب لإدوارد سعيد وقرأت أيضا كتب هيكل».

قلت له: «سأرسل إليكم كتب هيكل الأخيرة».

فرد: «كثر خيرك».

ولعله بهذه الإشارة أراد القول إنه لا يقفل على نفسه ويقطع صلته بالعالم، وإن قراءاته لا تقتصر على الجانب الديني أو الروحانيات الشيعية، وإنه يطلع على ما يجري في المنطقة ويُطرح فيها».

(أهدى الأستاذ هيكل مجموعة كاملة من مؤلفاته للسيد السيستاني، الذي أعرب في بداية لقاء جمعه بالنجف الاشرف مع الاخضر الابراهيمي عن اعجابه الشديد بكتابات هيكل، وقال للإبراهيمي: «إنه يحترمه من دون معرفة سابقة لصداقته بهيكل وقد قرأت مقالات هيكل التي نشرتها مجلة «وجهات نظر».

وطلب السيستاني أن ينقل لهيكل: «أن العراق لن يخذل العرب».

وقد تحدث الأستاذ هيكل هاتفيا مع السيد السيستاني، وخلال الحديث اقتبس قولا لإدوارد سعيد، وسأله الأستاذ: «إن كان سمع عنه؟».

فأجابه السيستاني: «نعم، قرأت كتابه الاستشراق وكذلك مقالات له عن جوزيف كونراد»).

● يوم الخميس ٦ نوفمبر ٢٠٠٨ أجرى الأستاذ محمد كريشان حوار عبر قناة الجزيرة مع الأستاذ هيكل، تناولت الانتخابات الأمريكية وفوز الرئيس باراك أوباما.

وقد أكد الأستاذ هيكل: «بأن أوباما جاء من خارج السياق السياسي، ومن خارج المؤسسة الحاكمة، ومن خارج الأكثرية (من أقلية لا تتجاوز ١٣٪ من الشعب الأمريكي).

وأوباما جاء بعد سنوات بوش لتلتقط المؤسسات أنفاسها، ولإعادة تركيب ما أنفك، ولعمل نوع من العلاقات الجديدة مع أوروبا والعالم العربي لحل بعض المشاكل (جرعة أمل للتمكين من فرصة عمل)»!

وقد ختم المحاور اللامع محمد كريشان الحلقة بجملة كانت بمثابة استخلاص لسنوات أوباما التي لم تكن قد بدأت بعد: «إذا أردنا أن نخلص في هذه الحلقة إلى شيء»، أنا خلصت إلى شيء أنه – من خلال حديثك أستاذ هيكل – أن لا تنتظروا شيئا خارقا من أوباما»!

(ولكن البعض – قيادات سياسية، قطاعات شعبية، محللون سياسيون ومثقفون – استمروا في مداعبة آمالهم العريضة، والرهان على رئيس أتى من خارج النسق، متصورين أنه فوق المؤسسات وفوق الإدارة .. بل وفوق الدولة الأمريكية نفسها. وقد كانت رحلة تيه جريا خلف الأماني الخادعة!)

● زار القاهرة اليهودي الأمريكي ألفريد ليلينتال Alfred Lilienthal أحد أبرز منتقدي الصهيونية وإسرائيل، وكان برفقة الأستاذ هيكل وهما يشاهدان استعراض الجيش صباح يوم الجمعة ٢٣ يوليو ١٩٥٤ (الذكرى الثانية للثورة).

وقد أسر للأستاذ هيكل قائلا له: «لو كان هذا الجيش موجودا سنة ١٩٤٨ لتغير تاريخ الشرق الأوسط»!

● في فبراير ١٩٥٦ كان المؤلف الفرنسي ريمون كارتييه Raymond Cartier في زيارة للقاهرة هو وزوجته روزي، وقد أقام السفير الفرنسي الكونت أرمان دي شايلا مأدبة غداء حضرها الأستاذ هيكل.

وكانت السيدة روزي قد جلست بجانب الأستاذ هيكل، وتحدثت معه عن سوء حظ زوجها الذي لازمه لمدة أسبوعين في القاهرة دون أن يتمكن من رؤية الرئيس ناصر.

وقد اتصل الأستاذ هيكل بالصاغ محمود الجيار (السكرتير العسكري للرئيس) طالبا تحديد موعد للصحفي الفرنسي كارتييه.

وقد قابله الرئيس ناصر في استراحة القناطر، وعاد كارتييه في المساء ليشكر الأستاذ

هيكل، وكان مما قاله له عن مقابلته للرئيس: «لقد وجدت على مكتب الرئيس ناصر باقة من زهر البنفسج، زهرة نابليون المفضلة»!

وغادر كارتييه القاهرة صباح اليوم التالي، بعد أن أرسل للأستاذ بطاقة باسمه وبخط يده: «أشكرك أنك ساعدتني أن أرى ذلك الرجل العظيم» ..

● الروائي والأديب يوسف إدريس ظل ممتنا للأستاذ هيكل كونه جمعه بالفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي Roger Garaudy في أوائل السبعينات. عندما دعاه الأستاذ هيكل ضيفا على جريدة الأهرام، ملقيا محاضرة بعنوان «الحضارة الإسلامية» - وكان غارودي في ذلك الوقت ما زال ضمن صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي!

● البروفسور أنوش احتشامي Anoush Ehteshami أستاذ الدراسات المتقدمة للعالم العربي في جامعة دورهام Durham (إنجلترا)، يلتقي بالأستاذ هيكل في القاهرة يوم الاثنين ١٠ مارس ١٩٩٧، ضمن مشاركتهما في المؤتمر الدولي حول «صراع الحضارات أم حوار الثقافات».

وقد كتب احتشامي فيما بعد رسالة رقيقة للأستاذ هيكل جاء فيها: «إن تجربتكم ومعرفتكم وحكمتكم التي تتمتعون بها تشكل بلا شك ثروة حقيقية لكل العرب والمسلمين .. وهو ما يشكل مدرسة تتلمذت فيها أجيال من النخب في المنطقة كما في الغرب حيث ينظر إليها بامتنان بالغ. إن الوضوح والبساطة التي عرضتم وشرحتم فيها الغموض المكتنف للعلاقات العربية وعلاقات المنطقة مع باقي العالم تشكل مصدرا راسخا لنا. إن كتاباتكم حول مصر والسياسة العربية والتبادل الثقافي بين الغرب والعالم العربي تحتل مكانا متصدرا في قائمة قراءات طلابنا في جامعة دورهام. كما هو الحال .. بالتأكيد في باقي الحواضر الأكاديمية ومراكز الأبحاث المرموقة.

ولا زالت كلماتك تطرق أذني، حينما تحدثت عن الحاجة إلى الحوار والفهم الأفضل، وهو ما نحن بأمس الحاجة إليه اليوم بل وإلى ترداده يوميا، ولكننا نود أن نسمعه من فمك أنت..».

● الشاعر الغنائي والروائي البرازيلي باولو كويلو Paulo Coelho يزور القاهرة لمدة ثلاثة أيام من الأسبوع الثالث لشهر مايو ٢٠٠٥. وكان حريصا على زيارة مكتب الأستاذ هيكل، وقدم له أحدث رواياته «الزهير The Zahir»، وتتطرق الرواية لمواضيع الحب والخسارة والهوس!

● يوم الخميس ٢٩ مايو ٢٠٠٨ كان اليوم الختامي للدورة الدراسية المكثفة التي نظمتها مؤسسة هيكل للصحافة العربية بعنوان «سياسة الولايات المتحدة الأمريكية خصوصا في الشرق الأوسط»، بحضور أستاذ الشؤون الدولية في جامعة هارفارد البروفيسور ستيفن والت Stephen Walt.

وقد تحدث الأستاذ هيكل: «يجيء هذا الاحتفال الذي نسعد فيه بكم مستمعين معا إلى أستاذ مرموق في علوم السياسة الدولية - كتب مع زميل وصديق له (جون ميرشايمر John Mearsheimer) دراسة مهمة عن جماعات الضغط الإسرائيلية في الولايات المتحدة - وهذه دراسة انطلقت من جامعة هارفارد (اللوبي الإسرائيلي والسياسة الأمريكية الخارجية) ومازال صداها يجوب آفاق العالم، مستثير عقولا وضمائر تبحث عن حق وحقيقة!

وتساءل الأستاذ هيكل قائلا: «كيف يمكن أن تكون مصالح الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط جميعها في حوزة العرب من المواقع إلى الموارد، ثم تكون سياسة الولايات المتحدة في معظمها انحيازا ضد العرب، إلى درجة الجفاء والخصام؟

إذا لم نعثر على رد مقنع على سؤال مُلح ، فلعلنا في هذه القاعة الليلة نصادف مفتاحا يستطيع أن يدور في قفل تراكم عليه الصدأ، فضيفنا هذه الليلة واحد من أبرز أساتذة العلوم السياسية في جامعة هارفارد البروفسور ستيفن والت، وهو رجل صاحب علم وخبرة، وأهم من ذلك صاحب رؤية، وأترك له هذه المنصة، آملا أن نسمع صوت "تكة" - ولو خافتة - نعرف معها أن المفتاح يمكن أن يدور، وأن القفل الحديدي قابل لأن يلين، وأن تلك علامة على أن السؤال له جواب، بقي أن أسجل للأمانة أن هذا السؤال الحائر لدينا يستدعي قبله - وليس بعده - سؤالا أهم من الانحياز أو الاستقامة الأمريكية، وذلك هو سؤال المستقبل العربي، وهو مما لا يحق لنا الطلب من صديق - مهما كان علمه - مفتاحا لقفله، لأن جوابه في عهدة ومسئولية أصحاب المستقبل العربي - إرادتهم وقدرتهم - هم وليس غيرهم»

● في شهر أكتوبر ١٩٥٢ يرسل الأستاذ هيكل للصحفي الأمريكي كليفتون دانيال Clifton Daniel (رئيس القسم السياسي في جريدة نيويورك تايمز)، ليرتب له إمكانية تغطية الانتخابات الأمريكية (بين دوايت ايزنهاور وأدلاي ستيفنسون)، خاصة بأنه معتمد من قبل جريدة أخبار اليوم ومجلة آخر ساعة، على أن يكون قريب بشكل أو بآخر ضمن ترتيبات جريدة نيويورك تايمز وتغطيتها للانتخابات!

• الكاتب والمذيع والصحفي الأمريكي روبرت سانت جون Robert St. John كان قد كتب عام ١٩٥٩ كتابا عن الزعيم الإسرائيلي تحت عنوان «بن غوريون: سيرة رجل استثنائي Ben-Gurion: The Biography of an Extraordinary Man».

ثم قام بزيارة للقاهرة، والتقى بالأستاذ هيكل، ومن ثم بالرئيس ناصر. وأصدر سنة ١٩٦٠ كتابه تحت عنوان «الرئيس: قصة جمال عبد الناصر The Boss: the Story of Gamal Abdel Nasser».

وأهدى للأستاذ هيكل، أول نسخة من الكتاب، موقعا عليه وبخطه «لولاك لما رأى هذا الكتاب النور، راجيا أن تغفر لي بعض آرائي المخالفة لك ..»!

• الكاتب والمؤرخ البريطاني كيث كايل Keith Kyle يصدر في عام ١٩٩١ كتابه الهام عن معركة السويس ١٩٥٦ بعنوان «السويس: نهاية الإمبراطورية البريطانية في الشرق الأوسط Suez: Britain's End of Empire in the Middle East». وقد نوه في مقدمته بأن الأستاذ هيكل لم يكتفي بتقديم مجموعة وثائقه له، وإنما قدم له إحدى العاملات في المكتب لتقوم بمساعدته في ترجمة الوثائق».

• ديفيد أرنولد David Arnold رئيس الجامعة الأمريكية بالقاهرة، كان حريصا على تذليل أي عقبات تواجه مؤسسة هيكل للصحافة العربية، فاتحا أبواب الجامعة – مرحبا وحفيا دون عائق أو شرط – لأي مناسبات تخص مؤسسة هيكل.

• ذات يوم في عام ١٩٩٤ زار الأستاذ هيكل مبنى صحيفة ديلي تليغراف بلندن، حاضرا اجتماع التحرير الصباحي. وقال له الصحفي البريطاني ماكس هاستينغز Max Hastings (رئيس التحرير ١٩٨٦ – ١٩٩٥) :)«إن الأسبوع الماضي جاءنا ضيفا وهو رئيس تحرير جريدة واشنطن بوست (ليونارد داوني جونيو Leonard Downie Jr.)، وأصبح يومها رئيس التحرير الضيف Guest editor».

وطلب منه ماكس أن يكون رئيس التحرير الضيف للجريدة في هذا اليوم، فاعتذر الأستاذ هيكل قائلا له: «إني لم أعد أحرر الصحف منذ ٢٠ عاما، وهناك وسائل تغيرت، أنا مستعد أن أكون معك co-editor مساعدا لرئيس التحرير».

وجلس الأستاذ هيكل يتابع دورة العمل.

• يوم الخميس ١٩ مايو ٢٠٠٦، نشرت صحيفة فايننشال تايمز، تقريرا عن أهم المعلقين السياسيين في العالم.

وقد اختارت الصحيفة الأستاذ هيكل عن العالم العربي وليس مصر فقط، فليس هناك معلق سياسي في العالم العربي يتمتع بالمكانة المتميزة التي يحتلها رئيس تحرير صحيفة الأهرام سابقا

أن هيكل قد أصبح نموذجا يحتذى. إنه بالرغم من تقدم عمر الأستاذ هيكل (٨٣ عاما)، وقد لا يكون له نفوذ كبير يمارسه على الحكومات في المرحلة الراهنة، لكنه يظل المحلل السياسي الوحيد القادر على جذب مشاهدي شبكات التلفزيون في العالم العربي.

أن تاريخ حياة هيكل في العمل الصحافي يمتد لأكثر من ٦٠ عاما، بما في ذلك عقدان من الزمان، كان يتمتع فيهما بنفوذ هائل كصديق ومستشار وثيق الصلة بالرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر. أن هيكل يقدم حاليا سلسلة من البرامج في شبكة الجزيرة التلفزيونية ويقدم خلالها ذكرياته عن عمله الصحافي، ويقدم أيضا تأريخا لفترة طويلة من تاريخ مصر السياسي والأحداث المهمة التي شهدتها المنطقة بما فيها حركة الضباط الأحرار في عام ١٩٥٢. وقد أوضح هيكل، في إحدى هذه الحلقات التلفزيونية، كيف أصبح العالم العربي يفتقد النفوذ في مجال السياسة الدولية، فيما سماه «حلف مع الشيطان». ويرجع بعض هذه المشكلات إلى أن عددا كبيرا من حكومات العالم العربي بما فيها مصر قد عملت على تعزيز علاقاتها مع أمريكا على حساب التضامن العربي.

أن ارتباط هيكل المباشر مع السلطة السياسية قد توقف عندما نشبت خلافات بينه وبين الرئيس المصري الراحل أنور السادات، إلا أن كتاباته الغزيرة ومعرفته الموسوعية في كل من السياسات الإقليمية والعالمية تؤكد أنه لايزال شخصية تلقى احتراماً عميقا.

واختارت الصحيفة كل من: آلان جونز (أستراليا)، إليو جاسباري (البرازيل)، مارغريت وينتي (كندا)، هيرموجينيس بيريز دي ارسي (تشيلي)، هو شولي (الصين)، نيكولا بافغي (فرنسا)، هانس أولريخ هيوغيس (ألمانيا)، توماس فريدمان (الهند !)، جواونون محمد (إندونيسيا)، حسين شريعتمداري (إيران)، عدنان حسين (العراق – علقت الصحيفة

بأن تأثير رجل الدين جلال الدين علي الصغير أهم من أي معلق في بغداد !)، عكيفا الدار (إسرائيل)، سويشيرو تاوارا (اليابان)، لويس أوتينو ويكليف موجا (كينيا)، ديلي أولويد (نيجيريا)، آدم ميشنيك (بولندا)، ميخائيل ليونتيف (روسيا)، دراغوليوب زاركوفك (صربيا)، موليتسي ميبكي (جنوب أفريقيا)، كيم داي جونج (كوريا الجنوبية)، تريفور كافانا (المملكة المتحدة)، تشارلز كروثامر (الولايات المتحدة الأمريكية).

- في عام ١٩٩٢ قررت رئيسة وزراء إنجلترا مارغريت تاتشر Margaret Thatcher كتابة مذكراتها، وأوكلت لأبنها ماركMark أن يتولى نشرها، وبالفعل عقد عدة لقاءات مع دار كولينز، مطالبا بعشرة ملايين جنيه إسترليني ثمنا للمذكرات، وهو ما تم رفضه.

وقد اقترحت دار كولينز على السيدة تاتشر بأن تخرج المذكرات على جزئيين، وبمبلغ لا يتجاوز خمسة ملايين. وهي أبدت موافقتها.

كان الأستاذ هيكل على موعد مع إدي بيل Eddie Bell رئيس دار هاربر كولينز HarperCollins التي تتولى نشر كتبه، لأمر يتعلق بكتابه الأخير: حرب الخليج - أوهام القوة والنصر.

استأذنته سكرتيرة إدي بيل بالانتظار، كون السيدة تاتشر في اجتماع معه. وبعد دقائق خرج الاثنان، وقدم إدي بيل اعتذاره للأستاذ هيكل، لوجود مشكلة مع السيدة تاتشر، وقدم إدي دعوة للأستاذ هيكل بتناول الغداء معهما، لمناقشة مذكرات السيدة تاتشر.

عند وصولهما للمطعم، اكتشف الأستاذ هيكل وجود عدة مدعوين، منهم صديقه الصحفي البريطاني أنتوني سامبسون، وروبرت مردوخ Rupert Murdoch قطب الإعلام الأمريكي (ولد في أستراليا وهو مسيحي من الطائفة الكالفينية Calvinist وليس يهودي كما قد يتبادر للذهن) وغيرهم.

طرح إدي موضوع خلافه مع السيدة تاتشر على الجمع المتحلق حول مائدة الغداء. السيدة تاتشر كانت مصممة بأن تبدأ مذكراتها منذ بداية تواجدها في الدنيا (الثلاثاء ١٣ أكتوبر ١٩٢٥) لأب يملك محل بقالة، وسنوات التكوين، وتخرجها عام ١٩٤٧ من جامعة أكسفورد مع مرتبة الشرف في مادة الكيمياء (كانت السيدة تاتشر تريد مذكرات حسب الترتيب الزمني للأحداث Chronological).

بينما إدي بيل يؤكد لها بأن المذكرات تبدأ من المشهد الأخير climax، مشهد السقوط!

وبمجرد أن سمعت كلمة سقوط، فقدت أعصابها، وتحولت عيناها إلى عيني الإمبراطور الروماني كاليغولا Caligula (كما وصفها مرة الرئيس ميتران في معرض حديثه مع الأستاذ هيكل بأن شفتي مارجريت مثل شفتي مارلين مونرو معبأتان بالإثارة، لكن عينيها مثل عيني الإمبراطور الروماني كاليغولا يطلق منهما الشرر)، وانفعلت قائلة: «سقوط، أي سقوط، لم يكن هناك سقوط، كانت هناك خيانة لي من مجلس وزرائي المبللين Wets» (تقصد بأنهم يستيقظون في الصباح فيجدون الفراش تحتهم مبلولا!)

هنا اقترح إدي بيل الاحتكام للصحفيين المتواجدين في المطعم ولغيرهم ممن ليس لهم مصلحة لا مع الناشر ولا مع السيدة تاتشر.

وأغلبهم كان مؤيدا لما طرحه إيدي بيل. وجاء الدور على الأستاذ هيكل الذي بدارها قائلا: «حكاية البداية من الأول تموت القراء، ولا أحد سيسمع ولا أحد سيهتم، من أول بنت البقال، يعني سندريلا فعلت ما فعلته في التاريخ، قد يجوز في رواية، أما قصة صحفية فلابد من إثارة، وبما أن قصة السقوط ضايقتك، فما رأيك من نقطة لقائك في ديسمبر ١٩٨٤ مع الزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف الذي قام بعملية التحول الكبير في الاتحاد السوفيتي وتصريحك للصحافة والإعلام يومها: « I like Mr. Gorbachev we can do business together أنا أحب السيد غورباتشوف، ويمكننا العمل معا»، بعيدا عن السقوط طالما تضايقك ، لكن لابد من بداية حقيقية، وأنت من اكتشف وراهن على غورباتشوف، ودورك في نهاية الحرب الباردة».

هي علقت قائلة: «من الممكن درس ما تفضلت به من اقتراح».

- ديفيد لي David Leigh مساعد رئيس تحرير جريدة الغارديان واستاذ الصحافة الاستقصائية بجامعة لندن، حل ضيفا على مؤسسة هيكل للصحافة العربية، يوم الاثنين ٣ نوفمبر ٢٠٠٨.

وقد أثنى على الجهود التي تبذلها مؤسسة هيكل لتعزيز صوت الصحافة المستقلة، والمجموعات الغير ربحية التي شكلت أيضا لتشجيع الصحافة العالمية. وأنه يأمل بأن حلقات العمل التي عقدتها مؤسسة هيكل يمكن أن تصبح جزءا من ممارسة الصحافة الاستقصائية المعولمة، التي تجري لجعل الأمور أفضل قليلا ..»

- المؤلف الأمريكي فريد جيروم Fred Jerome يقابل الأستاذ هيكل في مكتبه سنة ٢٠٠٦، خلال فترة إعداده لكتابه الموسوعي عن العالم الفيزيائي ألبرت اينشتاين، والذي

صدر عام ٢٠٠٩ بعنوان: اينشتاين فيما يتعلق بإسرائيل والصهيونية: أفكاره المثيرة حول الشرق الأوسط Einstein on Israel and Zionism: His Provocative Ideas About the Middle East».

● في أعقاب حرب ١٩٦٧، الصحفي الأمريكي وليام أتوود William Attwood وهو رئيس تحرير مجلة لوك Look magazine وهو قريب من الرئيس جونسون، يبعث برسالة للأستاذ هيكل.

كان يرغب بالمجيء للقاهرة ومقابلة الأستاذ والرئيس ناصر، ومذكرا الأستاذ بدوره بعد معركة السويس ١٩٥٦، وكيف مهدت مجلة لوك لعودة جديدة للعلاقات المصرية الأمريكية، وهناك «شيئا» يود إبلاغه للقاهرة.

وجاء وليام أتوود، وبعد أن استمع له الأستاذ، أخذه للقاء مع الرئيس ناصر.

وكان مما قاله: «عندنا موقف غريب جدا في الولايات المتحدة نحن نرغب بعودة الاتصالات مع القاهرة (بدون دونالد برجس Donald Bergus القائم بالأعمال الأمريكي بعد قطع العلاقات) ونعلم برغبتكم أيضا بفتح اتصال معنا.

لقد اجتمعت مع الرئيس جونسون، الذي كان هائجا، بسبب ما حدث خلال أربعة أيام من شهر يونيو ١٩٦٧ (أيام ٦ – ٩) واتهامكم لنا. لقد غادر العالم العربي من ٦٠ إلى ٦٢ ألف أمريكي، رؤي إخراجهم خوفا على سلامتهم، وهذا الخروج الجماعي اعتبره الرئيس جونسون أكبر إهانة وجهت له خلال فترة رئاسته، وهذا متأتي من اتهامكم لنا بأننا اشتركنا في الحرب (دون تقديم دليل على ذلك)، ولابد من تسوية هذا الملف، لأن الإهانة التي لحقت بالولايات المتحدة تحولت لإهانة شخصية للرئيس، والضغوط شديدة جدا على الرئيس جونسون والكل يستغل هذا الخروج الجماعي.

فكيف يمكن أن يقول الرئيس كلمة لتهيئة الجو لإمكانية حوار بعد إزالة حجر عثرة Stumbling block تعترض عودة الاتصالات؟».

● في عام ١٩٦٧ تم تعين ديفيد كورن David A. Korn رئيسا للقسم السياسي في السفارة الأمريكية في تل أبيب بإسرائيل حتى أغسطس ١٩٧١. مما أتاح له فرصة المتابعة عن كثب وبعين خبير ما كان يجري على الجبهة المصرية.

وفي عام ١٩٩٢ صدر كتابه المهم عن الحرب المنسية التي جرت على الجبهة المصرية تحت عنوان «المأزق: حرب الاستنزاف ودبلوماسية القوى العظمى في الشرق الأوسط ١٩٦٧ –

Stalemate: The War of Attrition and Great Power Diplomacy ١٩٧٠ in the Middle East».

وقد ورد ضمن صفحات الكتاب أسم الأستاذ هيكل ١٣٢ مرة، مستشهدا بمقالاته وأحاديثه عن حرب الألف يوم!

● يوم الخميس الأول من أكتوبر ١٩٧٠، يوم تشييع جنازة الرئيس ناصر.

كان الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون قد أوفد وزير تجارته إليوت ريتشاردسون Elliot Richardson نائبا عنه للمشاركة في الجنازة وتقديم العزاء.

مساء نفس اليوم، وسرادق العزاء منصوب، اتصل دونالد برجس القائم بأعمال المصالح الأمريكية بالأستاذ هيكل، يقول له: «أن السيد أنور السادات وجه إليوت ريتشاردسون لمقابلتك والحديث معك».

وبالفعل جاء إليوت ريتشاردسون في الساعة السابعة مساء إلى مبنى جريدة الأهرام لموعد مع الأستاذ هيكل، يصحبه الوفد الذي رافقه، وضمن أعضائه ديك تشيني Dick Cheney (الذي أصبح فيما بعد كبير موظفي البيت الأبيض في عهد إدارة الرئيس جيرالد فورد، ثم وزيرا للدفاع في عهد إدارة الرئيس جورج بوش (الأب) ومسئولا عن حرب الخليج الثانية – تحرير الكويت وتدمير العراق – وحول أزمة الشرق الأوسط وتطوراتها المحتملة. ثم أصبح نائبا للرئيس جورج بوش (الأبن) ومسئولا عن الجناح الإمبراطوري في الإدارة).

● الأستاذ هيكل يصل لقطر يوم السبت ٤ مايو ٢٠١٣ (آخر زيارة له للدوحة)، ويلقي محاضرة في جامعة جورج تاون يوم الأحد ٥ مايو أمام طلاب كلية الشئون الدولية بعنوان «الخليج يوم بعد غد».

ودارت حلقة نقاش بين الأستاذ هيكل وطلاب الكلية، أدارها الدكتور مهران كامرافا Mehran Kamrava مدير مركز الدراسات الدولية والإقليمية بالجامعة.

وفي ختام حلقة النقاش حرص الدكتور كامرافا على إهداء الأستاذ هيكل كتابه «الشرق الأوسط الحديث: التاريخ السياسي منذ الحرب العالمية الأولى Modern Middle East The: a Political History Since the First World War».

المساحة المهيئة لهذا الفصل أدركت منتهاها.

و«الجولة العاصفة» على قصص الأستاذ هيكل وعلاقاته المتشعبة بأوروبا والعالم، لم تنتهي.. لكن، ما ذكرته يغني عن مزيد من الاسترسال والاستمرار في السرد.. كما تبدى لي!

الفصل الثامن والعشرون:

فناجين الكلام*

المناقشة العقلانية مفيدة فقط عندما تكون هناك قاعدة هامة من الافتراضات المشتركة.
نعوم تشومسكي Noam Chomsky

لا يوجد في الصحافة العالمية والعربية من أجريت معه حوارات ومناقشات وتم ضم الجزء اليسير منها بين دفتي كتاب كما الأستاذ. فقد تم إجراء عشرات الأحاديث الصحفية والإذاعية والتلفزيونية معه على مدار عمره المهني الذي امتد ٧٤ عامًا بالكمال والتمام!

ورأى بعض «الحواريين» أن يضعوا بعض أحاديثهم ضمن دفتي كتاب، ليكون السجل كاملًا، ولتكون المعلومة جاهزة حين طلبها!

١ - «جبرتي» الستينات: يوسف إدريس - مكتبة مصر.

الكتاب يحوي على حوار جرى بين الروائي والأديب يوسف إدريس والأستاذ!

والحوار جرى بين العملاقين في زمن الستينات من القرن العشرين، ونشر في جريدة «الجمهورية» (يوم السبت ٣٠ يناير ١٩٦٠).

وكان عنوان الحوار: «أنا أزاول السياسة كصحفي» - والقول بالطبع للأستاذ هيكل.

٢ - لعبة السلطة في مصر: عادل حمودة - دار الشروق.

الكتاب يحوي عدة حوارات جرت خلال النصف الأول من تسعينات القرن العشرين. متناولة عدة قضايا شغلت الرأي العام وقتها، مثل: «محاولة اغتيال الرئيس حسني مبارك»،

* أدونيس ديوان «كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل» قصيدة «فصل الحجر».

و«علاقة الدين بالسياسة»، و«الناصرية وما تبقى منها»، و«٤٢ عامًا على ثورة يوليو»، و«رؤيته للرئيس أنور السادات بعد ١٠ سنوات من اختفائه عن المشهد السياسي»!

المفارقة بأن هذا الكتاب هو الوحيد الذي ضم حوارات مع الأستاذ وكتب له مقدمة في ذات الوقت!

٣ - كلام في الكورة مفكرون وسياسيون على المستطيل الأخضر: خالد توحيد - دار أخبار اليوم.

الكتاب يحوي على أول حوار «رياضي» مع الأستاذ، وجرى جزء منه في ملعب الجولف (نادي الجزيرة)، وجزء آخر في مكتبه بالجيزة. متناولًا برنامجه اليومي، وأنواع الرياضة التي يمارسها، ورؤيته لبعض الألعاب الرياضية!

٤ - الجورنال من الصفحة الأولى للصفحة الأخيرة: سمير صبحي - دار المعارف.

الكتاب يحوي حوارًا دار بين المؤلف والأستاذ أثناء إعداده للكتاب منتصف تسعينات القرن العشرين. وبه يتحدث عن التحديات التي تواجه الصحافة من قبل القنوات الفضائية، ومقارنة بين الصحف البريطانية والأمريكية، والتنافس بين الصحف المصرية (وبين أبناء المهنة أيضًا)، وغيرها من المواضيع الخاصة بالصحافة في أزمنة قادمة ومتغيرة!

٥ - بصراحة عن عبد الناصر والسادات ومبارك: مجموعة من المؤلفين - دار أخبار اليوم.

الكتاب يحوي على ثلاثة حوارات جرت في التمهيد لعودة الأستاذ للصحافة المصرية (يناير ١٩٨٦)، بعد الإعلان الذي نشره في ديسمبر ١٩٨٥ الأستاذ إبراهيم سعدة على صفحات «أخبار اليوم» بعودة الأستاذ لكتابة مقاله الشهير «بصراحة» بعد انقطاع عن الصحافة المصرية دام ١٢ سنة. والحوار أجراه عدد من صحفيي جريدة «أخبار اليوم» منهم: إبراهيم سعدة، محمد طنطاوي، كمال عبد الرؤوف، ربيع الشيخ وجلال عارف.

والكتاب يتطرق لحادثة خروج الأستاذ من جريدة الأهرام (فبراير ١٩٧٤) وملابساتها بقرار من الرئيس أنور السادات، لمنصب في رئاسة الجمهورية. ومطالبة الأستاذ تدخل نقابة الصحفيين بالتحقيق فيما أسند إليه من تهم بأنه تخلى عن زملاء المهنة شريطة تقديم أدلة قاطعة ووثائق تثبت ووقائع تؤكد (لم يتقدم أحد خلال ثلاثين عامًا بأي حادثة تؤكد اتهامات البعض من محترفي الكذب وتلفيق الوقائع).

٦ - مثقفون وعسكر مراجعات وتجارب وشهادات عن حالة المثقفين في ظل حكم عبد الناصر والسادات: صلاح عيسى - مكتبة مدبولي.

الكتاب يحوي عدة حوارات جرت بين المؤلف والأستاذ في النصف الأول من ثمانينات القرن العشرين. ومنها: «زوابع التحريض ضد رائعة الأستاذ: خريف الغضب»، و«السلاح المنتصر والسياسة المتخاذلة في حرب أكتوبر»، و«بداية عصر الهيمنة الإسرائيلية»!

٧ - محمد حسنين هيكل يتذكر: عبد الناصر والمثقفون والثقافة: يوسف القعيد - دار الشروق.

سفر ضخم للأديب الأستاذ يوسف القعيد في سجاله البديع مع الأستاذ عن علاقة جمال عبد الناصر بالمثقفين والثقافة فترة رئاسته، وقيم العصر التي سادت زمن حكمه!

متناولًا بالشرح والتفصيل علاقة ناصر بالمثقفين المصريين (توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وصلاح عبد الصبور وعبد الرزاق السنهوري وإحسان عبد القدوس وغيرهم كثيرون)، كما تناول علاقة ناصر بالمثقفين العرب (نزار قباني وسامي الدروبي وساطع الحصري وغيرهم كثيرون)، وتطرق كذلك لعلاقة ناصر بالفن المصري والعربي (أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ وعفاف راضي وفيروز ووديع الصافي وغيرهم).

٨ - هيكل الآخر إبحار في عقل وقلب محمد حسنين هيكل: مفيد فوزي - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الكتاب ظهر مع إطلالة قرن جديد وألفية ثالثة محاولًا إظهار صور شخصية للأستاذ بعيدًا عن السياسة (لم تفارق الحوار وكانت مستترة بين ثناياه)، مسلطًا الضوء على شخصية الإنسان والزوج والأب والجد في تكوين الأستاذ!

وقدم للكتاب الأستاذ مصطفى الفقي.

٩ - هؤلاء حاورهم مفيد فوزي في السياسة أبحرت: مفيد فوزي - دار أخبار اليوم.

عدة حوارات أجراها المؤلف مع الأستاذ خلال مناسبات عدة. منها «عصر الرئيس جمال عبد الناصر لم يكن طبعة رخيصة من عصر النازيين»، و«عمق حادثة المنصة - اغتيال الرئيس أنور السادات» و«الأزمة في أزمة الخليج الثانية - احتلال الكويت وتدمير العراق».

١٠ - محمد حسنين هيكل رجل كل العصور في أزمة وحرب الخليج: سائد درويش - دانة للعلاقات العامة والنشر.

الكتاب يحوي على حوار مطول جرى بين الأستاذ هيكل ورئيس تحرير مجلة أكتوبر الأستاذ صلاح منتصر، نشر على جزأين، الأول يوم الأحد ٣ نوفمبر «الست مع صدام ولست مع جابر»، والثاني يوم الأحد ١١ نوفمبر ١٩٩٠ «أقول لصدام أعلن فورًا قبول الانسحاب».

كما يحوي على حوار جرى بين الأستاذ هيكل والأستاذ مصطفى بكري رئيس تحرير جريدة مصر الفتاة، وقد نشر على ثلاثة أجزاء، كما نشر على محطة مونت كارلو، وكان الحوار الأول قد نشر يوم الإثنين ٢٦ أغسطس، والثاني يوم الإثنين ٢ سبتمبر، والثالث يوم الإثنين ٩ سبتمبر ١٩٩١.

كما ضم الكتاب حوارًا جرى بين الأستاذ هيكل ورئيس تحرير جريدة الأهالي الأستاذ فيليب جلاب نشر يوم الأربعاء ٢٩ يناير ١٩٩٢.

وكل هذه الحوارات والأحاديث تناولت أزمة وحرب الخليج وتداعياتها.

١١ - قصة السوفييت مع مصر: محمد عودة وفيليب جلاب وسعد كامل - دار الثقافة الجديدة.

جرى الحوار بين المثقفين الثلاث والأستاذ في الشهر الأخير من عام ١٩٧٤، في عز تصاعد الحملة «الصليبية» ضد السوفييت، خدمة لسياسة الرئيس أنور السادات المنقلبة عليهم والمتقاربة مع الأمريكان (العقل العربي نتيجة لتوحيد الآلهة سحب فكره «التوحيدي» على كل شيء في مناحي الحياة المختلفة باستثناء... تعدد الزوجات)!

والكتاب يناقش شكل العلاقات المصرية (العربية) مع السوفييت وتطورها خلال العشرين سنة الفائتة (١٩٥٤ - ١٩٧٤).

١٢ - حوارات حول الأزمة: سناء السعيد ومصطفى بكري - دار الحسام.

الكتاب يحاور الأستاذ في عدة أزمات داهمت العالم العربي سنة ١٩٩٧، منها العمليات الفدائية داخل فلسطين المحتلة، وعملية الجندي الأردني «أحمد الدقامسة» ضد فتيات إسرائيليات

وردود الأفعال الرسمية والشعبية عليها، وعقدة المفاوضات المتمثلة بالقدس، ومشاكل مصر الاقتصادية، وسطوة رجال الأعمال ونفوذهم المريب في أروقة الحكم، والعلاقات بين المسلمين والأقباط داخل القطر المصري، وغيرها من المشاكل والأزمات الطارئة.

١٣ - هيكل يتكلم - ثورة يناير وما بعدها - مصر أمام لحظة حقيقة: ياسر رزق - دار أخبار اليوم.

الكتاب يتناول الأحداث التي أعقبت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، والإطاحة بالنظام القديم. وأبعاد ما جرى في ميدان التحرير ودلالاته، وتشخيص لمعنى الحرية بتغيير مجتمع ومعاييره السائدة وليس شخصًا بسلطته الزائلة. ومحاولة استلهام مقولة الزعيم الروسي لينين: «ما العمل ؟»

١٤ - بصراحة عن عبد الناصر حوار مع محمد حسنين هيكل: فؤاد مطر - دار القضايا.

الكتاب هو «الوحيد» لكاتب عربي أجرى حوار مع الأستاذ، وجرى بعد خروج الأستاذ من جريدة «الأهرام»، متناولا اللقاء الأول الذي جمع جمال عبد الناصر بالأستاذ، وتأسيس تنظيم الضباط الأحرار، ودور محمد نجيب، وعلاقة ناصر مع الأحزاب الشيوعية وحركة الإخوان، واليمن، والوحدة مع سوريا وغيرها من القضايا التي شكل الرئيس ناصر محورها.

١٥ - نور الشريف.. مشوار في طريق الفن والسياسة: دسوقي سعيد - مجموعة الشرقاوي الدولية.

الكتاب يحوي على حوار سياسي أجراه الفنان نور الشريف مع الأستاذ هيكل، عبر مجلة «نصف الدنيا» يوم الأحد ٢١ فبراير ١٩٩٩.

١٦ - مصر بعيون إيرانية: جميلة كديفار ومحمد صادق الحسيني - دار الشروق.

مجموعة من المثقفين الإيرانيين قاموا برحلة لمصر، قادتهم بالتأكيد للأستاذ، متحاورين معه في قضايا التاريخ، وشئون الحاضر، وعلاقة الأستاذ هيكل بإيران (أول عمل له كان عن إيران) وغيرها من القضايا.

١٧ – هيكل: حوار الفكر والثقافة: محمد الشافعي – دار الهلال.

آخر كتاب حواري مع الأستاذ، وقد تناول الكتاب قضايا ثقافية وعلاقة الأستاذ بالشعر والأدب، وعلاقة السياسة بالثقافة، ورؤية الأستاذ للحركة الثقافية منذ بداية عمله بالصحافة (١٩٤٢) حتى تاريخ إجراء اللقاء (٢٠١٢)!

١٨ – مفكرون وقضبان – حكايتي.. مع السجن: حنفي المحلاوي – الدار المصرية اللبنانية.

الكتاب يضم حوارًا جرى بين المؤلف والأستاذ هيكل عن أشهر السجن التي قضاها بعد اعتقالات سبتمبر ١٩٨١ وتجربته فيه ورؤيته لواقع السجون وأزمة الحرية وكبت المثقفين. كما يضم الكتاب حوارات مع عدد من المثقفين أمثال: مصطفى أمين، محمود السعدني، ميلاد حنا، لطفي الخولي، جمال الغيطاني، صلاح عيسى، جمال بدوي ونوال السعداوي وغيرهم.

١٩ – هموم العرب حكامًا... ومحكومين ١٩٦٣ – ٢٠٠٣ – دراسة في تجربة فؤاد مطر: خليل أحمد خليل – المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الكتاب يضم حوارين أجرهما الأستاذ فؤاد مطر مع الأستاذ هيكل، الأولى: يوم السبت ٢ أغسطس ١٩٧٠، والثانية: يوم الأحد ١٦ مايو ١٩٧١، وتم نشرهما في جريدة النهار البيروتية.

٢٠ – من رودس إلى جنيف – فلسطين من الضياع إلى الربيع العربي: عادل مالك – دار النهضة العربية.

المؤلف يحاور الأستاذ عن حقيقة التغيرات في مصر بعد غياب الرئيس ناصر، كما يتناول خروجه من جريدة الأهرام، وأبعاد خلافه مع الرئيس السادات.

٢١ – الملك فيصل – شخصيته وعصره وإيمانه: أليكسي فاسيليف – دار الساقي.

المؤرخ الروسي يحاول في كتابه أن يسبر أغوار شخصية الملك فيصل ثالث ملوك العربية السعودية (١٩٦٤ – ١٩٧٥)، وقد عقد عدة لقاءات مع من عاصره وخبره واقترب منه، وكان من بينهم الأستاذ هيكل، رغم أنه كان على الضفة المضادة له، كي يكون الكتاب موضوعي.

الفصل التاسع والعشرون:

غابات الحروف *

> في الأساس عملك على البحث المكتبي من خلال "جوجل"، ولقد ساعدني ليس فقط بتوفير كم هائل من الوقت ولكن في الواقع اعطاني عرضا أكثر ثراء من البحوث في وقت قصير.
>
> توماس فريدمان Thomas Friedman

أسهم الأستاذ بمجموعة من الكتب، بمعنى ندوة وكان له فيها كلمة، جلسة حوارية وكان بها متحدثًا، فكرة ورأي المحرر نشر مقال أو كلمة للأستاذ.

١ – المجموعة الكاملة لخطب وأحاديث وتصريحات جمال عبد الناصر (الجزء الثالث – القسم الأول ١٩٥٨ – ١٩٥٩): تحرير أحمد يوسف أحمد – مركز دراسات الوحدة العربية.

الكتاب يحوي حديثًا تم بين رئيس تحرير جريدة الأهرام الأستاذ هيكل مع الرئيس جمال عبد الناصر، ونشر على جزأين: يوم الثلاثاء ٣٠ يونيو، ويوم الخميس ٢ يوليو ١٩٥٩. متناولًا أحداث المنطقة وتداعياتها.

٢ – عودة الوعي: توفيق الحكيم – دار الشروق.

الكتاب يعتبر هجومًا على زمن الرئيس جمال عبد الناصر، بزعم إطلاق الحريات في عصر الرئيس أنور السادات. وكان هناك بالطبع ردود فعل عنيفة من قبل قطاع كبير من المثقفين. فتم إعادة طبع الكتاب وزاد عليه الأستاذ توفيق الحكيم متناولًا عددًا من الحقائق

* أدونيس: ديوان «كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل» – قصيدة: «تحولات العاشق»

والتعليقات بإيضاح أكثر، وتفصيل أصرح. كما يحوي الكتاب على رد الأستاذ هيكل على الكتاب عبر مجلة الصياد اللبنانية (فعصر الحريات المزعوم لم يتحمل كلمة لأهم كاتب سياسي في القرن العشرين - حرية تفصيل!)، كما يحوي الكتاب ردود أفعال اليسار المصري ورد المؤلف عليها.

٣ - كيف يصنع القرار في الوطن العربي: إبراهيم سعد الدين وآخرون - مركز دراسات الوحدة العربية.

الكتاب يحوي أعمال الندوة التي عقدت في القاهرة يوم السبت ٢٤ نوفمبر ١٩٨٤، حول عملية صنع القرار في الوطن العربي، عبر حالتين في صنع القرار في الوطن العربي، الأولى حول قرار تأميم شركة قناة السويس يوم الخميس ٢٦ يوليو ١٩٥٦، والثانية حول قرارات حظر تصدير النفط والحد من الإنتاج في أكتوبر ١٩٧٣.

٤ - نحن والعراق والشيوعية: جمال عبد الناصر - دار النشر العربية.

الكتاب يحوي على موقف الرئيس جمال عبد الناصر من الأحزاب الشيوعية العربية عبر نشر عدة خطب له في ديسمبر ١٩٥٨، وخلال التصف الأول من عام ١٩٥٩. كما يحوي على بيان الزعيم السوفيتي نيكيتا خروشوف يوم ١٧ مارس ١٩٥٩ مؤيدًا للأحزاب الشيوعية العربية ضد القومية العربية، ورد الرئيس عبد الناصر عليه، ويحوي كذلك الكتاب على مقالتين للأستاذ هيكل: «شرارة في الموصل» نشرت يوم السبت ١٤ مارس ١٩٥٩ بجريدة الأهرام، والثانية «عتاب من خروشوف وعتاب على خروشوف» نشرت يوم الخميس ٢٩ يناير ١٩٥٩ بجريدة الأهرام.

٥ - شهود العصر - (الأهرام ١١٠ مقالات، و١١٠ أعوام: ١٨٧٦ - ١٩٨٦): مجموعة من المؤلفين (١١٠) - مركز الأهرام للترجمة والنشر.

الكتاب تذكاري بمناسبة مرور ١١٠ عام على تأسيس جريدة الأهرام، عبر نشر ١١٠ مقالًا نشرت بطبيعة الحال بجريدة الأهرام على يد ١١٠ كاتبًا، ومنهم بطبيعة الحال أظهر رؤساء تحريرها الأستاذ هيكل، عبر نشر مقال له بعنوان «كيسنجر... ومعنى النجاح ؟!» وقد نشر يوم الجمعة ٤ يناير ١٩٧٤.

٦ - محمد حسنين هيكل - رجل كل العصور في أزمة وحرب الخليج: سائد درويش - دانة للعلاقات العامة والنشر.

الكتاب يحوي على مقال الأستاذ هيكل في أول تعليق له على اجتياح القوات العراقية لدولة الكويت، وقد نشره في صحيفة التايمز اللندنية يوم الأربعاء ١٢ سبتمبر ١٩٩٠. كما يحوي الكتاب أيضًا على رسالة كتبها الأستاذ هيكل لرئيس تحرير جريدة الأهالي القاهرية الأستاذ فيليب جلاب يوم الأربعاء ٣١ أكتوبر ١٩٩٠ عن مجريات أزمة الخليج.

٧ - حرب العالمين الأولى - حرب ضد بلد عربي - مسلم من العالم الثالث: مجموعة من المؤلفين - شركة الأرض للنشر المحدودة.

الكتاب من تحرير الأستاذ صبحي الحديدي، وهو يضم مجموعة من مقالات تبحث في أزمة الخليج الثانية ١٩٩٠ - ١٩٩١،

ومن بينهم مقال الأستاذ هيكل في صحيفة التايمز اللندنية يوم الأربعاء ١٢ سبتمبر ١٩٩٠. كما يحوي على عدة مقالات لكتاب مرموقين أمثال: إدوارد سعيد، نعوم تشومسكي، هنري كيسنجر وجورج بول وغيرهم.

٨ - المجموعة الكاملة لخطب وأحاديث وتصريحات جمال عبد الناصر الجزء الثاني ١٩٥٥ - ١٩٥٧: تحرير أحمد يوسف أحمد - مركز دراسات الوحدة العربية.

الكتاب يحوي على حديث جرى يوم الإثنين ٩ سبتمبر ١٩٥٧ بين رئيس تحرير جريدة الأهرام الأستاذ محمد حسنين هيكل والرئيس جمال عبد الناصر، متناولًا تطورات الأحداث في المنطقة وقتها.

٩ - العرب وتحديات النظام العالمي: مجموعة من المفكرين - مركز دراسات الوحدة العربية.

الكتاب يستشرف المستقبل العربي ضمن متغيرات إقليمية وعالمية تطل على مشارف قرن جديد وألفية ثالثة، مع زيادة توحش الرأسمالية، وحدود الهيمنة الأمريكية، ورؤية الولايات المتحدة للمنطقة العربية بعد سقوط نظام القطبية الثنائية. ويضم الكتاب كلمة الأستاذ هيكل يوم الخميس ٢٧ أكتوبر ١٩٩٤ في المؤتمر السنوي الثلاثين لجماعة خريجي المعهد القومي

للإدارة العليا في مصر والمنعقد في فندق شيراتون المنتزه بمدينة الإسكندرية، والتي كانت بعنوان «العرب على أعتاب القرن الواحد والعشرين». كما يضم الكتاب أبحاثًا لمجموعة أخرى من المفكرين أمثال: أسماعيل صبري عبد الله، سمير أمين وجميل مطر وغيرهم.

١٠ - خيانة المثقفين - النصوص الأخيرة: إدوارد سعيد - دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.

الكتاب من ترجمة الأستاذ أسعد الحسين، وهو من قام باختيار مجموعة من مقالات إدوار سعيد (٣٧ مقال) وترجمها، ثم أضاف للكتاب كلمات قيلت في رثاء البرفسور سعيد، ومنها بالطبع كلمة الأستاذ هيكل والتي نشرها في جريدة العربي يوم الأحد ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٣، كما ضم الكتاب كلمات أخرى لكبار مثقفي العالم في رثاء إدوارد سعيد منهم: محمود درويش، محمد سيد أحمد، أنور عبد الملك، سمير أمين، فريال غزول، مريد البرغوثي، نعوم تشومسكي، روبرت فيسك ومنى أنيس وغيرهم.

١١ - هموم العرب حكامًا... ومحكومين ١٩٦٣ - ٢٠٠٣ - دراسة في تجربة فؤاد مطر: إعداد خليل أحمد خليل - المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الكتاب يحوي على مقال كتبه الأستاذ هيكل يوم الإثنين ٣ يوليو ١٩٨٩ في مجلة التضامن اللندنية، بعنوان «الحالم الكبير»، بمناسبة وفاة أحد مؤسسي حزب البعث العربي الأستاذ ميشال عفلق يوم الجمعة ٢٣ يونيو في أحد مستشفيات باريس (مستشفى ميليتار) إثر عملية جراحية

١٢ - عبد الناصر وهؤلاء: مجموعة من الكتاب - مطبعة عابدين.

الكتاب يحوي عدة مقالات كتبها مجموعة من الكتاب والمثقفين المصريين والعرب زمن الرئيس جمال عبد الناصر. ومنهم: رجاء النقاش، عبد الرحمن الشرقاوي، توفيق الحكيم، سيد مرعي، مصطفى أمين، نزار قباني، أحمد بهاء الدين، موسى صبري، علي أمين، نجيب محفوظ، يوسف إدريس، خالد محمد خالد، خالد محي الدين والأستاذ محمد حسنين هيكل، عبر مقال نشره في جريدة الأهرام يوم الأحد ١٠ يناير ١٩٦٠ بعنوان «تحية له». والكتاب طبع سنة ١٩٧٥ في عز الحملة المسعورة على منجزات ناصر، والناشر أو المحرر قام بعمل فذ وشجاع، فقد جمع ما كتب بعضهم (شبه تأليه لجمال عبد الناصر) وجمعه بين دفتي هذا الكتاب ليكون السجل شاهدًا عما قال في ذلك العصر، وما يقوله الآن!

وهو يثبت أن الألقاب لا قيمة لها، فأحدهم أتخذ لقب «رجل السادات - موسى صبري» واتضح بأنه شبح خائف، وآخر حاز على لقب «عاشق الصحافة - مصطفى أمين» والصحافة موقف أمام الحياة وليس الموت، وكان هو أسبق الجميع من الصحفيين بحرق بخور الولاء أمام ناصر.. وغيرهما كثير!

١٣ - ثورة ٢٣ يوليو قضايا الحاضر وتحديات المستقبل: مجموعة من المثقفين - دار المستقبل العربي.

الكتاب يحوي بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها دار المستقبل العربي في شهر مايو ١٩٨٦. والكتاب يحوي بطبيعة الحال الكلمة التي ألقاها الأستاذ هيكل بهذه المناسبة، فضلًا عن كلمات لنخبة من المفكرين والمثقفين أمثال: مجدي حماد، أحمد صدقي الدجاني، محمد أنيس، علي الدين هلال، محمود رياض، مراد غالب، محمد البصري، الأخضر الإبراهيمي، إسماعيل صبري عبد الله، عزيز صدقي، فؤاد مرسي، إبراهيم سعد الدين ومحمود عبد الفضيل وغيرهم.

١٤ - صراع الحضارات أم حوار الثقافات ؟: مجموعة من المفكرين - مطبوعات التضامن.

الكتاب حرره الأستاذ فخري لبيب، وهو يحوي أوراق المؤتمر الدولي حول «صراع الحضارات أم حوار الثقافات» المنعقد في القاهرة في شهر مارس ١٩٩٧. وبالإضافة لكلمة الأستاذ هيكل التي ألقاها بهذه المناسبة، هناك أوراق لعدد من المفكرين والمثقفين أمثال: أنور عبد الملك، السيد ياسين، حسن حنفي، سمير أمين، محمود أمين العالم، عبد الوهاب المسيري، نوال السعداوي، محمد سيد أحمد وفريدة النقاش وغيرهم.

١٥ - من قضايا الإخوان المسلمين - محاولة اغتيال عبد الناصر: محمود صلاح - مدبولي الصغير.

الكتاب يضم ضمن دفتيه مقالتين كتبهما الأستاذ هيكل في منتصف خمسينيات القرن العشرين، الأولى يوم السبت ٣٠ أكتوبر ١٩٥٤ المنشورة في جريدة «أخبار اليوم»، بعنوان: «الجاني يتكلم» وهو حوار مع محمود عبد اللطيف محمد، المنتمي لجماعة الإخوان المسلمين، والذي قام بإطلاق النار على جمال عبد الناصر يوم الثلاثاء ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ من مسدسه وهو يخطب في المنشية بمدينة الإسكندرية.

بينما المقال الثاني كان حوارًا مطولًا مع المرشد الثاني لجماعة الإخوان المسلمين الأستاذ حسن إسماعيل الهضيبي.

١٦ - ٨٠٠ عام (حطين صلاح الدين والعمل العربي الموحد): مجموعة من المفكرين - دار الشروق.

الكتاب يحوي وقائع الندوة التي أقيمت بالقاهرة في شهر يونيو ١٩٨٧ برعاية اللجنة المصرية للتضامن ومركز الدراسات العربية بلندن. وبه كلمة الأستاذ هيكل بعنوان «حوار المستقبل العربي في ذكرى حطين وصلاح الدين». كما يحوي الكتاب أوراقًا لعدد من الباحثين أمثال: أحمد حمروش، البابا شنودة، عبد الرحمن الشرقاوي، عبد المجيد فريد، منح الصلح ومحمد حسن الزيات وغيرهم.

١٧ - جامعة الدول العربية الواقع والطموح: مجموعة من المفكرين - مركز دراسات الوحدة العربية.

الكتاب يحوي الوقائع الكاملة لبحوث ندوة «جامعة الدول العربية: الواقع والطموح» والتي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، والمنعقدة بالعاصمة التونسية في شهر إبريل ١٩٨٠. وبه كلمة الأستاذ التي ألقاها في الندوة. كما يحوي أبحاث عدد من الباحثين من أمثال: الشاذلي القليبي، خير الدين حسيب، منح الصلح، علي الدين هلال، حسن نافعة، يحيى الجمل، يوسف صايغ، عادل حسين، حسين جميل، محمد سيد أحمد، غسان العطية، عبد الملك عودة، أحمد صدقي الدجاني، غسان سلامة، أسامة الغزالي حرب، مجدي حماد، حلمي شعراوي، أحمد يوسف أحمد، سعد الدين إبراهيم، لطفي الخولي، جميل مطر، قسطنطين زريق، ميشال ابو جودة، عبد المنعم الرفاعي ومحمود رياض وغيرهم.

١٨ - التراث وتحديات العصر في الوطن العربي (الأصالة والمعاصرة): مجموعة من المفكرين - مركز دراسات الوحدة العربية.

الكتاب حصيلة الوقائع الكاملة لبحوث الندوة التي عقدها مركز دراسات الوحدة العربية في القاهرة خلال شهر سبتمبر ١٩٨٤ تحت عنوان «التراث وتحديات العصر في الوطن العربي: الأصالة والمعاصرة». وبه كلمة الأستاذ هيكل التي ألقاها في الندوة، كما يحوي الكتاب أعمال عدد من المفكرين أمثال: السيد ياسين، خير الدين حسيب، محمد عابد الجابري، مصطفى الفقي، مراد وهبة، غسان سلامة، قسطنطين زريق، علي الدين هلال، سعد الدين إبراهيم،

جلال أمين، أحمد كمال أبو المجد، عصام نعمان، عادل حسين، حمد الفرحان، طارق البشري، يحيى الجمل، حسين جميل، إسماعيل صبري عبد الله، عبد الله فهد النفيسي، محمد عمارة وأحمد بهاء الدين وغيرهم.

١٩ - وثائق ندوة السويس الدولية - معركة السويس (ثلاثون عامًا): مجموعة من المفكرين - دار الشروق.

وثائق وشهادات تاريخية بمناسبة الندوة التي عقدتها اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية بمناسبة مرور ثلاثين عامًا على معركة السويس (١٩٥٦ - ١٩٨٦)، ومنها كلمة الأستاذ هيكل التي ألقاها في الندوة، بالإضافة لكلمات عدد من المفكرين أمثال: أحمد حمروش، أنتوني ناتنج، ستيفن جرين وأمين هويدي وغيرهم.

٢٠ - القطاع العام والقطاع الخاص في الوطن العربي: مجموعة من المفكرين - مركز دراسات الوحدة العربية.

الكتاب يحوي وقائع الندوة التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مع الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، عن «القطاع العام والقطاع الخاص في الوطن العربي» المنعقد في القاهرة شهر مايو ١٩٩٠. ويحوي كلمة الأستاذ التي ألقاها في الندوة، كما يحوي أوراقًا غيره من المفكرين أمثال: عبد اللطيف الحمد، خير الدين حسيب، محمود عبد الفضيل، محمد محمود الإمام، إسماعيل صبري عبد الله، فؤاد مرسي، إبراهيم سعد الدين، حازم الببلاوي، جلال أمين، عارف دليلة ويوسف صايغ وغيرهم.

٢١ - إشكاليات تعثر التحول الديمقراطي في الوطن العربي: مجموعة من المفكرين - مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.

الكتاب يحوي وقائع المؤتمر الذي نظمته مؤسسة مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ومركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ومجلة السياسة الدولية، والذي انعقد في القاهرة في شهر مارس ١٩٩٦، تحت عنوان «إشكاليات تعثر التحول الديمقراطي في الوطن العربي». وبه كلمة الأستاذ هيكل التي ألقاها في المؤتمر، كما يحوي مجموعة أوراق

مفكرين شاركوا في المؤتمر أمثال: عزمي بشارة، محمد السيد سعيد، محمد عبد الملك المتوكل وأسامة الغزالي حرب وغيرهم.

٢٢ - الفارس مر من هنا - عادل حسين في عيون من عرفوه: مجموعة من المثقفين.

كتاب تذكاري عن الأستاذ عادل حسين، والكلمات التي قيلت بعد وفاته في مارس ٢٠٠١، ومنها كلمة الأستاذ هيكل، مع عدد من المثقفين أمثال: أبو العلا ماضي، أمينة النقاش، أنور عبد الملك، جلال أمين، حسين عبد الرازق، حمدين صباحي، رفيق حبيب، صافيناز كاظم، طارق البشري، طلعت رميح، عبد الحليم قنديل، عبد الوهاب المسيري، عصام العريان، مجدي أحمد حسين، محمد الخولي، محمد السيد سعيد، محمد سيد أحمد، محمود السعدني، محمود عبد الفضيل ووحيد عبد المجيد وغيرهم.

٢٣ - تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣ - نحو إقامة مجتمع المعرفة - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للإنماء.

يهدف التقرير إلى إثارة الحوار حول عدد من القضايا المهمة المطروحة في التقرير والمساهمة في تشخيص أهم التحديات التي تواجه الدول العربية في مجال المعرفة، واقتراح وسائل النهوض بها بما يساعد على تكريس اكتساب المعرفة وتوظيفها في عموم الوطن العربي.

وهو يحوي على كلمة الأستاذ هيكل، كما يحوي على كلمات لعدد من المثقفين العرب: إدوارد سعيد، أحمد كمال أبو المجد، عبد العزيز المقالح وغسان تويني وغيرهم.

٢٤ - في حضرة محمد عودة (عاشق في محراب الوطن): مجموعة من المثقفين - منتدى محمد عودة.

قام على تحريره الأستاذ محمد بدر الدين، وهو يحوي على مجموعة كلمات وبرقيات قيلت في الأستاذ محمد عودة في مناسبات عديدة، ومنها كلمة الأستاذ هيكل بمناسبة وفاته والمنشورة في جريدة العربي يوم الأحد ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٦. كما يحوي الكتاب على كلمات ومقالات لعدد من المثقفين الذين رثوا الأستاذ محمد عودة من أمثال: يوسف الشريف، مكرم محمد أحمد، مصطفى بكري، مديحة عمارة، محمود عبد الفضيل، محمد عبد الحكيم دياب، محمد الخولي،

كامل زهيري، فريدة النقاش، عبد الله السناوي، عبد العزيز المقالح، عبد الحليم قنديل، حمدين صباحي وجلال عارف وغيرهم.

٢٥ - روح الجزيرة ١٩٩٦ - ٢٠٠٦: مجموعة من المفكرين - شركة الوراقين.

كتاب تذكاري بمناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق محطة الجزيرة في قطر. والكتاب يحوي على كلمة الأستاذ هيكل وهي بعنوان «مسألة كيمياء» وفيه يكشف عن كيفية نشأة القناة والتحديات التي تواجه الإعلام العربي في أزمنة متغيرة. ويضم الكتاب شهادات لعدد من المثقفين أمثال: عبد الباري عطوان، وفهمي هويدي، وخديجة بن قنة ومحمد كريشان وغيرهم.

■ ■ ■

الفصل الثلاثون:

كلام البدايات*

> لقد وجدت ديني: لا شيء يبدو أكثر أهمية بالنسبة لي من كتاب. رأيت المكتبة كمعبد.
> جان بول سارتر Jean-Paul Sartre

ضرب الأستاذ هيكل رقمًا قياسيًّا في كتابة مقدمات كتب لزملائه من المثقفين والشعراء والكتاب والسياسيين، بحيث لم يسبقه أحد في كمية كتابة مقدمات، وظني بأنه لن يقدر أحد على اللحاق به!

١ - مذكرات إيدن: السويس: أنتوني إيدن - صدر في القاهرة دون ذكر لدار النشر.

صدرت مذكرات رئيس وزراء بريطانيا بعنوان «دائرة كاملة»، وقام الأستاذ هيكل بترجمة الجزء الخاص بحرب السويس ١٩٥٦ من المذكرات ونشر جزءًا منها خلال شهر يناير ١٩٦٠ في جريدة الأهرام، بينما الكتاب يحوي كل مذكرات السير أنتوني إيدن الخاص فقط بحرب السويس، مع مقدمة كتبها الأستاذ بهذا الشأن.

٢ - وثائق عبد الناصر خطب وأحاديث وتصريحات ١٩٦٧ - ١٩٦٨: حاتم صادق - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.

الكتاب قام بإعداده الأستاذ حاتم صادق (زوج السيدة هدى عبد الناصر)، وهو يحوي كل خطب وأحاديث وتصريحات الرئيس ناصر خلال الفترة الممتدة من يناير ١٩٦٧ إلى ديسمبر ١٩٦٨، مع مقدمة للأستاذ، وقد صدر في الذكرى ٢١ لقيام ثورة يوليو.

---

* [illegible] كتاب «كلام [illegible]»، وهو يحوي على مجموعة [illegible]

٣ – الحرب الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل: حمدي فؤاد – دار القضايا.

الكتاب يحوي مجموعة وثائق أصلية تتعلق بالحرب الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل، وهي زاوية من زوايا الحرب الشاملة التي دارت منذ ١٩٤٧، وبالتحديد منذ ١٩٦٧.

٤ – يوميات هذا الزمان: أحمد بهاء الدين – مركز الأهرام للترجمة والنشر.

مجموعة يوميات للأستاذ أحمد بهاء الدين ضمن ما كتبه في جريدة الأهرام، والذي بدوره جمعها لتكون بمثابة تحية للأستاذ بهاء المحتجب في فراش مرضه إثر تعرضه لوعكة صحية سنة ١٩٩٠.

٥ – المثقفون والسلطة في عالمنا العربي: أحمد بهاء الدين – كتاب العربي (الكويت).

مجموعة من مقالات الأستاذ أحمد بهاء الدين، خلال ترأسه لإدارة تحرير مجلة العربي الكويتية (١٩٧٦ – ١٩٨٢)، رأت إدارة تحرير المجلة أن تجمع بعضها ضمن كتاب وفاءً للأستاذ بهاء، خاصة بأنها ما زالت تثير تفاعلًا على الصعيد السياسي والثقافي، وجاء الكتاب ضمن احتفال المجلة بالذكرى ٣١ لتأسيسها.

٦ – من أسرار الساسة والسياسة – أحمد حسنين باشا حياته الخاصة والعامة: محمد التابعي – دار الشروق.

في سنة ٢٠٠٨ رأت إدارة دار الشروق إعادة طبع كتاب الأستاذ محمد التابعي الصادر سنة (١٩٧٠)، ولم تجد بالطبع غير آخر تلاميذه الأستاذ هيكل أن يقوم بكتابة المقدمة لأجيال جديدة من القراء!

٧ – يوميات عبد الناصر عن حرب فلسطين: جمال عبد الناصر – مؤسسة الوطن العربي للطباعة والنشر.

هي مذكرات جمال عبد الناصر عن تجربته في حرب فلسطين ١٩٤٨، حاوية أخبار وأفكار ومشاعر ضابط أركان حرب الكتيبة السادسة، وقد صدرت في الذكرى الثلاثين لنكبة ١٩٤٨.

٨ – منير كنعان: سناء البيسي – صندوق التنمية الثقافية – وزارة الثقافة المصرية.

كتاب ضخم يحوي جل أعمال الفنان الراحل منير كنعان (بالألوان)، وقد تزامل هو والأستاذ فترة أخبار اليوم.

وقد جاء الكتاب في الذكرى العاشرة لرحيل الفنان سنة ١٩٩٩.

(أبلغني الأستاذ جميل عارف بأنه كان أول من أجرى حديثًا صحفيًّا مع الزعيم الجزائري أحمد بن بيلا، مصطحبًا معه كبير مصوري أخبار اليوم الأستاذ محمد يوسف، والذي التقط عدة صور لبن بيلا. لكنه بعد تصويره اعترض على نشر الصور، خوفًا من أنها قد تسبب تقييد حركته. وهنا تدخل الأستاذ هيكل (بصفته رئيس تحرير آخر ساعة)، بأن الحديث قد يفقد مصداقيته وأن هناك من يشكك في صحته. فتم الاستعانة بالفنان منير كنعان ليرسم صورة (فنية) لزعيم ثورة الجزائر تضفي على الحديث مصداقية وتخرس أصوات المشككين. وعندما أبلغت الأستاذة سناء البيسي (قرينة منير كنعان) بالقصة كما رواها الأستاذ جميل عارف، قالت بأنها شاهدت في المرسم صورة بن بيلا، لكنها لم تكن تعلم خلفية وجذور القصة)!

٩ – صحافة الغد: هشام توفيق بحري – دار المعارف.

كتاب يتحدث عن الآفاق الجديدة للصحافة وطلائعها المقتدرة، ومنها بالطبع الصحافة العربية على يد أحد الذين أسهموا إسهامًا خلاقًا في تجربة الأهرام، وهو الأستاذ هشام توفيق بحري، وكان الآمر الناهي في الأهرام كله بعد الأستاذ هيكل (أسمه الحقيقي هنري توفيق بحري، وأصبح هشام توفيق بحري بعد أن أعلن إسلامه وتزوج من الصحفية الأستاذة سناء منصور التي أصبحت فيما بعد نجمة التليفزيون المصري).

١٠ – الحكومة الخفية: ديفيد وايز وتوماس روس – دار المعارف.

قام بترجمة الكتاب الأستاذ جورج عزيز، وهو كتاب سنة ١٩٦٤ متصدرًا طوال العام وبغير توقف قائمة أكثر الكتب رواجًا. وهو يتناول الدور الذي تقوم به وكالة المخابرات الأمريكية في السياسة الخارجية والداخلية للولايات المتحدة.

١١ - عبد الناصر السجل بالصور: صلاح هلال - مركز الأهرام للترجمة والنشر.

صدر الكتاب في الذكرى الأولى لرحيل جمال عبد الناصر (١٩٧١)، حاويًا على عشرات الصور للرئيس ناصر. وقد أشرف عليه الأستاذ صلاح هلال ونسق صفحاته الأستاذ سمير صبري.

١٢ - حدث في قرطاج - هايل عبد الحميد دماء على طريق القدس: إحسان بكر - مطابع الأهرام التجارية.

الكتاب يتناول حادثة استشهاد اثنين من قادة المقاومة الفلسطينية: صلاح خلف وهايل عبد الحميد في تونس عشية نشوب حرب الخليج الثانية (تحرير الكويت وتدمير العراق ١٩٩١)

١٣ - في دهاليز الصحافة: سمير صبحي - المثقف العربي.

كتاب يتناول قضية الصحافة المصرية، مسلطًا الضوء «عنها» وليس «منها». وقد كتب مقدمة الكتاب الأستاذ هيكل قبل اعتقاله ليلة الخميس ٣ سبتمبر ١٩٨١ ودخوله السجن بسبعة أشهر (فبراير ١٩٨١).

١٤ - الحقيقة والوهم في الواقع المصري: رشدي سعيد - دار الهلال.

الكتاب للدكتور رشدي سعيد أستاذ الجيولوجيا، وقد استطاع أن يخطو من الجامعة إلى المجتمع ومن العلم إلى الثقافة نافذًا من طبقات الأرض إلى حياة البشر الذين يعيشون فوقها.

وقد أهدى الكتاب لمهندس المناجم الدكتور فوزي هيكل شقيق الأستاذ.

١٥ - ٥٠ عامًا على ثورة ١٩١٩: أحمد عزت عبد الكريم - مؤسسة الأهرام- مركز الوثائق والبحوث التاريخية لمصر المعاصرة.

هو باكورة عمل «مركز الدراسات التاريخية لمصر المعاصرة» الذي أنشأه الأهرام، وقام بمراجعته الدكتور أحمد عزت عبد الكريم أستاذ التاريخ المصري المعاصر ومدير جامعة عين شمس (سنة ١٩٦٩). والكتاب جاء بمناسبة الذكرى الخمسين لثورة ١٩١٩ على ضوء الوثائق السرية البريطانية.

١٦ - أحزان حرية الصحافة: صلاح الدين حافظ - مركز الأهرام للترجمة والنشر.

الكتاب يحوي أفكارًا متدفقة عن حرية الصحافة، متناولًا الأيام والظروف التي ظهر بها الكتاب مداخل القرن الحادي والعشرين، والتي تجري وقائعها في الوطن المصري.

١٧ - «غزة - أريحا» سلام أمريكي: ادوارد سعيد - دار المستقبل العربي.

مجموعة مقالات للبروفيسور إدوارد سعيد كتبها قبل وبعد اتفاق أوسلو سبتمبر ١٩٩٣ «غزة أريحا أولًا».

١٨ - العسكرية الصهيونية - المؤسسة العسكرية الإسرائيلية النشأة - التطور ١٨٨٧ - ١٩٦٧: مجموعة من المؤلفين - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

استغرق هذا البحث أكثر من خمس سنوات، وصدر الجزء الأول منه في الذكرى الثانية لرحيل جمال عبد الناصر (١٩٧٢)، وكان تحت عنوان «نشأة وتطور المؤسسة العسكرية الإسرائيلية»، وكان الجزء الثاني تحت عنوان «عن العقيدة والاستراتيجية الإسرائيلية»، وكان الجزء الثالث والأخير بعنوان «ديناميكا الجولات الثلاث التي دارت (وقتها): ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧».

وقدمت الحكومة الليبية بناء على قرار من العقيد معمر القذافي كل الاعتمادات التي صرفت على هذا البحث.

وقام بإعداد مادة البحث العميد طه المجدوب، وناقشه وراجعه وشارك في إعداد مادته: اللواء حسن البدري، والعميد محمد زهدي، والأساتذة محمد حسين ياقوت وسميح صادق وحاتم صادق.

١٩ - الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ - رؤية حضارية جديدة: عبد الوهاب المسيري - دار الشروق.

منذ ستينات القرن العشرين أخذ العالم الدكتور المسيري على نفسه مهمة دراسة الدين اليهودي والتواريخ والهويات اليهودية، حتى تحول الرجل لموسوعة حية عن المهمة التي أعطاها عقله وقلبه وأحلى سنوات عمره، والكتاب ضمن هذا السياق.

٢٠ - قاموس التواريخ - يوميات الأحداث (الجداول الزمنية) وقوائم مرجعية تاريخية: محمد حمدي - المكتبة الأكاديمية.

الكاتب كان عضوًا في هيئة تحرير جريدة الأهرام، وبعدها تولى مسئولية مكتبة القاهرة الكبرى. والكتاب عبارة عن مجلدين حاويًا على معلومات هادرة عن مواضيع شتى.

(لم ألتق في حياتي بالأستاذ محمد حمدي (سوء حظي)، وقد خصص ١٣ صفحة من كتابه الموسوعي في تعريفه عن الأستاذ هيكل، وقد فوجئت - حقيقة - بوجود اسمي ضمن صفحات التعريف بالأستاذ، بأنه قابلني لأول مرة مساء يوم الثلاثاء ٢١ يونيو ١٩٩٤، وهو صحيح بالطبع. لكنه حدث مهم في حياتي، ولا أظنه كان كذلك بالنسبة للأستاذ، فلم يزل إدراكي سليمًا وتلك من نعم الله!)

٢١ - كراهية تحت الجلد - إسرائيل عقدة العلاقات العربية الأمريكية: صلاح الدين حافظ - دار الشروق.

الكتاب جهد متوازن لكشف الأفق الأمريكي القريب والبعيد بتضاريسه الصعبة ومناخه المتسارعة ظواهره. فقد أصبحت الولايات المتحدة قوة كاسحة بعد أن كانت قبل سنوات قوى عظمى ثم قوة أعظم.

٢٢ - كرومر في مصر: محمد عودة - دار الهلال.

الكاتب اختار شخصية كرومر لما تركه من أثر على حياة مصر والمصريين خلال تثبيته للاحتلال البريطاني لمصر الذي دام سبعين عامًا.

٢٣ - الرأي الآخر في كارثة الخليج: فيليب جلاب - مكتبة مدبولي.

مجموعة مقالات (أغسطس ١٩٩٠ - يوليو ١٩٩١) كتبها الأستاذ فيليب جلاب خلال أزمة الخليج الثانية، متخذًا موقفًا مخالفًا لتيار عارم من الناحيتين (فلا هو مؤيد لاحتلال الكويت ولا هو مؤيد لتدمير العراق).

٢٤ - الصحافة فوق صفيح ساخن: سلامة أحمد سلامة - دار العين للنشر.

الكتاب يبحث في مشاكل الصحافة المصرية في عوالم متغيرة وتحديات طارئة على أعتاب ألفية ثالثة وقرن جديد.

٢٥ - محاضر محادثات الوحدة مارس - إبريل ١٩٦٣: وثائق - مؤسسة الأهرام.

محاضر محادثات الوحدة الثلاثية (مصر - العراق - سوريا) والتي جرت بعد الإطاحة بحكم الرئيس عبد الكريم قاسم في بغداد فبراير ٦٣، وإسقاط بقايا حكم الانفصال في دمشق مارس ٦٣. وقد حصل الأستاذ على وثائق المحادثات وقام بنشرهم طيلة شهري يونيو ويوليو ١٩٦٣ عبر جريدة الأهرام بطبيعة الحال.

٢٦ - ماذا يريد العم سام ؟!!: نعوم تشومسكي - دار الشروق.

لا يخفي الأستاذ إعجابه بنعوم تشومسكي فهو يقرأ في أي وقت، ومع أي مناسبة، وفي كل موضوع.

وقد التقى الاثنان في شهر أكتوبر ١٩٩٣ لمدة ثلاث ساعات متصلة من الحوار في مكتب الأستاذ بالقاهرة، عندما استضافت الجامعة الأمريكية تشومسكي للتحدث عن النظام العالمي الحديث والقديم.

٢٧ - إدوارد سعيد رواية للأجيال: محمد شاهين - المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

مجموعة مقالات ودراسات كتبها الباحث الأردني محمد شاهين عن إدوارد سعيد وعلاقته معه منذ عام ١٩٨٣ وحتى رحيله عام ٢٠٠٣، وتبنيه لأفكاره ودفاعه عن مواقفه في قضايا خلافية.

٢٨ - من حملة مشاعل التقدم العربي - أحمد بهاء الدين: مجموعة من المؤلفين - مركز دراسات الوحدة العربية.

من قبيل الوفاء وتحية للكاتب أحمد بهاء الدين، قام أصدقاؤه بالمساهمة في إصدار الكتاب

الذي حوى نماذج مختارة من مقالاته المنشورة في جرائد الأخبار والأهرام والشعب ومجلات صباح الخير وآخر ساعة والعربي والمصور.

وقد أسهم به كل من: إسماعيل صبري عبد الله (رئيس منتدى العالم الثالث)، وأكرم ميداني (أستاذ الفن والأدب الإنجليزي بالولايات المتحدة - جامعة كارنجي)، وعبد العزيز المقالح (شاعر ومثقف يمني)، ومحمد الميلي (مدير عام المنظمة العربية للتربية)، وعلي الراعي (أستاذ الأدب المسرحي في جامعة عين شمس)، ومنح الصلح (مفكر لبناني)، ونجيب محفوظ (أديب مصري)، وحافظ طوقان (كاتب فلسطيني)، وفاطمة حسين (صحفية كويتية). وقام بإعداد الكتاب الأستاذان جميل مطر ومصطفى نبيل.

٢٩ - ملك النهاية - مذكرات كريم ثابت - فاروق كما عرفته: كريم ثابت - دار الشروق.

في أوائل سنة ١٩٩٨ عثرت الأبنة الوحيدة لكريم ثابت (ليلى) على أوراقه الخاصة في أحد الصناديق القديمة حيث تقيم بالعاصمة البريطانية: لندن. وهي تتحدث عن علاقته بالملك فاروق التي امتدت على طول عشر سنوات (١٩٤٢ - ١٩٥٢)، وبها أدق التفاصيل عن شخصية الملك، ورؤيته للحياة السياسية لآخر عشرات سنوات قبل سقوط الملكية في مصر بعد حكم دام قرن ونصف!

٣٠ - عبارة غزل: فريدة الشوباشي - دار الشروق.

الكتاب بفصوله ومشاهده يعرض ومضات من حياة الأستاذة فريدة وتجربتها، ككاتبة وإعلامية عاشت جزءًا من حياتها في فرنسا.

٣١ - الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية: روجيه جارودي - دار الشروق.

تناول روجيه جارودي عدة أساطير صهيونية مؤسسة للسياسة الإسرائيلية وهي: الأرض الموعودة لليهود في فلسطين، واليهود شعب الله المختار، وأرض بلا شعب لشعب بلا أرض، والمحرقة النازية (الهولوكوست) والمسافة بين العقيدة اليهودية والصهيونية السياسية. مستعينًا بالوثائق الأصلية.

٣٢ - المعلومات بين النظرية والتطبيق: عبد المجيد الرفاعي - دار الأعلام.

الكتاب يتناول أسباب تعثر تدفق المعلومات فيما يتعلق بالحقائق والحوادث، وحرية الرأي والاجتهاد وحقوق المشاركة.

كون المعلومات ذاكرة الأمة وعن طريقها نستطيع تشخيص حقائق عصور جديدة تستحق أن نعيش معها لا أن نسحق تحت أقدامها!

٣٣ - السجين ٣٢ - أحلام محمد سعيد طيب وهزائمه: أحمد عدنان - المركز الثقافي العربي.

الكاتب أحمد عدنان يعرض في سفره شخصية محمد سعيد طيب، متناولًا حياته وسنوات سجنه وأحلامه ودعواته الإصلاحية عبر كتابه «مثقفون.. وأمير»!

٣٤ - مربعات: عبد الرحمن الأبنودي - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

مربعات الشاعر الأبنودي نوافذ على فضاء لا يصل إليه النظر، وعند القراءة الثانية الموصولة سياقًا واحدًا تبدو فيه المربعات أفقًا غير محدود، ساحة بحر واسع، لكنه خضم حافل بكل فصول الطبيعية في الوقت نفسه، في اللحظة ذاتها. وهي محاولة جديدة وتلقائية ما بين الأدب والسياسة، بين الفكر والتاريخ، بين الفن والثورة.

٣٥ - محمد سيد أحمد - لمحات من حياة غنية (١٩٢٨ - ٢٠٠٦): مجموعة من المؤلفين - دار الشروق.

كتاب يتحدث عن ذكريات عائلية (مايسة طلعت زوجته، هدايت شقيقته وغيرهم)، وسنوات كفاحه (أنور عبد الملك وجميل مطر وآخرون)، وذكريات أصدقائه معه (إريك رولو وكلوفيس مقصود ومجموعة أخرى). وقام بإعداده وتحريره الأستاذة منى أنيس.

٣٦ - تجربة العمل القومي حوار وشهادات قومية: توفيق أبو بكر - مركز جنين للدراسات الاستراتيجية.

دراسة لتجربة العمل القومي في أربعة عقود، عبر شهادات لمجموعة من القيادات القومية

مثل: محمود رياض، وجاسم الصقر، وشاكر مصطفى، وهاني الهندي، وفاروق أبو عيسى وغيرهم مما أسهموا فكريًّا بالعمل القومي.

٣٧ - لسراة الليل هتف الصباح - الملك عبد العزيز دراسة وثائقية: عبد العزيز التويجري - رياض الريس للكتب والنشر.

كتاب يقدم فيه الشيخ التويجري رؤيته لبطله الملك عبد العزيز آل سعود، متناولاً عدة صور له: الإنسان، والمحارب، ورجل الدولة.

٣٨ - محاضر الكنيست ١٩٦٦ / ١٩٦٧ نصوص مختارة من محاضر الكنيست السادس: مجموعة من المؤلفين - مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

لأول مرة يتم ترجمة محاضر الكنيست (البرلمان) الإسرائيلي، وهي تأتي ضمن جهد «اعرف عدوك» بجد عبر الأطلال على وثائقه الأصلية لمخططاته وحركته.

٣٩ - محطات في حياتي الدبلوماسية ذكريات في السياسة والعلاقات الدولية: نديم دمشقية - دار النهار للنشر.

كان الأستاذ أحد الذين طلبوا بل حرض الأستاذ نديم أن يكتب عن تجربته كسفير للبنان في عدة محطات: القاهرة، واشنطن، ثم عميدًا للسلك الدبلوماسي العربي في بلاط سان جيمس في لندن. وكان شاهدًا على مرحلة دقيقة من تطور الأمة وسعيها لمستقبل ترجوه.

٤٠ - A marriage out of time my life with and without EMILE BUSTANI: LAURA BUSTANI - QUARTET BOOKS

السيدة لورا بستاني (قرينة السيد إميل بستاني) هي مؤلفة الكتاب، وهو يتناول قصة حياتها مع زوجها، وأيضًا بعد وفاته (سقطت به طائرته الخاصة)، قوتها وروحها المثيرة للإعجاب قادرة على إثبات أن الحياة أقوى من الموت. وإخلاصها، كامرأة من الشرق، استطاعت أن تنقل قصتها من قلبها إلى قلوب الآخرين!

٤١ - إنقاذ الاقتصاد المصري - نحو برنامج اقتصادي بديل: مجموعة من المؤلفين - المجلس الأعلى للثقافة.

مجموعة أوراق مؤتمر المستقبل الاقتصادي - الاجتماعي لمصر، في محاولة من الباحثين للإطلالة على المستقبل، وقد جاء بعد عدة أشهر من ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، والتي حركت طموحات بغير حدود. وقام بتحريره الأستاذ أحمد السيد النجار.

٤٢ - رجائي عطية في عيون مصرية: مجموعة من المؤلفين - دار الهلال.

الكتاب يجمع مجموعة ضخمة من الكتاب والمثقفين ورجال الدولة والدين ليتعرضوا لبعض جوانب من حياة المحامي «رجائي عطية» (مكرم محمد أحمد وبهاء طاهر وغيرهم)، وكذلك المؤرخ (خيري شلبي ومنير عامر وآخرون)، والإنسان (مفيد فوزي وسناء البيسي وغيرهم آخرون). وقام بإعداده الأستاذ عادل عبد الصمد!

٤٣ - المؤتمر الصهيوني السابع والعشرون ١٩٦٨ - الجزء الأول: تقارير - تركيب المؤتمر: مجموعة من المؤلفين - مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

الكتاب جاء في الذكرى الأولى لرحيل جمال عبد الناصر (١٩٧١)، ضمن جهد «معرفة العدو» عند الجذور، عبر البحث والتنقيب عن أحلام وأوهام الحركة الصهيونية وخططها الاستراتيجية والتكتيكية!

٤٤ - بالسيف - أميركا وإسرائيل في الشرق الأوسط ١٩٦٨ - ١٩٨٦: ستيفن غرين - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

الكتاب يبحث في العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل بعد حرب ١٩٦٧، إلى تسرب أنباء عما يعرف بفضيحة «إيران كونترا غيت» سنة ١٩٨٦. والكتاب جاء بعد كتابه الأول «الانحياز: علاقات أمريكا السرية بإسرائيل».

٤٥ - بين الصحافة والقانون قضايا وآراء: إميل بجاني - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

حكايات وقضايا وآراء يخالها البعض لأول وهلة باب من أبواب التسلية، وتظهر بعد

الوهلة الأولى أنها نسيج العالم القانوني الحي، حيث استطاع المؤلف وبسحر ساحر أن يعجن جفاف القانون بماء الحياة اليومية، وهل هناك مجال لإبداع أكثر ؟

٤٦ - grasping the NETTLE of PEACE - A Senior Palestinian Figure Speaks Out: KHALED AL-HASSAN - SAQI BOOKS

الكتاب للقيادي الفلسطيني في حركة فتح وأيضا في منظمة التحرير الفلسطينية الأستاذ خالد الحسن، وهو يتناول بدايات الثورة الفلسطينية (١٩٦٥)، إلى بدايات الانتفاضة الفلسطينية (١٩٨٧)، ودور جمال عبد الناصر في دعم ومساندة الثورة الفلسطينية، ونصيحته لهم بأن يطلقوا رصاصة واحدة كل يوم في الوطن المحتل، لتبقى قضيتهم حية في الإعلام العالمي!

٤٧ - أنا.. وبارونات الصحافة: جميل عارف - الدار العربية للنشر.

حكايات حية ومشوقة وبأسلوب فيه الكثير من الحيوية والشباب، فقد عاش الأستاذ جميل عارف مع الناس ومع الأحداث وقد روى تجربته من موقع نظره، بما فيها معارك داخل المهنة ساقته إليها الظروف!

٤٨ - وجيه أباظة - صفحات من النضال الوطني: عبد الله إمام - عربية للطباعة والنشر.

كتاب يبحث في شخصية وتاريخ ونضال «وجيه أباظة»، منذ أن كان في قيادة الطيران، ومساندًا للمقاومة في منطقة القنال، ومديرًا للشئون العامة في القوات المسلحة، ومحافظًا لعدة مدن ومنها القاهرة. وغيرها من الصور التي تواجد بها.

٤٩ - المحروسة ٢٠١٥ مسرحية في جزأين: سعد الدين وهبة - الفجر للنشر والتوزيع.

مسرحية فيها صيحة نذير مما قد تؤل إليه «المحروسة - مصر» في عام ٢٠١٥، وقد نشرها المؤلف سنة ١٩٩٦ في أوقات تراجع الحلم المصري وانكفائه على نفسه!

٥٠ - الانقلاب: ممدوح نوفل - دار الشروق الأردنية.

المؤلف عضو في القيادة الفلسطينية، وهو شاهد على أحداث هامة ومنعطفات خطيرة

في مسيرة الشعب الفلسطيني. والكتاب يبحث في الأجواء الدولية والأوضاع الإقليمية والتحركات الفلسطينية غداة إعلان مبادرة الرئيس جورج بوش لحل النزاع في الشرق الأوسط، وصولًا لاتفاق أوسلو.

٥١ - حكومة عموم فلسطين في ذكراها الخمسين: محمد خالد الأزعر - دار الشروق.

الكاتب يقدم قصة حكومة عموم فلسطين من جديد في إطار علمي دقيق ومعاصر، وقد ظهرت تلك الحكومة في مشهد عربي تبدى في فترة خطيرة من حياة الأمة.

٥٢ - فلسطين / إسرائيل سلام أم نظام عنصري ؟: مروان بشارة - مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان.

الكتاب جاء في الذكرى السابعة لاتفاق أوسلو (١٩٩٣)، والعاشرة لمؤتمر السلام في مدريد (١٩٩١). وكانت محصلة من راهنوا عليهم سلبية بل وتدنت النتيجة تحت الصفر.

٥٣ - عرائس من الجزائر: زينب الميلي - دار الشروق.

الكتاب للصحفية الجزائرية الأستاذة زينب الميلي. والكتاب تجربتها عن فقدها لابنتها (لميس) في حادث عبثي. وقد جاء الكتاب وفاءً وتحية وتحديًا للموت، فقد تغلبت الكاتبة على أحزانها مؤكدة بأن الحياة غلابة وأقوى من الموت!

٥٤ - في عالم عبد الوهاب المسيري - حوار نقدي حضاري: مجموعة من المؤلفين - دار الشروق.

كتاب يحوي على مقالات لمجموعة ضخمة من المثقفين والكتاب والأدباء تحية عرفان لرجل أعطى أحلى سنوات عمره من أجل القيام بعمل موسوعي عن اليهود واليهودية والصهيونية وكل ما يتعلق بهم من قريب أو بعيد.

٥٥ - قناة السويس - التاريخ والمصير والوعد: مجموعة مؤلفين - مؤسسة الأهرام.

الكتاب يبحث في تاريخ قناة السويس على مر التاريخ المصري حتى تم حفرها، ثم الاستيلاء عليها، وتأميمها، إلى قيام الرئيس عبد الفتاح السيسي بافتتاح فرع جديد للقناة.

والمفارقة بأن الكتاب يحوي على كلمة لنجل الأستاذ الدكتور أحمد هيكل (لمساهمته عبر شركة القلعة في عملية البناء بمناسبة افتتاح مشروع القناة الجديدة).

وكان الأستاذ محمود صلاح قد عرض على الأستاذ هيكل بعض أوراق الأستاذ محمد التابعي، والتي يتحدث فيها عن علاقته بالفنانة أسمهان، وأبدى الأستاذ هيكل إمكانية كتابة مقدمة للكتاب.

ولكن الكتاب ظهر بعد ذلك عن دار الشروق، دون مقدمة.. ولكن مقدمة الأستاذ هيكل كانت من نصيب كتاب آخر من كتب الأستاذ محمد التابعي وهو: «من أسرار الساسة والسياسة – أحمد حسنين باشا حياته الخاصة والعامة».

كما كان هناك طلب من دار الشروق ممثلة بالأستاذ إبراهيم المعلم، بأن يكتب الأستاذ هيكل مقدمة لكتاب عن صالح سليم «الأيقونة الحمراء – المايسترو – نجم النادي الأهلي وغيرها من الألقاب» بقلم الأستاذ ياسر أيوب. ولم تظهر المقدمة لأن الكتاب نفسه لم يصدر!

ويوم الإثنين ٢٧ إبريل ٢٠١٥، كان الأستاذ هيكل على موعد في مكتبه مع رجل الأعمال الفلسطيني الدكتور طلال أبو غزالة (مؤسس ورئيس مجموعة طلال أبو غزالة الدولية، التي تعد أكبر مجموعة شركات عربية تقدم الخدمات المهنية في مجالات المحاسبة والاستشارات الإدارية ونقل التكنولوجيا والتدريب والتعليم والملكية الفكرية والخدمات القانونية وتقنية المعلومات والتوظيف والترجمة والنشر والتوزيع)، وكان قد طلب منه الدكتور طلال، إمكانية أن يكتب مقدمة لكتاب يتناول حياته بقلم الأستاذ ماهر مقلد، وأبدى الأستاذ هيكل حماسته لكتابة المقدمة، ولكن بعدها بأيام كان قد سقط أرضًا في منزله بمدينة الغردقة، مما أضطره للسفر إلى لندن لاستكمال العلاج، وخضع هناك لعملية، واستلزم بعدها فترة نقاهة، ثم كانت عودته، ولكن كان التعب والمرض قد بدأ بالتسلل إليه..

وقد صدر الكتاب فعلًا عن مركز الأهرام للنشر تحت عنوان «طلال أبو غزالة: الصعود إلى القمة».

وكانت الأستاذة عائشة عبد الغفار هي آخر من فاتح الأستاذ بكتابة مقدمة لكتابها الجديد، عندما التقته قبل سفره إلى جنوب إسبانيا في مدينة إشبيلية أواخر ديسمبر ٢٠١٥، وهو بدوره وعدها بذلك فور عودته.. ولم يكن يعلم بأنه بعد شهر تقريبا سيكون على موعد مع رحلة أخرى ومن نوع مختلف، ولكن القدر كان هو من كتب مقدمتها هذه المرة!

الفصل الواحد والثلاثون:

ما أعمقَ الفَرْقَ بين الخطوط التي رَسَمَتني وتلك التي رَسَمتْ صورتي *

> الجحيم فارغ وجميع الشياطين هنا.
> وليام شكسبير William Shakespeare

لا يوجد في العالم صحفيا حظي بمتابعة من قبل من عاصره كما الأستاذ هيكل، فقد بلغ عدد الكتب والدراسات الجامعية التي ألفت عنه العشرات، وهو ما لم يسبقه (ولا أظن أن يلحقه) أحد من صحفيي العالم، بل هناك رؤساء دول لم يكتب عنهم أي كتاب.

وهناك أربعة أنواع من الكتب عن الأستاذ هيكل:

النوع الأول: هو من خصص الكتاب كاملا لدراسة شخصيته واستعراض تاريخه.

النوع الثاني: خصص كتابه (أو جزء منه) لمناقشة أفكاره.

النوع الثالث: هو من استعرض في أحد فصول كتابه تاريخه، أو علاقته وذكرياته معه، أو محللا ومستعرضا موقفا له.

النوع الرابع: هو من كتب لصالح جهاز أمني تابع لدولة ما للنيل من مصداقية الأستاذ هيكل، أو كتبه حقدا وغلا، وربما شهرة كونه يشعر بدونيته وانسحاقه أمام شخصيته، فكتب محاولا أن يحلق كالنسور، لكنه أكتشف أن محاولته كانت زحفا كالتماسيح (تعمدت ذكر هذا النوع من الزواحف كونه لا يستطيع إخراج لسانه من فمه، "كلام ساكت – كما يقول إخواننا السودانيون»!)

وقد استبعدت تماما الروايات الأدبية التي بها اسقاطات على شخصيته، كونها عملا أدبيا،

* أدونيس: ديوان «غبار المدن بؤس التاريخ» – قصيدة: «عزف منفرد على قيثار دمشقي».

تحاكي خيالا أكثر مما تسرد واقعا. كما قمت باستبعاد الكتب التي قام مؤلفها بالاستشهاد بأقوال أو كتب أو مقالات الأستاذ في تدعيم وجهة نظره!

النوع الأول:

١- هيكل (الحياة - الحرب - الحب: هو وعبد الناصر): عادل حمودة - دار الفرسان للنشر.
٢- الجورنالجي (محمد حسنين هيكل): سمير صبحي - مطابع الأهرام التجارية.
٣- هيكل وعبد الناصر: فاروق فهمي - دار الإشعاع.
٤- هوامش على قصة محمد حسنين هيكل: ضياء الدين بيبرس - المكتبة العصرية للطباعة.
٥- زيارة جديدة لهيكل: أحمد حمروش - مكتبة مدبولي.
٦- Munir Nasser: Press Politics and Power: Egypt's Heikal and Al-Ahram- The Iowa State University Press
٧- محمد حسنين هيكل (استمرارية، أم تحول؟): جمال الشلبي - المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٨- هيكل أو الملف السري للذاكرة العربية: رياض الصيداوي - مكتبة مدبولي.
٩- هيكل بين الصحافة والسياسة: رجب البنا - دار المعارف.
١٠- محمد حسنين هيكل (رجل كل العصور في أزمة الخليج): سائد درويش - دانة للعلاقات العامة.
١١- هيكل بين الجريدة والكتاب: وحيد عبد المجيد - دار مصر المحروسة.
١٢- هيكل الوصايا الأخيرة (لقاءات خاصة عن الانصراف من اللهب إلى النور): أنور عبد اللطيف - دار بتانة.
١٣- أحاديث برقاش - هيكل بلا حواجز: عبد الله السناوي - دار الشروق.

النوع الثاني:

١- بعد أن تسكت المدافع: محمد سيد أحمد - دار القضايا.
٢- اقنعة الناصرية السبعة (مناقشة توفيق الحكيم ومحمد حسنين هيكل): لويس عوض - مكتبة مدبولي.

٣- أنا .. وثوار يوليو!!: حلمي سلام - دار ثابت للنشر والتوزيع.
٤- كم عمر الغضب؟ هيكل وأزمة العقل العربي: فؤاد زكريا - دار الوفاء للطباعة والنشر.
٥- خيولنا التي لا تصهل - مقالات في السياسة والتياسة: فهمي هويدي - دار الشروق.
٦- شخصيات لها العجب! ذكريات .. تراجم .. دراسات .. ووثائق: صلاح عيسى - دار نهضة مصر للنشر.
٧- نجوم شارع الصحافة: حازم فودة - دار المعارف.
٨- في وصف حالتنا: محمود درويش - الأهلية للنشر والتوزيع.
٩- هوامش حرة (٢) موقف .. وقضية: فاروق جويدة - دار الشروق.
١٠- حرب الخليج والفكر العربي (دراسة نقدية لكتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل): عبد المنعم سعيد - دار الشروق.
١١- نحو فكر عربي جديد: الناصرية والتنمية والديموقراطية: عادل حسين - دار المستقبل العربي.
١٢- الحوار القومي - القومي الضرورة والإمكانية: عبد العزيز حسين الصاوي - دار الطليعة.
١٣- العلاقة الناصرية - البعثية - دراسة استطلاعية في أزمة تطور الثورة العربية: عبد العزيز حسين الصاوي - دار الطليعة.
١٤- الوطنية في مواجهة العولمة: محمد رؤوف حامد - دار المعارف.
١٥- المثقفون والسلطة في مصر: غالي شكري - دار أخبار اليوم.
١٦- أمريكا والحرب الفكرية: غالي شكري - دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.
١٧- يوم طويل في حياة قصيرة: غالي شكري - دار الآفاق الجديدة.
١٨- النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث: غالي شكري - دار الطليعة للطباعة والنشر.
١٩- بلاغ إلى الرأي العام: غالي شكري - دار أخبار اليوم.
٢٠- أزمة الخليج: محاولة للفهم: غازي القصيبي - دار الساقي.
٢١- مصالحات ... ومغالطات وقضايا أخرى: غازي القصيبي - دار سعاد الصباح.
٢٢- استراحة الخميس: غازي القصيبي - مكتبة العبيكان.

٢٣- سياسة كارتر ومنظرو «الحقبة السعودية»: صادق جلال العظم - دار الطليعة للطباعة والنشر.
٢٤- الفتنة الكبرى عاصفة الخليج: إبراهيم نافع - مركز الأهرام للترجمة والنشر.
٢٥- قراءة نقدية في كتابات ناصرية (حوار مع هيكل وعكاشة): عبد العظيم أنيس - مركز البحوث العربية.
٢٦- معارك فكرية: محمود أمين العالم - دار الهلال.
٢٧- الحركة الشيوعية وهيكل: أحمد حمروش ومحمود أمين العالم وغيرهم - دار العالم الثالث.
٢٨- حرب السنوات الثلاث ١٩٦٧ - ١٩٧٠: محمد فوزي - دار الوحدة.
٢٩- صحافة الإثارة - السياسة والدين والجنس في الصحف المصرية: محمد الباز - مكتبة جزيرة الورد.
٣٠- تنظيم الجهاد - أفكاره، جذوره، سياسته: محمد مورو - الشركة العربية الدولية للنشر.

النوع الثالث:

١- العرب والإسرائيليون وكيسنجر: ادوارد شيهان - الهيئة العامة للاستعلامات.
٢- المحرر الدبلوماسي: حمدي فؤاد - وكالة الأهرام.
٣- محاوراتي مع السادات: أحمد بهاء لدين - دار الهلال.
٤- إسلام بلا ضفاف: يوسف إدريس - مكتبة الأسرة.
٥- آخر العمالقة: سايروس سولزبيرغر - المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٦- أيام مشرقة: يوسف السباعي - مؤسسة الخانجي بمصر.
٧- زعماء وفنانون وأدباء: كامل الشناوي - دار المعارف.
٨- .. الآن أتكلم: خالد محي الدين - مركز الأهرام للترجمة والنشر.
٩- سلامتك من الآه: عبد الوهاب مطاوع - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٠- ساعات من العمر: عبد الوهاب مطاوع - الدار المصرية اللبنانية.
١١- معركة العدالة في مصر: ممتاز نصار - دار الشروق.
١٢- الحكيم بخيلا ....: كمال الملاخ - مركز الأهرام للترجمة والنشر.

١٣- ابن بطوطة الرياضي: نجيب المستكاوي - دار الشروق.
١٤- إيران من الداخل: فهمي هويدي - مركز الأهرام للترجمة والنشر.
١٥- مصر تريد حلا: فهمي هويدي - دار الشروق.
١٦- الصحف أسرار: سمير صبحي - دار المعارف.
١٧- السيد أبو النجا مع هؤلاء: الملك فاروق، مصطفى النحاس، فؤاد سراج الدين، طه حسين، جمال عبد الناصر، محمد حسنين هيكل وآخرون: السيد أبو النجا - دار أخبار اليوم.
١٨ - بعض من عرفت: أحمد بهجت - دار الهدى.
١٩- بانتظار بدر البدور ... يوميات ١٩٩٧ - ٢٠٠٢: بطرس غالي - دار النهار للنشر.
٢٠- رحلة عمر - ثروات المصريين بين عبد الناصر والسادات: رشدي سعيد - دار الهلال.
٢١- الحبر أسود ... أسود: ناصر الدين النشاشيبي - دار النهار.
٢٢- يا قدس (أورشليم): دومينيك لابيير ولاري كولنز - مديرية الثقافة - أمانة عمان.
٢٣- عشاق وقتلة في حياتي!: عادل حمودة - دار الفرسان للنشر.
٢٤- طريق مصر إلى القدس - قصة الصراع من أجل السلام في الشرق الأوسط: بطرس غالي - مركز الأهرام للترجمة.
٢٥- رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر - سيرة غير ذاتية غير موضوعية: عبد الوهاب المسيري - الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٢٦- ذكريات سبتمبرية: ميلاد حنا - دار المستقبل العربي.
٢٧- السادات - القناع والحقيقة: محمد عبد السلام الزيات - كتاب الأهالي.
٢٨- نجيب محفوظ إن حكى ثرثرة محفوظية على النيل: يوسف القعيد - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٩- الأهالي صحيفة تحت الحصار: حسين عبد الرازق - دار العالم الثالث.
٣٠- أوراقي .. حياتي ..: نوال السعداوي - دار الآداب.
٣١- امرأة عاملة في انتخابات ٢٠٠٠: أمينة شفيق - مؤسسة الأهالي.
٣٢- عشت حياتي بين هؤلاء: محمد أحمد فرغلي - مطابع الأهرام التجارية.

٣٣- من زوايا الذاكرة - محطات رحلة في قطار العروبة: كلوفيس مقصود - الدار العربية للعلوم.

٣٤- الجيش والإخوان - أسرار خلف الستار: مصطفى بكري - الدار المصرية اللبنانية.

٣٥- جريدة الأهرام: تاريخ وفن ١٨٧٥ - ١٩٦٤: إبراهيم عبده - مؤسسة سجل العرب.

٣٦- أسرار سياسية: زكريا نيل - دار الشعب.

٣٧- خمسون عاما حبا في الأهرام والبرلمان: سامي متولي -

٣٨- عبد الوهاب .. وأوراقه الخاصة جدا: محمد عبد الوهاب - دار أخبار اليوم.

٤١- ٤٠ سنة في بلاط صاحبة الجلالة (فانتازيا صحفية - مواقف .. أحداث .. وشخصيات): لميس الطحاوي - دارة الكرز للنشر.

٤٢- صحافة وصحفيون - محرر الشئون الخارجية: محمد سلماوي - مطبعة أطلس.

٤٣- نجيب محفوظ المحطة الأخيرة: محمد سلماوي - دار الشروق.

٤٤- في حضرة نجيب محفوظ: محمد سلماوي - الدار المصرية اللبنانية.

٤٥- قالوا لي: محمد سلماوي - دار المعارف.

٤٦- سر المهنة ... وأسرار أخرى: غسان تويني - دار النهار.

٤٧- السادات المبادئ .. والمواقف: جعفر نميري - المكتب المصري الحديث.

٤٨- السياسة في غير السياسة: عبد المنعم سعيد - دار مصر المحروسة.

٤٩- ذاكرة ملك: الحسن الثاني - الشركة السعودية للأبحاث والنشر.

٥٠- مسافر بلا ميناء: سمير عطا الله -

٥١- قليل من الجغرافيا كثير من التاريخ: سمير عطا الله - دار النهار للنشر.

٥٢- مقال الأربعاء - لبنانيات ٢٠٠٧ - ٢٠١٠: سمير عطا الله - دار النهار للنشر.

٥٣- عشرون عاما في منظمة التحرير الفلسطينية - أحاديث الذكريات (١٩٦٤ - ١٩٨٤): شفيق الحوت - دار الاستقلال للدراسات والنشر.

٥٤- بين الوطن والمنفى من يافا بدأ المشوار: شفيق الحوت - رياض الريس للكتب والنشر.

٥٥- فلسطيني بلا هوية - صلاح خلف «أبو إياد»: إريك رولو - دار الجليل للنشر والدراسات.

٥٦- في كواليس الشرق الأوسط - مذكرات صحفي بجريدة لوموند: إريك رولو - دار الطناني للنشر والتوزيع.

٥٧- الأسد الصراع على الشرق الأوسط: باتريك سيل - شركة المطبوعات للنشر والتوزيع.

٥٨- رياض الصلح والنضال من أجل الاستقلال العربي: باتريك سيل - الدار العربية للعلوم.

٥٩- أزمة الأقليات في الوطن العربي: حيدر إبراهيم علي وميلاد حنا - دار الفكر.

٦٠- سنوات وأيام مع جمال عبد الناصر: سامي شرف - المكتب المصري الحديث.

٦١- سنوات عبد الناصر وأيام السادات: ضياء الدين داود - دار الخيال.

٦٢- هوامش في الثقافة والأدب ... والحب: طلال سلمان - دار الفارابي.

٦٣- لبنان العرب .... والعروبة: طلال سلمان - دار الفارابي.

٦٤- العرب خارج عروبتهم: طلال سلمان - دار الفارابي.

٦٥- ضد الرئيس - أخطر حملة مقالات ضد حكم العائلة: عبد الحليم قنديل - دار ميريت.

٦٦- محطات على درب الحياة: خواطر وذكريات: ممدوح رحمون - دار النفائس.

٦٧- الأقباط في وطن متغير: غالي شكري - دار شرقيات للنشر والتوزيع.

٦٨- حرب دائمة من أجل سلام دائم كيف أصبحنا مكروهين إلى هذا الحد: غور فيدال - المركز الثقافي العربي.

٦٩- أحلام العبد لله: محمود السعدني - دار الهلال.

٧٠- الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة: روبرت فيسك - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

٧١- شخصيات وقضايا معاصرة: طارق البشري - دار الهلال.

٧٢- شخصيات على مسيرتي: حازم الببلاوي - دار الشروق.

٧٣- أين أصبح عبد الناصر في جمهورية السادات: أسرار سقوط رؤوس النظام الناصري: فؤاد مطر - دار النهار للنشر.

٧٤- تحت ظلال الذكريات - تأملات في تجارب الحكم والسياسة والدبلوماسية والاستشهاد... وتوريث الزعامة: فؤاد مطر - دار الناشر العربي الدولي.

٧٥- زلازل مصر السياسية: فؤاد مطر - المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٧٦- للقائد التاريخي قلم ينصفه (التويجري عن الملك عبد العزيز وهيكل عن جمال عبد الناصر): فؤاد مطر - الدار العربية للعلوم.

٧٧- أزمة اليسار المصري: عبد الستار طويلة - مؤسسة دار التعاون.

٧٨- أنور السادات الذي عرفته: عبد الستار طويلة - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٧٩- صعاليك الزمن الجميل: يوسف الشريف - دار الشروق.

٨٠- اليمن وأهل اليمن - أربعون زيارة وألف حكاية: يوسف الشريف - دار الشروق.

٨١- في صحبة أحمد بهاء الدين: مصطفى نبيل - دار الهلال.

٨٢- سيدة من مصر: جيهان السادات - المكتب المصري الحديث.

٨٣- المجالس المحفوظية: جمال الغيطاني - دار الشروق.

٨٤- ذكريات من حياتي: عبد العظيم أنيس - دار الهلال.

٨٥- وجه في الزحام: أحمد بهجت - دار الكتاب الجديد.

٨٦- سجون العقل العربي: طارق حجي - دار ميريت.

٨٧- الصحافة العربية وحقوق الانسان: توفيق أبو بكر - مركز جنين للدراسات الاستراتيجية.

٨٨- حياة المحارب (السيرة الذاتية الكاملة): باولو كويلو - المجمع الثقافي المصري.

٨٩- لدي أقوال أخرى: إبراهيم عيسى - مكتبة مدبولي.

٩٠- ناصر: أنطوني نوتنغ - مكتبة مدبولي.

٩١- أعلام الصحافة العربية - محمد التابعي: صبري أبو المجد - مؤسسة دار التعاون.

٩٢- كلام عن .. الكلام (الوصول للقمة .. يبدأ بالكلمة): يسري الفخراني - دار الفرسان للنشر.

٩٣- أفكار ومشانق: محمد الباز - مركز المحروسة للنشر.

٩٤- أيام مع الولد الشقي: سامي كمال الدين - دار أخبار اليوم.

٩٥- موبايل زكي رستم: سامي كمال الدين - دار اكتب للنشر.

٩٦- الصحافة الحرام: سامي كمال الدين - دار كيان للنشر والتوزيع.

٩٧- قلمين: كتاب إن لم تضحك عليه - فلن يضحك عليك: بلال فضل - دار ميريت.

٩٨- آخر كلمات نزار - ذكريات مع شاعر العصر: عرفان نظام الدين - دار الساقي.

٩٩- ذكريات وأسرار ٤٠ عاما في الإعلام والسياسة: عرفان نظام الدين - دار الساقي.

١٠٠- اينشتاين حول إسرائيل والصهيونية: أفكاره المثيرة حول الشرق الأوسط: فريد جيروم - وكالة أبو غوش.

١٠١- أربعون عاما في الحياة العربية والدولية: أحمد الشقيري - دار النهار للنشر.

١٠٢- مذكرات طبيب عبد الناصر: الصاوي حبيب - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٠٣- أسرار وحكايات في بلاط صاحبة الجلالة: محمود صلاح - دار الشروق.

١٠٤- العصا الغليظة - ثلاثية الاستبداد والقهر والتخلف: حلمي محمد القاعود - كتاب المختار.

١٠٥- جمال حمدان وعبقرية المكان (١٩٢٨ - ١٩٩٣): إعداد محمد غنيمة وأيمن منصور - مكتبة الإسكندرية.

١٠٦- الأخضر والمعطوب في الثقافة والفن والحياة: ناصر عراق - دار أخبار اليوم.

١٠٧- نكاية في الجغرافيا: هشام بن شاوي - أي كتب (لندن).

١٠٨- على هامش الشؤون: رشيد درباس - دار سائر المشرق.

١٠٩- سيرة وحكايات ٦ رجال فكر وقانون: أحمد فوزي - مطبعة الانتصار، بغداد.

١١٠- حكايات .. شخصيات ... وتواقيع!: أحمد فوزي - مطبعة الديواني، بغداد.

١١١- مع عبد الناصر: أمين هويدي - دار المستقبل العربي.

١١٢- حياتي في الصحافة - روز اليوسف، العمال، العربي: عبد الله إمام - دار الخيال.

١١٣- السادات: ديفيد هيرست - دار اكتب.

١١٤- لقاءات جمال عبد الناصر في صميم الأحداث: جوزف أبو خاطر - دار النهار.

١١٥- ذكريات معه: تحية عبد الناصر - دار الشروق.

١١٦- البيان القومي: عمر ثروت - دار الهلال.

النوع الرابع:

(ما هذا المسرح؟ الكذب على خشبته، هو وحده الصّدق - أدونيس *)

* أدونيس ديوان «غبار المدن بؤس التاريخ» - «شرفات: حول الحداثة العربية السياسية نظاما وثورة»

١- لعبة الأمم - لا أخلاقية سياسة القوة: مايلز كوبلاند - إنترناشونال سنتر - بيروت.

كتاب قام بتأليفه مايلز كوبلاند سنة ١٩٧٠، وهذا الكتاب في حد ذاته مؤامرة أمريكية، ثم أن كاتبه باعترافه هو نفسه موظف في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وكان مساعدا لكيرميت روزفلت، الرجل الذي أوكلت له مهمة «معركة القرن»، وكان مايلز كوبلاند ملحقا في السفارة الأمريكية بالقاهرة.

وقد ترك وكالة المخابرات بعد استقالة روزفلت، وافتتح مكتبا للاستشارات التجارية في بيروت اعتمادا أو استغلالا لصلات سابقة مع شركات البترول وغيرها من المصالح الأمريكية في المنطقة. وبدأ كوبلاند يدور على المراكز التي عرفها في خدمته السابقة بما فيها القاهرة، لكن تبين لصانع القرار المصري أن كوبلاند يبحث عن صفقة يبيع فيها أي شيء لأي مستعد للشراء في أي سوق.

وعلى هذه الخلفية نشر كتابه «لعبة الأمم»، وقد ألمح فيه إلى أن المخابرات المركزية الأمريكية كانت تعرف مسبقا بثورة يوليو، وأنها كانت على صلة بها على نحو أو آخر، ولم يكن ذلك بالقطع صحيحا باعتراف كوبلاند نفسه الذي تكفلت مراسلاته التي كتبها بإظهار الخلل في شخصيته. وعلى أي حال، فإن كتابه لم يلبث أن أصبح الذخيرة الأثيرة لدى كل من يريدون الهجوم على ثورة يوليو. بحسن أو سوء نية!

وقد قدم الأستاذ هيكل ملفا يحوي مراسلات كوبلاند مع عدد كبير من الشخصيات المصرية التي عرفها أثناء عمله في مصر (منهم على سبيل المثال: مكتب الرئيس ناصر، ومدير المخابرات المصرية، والأستاذ هيكل، ومدير مكتب زكريا محي الدين، ومدير مكتب نائب الرئيس، وسامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات، وسمير أحمد الوزير المفوض بالسفارة المصرية في لندن، وغيرهم) إلى مركز الأهرام للترجمة والنشر لترجمة الملف إلى اللغة العربية، وبالفعل تمت الترجمة لمائتي صفحة، وكان الأستاذ هيكل ينوي نشر الملف كاملا، ثم غير رأيه، وقام بنشر ٤ وثائق من مراسلات كوبلاند في كتابه «سنوات الغليان»!

وكان رد فعل كوبلاند التهديد برفع قضايا (لم يجرؤ لمعرفته المسبقة بضعف موقفه وخلل دفاعه)..

٢- كنت رئيسا لمصر: محمد نجيب - المكتب المصري الحديث.

شبح عائد من الماضي، متوهما بأن مهاجمة الأستاذ هيكل دون سند تستطيع أن تعيد بريقا قد شحب!

٣- أسوار حول الحوار: جلال الدين الحمامصي - المكتب المصري الحديث.

كان له عمود ثابت في جريدة الأخبار بعنوان «دخان في الهواء». والكتاب بمثابة دخان أسود كثيف من الحقد، بدده الهواء. فالشمس لا ينبغي لها أن تغرب، وإلا عم الظلام. فسحابات الصيف تراوح مكانها، لكنها لا تمكث طويلا .. فيفرقها الهواء، لترتد الزرقة الصافية للسماء، فتدفعها إلى الرجاء والتفاؤل.

٤- السادات - الحقيقة والأسطورة: موسى صبري - المكتب المصري الحديث.

غلب الخيال على الواقع!

فالكتاب ينتمي لعالم متخيل، تصوره الكاتب، خالطا الوقائع بالخرافات، والحقائق بالأساطير!

٥- قصتي مع الصحافة: ناصر الدين النشاشيبي - شركة نوفوغراف (مدريد).

الكتاب صدر بعد صدور كتاب الأستاذ هيكل «خريف الغضب»، محاولا الدفاع عن جماعات ومصالح وارتباطات في العالم العربي، تعرض لهم الأستاذ هيكل بالحجة والبرهان، مستندا على وثائقه، بينما النشاشيبي كان يستعرض قدرته على صبغ الواقع وتزيين الفراغ!

٦- ٥٠ عاما في قطار الصحافة: موسى صبري - دار الشروق.

قطار معطل، فلم يصل لوجهته، والمحطة الأخيرة للقطار كانت هي نفسها المحطة الأولى، دون أن يتنبه الكاتب - رغم مرور ٥٠ عاما - أن القطار كان معطلا لعدم وجود محرك، فضلا عن عدم وجود قضبان، وأيضا لم يكن هناك خط سير للقطار!

٧- ثورة يوليو الأمريكية: محمد جلال كشك - دار الزهراء للإعلام.

الكاتب ينتمي للتيار الإسلامي (الإخوان المسلمين [١]) المعادي بطبيعته لتجربة جمال عبد الناصر (القومية العلمانية)، رغم أن بداياته كانت ضمن صفوف الحزب الشيوعي المصري [٢]، وانتهى مبشرا بالحل الوهابي!

فقد كان أول من حذر من الغزو الفكري (ففي سنة ١٩٦٤ كتب كتابه «الغزو الفكري» - متجاهلا أن الأفكار لا تعرف الحدود، فهي سريعة الانتشار، طائرة مع الهواء، تدخل إلى

(١) الرجاء مراجعة كتاب: «المأزق العربي: الفكر السياسي العربي والممارسة منذ عام ١٩٦٧» - فؤاد عجمي

(٢) الرجاء مراجعة كتاب: «العرب على قيد الحياة» - ضياء الدين سردار، روبن ياسين القصاب

القلوب وإلى الصدور مع الأنفاس التي تتردد). كما زعم أننا نواجه الحرب الصليبية الثالثة (الأولى: زمن البابا أوربان الثاني - نوفمبر ١٠٩٠، والثانية: زمن نزول جحافل الأسطول الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت - يوليو ١٧٩٨، والثالثة: عبر الفكر الماركسي الشيوعي)! فكان كتابه «الماركسية والغزو الفكري» الصادر سنة ١٩٦٥ (كان هناك وهم شائع ظل قائما لعدة سنوات، وهو يتعلق بتصنيف إسرائيل كدولة شيوعية أو دولة تابعة للشيوعية الدولية بقيادة الاتحاد السوفيتي [١].

وفي كتاب «لوران موراويك» الصادر سنة ٢٠٠٥ بعنوان «أمراء الظلام: الهجوم السعودي على الغرب»، زعم المؤلف بأن محمد جلال كشك حصل سنة ١٩٨١ على جائزة الملك فيصل وقدرها ٢٠٠ ألف دولار، وبعدها حصل على جائزة الملك فهد وقدرها ٨٥٠ ألف دولار، وبعدها كتب كتابه «السعوديون والحل الإسلامي»! [٢]

وكتابه «ثورة يوليو الأمريكية» صدر سنة ١٩٨٨، بعد بدء تغير المزاج الشعبي في نظرته للتجربة الناصرية، في أعقاب صدور كتابي الأستاذ هيكل ضمن مجموعته «حرب الثلاثين سنة»: ملفات السويس (١٩٨٦)، وسنوات الغليان (١٩٨٨)، خاصة بأن الكتابان تسندهما عشرات الوثائق المصرية والأمريكية والإنجليزية والفرنسية وغيرها، فكان لا بد من سد الرتق، بعد سنوات من الضجيج الإعلامي المعادي للتجربة الناصرية، لكن اتسع الرتق على الراتق!

٨- هيكل والكهف الناصري: عبد العظيم رمضان - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

محاضرا في جامعة المنوفية، شديد التدين، واشتراكي، ومعادي للصهيونية [٣].

وقد حاز الدكتور عبد العظيم رمضان على جائزة مصطفى أمين وعلى أمين (عام ١٩٦٢)!

كما حاز على وسام الجمهورية من الدرجة الثانية (عام ١٩٨٥) بعد استقالته - بنفس السنة - من الحزب المعبر عن التيار اليساري - رغم أنه كان أحد مؤسسي حزب التجمع - ونشر استقالته في كل الصحف المصرية خشية ألا يقرئها أحد مسؤولي الحكومة، ليعرف أنه قام بتبديل ولاءاته!

(١) الرجاء مراجعة نص وثيقة السفير البريطاني في القاهرة السير رونالد كامبل المؤرخة يوم الأربعاء ١٩ مايو ١٩٤٨، عن مقابلته لرئيس وزراء مصر السيد محمود فهمي النقراشي (باشا)، وفيها قوله صراحة «أن أي دولة صهيونية من شأنها أن تكون ذات طبيعة شيوعية قوية، إن لم تكن طبيعة شيوعية كاملة»!

(٢) الرجاء مراجعة كتاب «العلمانية في أفغانستان» - شكور زاردوشيان

(٣) الرجاء مراجعة كتاب «الأعداء على الأريكة: رحلة «نفسية سياسية» عبر الحرب والسلام» - فاميك فولكان.

أصبح من أشد دعاة التطبيع مع إسرائيل، ومعاديا لجميع حركات الإسلام السياسي (المتطرفة منها والتقليدية)!

وقد تنامت «المكانة المجتمعية والعلمية والصحفية لعبد العظيم رمضان طيلة الثمانينيات والتسعينيات، ومطلع القرن الحادي والعشرين، وأصبح الرجل بمثابة المبشر الأول بالليبرالية والديمقراطية والداعية القوي للدفاع عن هذا التوجه» [١]. (أليس غريبا أنه بعد خروج الأستاذ مصطفى أمين من السجن (إفراج صحي - يوم الأحد ٢٧ يناير ١٩٧٤) كان دوره الجديد مدافعا عن الديمقراطية والحريات - مجرد تساؤل!)

استضاف معرض القاهرة الدولي للكتاب (يوم الأربعاء ١٨ يناير ١٩٩٥) الأستاذ هيكل للحديث في أحد ندواته بدعوة من الأستاذ سمير سرحان (وهو مثقف ضمن المؤسسة)، وكان عنوان محاضرة الأستاذ «١٩٩٥: باب مصر إلى القرن الواحد والعشرين»، ولضمان سلامة أي حديث كان لا بد من أن تكون نقطة بدايته واضحة، كونها ستدفع الحديث إلى الاتجاه الصحيح، وبالتالي الوصول إلى هدف منشود لدى الجميع، فاستعان الأستاذ هيكل بأرقام البنك الدولي كمرجعية، كونه الجهة الوحيدة التي تملك سلطة وضع تقاريرها النهائية وفق مراجعاتها.

وكان الدكتور عبد العظيم رمضان قد استجاب لدعوة الأستاذ سمير سرحان، في أن يضم مجموعة مقالاته التي رد فيها على الأستاذ هيكل ضمن كتاب تصدره الهيئة العامة التي يرأسها!

وكان محور هجومه ورده على الأستاذ أنه «ما زال يعيش في الكهف الناصري ولا يريد أن يخرج إلى نور الشمس»!

وكان مما جاء في كتاب الدكتور عبد العظيم رمضان بالحرف: «على أني - مع ذلك - لا أملك إلا أن أتهم الأستاذ الكبير هيكل بخيانة المبادئ الناصرية باعتماده على أرقام البنك الدولي»!

وللقارئ بالطبع الحرية ليحدد من ما زال يعيش زمن أهل الكهف؟!

(١) الرجاء مراجعة دراسة بعنوان «التحول الفكري للدكتور عبد العظيم رمضان» - ورقة بحث للدكتور محمد حوردي

٩- خريف هيكل .. أسطورة شاخت في مواقعها: عادل حمودة - منشورات البندقية.

الأستاذ عادل حمودة صحفي يساري، وهو ملك صحافة التابلويد بعد رئاسته لمجلة روز اليوسف (١٩٩٢ - ١٩٩٨).

يوم الأحد ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٩ غرمت محكمة جنح العجوزة، الأستاذ عادل حمودة - رئيس تحرير جريدة الفجر الأسبوعية المستقلة (محسوبة على التيار الليبرالي المصري) - مبلغ ١٠ آلاف جنيه مصري بتهمة تشويه سمعة الأمين العام المساعد للحزب الوطني الديمقراطي أحمد عز (إجبار زوجته شاهيناز النجار على الاستقالة من الحزب الوطني) [١].

بعد علاقة امتدت لعشرين عاما جمعت الأستاذ هيكل، بمؤلف الكتاب (كلمة «خريف» استعارها من كتاب الأستاذ «خريف الغضب»، وجملة «شاخت في مواقعها»، نقلها كما هي من رسالة الأستاذ إلى مجلس نقابة الصحفيين، بمناسبة انعقاد الجمعية العمومية غير العادية للنقابة يوم السبت ١٠ يونيو ١٩٩٥، بعد أن وجه له الصحفي يحيى القلاش دعوة لمناقشة القانون رقم ٩٣ لسنة ١٩٩٥ وطلب رايه فيه. وقد جاء في نص رسالة الأستاذ لمجلس النقابة بالحرف: «إن هذا القانون في ظني يعكس أزمة سلطة شاخت في مواقعها، وهي تشعر أن الحوادث تتجاوزها، ثم أنه لا تستطيع في نفس الوقت أن ترى ضرورات التغيير، وهنا لا يكون الحل بمعاودة المراجعة والتقييم، ولكن بتشديد القيود وتحصين الحدود، وكأن حركة التفكير والحوار والتغيير تستحق أن توضع في قفص» ..

والكاتب يعترف - بالتلميح - بأن الأستاذ هيكل استخدمه [٢]، وأنه بعد عشرين عاما أكتشف بأنه انخدع بأسطورة الأستاذ!

بينما القول المأثور عن الرئيس الأمريكي أبراهام لنكولن، شاهدا على شكل هذه العلاقات الإنسانية: «يمكنك أن تخدع كل الناس بعض الوقت، وبعض الناس كل الوقت، ولكنك لا تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت» - ولا أظن بأن الرئيس لنكولن خطر بباله أن يستمر انخداع بعضهم لمدة عشرين عاما كاملة!

١٠- سنة أولى سجن: مصطفى أمين - المكتب المصري الحديث.

لم أجد أبلغ من هذا المقطع في الرد على هذا الكتاب:

(١) الرجاء مراجعة تقرير «منظمة هيومن رايتس» عن ممارسات الدول لسنة ٢٠٠٩ - صفحة ٢٠٦٧.
(٢) الرجاء مراجعة صفحة ٢٤ من الكتاب.

بل ينبغي أن أبغض نفسي

لما اقترفته من آثام

إني شرير ولكني أكذب وأزعم أني لست كذلك

إن لضميري ألف لسان

وكل لسان يحكي قصة

وكل قصة تنطق بأني شرير

الخيانة، الخيانة في أبشع صورها

مسرحية: رتشارد الثالث - وليام شكسبير

١١- سنة ثانية سجن: مصطفى أمين - المكتب المصري الحديث.

كتاب الأستاذ هيكل «بين الصحافة والسياسة» لا يكاد يخلو في صفحة واحدة من عريضة اتهام للأستاذ مصطفى أمين، وقد صدر الكتاب سنة ١٩٨٤، وتوفي الأستاذ مصطفى أمين سنة ١٩٩٧. وقد نصحه محاميه بأن لا يحاول رفع قضية ضد الأستاذ هيكل وما نسبه إليه من صله بجهاز المخابرات الأمريكي. كون الكتاب مدعم بالوثائق الدامغة والحقائق القاطعة!

١٢- سنة ثالثة سجن: مصطفى أمين - المكتب المصري الحديث.

فصل الخطاب!

في سنة ٢٠٠٨ صدر كتاب بعنوان «إرث من الرماد - تاريخ وكالة المخابرات المركزية الأمريكية» للصحفي الأمريكي تيم واينر (مواليد ١٩٥٦، حائز على جائزة بوليتزر، وجائزة الكتاب الوطني).

وفي الفصل ٢٦ من الكتاب بعنوان «قنبلة هيدروجينية سياسية»، وتحت عنوان فرعي بعنوان «يجب إعطاء الاعتبارات القصوى للحساسية السياسية»، كلام صريح لا لبس فيه عن علم السفير الأمريكي لوك باتل عن علاقة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مع محرر صحيفة بارز في مصر يدعى مصطفى أمين!

١٣- شارع الصحافة: مي شاهين - دار أخبار اليوم.

الانحياز للهوى لا للحقيقة، عبر بث دعايات وأكاذيب .. مجاملة لجريدة، ورئيس تحرير، وتشكيك غامض مبهم بقدرات الأستاذ هيكل!

لا يكاد أحد - حتى على مستوى المهنة - أن يتذكر أسمها، فقد ذابت في الدنيا الواسعة العريضة، وماتت منسية من الجميع!

١٤- عبد الناصر المفتري عليه والمفتري علينا: أنيس منصور - دار نهضة مصر.

الكتاب لا يعدو أن يكون دخان أزرق منبعث من حشيش محروق، تائها مع الأوهام مستسلما لها في رخاوة!

فالمؤلف يريد إقناعنا أن من كان يحكم مصر هو هيكل لا ناصر، وأن كل ما قام به ناصر هو من اختراع هيكل، بل حتى الأوراق الرسمية والوثائق الحاملة لخط الرئيس ناصر كانت بمثابة حصة إملاء في مدرسة الأستاذ هيكل!؟

المدهش أن الكتاب صدر سنة ١٩٨٨، بعد صدور كتابي الأستاذ هيكل «ملفات السويس» و«سنوات الغليان»، وسحب البساط من تحت أقدام أعداء ثورة يوليو ..

١٥- كلمتي للتاريخ: محمد نجيب - المكتب المصري الحديث.

البعض يحلو له تجسيد دور طائر البوم في نعيقه بالنذير والشؤم والفأل السيء!

الرئيس محمد نجيب، نتيجة لعزلته وابتعاده عن الناس والأحداث، توهم بأنه الملك الرشيد ذو الرأي السديد والعهد السعيد .. قادرا على إرجاع عقارب الساعة للوراء، عبر إثارة معارك مع طواحين الهواء، فيعلو قتام المعارك ودخانها وغبارها، لكن سرعان ما تنجلي الحقائق، فإذا الكتاب أثرا بعد عين، وإذا صاحبه يكافح ليحجز له موضعا في التاريخ، فإحساسه أنه خرج من بهوه إلى زقاقه!

١٦- الخديعة الناصرية: صافيناز كاظم - دار الاعتصام.

الكتاب يحاول القفز على ذاكرة الشعوب!

فقد كان للناصرية في مصر والعالم العربي وأيضا في العالم الثالث، جماهير قادرة على سد «عين الشمس»!

ثم يخرج عليك أحدهم في كتيب لا يتجاوز بضعة صفحات ليبين لهذه المجاميع أنهم خدعوا طيلة ١٨ سنة، وأنه الوحيد الذي أكتشف الحقيقة بل وأمتلكها، وقرر بعد مرور السنين أن يكتب لكيلا تستمر الجماهير في انخداعها!

لكن السؤال المعلق هو: ما الهدف من تأليف هكذا كتب، والذرائع التي يلتحف بها المؤلف ويتبرقع بها، متخذا الدين ستارا وحاجبا!

١٧- محمد حسنين هيكل وأوهامه عن القوة والنصر (حقائق حرب الخليج): حنفي المحلاوي - الدار المصرية للنشر.

يعترف الصحفي حنفي المحلاوي في كتابه «حكايتي مع السجن»، بأنه عانى الأمرين للحصول على تليفون مكتب الأستاذ هيكل، وأنه طلب عدة مرات إجراء حوار مع الأستاذ هيكل عن تجربته خلف القضبان (سبتمبر ١٩٨١)، إلا أن طلبه قوبل بالرفض، وبعد عدة محاولات وافق الأستاذ (أغلب الحوار المنشور في كتاب «حكايتي مع السجن» منقول حرفيا من كتاب «خريف الغضب» بعد وضع صيغة سؤال قبل كل فقرة)!

ومن ثم كتب جملة زجها وسط الكلام ليوحي للقارئ بأهميته: «لم يمهلني الأستاذ هيكل لحظة واحدة .. فقد طلب مني أن أدخل في تفاصيل الحوار رغم أنه كان يرفض ولا يزال يعطي أحاديث صحفية لصحفيين مصريين ..»!

ثم رسم صورة لمكتب الأستاذ قائلا بالحرف: «.. ولاحظت خلفه وجود ثلاث خرائط لمصر بثلاث لغات مختلفة وبعض الكتب القليلة الموجودة فوق المكتب .. وطبعا كتابه الأخير «ملف أزمة الخليج».

والكتاب «حكايتي مع السجن» صدر سنة ١٩٩٣، كما أن اللقاء كما وصفه هو جاء بعد صدور كتاب الأستاذ عن حرب الخليج الثانية «أوهام القوة والنصر» الصادر سنة ١٩٩٢!

ولا أعرف من أين أستدل على أن الأستاذ لا يجري بل ويرفض إعطاء أحاديث صحفية لصحفيين مصريين؟

وسأسرد عينة من حوارات أجراها صحفيين مصريين مع الأستاذ هيكل وبطبيعة الحال قبل العام ١٩٩٣:

١- يوم السبت ٢١ فبراير ١٩٧٦ مع الأستاذ السيد الشوربجي - جريدة القبس الكويتية.

٢- يوم الاثنين ٢٦ سبتمبر ١٩٧٧ مع الأستاذ يحيى حمزة - جريدة القبس الكويتية.

٣- يوم الأربعاء ١٢ و١٩ أبريل ١٩٧٨ مع الأستاذان محمد عودة ومحمد سيد أحمد - جريدة الأهالي المصرية.

٤- يوم الأربعاء ١ يوليو، والثلاثاء ١ سبتمبر ١٩٨١ مع الأستاذ مجدي حماد - مجلة المستقبل العربي اللبنانية.

٥- يوم الجمعة ٤ ديسمبر ١٩٨١ ندوة مع مجموعة من الصحفيين المصريين - مجلة المصور المصرية.

٦- يوم الخميس ١٤ و٢١ يناير ١٩٨٢ مع الأستاذ مفيد فوزي - مجلة صباح الخير المصرية.

٧- يوم الأربعاء ١ و٨ و١٥ ديسمبر ١٩٨٢ مع الأستاذ حسين عبد الرازق - جريدة الأهالي المصرية.

٨- يوم الأربعاء ٢٢ ديسمبر ١٩٨٢ مع الأستاذ ممدوح طه - مجلة كل العرب الباريسية.

٩- يوم الأربعاء ٢٧ أبريل و١٨ مايو و١ يونيو ١٩٨٣ مع الأستاذ صلاح عيسى - جريدة الأهالي المصرية.

١٠- يوم السبت ٣ ديسمبر ١٩٨٣ مع الأستاذ إحسان بكر - مجلة التضامن اللندنية

١١- يوم الخميس ١٩ يناير ١٩٨٤ مع الأستاذ حمدين الصباحي - جريدة الخليج الإماراتية.

١٢- يوم الأربعاء ١١ أبريل ١٩٨٤ مع الأستاذة أمينة النقاش - جريدة الوطن الكويتية.

١٣- يوم الأربعاء ٢٠ يوليو ١٩٨٤ مع الأستاذ محمود المراغي - جريدة الوطن الكويتية.

١٤- يوم الأحد ١٣ يناير ١٩٨٥ مع الأستاذ أحمد الجمال - جريدة الخليج الإماراتية.

١٥- يوم الجمعة ٢٦ ابريل ١٩٨٥ مع الأستاذ سعيد حبيب - جريدة العرب اللندنية.

١٦- يوم الأحد ١٥ ديسمبر ١٩٨٥ مع الأستاذ جلال الجويلي - جريدة الاتحاد الإماراتية.

١٧- يوم السبت ٤ و١١ و١٨ يناير ١٩٨٦ مع الأستاذ إبراهيم سعدة - جريدة أخبار اليوم المصرية.

١٨- يوم الأحد ١٥ والاثنين ١٦ يونيو ١٩٨٦ مع الأستاذ أحمد بهاء الدين - جريدة الخليج الإماراتية.

١٩- يوم الثلاثاء ١ يوليو ١٩٨٦ مع الأستاذ أحمد عز الدين - جريدة الشعب المصرية.

٢٠- يوم الأربعاء ١ أبريل ١٩٨٧ مع الأستاذ فيليب جلاب - جريدة الأهالي المصرية.

٢١- يوم السبت ٢٥ أبريل ١٩٨٧ مع الأستاذ يوسف القعيد - مجلة المستقبل الباريسية.

٢٢- يوم الجمعة ١٢ يونيو ١٩٨٧ مع الأستاذة سلوى أبو سعدة - مجلة المصور المصرية.

٢٣- يوم الأحد ١٢ و١٩ و٢٦ يونيو ١٩٨٨ مع الأستاذ صلاح منتصر - مجلة أكتوبر المصرية.

٢٤- يوم الأربعاء ٢٩ يونيو ١٩٨٨ مع الأستاذ مصطفى بكري - مجلة كل العرب الباريسية.

٢٥- يوم الخميس ١ يونيو ١٩٨٩ مع الأستاذ عبد الوهاب مطاوع - مجلة الشباب المصرية.

وأخيرا سلسلة حوارات عبر مجلة نصف الدنيا المصرية مع الأستاذة سناء البيسي صيف ١٩٩٢.

وعليه فهو كما يبدو لا يتابع حتى الدوريات المصرية أو العربية، ولا أعرف حقيقة كيف تسنى له التوصل لحقائق حرب الخليج الثانية، وهو شبه مفصول ومعزول عن الواقع الصحفي الذي يعمل به !؟

وبالنظر إلى مراجعه ومصادره في استيفاء الحقيقة[1] لن يجد القارئ إلا كتابات: عبد العظيم رمضان ومحمد جلال كشك، ويبدو أن المؤلف أعتبرهما من خطط ورسم وقاد حرب الخليج (رغم صدور عدة كتب خلال الأزمة منها (قبل صدور كتاب الأستاذ هيكل عن أزمة الخليج):

١- الملف السري - الأجندة الخفية وراء حرب الخليج: بيير سالينغر وإيريك لوران (مايو ١٩٩١).

٢- الجائزة: ملحمة السعي من أجل النفط، والمال، والسلطة: دانيال يرغين (أكتوبر ١٩٩٠).

٣- الإرهاب والديمقراطية: ستانسفيلد تيرنر (يونيو ١٩٩١).

٤- الكويت في الوثائق البريطانية ١٧٥٢ - ١٩٦٠ : وليد حمدي الأعظمي (أبريل ١٩٩١).

٥- القادة: بوب وودوارد (مايو ١٩٩١).

(١) [illegible] صفحة ١٩٣ من كتاب [illegible] الطبعة الأولى ١٩٩٢

٦- مهمات في بغداد أو الحرب التي كان يمكن ألا تقع: يفغيني بريماكوف (يناير ١٩٩٢).

٧- فكرة الجمهورية قادتني للاستقالة: جان - بيير شيفينما (يناير ١٩٩٢).

٨- الخيار الأخير - بعد ناصر، وعرفات وصدام حسين، السعي من أجل السلام في الشرق الأوسط: ديفيد كمحي (أبريل ١٩٩٢).

لكن يبدو أن كل هؤلاء استبعدهم، فهم لا يرقوا لمصدر وحيه وإلهامه!

وهناك بضعة كتب من نفس هذا النوع، ولكنها لا تعدوا أن تكون زوابع في فناجين عديمة الأثر، أو هبة عاصفة رعناء لا تعرف لنفسها طريق، منفعلة، فلم تستطع أن تنال من قيمة ومكانة الأستاذ هيكل، فهي لا تحمل في انفعالها إلا أكوام من الحسد والحقد والغيرة العمياء، وصوتها وصداه كحفيف الحية أو كطنين الذباب!

وهي في هبوبها تحاول تقديم نفسها للسلاطين والحكام والمماليك، وبالفعل اقتربت من قصور السلاطين وحصون الحكام وإيوان المماليك، لكن لا لتكون من المتحاورين والناصحين والمستشارين، بل كان بعضهم ضمن شعراء القصر المادحين، وبعضهم كان للخصيان والأغوات من الندماء والمسامرين، والبعض لم يتخطى دور الشماشرجي في مساعدة الحاكم على اختيار ثيابه وأنواع البخور، والبعض الآخر كان جلابا للعبيد والجواري والغلمان للقصور، والبعض الأخير تحول مضحك للملوك والتسرية عنهم في ساعات الصفاء..

هكذا يكتمل السناء والبهاء لهذه الصحبة الرائعة، والتي حاولت يوما - عبر أوهامها - أن تستعيد علاقة عز نظيرها في العالم العربي بين زعيم بوزن ناصر وصحفي بقامة هيكل!

المتناقضون مع الأستاذ هيكل كثر، وهو يحتاج لإعادة دراسة ومراجعة من الفريقين: المحبون والكارهون، فلا قرع الطبول يمجده، ولا أمطاره بالشتائم يقلل من شانته.

فهو راعي التاريخ العربي الحديث والأمين على توثيقه، عبر سيل من الكتب الموثقة بعشرات من الوثائق العربية والأجنبية، ومن النادر أن يجود الزمان برجل لم يدعي كتابة التاريخ بل قراءته، بمعنى التعلم لا التعليم!

الفصل الثاني والثلاثون:

باقات الكتب*

كل ما عليك فعله هو كتابة جملة واحدة صحيحة. اكتب الجملة الحقيقية التي تعرفها.
إرنست همنغواي Ernest Hemingway

أولا: المؤلفات العربية

تنقسم إلى خمس مجموعات حسب العصور والعهود التي نشرت بها.

المجموعة الأولى:

- عصر الملك فاروق:

١ - إيران فوق بركان: [1]

الكتاب حصيلة شهر عاشه الأستاذ هيكل في إيران، على أثر مقتل رئيس وزرائها الجنرال علي رزم آراه يوم الأربعاء ٧ مارس ١٩٥١. ولقد سافر إلى كل أنحائها من الشمال إلى الجنوب، من جولفا على الحدود الروسية إلى عبدان على الخليج الفارسي، وقضى أيامًا طويلة في طهران وسراديبها الغامضة، وقابل كل قيادات العهد القديم من السياسيين أمثال السيد ضياء الدين طباطبائي، وقوام السلطنة، والدكتور محمد مصدق بطبيعة الحال، وأهم رجل من رجال الدين الشيعة في ذلك الوقت ومؤيد مصدق المتحمس آية الله أبو القاسم كاشاني. وفي ذلك الوقت أيضًا دارت أول أحاديثه مع الشاه محمد رضا بهلوي، كما تعرف على شقيقته التوأم الأميرة أشرف، التي كان زوجها الأسبق أحمد شفيق - وهو مصري - صديقًا

* أدونيس ديوان «كتاب التحولات والمجرة في أقاليم النهار والليل» - قصيدة: «فصل الحجر»

(١) صدر في مايو ١٩٥١ عن دار أخبار اليوم.

له (هو الزوج الثاني للأميرة أشرف (١٩٤٤ - ١٩٦٠)، وقد سبقه السيد علي قوام (١٩٣٧ - ١٩٤٢)، ولحقه السيد مهدي بوشهري (١٩٦٠). علما بأن السيد أحمد شفيق هو ابن المؤرخ المصري أحمد شفيق (باشا)، رئيس الديوان في عهد عباس حلمي الثاني). وكان كتابًا حسن الحظ مع قرائه. وكان من أكثر الكتب رواجًا في تلك الأيام.

المجموعة الثانية:

عصر الرئيس جمال عبد الناصر [١]:

١ - حديث ن. س. خروشتشوف مع محمد حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة الأهرام المصرية [٢]:

هو مقال للأستاذ هيكل كتبه يوم الجمعة ٢٢ نوفمبر ١٩٥٧ تحت عنوان «خروشوف قال لي»، وهو يتضمن النص الكامل لمحضر مقابلة الأستاذ مع الزعيم السوفيتي نيكيتا خروشوف Nikita Khrushchev والتي استغرقت ساعتين كاملتين يوم السبت ١٦ نوفمبر في الساعة الثانية عشر ظهرًا في الدور العاشر للمقر الرئيسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي، على الناحية الأخرى من الميدان الأحمر في مواجهة الكرملين.

(خروشوف في فترة زعامته للاتحاد السوفيتي لم يدل بحديث لأي صحفي عربي غير الأستاذ هيكل!)

٢ - العقد النفسية التي تحكم الشرق الأوسط [٣]:

مجموعة مقالات (٨ مقالات) كتبها الأستاذ هيكل خلال شهر يناير ١٩٥٨، ونشرت في جريدة الأهرام، وفيها يتحدث عن العلاقات العربية - العربية، والعلاقات العربية - الأمريكية، والعربية - البريطانية، والعربية - السوفيتية، كما تبدت له مع مطلع العام.

---

(١) هذه المجموعة من الكتب التي صدرت في عصر الرئيس جمال عبد الناصر، هي في الأصل مجموعة من مقالات صحفية نشرت في جريدة الأهرام، وقام الأستاذ هيكل بجمعها ضمن دفتي كتب.

(٢) صدر سنة ١٩٥٧ عن دار التقدم - موسكو.

(٣) صدر سنة ١٩٥٨ عن الشركة العربية للطباعة والنشر

٣ - نظرة إلى مشاكلنا الداخلية على ضوء ما يسمونه... «أزمة المثقفين» [١]:

مجموعة مقالات (٧ مقالات) كتبها الأستاذ هيكل خلال شهري يونيو ويوليو ١٩٦١، ونشرت في جريدة الأهرام، وفيها قدم «بانوراما» عن المشاكل الداخلية التي تواجها مصر حينها، وجذورها الضاربة في أعماق الماضي، وإمكانيات الاندفاع الثوري في رسم صورة للمستقبل وإصراره على تحقيقه.

٤ - ما الذي جرى في سوريا [٢]:

مجموعة مقالات (١٤ مقالة) كتبها الأستاذ هيكل خلال الفترة الممتدة من أكتوبر إلى ديسمبر ١٩٦١ ويناير ١٩٦٢، ونشرت في جريدة الأهرام، وفيها يستعرض ما جرى يوم الخميس ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ (انفصال الوحدة بين مصر وسوريا)، بالإضافة لتجربة الوحدة، وتقييم لمشاكلها وأوضاعها.

٥ - يا صاحب الجلالة [٣]:

مجموعة مقالات (٦ مقالات) كتبها الأستاذ هيكل على شكل رسائل للملك سعود بن عبد العزيز آل سعود خلال شهر مارس ١٩٥٨، ويناير وفبراير ونوفمبر ١٩٦٢، ونشرت في جريدة الأهرام، وفيها يستعرض علاقة الملك سعود مع مصر وأدواره ضد الوحدة بين مصر وسوريا وانفصالها، وموقفه من الثورة اليمنية.

٦ - خبايا السويس [٤]:

مجموعة مقالات (٥ مقالات) كتبها الأستاذ هيكل على شكل تعليق وملاحظات على دراسة المؤرخ البريطاني هيو توماس Hugh Thomas عن معركة السويس ١٩٥٦ (منشورة في الكتاب)، خلال شهري سبتمبر وأكتوبر ١٩٦٦، ونشرت في جريدة الأهرام.

---

(١) صدر سنة ١٩٦١عن الشركة العربية المتحدة للتوزيع.

(٢) صدر سنة ١٩٦٢عن الدار القومية للطباعة والنشر

(٣) صدر سنة ١٩٦٣عن الدار القومية للطباعة والنشر

(٤) صدر سنة ١٩٦٧ عن دار العصر الحديث

٧ - الاستعمار لعبته الملك [1]:

مجموعة مقالات (١٨ مقالًا) كتبها الأستاذ هيكل خلال شهور إبريل ١٩٦٥ ومن إبريل إلى أغسطس ١٩٦٦ وفبراير ١٩٦٧، ونشرت في جريدة الأهرام، متناولًا الصراع بين القوى الثورية الوطنية والاجتماعية لحركة القومية العربية وبين حلف الاستعمار والرجعية.

٨ - نحن... وأمريكا [2]:

مجموعة مقالات (١٣ مقالًا) كتبها الأستاذ هيكل خلال الفترة الممتدة من فبراير إلى يونيو ١٩٦٧، ونشرت في جريدة الأهرام، مستعرضًا بعضا من العلاقات المصرية - الأمريكية ما بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ومراحل تطورها من الترويض إلى العقاب ومن الاحتواء إلى العنف خلال ١٥ سنة.

المجموعة الثالثة:

عصر الرئيس أنور السادات:

١ - عبد الناصر في ساعاته الأخيرة [3]:

هذا الكتاب أصدره بعض «الشطار» في بيروت دون علم من الأستاذ هيكل (لم يختر عنوانه ولا توقيت نشره ولا موضوعه إلا أنه يحوي كلماته!)، فهو يضم فقط مقالتين كتبهما الأستاذ هيكل ونشرهما في جريدة الأهرام، الأولى يوم الجمعة ٩ أكتوبر ١٩٧٠ بعنوان «ملحمة الصراع مع الألم!» والثانية يوم الجمعة ١٦ أكتوبر ١٩٧٠ بعنوان «٢٨ سبتمبر الأربع والعشرون ساعة الأخيرة...».

(١) صدر سنة ١٩٦٧ عن دار المعارف.
(٢) صدر سنة ١٩٦٨ عن دار العصر الحديث.
(٣) صدر سنة ١٩٧١ في بيروت دون ذكر لدار النشر.

٢ - عبد الناصر والعالم [1]:

هو الترجمة العربية لكتاب The Cairo Documents، وقام بترجمته الصحفي اللبناني الأستاذ سمير عطا الله، وقد حوت النسخة الإنجليزية على ١٥٠ ألف كلمة، وتمت ترجمته لأكثر من ٢٠ لغة بينها: الفرنسية والإيطالية والإسبانية واليابانية والألمانية والسويدية والأردية والهندية والصربية والبرتغالية. متناولا علاقات الرئيس جمال عبد الناصر مع مجموعة من عمالقة عصره مثل: جون فوستر دالاس John Foster Dulles وزير الخارجية الأمريكي، ورئيس الوزراء البريطاني أنتوني إيدن Anthony Eden، ونيكيتا خروشوف Nikita Khrushchev رئيس الوزراء السوفييتي، وأمين عام الأمم المتحدة داغ همرشولد Dag Hammarskjöld، ورؤساء الولايات المتحدة جون كينيدي John Kennedy وليندون جونسون Lyndon Johnson، وجوزيب بروز تيتو Josip Broz Tito رئيس يوغوسلافيا، ورئيس الوزراء الهندي جواهر لآل نهرو Jawaharlal Nehru، وشواين لاي Zhou Enlai رئيس وزراء الصين، والمستشار الألماني لودفيج إيرهارد Ludwig Erhard، وتشي جيفارا Che Guevara الثوري العالمي.

(نشرت صحيفة الصنداي تليجراف (٨) حلقات مسلسلة على مدى شهرين من الكتاب، وهي سابقة لم تحدث في الصحافة البريطانية كلها إلا في مذكرات ونستون تشرشل عن الحرب العالمية الثانية!

وقد ترجم الكتاب فور صدوره إلى أكثر من (٢٠) لغة بينها الفرنسية والإيطالية والإسبانية واليابانية والألمانية والسويدية والأردية والهندية والصربية والبرتغالية.. وغيرها! - وبعد عبد الرحمن ابن خلدون يحل الأستاذ هيكل مباشرة للذين تم ترجمة أعمالهم لعدة لغات من العرب!)

٣ - موعد مع الشمس - أحاديث في آسيا [2]:

مجموعة مقالات (١٤ مقالًا) كتبها الأستاذ هيكل خلال الفترة الممتدة من يناير إلى إبريل

(١) صدر سنة ١٩٧٢ عن دار النهار للنشر.
(٢) صدر سنة ١٩٧٣ عن دار المعارف، ثم صدر عن دار الشروق عام ٢٠٠٣ بمقدمة جديدة

١٩٧٣، ونشرت في جريدة الأهرام، متناولًا رحلته إلى آسيا والتي استغرقت شهرًا، زائرًا الصين واليابان وبنجلاديش والهند وباكستان، وحواراته مع رئيس وزراء الصين شواين لاي Zhou Enlai، ورئيس وزراء اليابان كاكوي تاناكا Kakuei Tanaka، ورئيس وزراء بنجلاديش الشيخ مجيب الرحمن، ورئيسة وزراء الهند أنديرا غاندي Indira Gandhi، ورئيس وزراء باكستان ذو الفقار علي بوتو، وأمير كمبوديا نورودوم سيهانوك Norodom Sihanouk، ورئيس الكونغو موبوتو سيسي سيكو Mobutu Sese Seko تصادف وجوده في الصين، والمارشال سام مانيكشو Sam Manekshaw القائد العام للقوات الهندية، والجنرال تيكا خان Tikka Khan القائد العام للقوات الباكستانية (تواجه الاثنان في حرب محدودة وسريعة نهاية ١٩٧١ وكان النصر من حليف المارشال والهزيمة للجنرال).

٤ - الطريق إلى رمضان[1]:

هو الترجمة العربية لكتاب The Road To Ramadan، وقام بترجمته الأستاذ يوسف الصباغ. والكتاب يتناول جولة الصراع العربي الإسرائيلي الرابعة المتمثلة في حرب أكتوبر ١٩٧٣.

(الكتاب الوحيد الذي لم يكتب له الأستاذ هيكل مقدمة (مستثنيا النسخة المترجمة للعربية)، بل تركه يقدم نفسه بنفسه، وكان الكتاب ضمن قائمة أروج (٥) كتب في بريطانيا في أول أسبوع صدر فيه عن أكبر دار للنشر في بريطانيا كولينز Collins (تأسست سنة ١٨١٩ تحت اسم أبناء هنري كولينز، قبل أن تندمج مع شركة هاربر سنة ١٩٨٩!

ولقد ظل هذا الكتاب ولا يزال مرجعًا عربيًّا وحيدًا عن وجهة النظر العربية في الفترة التي تعرض لها من مسار الصراع العربي الإسرائيلي، بل إن الكتاب الآن يدرس في معظم كليات العلوم السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية بهذا الوصف، علمًا بأن الكتاب ترجم لـ(٢٢) لغة!).

(١) صدر سنة ١٩٧٥ عن دار النهار للنشر.

٥ - لمصر.. لا لعبد الناصر[1]:

مجموعة مقالات (١٢ مقالًا) كتبها الأستاذ هيكل خلال شهري مارس وإبريل ١٩٧٦، ونشرت في عدة صحف عربية، وفيها يستعرض مشاهد عن الرئيس جمال عبد الناصر، ووقائع متصلة في الحملة ضد الرئيس ناصر، والتي امتدت إليه أيضًا.

في لقاء جمعني مع الأستاذ في مزرعته ببرقاش صباح يوم الثلاثاء ٢٧ يناير ٢٠٠٩، سألته عن أهم كتبه (٥٣ كتابًا حينها)، وهو رد السؤال لي!

فقلت: بأني أعتبر كل كتاب له في مجاله قمة، ولكن في قمة الهرم أضع كتاب «خريف الغضب» - بداية قراءتي له، وبعده «زيارة جديدة للتاريخ»، وبعده «كلام في السياسة: قضايا ورجال».. قال لي: أنت فيما يبدو لي تستهويك السير الشخصية!

وأعدت السؤال عليه مرة أخرى، وفاجأني بإجابته: كتاب «لمصر.. لا لعبد الناصر»!

وطلبت تعليلًا؟

وأفاض الأستاذ: الكتاب جاء في ذروة الهجوم «تسونامي Tsunami» على الرئيس جمال عبد الناصر، والحملة في مجملها كانت باغية ومجحفة، فأنا لا أؤمن بطهارة الناس وإنما بإنسانية البشر، وعليه فكل تجربة تقبل النقد وتقبل التقويم بهدف إظهار الحقائق، وعدم التحيز أساسًا للنقد والتقويم، لا أن يتحول الأمر إلى غارات لإدانة عصر بأكمله، وأعترف لك بأنهم استطاعوا استثارة غضبي (من النوادر!)، وقررت التصدي، فكتبتها في جو قاسٍ، ونشرتها خارج مصر (لم يكن متاحًا له الكتابة داخل مصر)، وبعد أكثر من عشر سنوات تم طبع الكتاب في مصر!

(استطرد الأستاذ هنا في التفرقة بين الموضوعية والحياد، شارحًا الفرق بينهما، فالموضوعية بحث في كل ركن حتى وإن كان شائكًا، بينما الحياد توقي وابتعاد عن المحاذير من أي نوع، وأنا لست حياديًّا، فمعايشتي للحوادث جعلتني أشارك بنصيب فيها، والمشاركة تعني اتخاذ موقف، والموقف اقتناع، والاقتناع رأي، والرأي انتقاء، والانتقاء محاباة، والمحاباة تتعارض مع الحياد، وهو المطلوب في الحكم التاريخي. فقط التكنولوجيا يمكن أن تكون محايدة لأنها بلا أحاسيس وأيضًا بلا عقل، الحاسوب Computer هو أغبى آلة صنعها الإنسان، لأنه

(١) صدر سنة ١٩٧٦عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر (بيروت)، ثم صدر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر سنة ١٩٨٧ بمقدمة جديدة

لا تستطيع أن ترد إليه إلا ما أودعه فيها! ومظنة الحياد غير إنسانية، بل هي مستحيلة. فكل إنسان له في النهاية إطلالته الخاصة على المشهد، عبر الشرفة التي يطل منها، وبناء على منظوره الفكري والثقافي)..

٦ - قصة السويس آخر المعارك في عصر العمالقة [1]:

مجموعة مقالات (٢٠ مقالًا) كتبها الأستاذ هيكل خلال الفترة الممتدة من يونيو إلى نوفمبر ١٩٧٦، ونشرت في عدة صحف عربية، وقد كتبها في الذكرى العشرين لمعركة السويس، وهي أيضًا آخر معركة في عصر العمالقة (عصر العمالقة: هو تعبير للصحفي الأمريكي سايرس سالزبيرجر Cyrus Sulzberger، وقد صدر له كتاب بعنوان: آخر العمالقة The Last-of the Giants)، فضلًا عن أنها أشمل وأكمل انتصار في تاريخ العرب الحديث ضمن مفاهيم الحرب المحدودة، وهي الحرب الممكنة في عصر التوازن النووي.

٧ - الحل والحرب! [2]:

مجموعة مقالات (١٩ مقالًا) كتبها الأستاذ هيكل خلال شهر مايو ١٩٧٦، ومن يناير إلى إبريل ١٩٧٧، وقد نشرت في عدة صحف عربية، وفيها يبدي وجهة نظره لبعض القضايا الراهنة خاصة أزمة الشرق الأوسط حينها، وسلسلة عن الرئيس الجديد للولايات المتحدة جيمي كارتر Jimmy Carter، وعالم بغير هنري كيسنجر Henry Kissinger وأسلوبه في إدارة الأزمات الدولية، والموقف التفاوضي العربي ومؤتمر جنيف.

٨ - حديث المبادرة [3]:

مجموعة مقالات (١٧ مقالًا) كتبها الأستاذ هيكل خلال شهري مارس وإبريل ١٩٧٨، وفيها يعرض وجهة نظره في أغرب حادث شهده التاريخ العربي الحديث، وأشده إثارة للجدل والخلاف، وهو الزيارة التي قام بها الرئيس أنور السادات لإسرائيل في شهر نوفمبر ١٩٧٧.

(١) صدر سنة ١٩٧٧ عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر
(٢) صدر سنة ١٩٧٧ عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر
(٣) صدر سنة ١٩٧٨ عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ثم صدر عن دار الشروق سنة ١٩٩٧ بمقدمة جديدة بمناسبة مرور عشرين عامًا على المبادرة

٩ - حكاية العرب والسوفييت [1]:

هو الترجمة العربية لكتاب Sphinx & Commissar، وقام بترجمته جريدة الوطن الكويتية. والكتاب يتناول العلاقات العربية مع الاتحاد السوفييتي من الفترة الممتدة من بدايات انتصار الثورة البلشفية في موسكو إلى نهاية عام ١٩٧٧.

(من المفارقات أن الأستاذ هيكل لم يعثر على الكتاب رغم محاولات دؤوبة في البحث عنه، ثم كان أن أتصل بي الأديب الأستاذ يوسف القعيد في ديسمبر ٢٠١٤، طالبًا نسخة من الكتاب، وبالفعل ففي آخر لقاء لي مع الأستاذ هيكل في مكتبه بالجيزة (السبت ١٨ إبريل ٢٠١٥) قدمته له، وكان سعيدًا به كي تكتمل سلسلة مؤلفاته قائلا لي: لك أن تتبين حالة كاتب لا يملك نسخة واحدة مما كتب يومًا!)

١٠ - وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي [2]:

مجموعة مقالات (١٦ مقالًا) كتبها الأستاذ هيكل في شهر فبراير ١٩٧٨، ونشرت في عدة صحف عربية، وفيها نشر وثائق التحقيق الذي أجراه معه المدعي الاشتراكي (الوزير أنور حبيب، ويعاونه المحامي العام المستشار عبد الرحيم نافع، والمحامي العام المستشار أحمد سمير سامي) خلال الفترة الممتدة من شهر يونيو إلى أغسطس ١٩٧٨ (١٠ جلسات تحقيق، وتناول التحقيق ما أبداه الأستاذ من آراء في صحف ومقابلات مع إذاعات وقنوات تلفزيونية)، والمفارقة أنه رغم مرور ما يزيد عن ٣٥ عامًا من إجراء التحقيق ما زالت نتيجته معلقة!

١١ - السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة - رسائل إلى صديق هناك [3]:

مجموعة مقالات (٢١ مقالًا) كتبها الأستاذ هيكل خلال شهر مارس إلى يونيو ١٩٧٩، ونشرت في عدة صحف عربية، وهي عبارة عن رسائل لصديق ما هناك على طول الخط الممتد بين محيط هادر وخليج ثائر، متناولًا عاصفة ما يسمى بالسلام، وغياب الديمقراطية، والأحلام الفوارة التي حست!

(١) صدر سنة ١٩٧٩ عن شركة طبع وتوزيع الصحف
(٢) صدر سنة ١٩٧٩ عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر
(٣) صدر سنة ١٩٨٠ عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

١٢ – آفاق الثمانينات [١]:

مجموعة مقالات (١٢ مقالًا) كتبها الأستاذ هيكل بين شهري ديسمبر ١٩٧٩ ويناير ١٩٨٠، ونشرت في عدة صحف عربية، وهي حصاد رحلة قادته للولايات المتحدة، وأوروبا، مستشرفًا حقبة الثمانينات وتداعياتها على الولايات المتحدة وطرق حلها للأزمات، وتأثير وسائل الإعلام (مشاعر)، وسطوة الشركات الدولية الكبرى (إرادة الفعل)، وتغول مؤسسات الأبحاث (توجيه العقل) على مواقع القوة الأمريكية، ومصير هيئة الأمم المتحدة، ومراجعة الاتحاد السوفيتي لمجمل سياساته وتوجهاته، ودور أوروبا، والصين الحائرة، والهند الضائعة، والعالم العربي الممزق!

المجموعة الرابعة:

عصر الرئيس حسني مبارك:

١ – مدافع آية الله – قصة إيران والثورة [٢]:

هو الترجمة العربية لكتاب The Return Of The Ayatollah، وقام بترجمته الدكتور عبد الوهاب المسيري والأستاذ الشريف خاطر. والكتاب يتناول جذور الثورة الإيرانية، والبعث الإسلامي، والتنافس بين القوتين الأعظم على إيران.

٢ – عند مفترق الطرق – حرب أكتوبر.. ماذا حدث فيها... وماذا حدث بعدها! [٣]:

مجموعة مقالات (٢٣ مقالًا) كتبها الأستاذ هيكل خلال الفترة من شهر أكتوبر ١٩٧٣ إلى فبراير ١٩٧٤، وقد نشرت في جريدة الأهرام، وهي آخر ما كتب فيها، وقد سبقت بدء حرب أكتوبر بيوم واحد، وتوقفت مع إتمام الاتفاق المبدئي لفك الارتباط بأسبوع واحد. والمفارقة أنها كانت مفترق طرق على مستوى الشعب المصري وأمته العربية، وأيضًا على المستوى الشخصي والمهني للأستاذ هيكل!

(١) صدر سنة ١٩٨١عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

(٢) صدر سنة ١٩٨٢ عن دار الشروق

(٣) صدر سنة ١٩٨٢ عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

٣ – خريف الغضب – قصة بداية ونهاية عصر أنور السادات [١]:

هو الترجمة العربية لكتاب Autumn of Fury، وقد قام الأستاذ هيكل بترجمته نظرًا لحساسية الموضوع. وفيه يحاول الأستاذ هيكل شرح الأسباب التي أدت إلى اغتيال الرئيس أنور السادات. وكانت الشهور الأخيرة من حياة الرئيس السادات غاضبة معتقلًا كل رموز مصر من كافة الاتجاهات السياسية والفكرية، والمجتمع المصري غاضب نتيجة ظروف اقتصادية واجتماعية مغطاة بفساد مستشري، وتيار إسلامي غاضب، وكنيسة غاضبة بعد عزل الأنبا شنودة ومحاصرته في دير وسط الصحراء في وادي النطرون!

(فور صدور الكتاب في منتصف عام ١٩٨٣ طبع منه (٥٠٠ ألف) نسخة، ثم توالت الطبعات ومن كل اللغات (١٩)، بل وتعددت طباعته، فتارة لدى شركة المطبوعات (بيروت)، وتارة لدى مركز الأهرام (١٩٨٨)، وتارة ثالثة لدى دار الشروق في بدايات عام (٢٠١٠)، وهو بذلك يكون الكتاب الأكثر مبيعًا في تاريخ الكتب المنشورة باللغة العربية بعد القرآن الكريم!).

٤ – بين الصحافة والسياسة – قصة (ووثائق) معركة غريبة في الحرب الخفية! [٢]:

الكتاب يتعرض لعلاقة السياسة بالصحافة في مصر في الفترة الممتدة من انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى أواسط عقد الثمانينات في القرن العشرين، وهو أول كتاب للأستاذ هيكل يقدم إهداءه إلى أولاده الثلاث!

٥ – زيارة جديدة للتاريخ [٣]:

الكتاب يتناول لقاءات أجراها الأستاذ هيكل مع سبع شخصيات مرتبطة بقضايا معينة، فقضية الديمقراطية قادته للقاء ملك إسبانيا خوان كارلوس Juan Carlos، ولقاؤه مع

(١) صدر سنة ١٩٨٣ عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ثم صدر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر سنة ١٩٨٨ بمقدمة جديدة

(٢) صدر سنة ١٩٨٤ عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

(٣) صدر سنة ١٩٨٥عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ثم صدر عن دار الشروق عام ٢٠٠٣ بمقدمة جديدة

الزعيم السوفيتي يوري أندروبوف Yuri Andropov وقضية التغيير السياسي، وقضية الحرب والسلام ذكرته بلقائه مع المارشال برنارد مونتجمري Bernard Montgomery، وقضية خطر نشوب حرب نووية ذكرته بلقائه مع العالم البرت آينشتاين Albert Einstein، قضية المثقف والسلطة ذكرته بلقائه مع رئيس وزراء الهند جواهر لآل نهرو Jawaharlal Nehru، ولقائه مع آخر شاه لإيران محمد رضا بهلوي وقضية القرار السياسي المستقل بدلًا من الارتهان لقوى عظمى، وقضية القرار الأمريكي بيد من؟ قادته للقائه مع ديفيد روكفلر David Rockefeller.

(أثناء لقائي مع الأستاذ هيكل في مكتبه بالجيزة صباح يوم السبت ٨ نوفمبر ١٩٩٧، رجوته بأن يكون هناك جزء ثاني من كتاب «زيارة جديدة للتاريخ»، فسبع شخصيات من عشرات الشخصيات التي قابلها لا تطفئ ظمأً ولا تشبع نهمًا! - فقال: بأنه بالفعل يفكر بإصدار جزء ثاني من الكتاب متناولًا شخصيات أخرى بطبيعة الأشياء. وألححت عليه بمعرفة أسماء تلك الشخصيات؟، لكنه قال: بأن الفكرة لم تكتمل تمامًا، ولكن من بينها حواراته مع وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر.

وللأسف فقد رحل الأستاذ بعد عشرين عامًا من ذلك اللقاء، ولم يظهر الجزء الثاني من الكتاب!)

٦ - حرب الثلاثين سنة - ملفات السويس [1]:

هو ترجمة لكتاب Cutting The Lion's Tail، وقد ترجمه الأستاذ هيكل مع التوسع في النسخة العربية. والكتاب هو الجزء الأول من رباعية حرب الثلاثين سنة، مستعرضًا بالشرح والتحليل تاريخ المنطقة العربية عشية انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥، وقيام إسرائيل، والانقلابات السورية المتكررة، وثورة ٢٣ يوليو، وانتهاء الملكية في مصر، واندلاع الثورة الجزائرية، ومعركة التصدي لحلف بغداد، ومؤتمر باندونج، وتأميم القناة، وانتهاء بمعركة السويس ١٩٥٦ بكل تداعياتها وتأثيرها على مجمل الأحداث في المنطقة والعالم.

(هو أول كتاب للأستاذ هيكل يطبع في القاهرة منذ عام ١٩٧٣ - كان كتاب «أحاديث في

---

(١) صدر سنة ١٩٨٦ عن مركز الأهرام للترجمة والنشر، ثم صدر عن دار الشروق عام ٢٠٠٣ بمقدمة جديدة

آسيا» هو آخر كتاب طبع في القاهرة بعد قرار السادات بإخراج الأستاذ من الأهرام وحظر مقالاته وكتبه!)

٧ - أحاديث في العاصفة [1]:

مجموعة من الأحاديث الصحفية (٣٤ حديثًا) التي أجريت مع الأستاذ هيكل من يناير ١٩٧٥ إلى مايو ١٩٨٥، وقام باختيارها الأستاذ فهمي هويدي. متناولًا فيها قضايا المنطقة من حروب خاضتها، وأدوار لعبتها، والعلاقات مع الولايات المتحدة، ومؤتمر جنيف، والوحدة بين مصر وليبيا، والأوضاع الداخلية في مصر، وحكم الرئيس جمال عبد الناصر، وحادث المنصة، ودور كيسنجر في عملية السلام، وضرورة التغيير في مصر والعالم العربي، والعلاقات مع الاتحاد السوفييتي، وياسر عرفات وعلاقاته مع مصر ودوره في لبنان، وغيرها من قضايا في تلك المرحلة.

٨ - حرب الثلاثين سنة - ١٩٦٧ الجزء الأول: سنوات الغليان [2]:

الكتاب الثاني من رباعية حرب الثلاثين سنة، متناولًا الأوضاع السياسية عشية انتهاء حرب السويس ١٩٥٦ إلى نهاية عام ١٩٦٤، وما شهدته المنطقة من تفاعلات وانقلابات وقيام الوحدة والانفصال، وانتهاء الملكية في العراق، والإمامة في اليمن، واستقلال الجزائر، وأزمة الكويت مع الرئيس قاسم، ومحاولات الاتحاد الثلاثي، وتنازل الملك سعود عن الحكم لصالح أخيه فيصل، والقمم العربية والأفريقية وعدم الانحياز، وتداعيات كل ذلك على المشهد العربي حينها.

٩ - الزلزال السوفييتي [3]:

مجموعة ملاحظات كتبها الأستاذ هيكل غداة زيارته للاتحاد السوفيتي - نوفمبر ١٩٨٩ - مستعرضًا أحداث دهمت موسكو من تغيرات سياسية عبر عنها الرئيس السوفييتي ميخائيل

---

(١) صدر سنة ١٩٨٧ عن دار الشروق

(٢) صدر سنة ١٩٨٨ عن مركز الأهرام للترجمة والنشر

(٣) صدر سنة ١٩٩٠ عن دار الشروق

غورباتشوف: البيريسترويكا Perestroika (إعادة البناء)، والغلاسنوست Glasnost (الكلام بصوت عال)، وأثر ما يجري في موسكو على المعسكر الشرقي، وتداعياتها على الوطنية، وعودة للدين، والخيارات المطروحة للخروج من المأزق، وظل ما يجري على العلاقات العربية السوفييتية.

١٠ – حرب الثلاثين سنة – ١٩٦٧ الانفجار [١]:

الجزء الثاني من حرب ١٩٦٧ (الثالث ضمن رباعية حرب الثلاثين سنة)، وفيه يستكمل الأستاذ هيكل، سرده لأحداث المنطقة ابتداء مع عام ١٩٦٥، مع انطلاقة الثورة الفلسطينية، وعزل الرئيس الجزائري أحمد بن بيلا، وغياب الرئيس العراقي عبد السلام عارف، وانتهاءً بحرب النكسة.

في لقائي مع الأستاذ في مكتبه بالجيزة مساء يوم الثلاثاء ٤ نوفمبر ١٩٩٧ (برفقة الأستاذ مصطفى بكري)، طرحت على الأستاذ بأن هذه السنة ذكرى ثلاثين عامًا على حرب يونيو ١٩٦٧، ولابد أن هناك فيضًا من الوثائق والشهادات والكتب صدرت بالمناسبة، أو أفرج عنها بموجب قانون حرية تداول المعلومات، فهل كتابك «الانفجار» يمثل الكلمة النهائية لتلك الحرب، أم هناك مجال للاستزادة على ضوء ما تكشف؟

الأستاذ أجاب: أنه بالفعل شدته المناسبة، وأنه فكر بكتابة سفر جديد تحت عنوان «ثلاثون عامًا على النكسة»، متناولًا فيه ما استجد من حقائق، وما ظهر من وثائق، رغم أن كتاب «الانفجار» لم يكن كلمة افتتاحية، بل توغلًا في الدهاليز، وشعاع ضوء على التعاون الإسرائيلي الأمريكي، مركزًا على خط الصراع في المنطقة وعليها.

وللأسف – مرة ثانية – فقد غاب الأستاذ عن المشهد بعد عشرين عامًا على ذلك الحوار، ولم يظهر الكتاب!

١١ – حرب الخليج: أوهام القوة والنصر [٢]:

هو الترجمة العربية لكتاب Illusions Of Triumph، وقد ترجمه الأستاذ هيكل مع

(١) صدر سنة ١٩٩٠ عن مركز الأهرام للترجمة والنشر
(٢) صدر سنة ١٩٩٢ عن مركز الأهرام للترجمة والنشر

التوسع في النسخة العربية. مستعرضًا ما جرى من أحداث بداية من الغزو العراقي لدولة الكويت، وانتهاءً بتدمير العراق، مع خلفية للمشهد السياسي عبر استعراض التاريخ والجغرافيا بعيدًا عن إصدار أحكام وإنما عبر بناء وقائع، متخذًا موقف المستقل وليس المحايد، باحثًا في كل ركن حتى وإن كان ملغومًا، وتداعيات ما جرى على المنطقة والعالم.

١٢ – حرب الثلاثين سنة – أكتوبر ٧٣: السلاح والسياسة [١]:

الجزء الأخير من رباعية حرب الثلاثين سنة، مستعرضًا أحداث المنطقة عبر الوثائق والحقائق، من حرب الألف يوم (الاستنزاف)، وغياب الرئيس جمال عبد الناصر، وصعود الرئيس أنور السادات، والثورة الليبية، والتغيير في العراق، وانقلاب السودان، ومراكز القوى في مصر، وخطة الحرب، وسلاح البترول، وعبور الجنود على ضفاف القناة ومرتفعات الجولان.

١٣ – اتفاق غزة – أريحا أولًا السلام المحاصر بين حقائق اللحظة وحقائق التاريخ [٢]:

نص محاضرة الأستاذ هيكل في الجامعة الأمريكية يوم الثلاثاء ١٩ أكتوبر ١٩٩٣. وقد زاره وقتها الدكتور وليد الخالدي (المؤرخ الفلسطيني وأمين سر مؤسسة الدراسات الفلسطينية) طالبًا حق تحويل نص المحاضرة لكتيب كونه استطاع سبر أغوار عملية السلام بكل أبعادها وتداعياتها على الواقع الفلسطيني والمستقبل العربي.

١٤ – أقباط مصر ليسوا أقلية – رسالة إلى رئيس تحرير جريدة الوفد [٣]:

مقال للأستاذ هيكل في جريدة الأهرام يوم الجمعة ٢٢ إبريل ١٩٩٤، وفيه يستعرض حقوق الأقليات في العالم العربي والشرق الأوسط، مؤكدًا بأن الأقباط ليسوا أقلية لا بالمعنى العرقي (كأكراد العراق) ولا بالمعنى الطائفي (كدروز إسرائيل)، ولا حتى بالمعنى الديني وهو سر الخصوصية المصرية.

(١) صدر سنة ١٩٩٣ عن مركز الأهرام للترجمة والنشر
(٢) صدر سنة ١٩٩٤ عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية
(٣) صدر سنة ١٩٩٤ عن المركز القبطي للدراسات الاجتماعية

١٥ – مصر والقرن الواحد والعشرون – ورقة في حوار [١]:

نص محاضرة الأستاذ هيكل في المؤتمر السنوي الثلاثون لجماعة خريجي المعهد القومي للإدارة العليا المتعقد في مدينة الإسكندرية يوم الخميس ٢٧ أكتوبر ١٩٩٤ (فندق شيراتون المنتزه). مستعرضًا مستقبل مصر في القرن القادم بنظرة تعميم.

١٦ – ١٩٩٥: باب مصر إلى القرن الواحد والعشرين [٢]:

نص محاضرة الأستاذ هيكل في معرض الكتاب يوم الأربعاء ١٨ يناير ١٩٩٥. مستعرضًا قضايا مصر بنظرة تخصيص في القرن القادم.

١٧ – أزمة العرب ومستقبلهم [٣]:

نص محاضرة الأستاذ هيكل في باريس بقاعة المؤتمرات في متحف غيميه Guimet Museum يوم الخميس ٧ ديسمبر ١٩٩٥. والمحاضرة جاءت بدعوة من جمعية أصدقاء المقاصد ورئيسها السفير عادل إسماعيل (دبلوماسي ومؤرخ). وشاركه الحوار كل من السفير بطرس ديب (دبلوماسي وأستاذ حقوقي) والدكتور غسان سلامة (أستاذ علوم سياسية بجامعة السوربون) والأستاذ نبيل خوري (صحفي). والمحاضرة تتحدث عن الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يواجهها العالم العربي مع إطلالة قرن جديد وألفية جديدة.

زرت عمان – عندما كنت مقيمًا في الكويت – وكان ممن ألتقيتهم فيها الأستاذ توفيق أبو بكر (أبو ثائر) في مكتبه بمنطقة الجندويل، وعلم بأني على موعد مع الأستاذ هيكل بعد أيام في القاهرة (نوفمبر ١٩٩٧)، وحملني رسالة شفهية له مفادها «إن ما جاء في كتابه «أزمة العرب ومستقبلهم» إن على عرب إسرائيل أن يبحثوا لأنفسهم عن موطن هناك في وديان دجلة والفرات وليس في وادي الأردن!

(١) صدر سنة ١٩٩٤ عن دار الشروق

(٢) صدر سنة ١٩٩٥ عن دار الشروق

(٣) صدر سنة ١٩٩٥ عن دار الشروق

وهذا صعب – من وجهة نظري – فلن تسمح به موازين القوة في الإقليم (العراق وسوريا والأردن)، والضمير العالمي المتنبه، والميديا والإعلام اليقظ، عوضًا عن رفض عرب الداخل المغادرة (بعد رؤية الحياة البائسة للاجئين الفلسطينيين في المنافي)، قل له زمن النكبة ١٩٤٨ وما جرى فيها من تشريد وتهجير، غير قابل للتكرار بعد نصف قرن!

وفعلًا سافرت للقاهرة، وتقابلت مع الأستاذ، ونقلت له ما قاله الأستاذ توفيق، ورد الأستاذ: إذا كنت ستقابله عما قريب، فبلغة تحياتي، وذكره على لساني بما يجري اليوم تحديدًا في عقر أوروبا من تهجير وتشريد في البوسنة والهرسك، وقتل واغتصاب في كرواتيا، وتقطيع أوصال جمهورية يوغسلافيا بالسكين تحت مرأى العالم ومسمعه، بل تحت راية مراقبي الأمم المتحدة!

ذكره بأن حلم تيودور هرتزل Theodor Herzl (١٨٩٧) تحول إلى وعد من آرثر بلفور Arthur Balfour (١٩١٧)، ثم إلى قرار تقسيم رقم ١٨١ (١٩٤٧)، ثم إلى مائدة تفاوض في مدريد (١٩٩١).. قرن كامل تحولت فيه الأسطورة لواقع!

ذكره بأن السياسة وحقائقها لا تكون كما نراها وفق تخميناتنا أو رغباتنا!

قل له عن الفارق بين البراءة والتجربة!

وقد بلغت الرسالة بحذافيرها للأستاذ توفيق، والرجل – شهادة لله – استمع منصتًا، ولكن لم يعلق، وآثر أن ينتقل بحوارنا إلى موضوع آخر!

١٨ – المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل – الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية [١]:

هو الترجمة العربية لكتاب Secret channels، وقد ترجمه الأستاذ هيكل مع التوسع في النسخة العربية، وتقسيمه إلى ثلاثة أجزاء. والكتاب يحاول الإجابة على سؤال وهو: لماذا كان مطلوبًا أن تجري أية اتصالات أو مفاوضات بين العرب وإسرائيل من وراء حجب وأستار؟. وهو يستعرض تلك المفاوضات طوال القرن التاسع عشر وحتى قيام إسرائيل

(١) صدر سنة ١٩٩٦ عن دار الشروق.

في منتصف القرن العشرين، والتي بدأت بين بريطانيا والحركة الصهيونية، مرورًا بالتفاوض بين الإمبراطورية العثمانية والحركة الصهيونية، ثم بين الهاشميين والحركة الصهيونية، وانتهاء بمصر (العصر الملكي).

(هذا الكتاب كان بداية لعلاقة ربطت الأستاذ هيكل بدار الشروق، فقد واجه مركز الأهرام ضغوطًا من جهات عليا كي لا يطبع وينشر مزيدًا من كتب الأستاذ (كان المركز قد نشر للأستاذ رباعيته عن «حرب الثلاثين سنة»، كما أعاد طبع كتابي: «لمصر لا لعبد الناصر» و«خريف الغضب» و«أوهام القوة والنصر»)!

وهذه الضغوط مورست على مركز الأهرام في أعقاب رسالة الأستاذ هيكل إلى مجلس نقابة الصحفيين، بمناسبة انعقاد الجمعية العمومية غير العادية للنقابة يوم السبت ١٠ يونيو ١٩٩٥، بعد أن وجه له الصحفي يحيى القلاش دعوة لمناقشة القانون رقم ٩٣ لسنة ١٩٩٥ وطلب رأيه فيه. وقد جاء في نص رسالة الأستاذ لمجلس النقابة بالحرف: «إن هذا القانون في ظني يعكس أزمة سلطة شاخت في مواقعها، وهي تشعر أن الحوادث تتجاوزها، ثم إنه لا تستطيع في نفس الوقت أن ترى ضرورات التغيير، وهنا لا يكون الحل بمعاودة المراجعة والتقييم، ولكن بتشديد القيود وتحصين الحدود، وكأن حركة التفكير والحوار والتغيير تستحق أن توضع في قفص»..)

١٩ - المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل - عواصف الحرب وعواصف السلام [1]:

يواصل في الجزء الثاني ما بدأه في الجزء الأول من سبر أغوار المفاوضات السرية، مركزًا على محاولات إسرائيل لفتح باب المفاوضات مع مصر (زمن الرئيس ناصر) وإقامة جسور اتصال لم تصل لنتيجة كون المفاوضات لم تكن مطروحة أبدًا، ثم ما جرى بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، من فك اشتباك، إلى مبادرة الرئيس السادات، وانتهاء بمعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية.

(١) صدر سنة ١٩٩٦ عن دار الشروق.

٢٠ - المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل - سلام الأوهام أوسلو - ما قبلها وما بعدها [1]:

الجزء الأخير من ثلاثية المفاوضات بين العرب وإسرائيل، مركزًا على الدور الذي قام به الفلسطينيون في التفاوض بأنفسهم ولأنفسهم. محاولًا الإمساك بالدور الفلسطيني عبر عدة محطات بداية من القاهرة ومرورًا بطهران وجنيف وستوكهولم وانتهاءً بغزة.

٢١ - المقالات اليابانية [2]:

مجموعة مقالات (٢٩ مقالًا) كتبها الأستاذ هيكل للصحيفة اليابانية يوميوري شيمبون The Yomiuri Shimbun، خلال الفترة الممتدة من يناير ١٩٩٢ إلى مايو ١٩٩٧ (مجموعة مختارة من المقالات وليس جميع ما كتب في الصحيفة)، تحت عنوان ثابت «نظرات على العالم Insights into the World»، وتناولت عدة قضايا: الحل الإسلامي، القذافي، سياسات موسكو، دور اليابان، الصومال، عرفات ودوره، ما يحدث في اليمن، قطار عملية السلام، الملك حسين، الأوضاع الداخلية في السعودية، تركيا ومستقبلها، بطرس غالي، مستقبل الجزائر، وغيرها من قضايا الساعة وقتها.

٢٢ - الخليج العربي.. مكشوف: تداعيات تفجيرات نووية في شبه القارة الهندية [3]:

نص محاضرة الأستاذ هيكل في بيروت يوم السبت ٢٧ يونيو ١٩٩٨ في القاعة الكبرى لقصر العدل. مستعرضًا مخاطر امتلاك الهند وباكستان السلاح النووي، وتداعيات ذلك على جوارهما الخليجي والعربي.

٢٣ - العروش والجيوش - كذلك انفجر الصراع في فلسطين - قراءة في يوميات الحرب [4]

بمناسبة مرور خمسين عامًا على ذكرى نكبة فلسطين (١٩٤٨)، قرر الأستاذ هيكل نشر

(١) صدر سنة ١٩٩٦عن دار الشروق
(٢) صدر سنة ١٩٩٧عن دار الشروق
(٣) صدر سنة ١٩٩٨عن دار الشروق
(٤) صدر سنة ١٩٩٨عن دار الشروق

يوميات الحرب على الجبهة المصرية في فلسطين، كان قد زوده بها الرئيس جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٥، وقد كتب مقدمة طويلة في محاولة شرح لحظة الانفجار الكبرى في الصراع العربي الإسرائيلي، عندما تمددت كتلته، وبدأ زمانه! والكتاب (اليومية) بدأ من يوم وصول أمر العمليات إلى القيادة العامة للقوات في فلسطين مساء يوم الجمعة ١٤ مايو ١٩٤٨، وصولاً ليوم الإثنين ١٨ أكتوبر ١٩٤٨، مع بلاغ بقيام الطائرات الإسرائيلية بقصف القصور الملكية في القاهرة (عابدين والقبة).

٢٤ - مقالات بصراحة [١]:

قرص مدمج CD يحوي على ٦٩٤ مقالاً من يوم الأربعاء ٩ يناير ١٩٥٧ إلى يوم الثلاثاء ٢٤ يوليو ١٩٩٠. مستعرضًا أزمات ومراحل الصراع على الشرق الأوسط وفيه، والصراع العالمي على المنطقة بين الأقطاب.

٢٥ - حرب من نوع جديد [٢]:

نص محاضرة الأستاذ هيكل في بيروت يوم الإثنين ٢٦ يوليو ١٩٩٩، بمناسبة تسليمه «جائزة جمال عبد الناصر للفكر القومي» من قبل مركز دراسات الوحدة العربية. وفيها يتحدث عن حرب نفسية تشنها قوى السيطرة العالمية على الأمة العربية ضاغطة على أعصابها مركزة على تاريخها ووعيها وفكرها (ميادين الحرب الجديدة) ليسهل عليها تطويع إرادتها.

٢٦ - العروش والجيوش ٢ - أزمة العروش وصدمة الجيوش - قراءة متصلة في يوميات الحرب (فلسطين ١٩٤٨) [٣]:

يستكمل الأستاذ هيكل قراءة يوميات الحرب للقيادة العامة للقوات المصرية في فلسطين، وفي حين كان الجزء الأول استعراضًا لمخاطر كانت محصورة داخل الأراضي الفلسطينية، فالجزء الثاني يركز على أن النيران انتشرت خارج فلسطين مركزًا على مصر كونها الطرف الذي ينبغي التعامل معه في طلب الحسم مع المحيط كله!

(١) صدر سنة ١٩٩٩عن بيت العرب للتوثيق العصري والنظم
(٢) صدر سنة ١٩٩٩ عن دار الشروق
(٣) صدر سنة ٢٠٠٠عن دار الشروق

٢٧ - كلام في السياسة - قضايا ورجال: وجهات نظر (مع بدايات القرن الواحد والعشرين) [١]:

مجموعة مقالات (٩ مقالات) كتبها الأستاذ هيكل خلال الفترة من فبراير ٩٩ إلى فبراير ٢٠٠٠، وتم نشرها في مجلة الكتب: وجهات نظر، وفيها يستعرض شواغل تلك الأيام، وشخوص بعض أبطالها، محاولاً كتابة مقال «مستطرد» Narrative Article (مسترسل)، متناولاً قضايا السياسة والحب (الرئيس بيل كلينتون Bill Clinton)، ووساوس بطرس غالي، ضرورة فهم شخصية الملك حسين قبل الحكم، وحواراته مع العقيد معمر القذافي، ويومياته في لندن، وتحليل الحرب الأهلية في يوغسلافيا، ورؤيته لدور الملك المغربي الحسن الثاني، والمفاوضات السورية الإسرائيلية.

٢٨ - كلام في السياسة - عام من الأزمات! (٢٠٠٠ - ٢٠٠١) [٢]:

مجموعة مقالات (١٠ مقالات) كتبها الأستاذ هيكل خلال الفترة من مارس ٢٠٠٠ إلى فبراير ٢٠٠١، وتم نشرها في مجلة الكتب: وجهات نظر، مبحرًا بين هموم الداخل وهموم الجوار، عبر استعراض العلاقة بين المسلمين والأقباط، ورئاسة الدولة في مصر، والدين وعلاقته بالسياسة والأدب، ومستكشفًا آفاق المستقبل عبر قراءته للوثائق الإسرائيلية.

٢٩ - كلام في السياسة - نهايات طرق: العربي التائه ٢٠٠١ [٣]:

مجموعة مقالات (٦ مقالات) كتبها الأستاذ هيكل خلال الفترة من مارس - نوفمبر ٢٠٠١، وتم نشرها في مجلة الكتب: وجهات نظر، مستشرفًا آفاق قرن جديد عبر استعراضه لمؤتمر القمة العربي في عمان العاصمة الأردنية، ومؤتمر الفرنكوفونية في بيروت، وضرورة إجراء وقفة مع الصديق الأمريكي، فضلاً عن يومياته في لندن.

(١) صدر سنة ٢٠٠٠ عن المصرية للنشر العربي والدولي
(٢) صدر سنة ٢٠٠١ عن المصرية للنشر العربي والدولي
(٣) صدر سنة ٢٠٠١ عن المصرية للنشر العربي والدولي

٣٠ - كلام في السياسة - الزمن الأمريكي: من نيويورك إلى كابول [١]:

مجموعة مقالات (٦ مقالات) كتبها الأستاذ هيكل خلال الفترة الممتدة من أغسطس ٢٠٠١ إلى فبراير ٢٠٠٢، وتم نشرها في مجلة الكتب: وجهات نظر، مستعرضًا الزمن الأمريكي من فترة نشأته وصعوده الاقتصادي وعبوره نحو العالم القديم، ليفرض على الدنيا زمانه وتقدمه وقوته وهيمنته، كاشفًا تقرير رئاسي أمريكي (قبل عاصفة سبتمبر ٢٠٠١)، ثم تداعيات ما عرف «بغزوة نيويورك»، ثم الحرب الأمريكية في كابول منذ الغزو السوفيتي لها أواخر عام ١٩٧٩ وحتى مطلع قرن جديد، مستعرضًا أدوار المجاهدين الإسلاميين، وباكستان، والقاعدة وطالبان وبن لادن.

٣١ - سقوط نظام! لماذا كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ لازمة ؟ [٢]:

هذا كتاب جواب على سؤال «هل كانت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لازمة ؟». والجواب محاولة في قراءة التاريخ، بعد نصف قرن من الحدث الذي غير وجه مصر والمنطقة.

كنت قد قابلت الأستاذ يوم الثلاثاء ١٢ أكتوبر ٢٠٠٤، وقد تطرقت معه إلى كتاب «سقوط نظام»، ومقترحًا عليه (برجاء) أنه لابد من كتاب يلحقه عن «ليلة سقوط الملك فاروق (الأربعاء ٢٣ يوليو٥٢) إلى ليلة إلغاء الملكية في مصر (الخميس ١٨ يونيو ١٩٥٣)»!

الأستاذ أجابني: بأن كتاب «سقوط نظام» استلزمه سنة ونصف من قراءة ما يزيد عن ٥٠٠ ملف سجله بخط يده ويد الرؤساء محمد نجيب وجمال عبد الناصر وأنور السادات.

ومذكرات وتسجيلات عن عشرات المقابلات مع رؤساء وزراء مصر: علي ماهر ونجيب الهلالي وحسين سري ومحمود فهمي النقراشي. وساسة ذلك الزمن: محمد حسين هيكل، وعلي الشمسي، ومكرم عبيد، وفؤاد سراج الدين، ومحمد صلاح الدين، وعبد الرزاق السنهوري، وسليمان حافظ، وأحمد عبود، ومحمد أحمد فرغلي. وعدد من أفراد العائلة المالكة: الملكة نازلي، والملكة فريدة، والأميرة فايزة، والأميرة فتحية، والنبيل عباس حليم. وأفراد الحاشية: كريم ثابت، والدكتور يوسف رشاد، وناهد رشاد.

(١) صدر سنة ٢٠٠٢ عن المصرية للنشر العربي والدولي
(٢) صدر سنة ٢٠٠٣ عن دار الشروق

وحديث مطول (٣٠ ساعة) مع حسن يوسف رئيس الديوان الملكي، وحديث مع عبد الفتاح عمرو (٢٠٠ دقيقة) سفير مصر في العاصمة البريطانية: لندن.

وأكثر من ٤٠٠٠ وثيقة من الوثائق البريطانية والأمريكية والفرنسية والإسرائيلية (تم مراجعة ٦٠ ألف ورقة تم التركيز فقط على ٤ آلاف ورقة فقط).

ومراجعًا أوراق السير أنتوني إيدن Anthony Eden (وزير خارجية بريطانيا زمن الحرب العالمية الثانية)، والسير مايلز لامبسون Miles Lampson (السفير البريطاني في مصر ١٩٣٦ - ١٩٤٦)، والمستشار الشرقي في السفارة البريطانية والتر سمارت Walter Smart، وروونالد كامبل Ronald Campbell (السفير البريطاني في مصر ١٩٤٦ - ١٩٥٠)، والسير رالف ستيفنسون Ralph Stevenson (السفير البريطاني في مصر ١٩٥٠ - ١٩٥٣)، وجيفرسون كافري Jefferson Caffrey (سفير الولايات المتحدة)، وكيرميت روزفلت Kermit Roosevelt (مسئول المخابرات المركزية).

ثم أردف قائلًا: لقد اعتزلت الكتابة قبل سنة، ولا أظنني سأقترب من الكتابة إلا في أضيق الحدود..

٣٢ - الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق [١]:

مجموعة مقالات (٩ مقالات) كتبها الأستاذ هيكل خلال الفترة الممتدة من فبراير إلى أكتوبر ٢٠٠٣، وتم نشرها في مجلة الكتب: وجهات نظر، وفيها يستعرض مراحل تطور الولايات المتحدة من دولة إلى إمبراطورية، وبداية دخولها العسكري للمنطقة العربية، وملامح من شخصية الرئيس الأمريكي جورج بوش (الأبن)، وقراءة في أوراق الإدارة الأمريكية وعقلها، وصناعة القرار الأمريكي، ودور الساسة والجنرالات والجيش الأمريكي في زمن قادم!

٣٣ - استئذان في الانصراف رجاء ودعاء.. وتقرير ختامي [٢]:

يضم الكتاب مقالتين للأستاذ هيكل تم نشرهما في جريدة الأهرام، الأولى يوم الثلاثاء

(١) صدر سنة ٢٠٠٣ عن دار الشروق
(٢) صدر سنة ٢٠٠٣ عن دار الشروق

٣٠ سبتمبر ٢٠٠٣ بعنوان «عالم الكلمة والفعل: ١٩٤٢ - ١٩٧٣» والثانية يوم الأربعاء ١ أكتوبر ٢٠٠٣ بعنوان «عالم الحركة والإنسان، أسباب متعددة.. وسؤال عما بعد ؟!»

٣٤ - على هامش صراع الحضارات (رؤية صحفي) [1]:

يضم الكتاب ورقة حوار كان قد بعثها الأستاذ هيكل في مارس ٢٠٠٦ للرئيس الإيراني الأسبق محمد خاتمي ونشرت في جريدة العربي القاهرية ثم في مجلة الكتب: وجهات نظر، كما يضم نص محاضرة الأستاذ هيكل في جامعة أوكسفورد بالعاصمة البريطانية: لندن يوم الإثنين ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٧، وأخيرًا محاضرته في الدوحة يوم السبت ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٨، بمناسبة افتتاح متحف الفن الإسلامي.

٣٥ - كلمات لها مناسبات - مجموعة محاضرات [2]:

طبعة خاصة فاخرة، والكتاب يضم عدة محاضرات منها: محاضرة (كلام إلى العالم العربي) بوزارة الخارجية في أبو ظبي - يناير ١٩٧٨. ومحاضرة (اتفاق غزة - أريحا أولًا السلام المحاصر بين حقائق اللحظة وحقائق التاريخ) بالجامعة الأمريكية في القاهرة - أكتوبر ١٩٩٣. ومحاضرة (مصر والقرن الواحد والعشرون) بالمعهد القومي للإدارة العليا في الإسكندرية - أكتوبر ١٩٩٤. ومحاضرة (١٩٩٥: باب مصر إلى القرن الواحد والعشرين) بمعرض الكتاب في القاهرة - يناير ١٩٩٥. ومحاضرة (أزمة العرب ومستقبلهم) بمتحف جيميه في باريس - ديسمبر ١٩٩٥. ومحاضرة (الخليج العربي.. مكشوف: تداعيات تفجيرات نووية في شبه القارة الهندية) بقصر العدل ببيروت - يونيو ١٩٩٨. ومحاضرة (حرب من نوع جديد) ببيروت - يوليو ١٩٩٩.

رغم أن الفهرس يحوي على محاضرة «المستقبل.. الآن» التي ألقاها الأستاذ هيكل بالجامعة الأمريكية بالقاهرة يوم الاثنين ١٤ أكتوبر ٢٠٠٢، إلا أنها غير موجودة به (وقد كانت بمثابة الطلقة الأولى على الخطوط في معركة محاولة توريث نجل الرئيس حسني مبارك (جمال) وكسر

(١) صدر سنة ٢٠٠٩ عن دار الشروق.
(٢) صدر سنة ٢٠١٠ عن دار الشروق.

مؤامرة الصمت)!، وكنت قد لفت نظر الأستاذ إلى عدم وجود المحاضرة بين دفتي الكتاب، وأيضًا عدم وجودها لاحقًا في أي جزء من ثلاثية «مبارك وزمانه»؟!

المجموعة الخامسة:
عصر ما بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١:

١ - مبارك وزمانه: من المنصة إلى الميدان [1]:

يستعرض علاقته بالرئيس حسني مبارك طيلة ٣٠ عامًا، ولقاءه معه يوم السبت ٥ ديسمبر ١٩٨١ لمدة ست ساعات، ولمحاته عنه بما رآه وعرفه بنفسه عن مبارك!

٢ - مبارك وزمانه: ماذا جرى في مصر ولها ؟ [2]:

يضم هذا الجزء مجمل ما قاله عن الرئيس مبارك طيلة فترة حكمه، متضمنًا ست رسائل كان قد كتبها الأستاذ للرئيس مبارك في بداية عهده (١٩٨٢ - ولم تنشر حينها) [3].

٣ - مصر إلى أين ؟ ما بعد مبارك وزمانه [4]:

يضم الكتاب أغلب ما قاله بعد اندلاع ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، محاولًا متابعة الأحداث، ومواكبًا للتطورات خلال عام من الثورة، مقدمًا ملامح طريق وإشارات وعلامات لجموع شباب الثورة!!

■ ■ ■

(١) صدر سنة ٢٠١٢ عن دار الشروق.
(٢) صدر سنة ٢٠١٢ عن دار الشروق.
(٣) نشر الأستاذ هيكل هذه الرسائل الست في جريدة المصري اليوم في يناير ٢٠٠٨.
(٤) صدر سنة ٢٠١٢ عن دار الشروق.

المحتويات

الموضوع — الصفحة

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

هيكل

بريق بلا ظلال

حين أصبح الأستاذ هيكل «أقوى صحفي في ا ... نشرتها صحيفة نيويورك تايمز يوم الأحد ٢٢ أغسطس ١٩٧١.

عشرات الدراسات والكتب تناولت صورًا متنو ... الحياة السياسية والصحفية من خلال رؤية الآخرين له وموقفهم منه، سلبا وإيجابا.

إلا إني توسمت أن أتناول شخصية الأستاذ هيكل الاستثنائية، وحياته الحافلة والتي يحتاج سردها لمئات الصفحات حتى لو حاولت الإيجاز. متوغلا في دور الفرد «الإنسان»، مبتعدا قدر الإمكان عما هو السياسي والصحفي.

يتم الاهتمام بشكل كبير في هذا الكتاب على الأستاذ هيكل نفسه: عناصر تكوينه، عائلته، متى ضحك؟ ومتى بكى؟ رؤيته للطفولة، علاقته بالكتب والموسيقى والفن السابع والمطابخ العالمية والسيجار والمدن التي داستها قدماه، والشعر العربي والعالمي بل وعطره الأثير!

كما يتناول مجمل مؤلفاته المنشورة، والينابيع المنسية مما كان ينوي نشره، وشهادات الآخرين بتجربته وشخصيته الآسرة!

وقد انتقيت الوقائع دون ترتيب زمني، كون الكتاب ليس سيرة ذاتية للأستاذ، بل هو أقرب ما يكون: «جولة عاصفة» على محطات معينة من حياة مثقف مصري عربي، استطاع بجهد خرافي أن يستمر متوهجا وفي بؤرة الحدث لأكثر من ٧٠ عاما حتى على الصعيد العربي والعالمي، متكئا على آراء وذكريات زملائه ومساعديه، وعلى معرفة شخصية بالرجل نسجت خيوطها منذ عام ١٩٩٤ فصاعدا.



